التَّعْقِيبُ المَصْدَرِيُّ

ودلالاته فِي القُرآنِ الكَرِيْمِ

وأبحاث أخرى

الدكتور
وائل الحربيّ



دار الأيام
أمة تقرأ... أمة تتقدم

دار الرياحين للنشر والتوزيع

التَّعْقِيبُ المَصْدَرِيُّ

ودلالاته فِي القُرآنِ الكَرِيْمِ

وأبحاث أخرى

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2015/9/4521)

225
الحربي، وائل محمد
التعقيب المصدري ودلالاته في القرآن الكريم وأبحاث أخرى / وائل محمد الحربي. عمان: دار الأيام للنشر والتوزيع،2015
(318)ص
ر.إ: 2015/9/4521
الواصفات: / الفاظ القرآن الكريم/ إعجاز القرآن الكريم/ القرآن الكريم
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولايعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية اخرى

الطبعة الأولى 2016

دار الأيام للنشر والتوزيع

عمـــان-ش الملك حسين - وسط البلد اول طلعـــة
جبل الحسين بجانب سرفيس جبل الحسين خط 9
ص.ب 925636 العبدلي 11190 الاردن
هاتف: 4633362 6 00962 تلفاكس:4633352 6 00962
جـوال:707630 795 00962 -509925 797 00962
E-mail:salah_tallawi@yahoo.com

التَّعْقِيبُ المَصْدَرِيُّ

ودلالاته فِي القُرآنِ الكَرِيْمِ

وأبحاث أخرى

الدكتور

وائــل الحربيّ

دار الأيام

دار الأيام للنشر والتوزيع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء: ٨٥

المقدمــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

يحتوي هذا الكتاب على خمسة أبحاث لغوية نشرت متفرقة في مجلات علمية محكمة، درست في البحث الأول الموسوم بـ(التَّعقِيبُ المصْدَرِيّ ودلالاتُهُ في القُرْآنِ الكَرِيم) ظاهرة لغوية أسلوبية امتازت بها اللغة القرآنية، وقد كشف هذا البحث عن تجليات هذه الظاهرة الأسلوبية في النص القرآني، من حيث خصائصها الصرفية والنحوية، وأثرها في دلالة النص الكريم، في حالتي النصب والرفع في ضوء دراسة ما جاء فيها من قراءات قرآنية والموازنة بينها.

وكان البحث الثاني بعنوان (الابْتِكَارُ اللُّغَوِيُّ في الخِطَابِ القُرْآنِي عِنْدَ الطَّاهِرِ بْنِ عَاشُور دِرَاسَةٌ في المَفْهُومِ وَالمَرْجِعِيَّاتِ)، وقد حاولت في هذا البحث الكشف عن مفهوم الابتكار اللغوي في الخطاب القرآني في فِكْرِ الشيخ الطاهر بن عاشور. وهو مصطلح جديد ابتدعه الشيخ الطاهر، وأراد عن طريقه أن يلفت أنظار الدارسين إلى أنَّ القرآن الكريم أتى بالجديد على المستوى اللغوي مما لم تعرفه العرب سابقاً، وانَّ هذا الابتكار اللغوي هو مظهر من مظاهر إعجاز القرآن وبلاغته التي وقف أمامها العرب مبهورين. وقد سعت هذه الدراسة إلى قراءة ما عده الشيخ الطاهر مبتكرا قراءة تأصيلية توازن أقواله بما يقاربها من أقوال العلماء السابقين حتى تتمكن هذه الدارسة من معرفة مدى الجدة في آرائه، من جهة، ومن اجل الكشف عن أفق التجديد اللغوي عنده في ضوء رؤيته للظاهرة اللغوية التي يعالجها وزاوية النظر إليها وتوظيفها في فهم النص القرآني وتلمّس نواحي الإبداع والجمال فيه، ومن ثمَّ، تُسَاعِدُنا في التوصل إلى مرجعياته الفكرية واللغوية والفنية التي احتكم إليها في رؤيته للابتكار اللغوي في النص القرآني من جهة أخرى.

أما البحث الثالث المعنون بـ(جَمَالِيَّاتِ التَّحِيَّةِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ في ضوءِ جُهُودِ المُفَسِّرين) فكان يهدف إلى دراسة التحية الإسلامية المتمثلة بعبارة: (السلام عليكم) وتشكلاتها الأخرى المختلفة في النص القرآني، دراسةً لغوية بلاغية تفيد من جهود المفسرين في رسم صورة متكاملة عن الألفاظ المعبِّر بها عن التحية، ولمعرفة ما تؤديه من معان في ضوء ما قدمه المفسرون من قراءات لها في أثناء تفسير النص القرآني بالاستعانة بالسياقات، اللفظية منها أو غير اللفظية، التي وردت التحية فيها، تمهيدا للوصول إلى غاية أخرى يسعى البحث إلى تحقيقها، وهي الوقوف على كل مَعْلم جمالي وأسلوبي يتعلق بالتحية في القرآن الكريم، في محاولة للكشف عن معاني السلام وجمالياته- بصفته تحية الإسلام- في القرآن الكريم.

أما البحث الرابع: (إصلاح اللفظ وتزيينه في العربية) فيتناول نَظَرِيَّةَ إصلاحِ اللفظِ وتزيينِهِ في اللُّغَةِ العَربِيَّة، وهي جُزءٌ من المنظومَةِ الفَلسفيَّةِ الحاكِمَةِ للعَقليَّةِ اللُّغويَّةِ العَرَبِيَّةِ، في النَّظرِ والتَّحليلِ. وَقَد سعى هذا البحث إلى الكشف عن أصل القول بإصلاح اللفظ وتزيينه في الفِكرِ اللغوي العربي، وأهم مَظَاهره في اللغة العربية صوتيا وصرفيا ونحويا.

وعالجت في البحثِ الأخيرِ: (نَقْد اللِّسَانِيَّاتِ عِنْدَ الدكتُور رَشِيدِ العُبَيدِيِّ) النقدَ الذي وجهه الدكتور رشيد العبيدي، وهو أحد أعلام الدرس اللغوي العراقي الحديث، إلى اللسانيات الحديثة. وقد شجعنا على البحث في هذا الموضوع ما وجدناه من جهود علمية، تجلت في بعض كتبه، وكان غايتها قراءة ما قدمته اللسانيات الحديثة بمناهجها ودراساتها قراءة نقدية لا تكتفي بالعرض والتلخيص، وقد توزع البحث إلى مجموعة من المحاور، يتناول كل محور توجهاً نقدياً من توجّهاته في نقد اللسانيات، لغرض رسم صورة متكاملة الملامح عن المنظومة الفكرية التي يصدر عنها والمرجعيات التي يستند إليها في نقده، مما يساعد في الوقوف على الدوافع وراء هذا التوجه النقدي عنده.

وأخيرا يسرني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى هذه الدار الكريمة ، لقيامها بإصدار هذا الكتاب خدمة للغتنا العربية، وإعلاء للغة القرآن الكريم، والله الموفّق.

التَّعْقِيبُ المصْدَرِيّ وَدَلالَاتُهُ في القُرْآنِ الكَرِيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن والاه..

يكشف هذا البحث عن ظاهرة لغوية أسلوبية جديدة في الخطاب القرآني الكريم، وهي التعقيب بالمصدر، وقد انقسم البحث على أربعة محاور، درست في المحور الأول مفهوم التعقيب المصدري وتاريخ ظهور هذا المصطلح في الدراسات القرآنية، وتناولت في المحور الثاني من البحث نوع المصدر المعقب به في القرآن الكريم، وعالجت في المحور الثالث التعقيب بالمصدر من حيث الدلالة الصرفية والدلالة النحوية، ودرست في المحور الأخير من البحث دلالة التعقيب المصدري بين النصب والرفع في ضوء القراءات القرآنية، وختمت البحث بخاتمة أجملت فيها أهم نتائج البحث.

مفهوم التعقيب المصدري:

التعقيب مصطلح يستعمل في مجالات مختلفة، ولكننا نستعمله هنا للتعبير عن ظاهرة أسلوبية لغوية في القرآن الكريم، ومن ثمَّ فلا بد لنا من الإحاطة باستعمالاته في اللغة وفي ميادين العلوم الإسلامية؛ ليكون ذلك تمهيدا لدراسته والتأصيل له والكشف عن امتداداته المتنوعة. فالتعقيب في اللغة مصدر قياسي على زنة تفعيل من الفعل الثلاثي (عقّب) المزيد بالتضعيف. وعندما رجعنا إلى المعجمات نستشيرها في التعقيب، وجدنا أن له معاني عدة؛ لعل المعنى الأساس الذي تعود إليه هو: أن يجيء الشيء بعد الشيء متأخرا عنه، قال الخليل(ت170هـ):((كُلُّ شيءٍ يُعْقِبُ شيئاً فهو عَقيبُه كقولك: خَلَفَ يَخْلُفُ بمنزلة اللَّيْلِ والنَّهار إذا قضى أحدُهُما عَقِبَ الآخر فهما عقيبان كل واحدٍ منهما عَقيبُ صاحبه، ويَعْتَقِبان ويَتَعاقَبانِ: إذا جاء أحدُهُما ذَهَبَ الآخر. وعَقَبَ اللَّيْل

النَّهارَ والنهارُ الليل: أي خَلَفَه)) [1]. وقال ابن فارس(ت392ه): ((العَيْنُ وَالْقَافُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى تَأْخِيرِ شَيْءٍ وَإِتْيَانِهِ بَعْدَ غَيْرِهِ. وَالْأَصْلُ الْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ وَشِدَّةٍ وَصُعُوبَةٍ)) [2]. كما ورد هذا التعريف عند أصحاب المصطلحات أيضا، فالتعقيب: ((أن يؤتى بشيء بعد آخر)) [3]. وهو معنى الفعل (عقب) غير المضعف الذي يحيل إلى معنى: آخِر الشيء ونهايته، أو ما يخلفه؛ جاء في اللسان ((عقب كل شيء، وعقبه،وعاقبته، وعقبته، وعقباه، وعقبانه: آخره)) [4]. وفيه((وعقب الشيب يعقب ويعقب عقوبا ، وعقّب: جاء بعد السواد. .... والعقب والعقْب والعاقبة: ولد الرجل. وولد ولده والباقون بعده... وعقب مكان أبيه يعقب عقبا وعاقبة، وعقّب إذا خلف)) [5]. كما ورد في لسان العرب معنى: أن يعمل الرجل عملا ثم يعود فيه:((قال شمر: التعقيب أن يعمل عملا في صلاة أو غيرها، ثم يعود فيه من يومه؛ يقال: عقب بصلاة بعد صلاة، وغزوة بعد غزوة؛ قال: وسمعت ابن الأعرابي يقول: هو الذي يفعل الشيء ثم يعود إليه ثانية. يقال: صلى في الليل ثم عقب،أي عاد في تلك الصلاة)) [6]. والمعنى الجامع هنا هو الدلالة على العودة إلى عمل سابق أو الموالاة بين الأشياء؛ ومنه الانتظار لغرض الموالاة بينها-وهو ما لا يكون إلا بعد آخر العمل السابق ونهايته- ففي المعجم: ((وعقب بصلاة بعد صلاة، وغزاة بعد غزاة : والى)) [7] وفيه: ((وعقّب وأعقب إذا فعل هذا مرة وهذا مرة)) [8]، وفيه أيضا: ((وعقيبك الذي يعاقبك في

---

1 العين: 1/ 179، (عقب).

2 معجم مقاييس اللغة: 4/ 77، (عقب). ونقل الفيومي في: المصباح المنير: 2/ 419، عن ابن فارس انه قال: ((والباب كله يرجع إلى أصل واحد، وهو ان يجيء الشيء بعقب الشيء، أي متأخرا عنه)).

3 التوقيف على مهمات التعاريف: 102 .

4 لسان العرب: 1/ 611، (عقب). وينظر: أمالي القالي: 1/ 184.

5 لسان العرب: 1/ 613، (عقب).

6 نفسه: 1/ 615، (عقب).

7 نفسه: 1/ 614، (عقب).

8 نفسه: 1/ 615، (عقب).

العمل، يعمل مرة وتعمل مرة)) [1]. وجعل ابن الأثير حقيقة معنى التعقيب : إتباع العمل عملا، قال: ((وحقيقة التعقيب: إتباع العمل عملا، كقولهم لمن يجيء مرة بعد أخرى ولمن يحدث غزوة بعد غزوة وسيرا بعد سير، وللفرس الذي لا ينقطع حضره، ولمن يعتذر بعد الإساءة، ويقتضي دينه كرة بعد كرة)) [2]. وقد ذكر ابن منظور(ت711 ه) معنى آخر للتعقيب هو: الاستثناء، قال: ((وولى على عقبه، وعقبيه، إذا اخذ في وجه ثم انثنى. والتعقيب:أن ينصرف من أمر أراده)) [3]، فقد جعله بمعنى الاستثناء من أمر أراد فعله. كما أن للتعقيب معنى آخر هو: اصفرار ثمرة العرفج [4]. ويبدو أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هما اللذان رسما خطوط هذه المعاني وحددا اتجاهها، انطلاقا من الاستعمال الوارد فيهما ، فقد ورد في القرآن الكريم: (ولى مدبرا ولم يعقب)[النمل 10]، وفسره المفسرون بأنه لم يتبع إدباره إقبالا أو التفاتا [5]، كما فسر بأشياء؛ منها ما ذكره صاحب التاج: ((قيل : أي لم يعطف ولم ينتظر، وقيل: لم يمكث، ... وقيل: لم يلتفت... وقيل: لم يرجع)) [6]، فقد أفادت هذه الآية الكريمة معنى الانتظار والمكث. ومنه قوله تعالى: (لا معقب لحكمه)[الرعد 41]، أي: لا أحد يُتبع حكمه ردا [7]. ومنه قوله تعالى:(له معقبات من بين يديه ومن خلفه)[الرعد 11]، والمعقبات ملائكة الليل والنهار ؛ لأنهم يتعاقبون، أي إن ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار [8]،

1 نفسه: 1/ 616، (عقب).

2 الفائق في غريب الحديث والأثر: 3/ 12.

3 لسان العرب: 1/ 612، (عقب).

4 ينظر: القاموس المحيط: 116، (عقب).

5 ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 4/ 109، والكشاف: 3/ 350، والمحرر الوجيز: 4/ 251، وزاد المسير: 3/ 353، ومفاتيح الغيب: 24/ 594، والجامع لأحكام القرآن: 13/ 283.

6 ينظر تاج العروس: 3 / 310، (عقب).

7 ينظر: الكشاف: 2/ 535، والمحرر الوجيز: 2/ 190، وزاد المسير: 2/ 501، ومفاتيح الغيب: 19/ 53، والجامع لأحكام القرآن: 9/ 334.

8 تاج العروس: 3/ 407، (عقب).

ومنه يُستفاد معنى الموالاة بين الأشياء في العمل. كما ورد هذا اللفظ ومشتقاته في الحديث الشريف، من ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ((من عقّب في صلاة فهو في الصلاة)) [1]. ومعنى التعقيب في الصلاة، هنا، هو: الجلوس بعد أن يقضيها لدعاء أو مسألة [2]. ومن هنا كان المفهوم الإسلامي للتعقيب في المساجد وهو: انتظار الصلوات بعد الصلوات [3]. ومنه قوله (صلى الله عليه واله وسلم): ((معقبات لايخيب قائلهن)) [4]، ((وهي التسبيحات. سميت معقّبات؛ لأنها يخلف بعضها بعضا، أو لأنها عادت مرة بعد مرة، أو لأنها تقال عقيب الصلاة)) [5]. وهكذا نجد القاموس الفقهي جعل للتعقيب المعاني الآتية: التردد في طلبٍ مُجدا، وان تعمل عملا ثم تعود فيه، والجلوس بعد الصلاة للدعاء، وهو في الصدقة الاستثناء؛ يقال ليس في صدقة تعقيب، أي: استثناء [6]. كما ورد التعقيب في الأمثال العربية أيضا في قولهم: ((لاغزو إلا التعقيب)) وهو أن يغزو مرة ثم يثني من سنته [7].

يرد مصطلح التعقيب في مصطلحات النحو العربي، وذلك في سياق باب العطف في دلالة الفاء على التعقيب، وهو خلاف دلالة (ثم) على التراخي، كقولهم: مررت بزيد فعمرو، أي: مررت بزيد وعلى عقبه مررت بعمرو، وقد أطلق عليها الثعالبي اسم: فاء التعقيب [8].ويبدو أن معنى الموالاة والتتابع حاضر في هذا الاستعمال الاصطلاحي. ومنه

---

1 الحديث في: صحيح مسلم: 1/ 418،باب استحباب الذكر..، وسنن الترمذي: 5/ 479، وسنن النسائي: 3/ 75.

2 ينظر: لسان العرب: 1/ 615، (عقب) ، ومختار الصحاح: 213، (عقب).

3 ينظر: لسان العرب: 1/ 612، (عقب).

4 الحديث في: صحيح مسلم: 1/ 418، باب استحباب الذكر..، وسنن الترمذي: 5/ 479، وسنن النسائي: 3/ 75، نوع آخر من التسبيح.

5 تاج العروس: 3 / 408، (عقب).

6 ينظر القاموس الفقهي: 254.

7 ينظر: مجمع الأمثال: 2/ 245 .

8 فقه اللغة وسر الغربية: 244 .وينظر: التبيان في أقسام القرآن: 142-144 .

لام التعقيب في نحو قوله تعالى:(إن كنتم للرؤيا تعبرون)[يوسف43]. وتسمى بلام التعقيب لأنها عقّبت الإضافة. وهي تدخل مع معمول اسم الفاعل كما يبدو من السياق، قال الأزهري: ((وهي تدخل مع الفعل الذي معناه الاسم كقولك فلان عابر الرؤيا وعابر للرؤيا. وفلان راهب ربه وراهب لربه. ومن ذلك قول الله تعالى :(للذين هم لربهم يرهبون)[الاعراف154] .... إنما دخلت اللام تعقيبا للإضافة. المعنى: الذين هم راهبون لربهم، ورهبوا ربهم، ثم ادخلوا اللام على هذا المعنى لأنها عقّبت الإضافة)) [1]. وهنا يحضر معنى التناوب؛ إذ تعقب اللام الإضافة في المعنى، فهما يتعاقبان.

ومن أجل أن نحدد مفهوما واضحا للتعقيب المصدري، فلا بد لنا من الوقوف على مفهومه عند من استعمل هذا المصطلح، لمعرفة دلالاته في السياق الذي ورد فيه، وأقدم إشارة إلى التعقيب المصدري وجدناها عند الزمخشري(ت 538هـ) في تفسيره قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)،إذ قال:((صُنْعَ اللَّهِ من المصادر المؤكدة، كقوله: وَعَدَ اللَّهُ. وصِبْغَةَ اللَّهِ إلا أن مؤكده محذوف....وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب،...،فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن نظمه وترتيبه، ومكانة إضماده، ورصانة تفسيره، وأخذ بعضه بحجزة بعض، كأنما أفرغ إفراغا واحدا ولأمر مّا أعجز القوى وأخرس الشقاشق. ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام، جاء كالشاهد بصحته والمنادى على سداده، وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان. ألا ترى إلى قوله: صُنْعَ اللَّهِ، وصِبْغَةَ اللَّهِ، ووَعَدَ اللَّهُ، وفِطْرَتَ اللَّهِ: بعد ما وسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم، كيف تلاها بقوله الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً،

1 ينظر: تهذيب اللغة: 2/ 229، و15/ 297.

لا يخلف الله الميعاد لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)) [1]. يلحظ أن الزمخشري قد استعمل لفظ(عقيب) الذي اشتق منه مصطلح(التعقيب) في ما بعد. وهو يتحدث هنا عن استعمال النص الكريم للمصدر(صنع الله) وبلاغة استعماله ووظيفته الدلالية في تقوية المعنى وتثبيته. وكما هو ظاهر فان التعقيب المصدري هنا هو المجيء بمصدر يردف معنى الجملة السابقة ويقويه أو يجمله؛ فلا يدخل الشك إلى قلب المتلقي وعقله وإنما يقبل على الكلام بالقبول والموافقة؛ فهو شاهد على صدق الكلام السابق وسداده. وقد نقل أبو حيان هذا الكلام ثم علق على قول الزمخشري: إن الله تعالى(جعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب) بأن هذا القول من مذهب الاعتزال احتال إلى إدراجه في كلامه بالتلاعب بالألفاظ وإدارتها على النحو الذي يريد، قال:((وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَ مِنْ شَقَاشِقِهِ وَتَكْثِيرِهِ فِي الْكَلَامِ، وَاحْتِيَالِهِ فِي إِدَارَةِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ لِمَا عَلَيْهِ، مِنْ مَذَاهِبِ الْمُعْتَزِلَةِ)) [2]. ومن إشارات القدماء إلى التعقيب أيضا ما نجده في كتاب الفوائد المشوق المنسوب إلى ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، وذلك في القسم الرابع والخمسين من أقسام الفصاحة والبلاغة، الذي عنونه بالتعقيب المصدري، وفيه بيّن الغرض منه؛ قال: ((وإنما يعمد إلى ذلك لضرب من التأكيد لما تقدمه والإشعار بتعظيم شأنه أو بالضد من ذلك)) [3]. ثم نقل كلام الزمخشري السابق بنصه ولكنه أضاف إليه أن من التعقيب المصدري ما يستعمل لغرض الذم ومثّل، قال:((وأما الثاني وهو ضد الأول وذلك ما يراد به تصغير الشأن كقولهم إذا ذكروا إنسانا يريدون ذمه قد ركب هواه واستمر على غيه وتمادى على جهله وسحب ذيل عجبه- وما أشبه ذلك ثم يقول-صنع

---

1 الكشاف: 3/ 387-388. وينظر: مفاتيح الغيب: 24/ 574، وفيه رأي القاضي عبد الجبار المعتزلي، قال:((قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْقَبَائِحَ لَيْسَتْ مِنْ خَلْقِهِ وَإِلَّا وَجَبَ وَصْفُهَا بِأَنَّهَا مُتْقَنَةٌ وَلَكِنَّ الْإِجْمَاعَ مَانِعٌ مِنْهُ وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْإِتْقَانَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا فِي الْمُرَكَّبَاتِ فَيَمْتَنِعُ وصف الأعراض بها والله أعلم)).

2 البحر المحيط: 8/ 274.

3 الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن: 252.

الشيطان الذي غلب النفوس وميل الألباب– ومثل ذلك كثير فاعرفه)) [1]. فقد جعل فائدته في تأكيد ما تقدم من الكلام وتعظيم شأنه أو تقليل شأنه والحطّ من أثره وقيمته. كما نجد إشارة أخرى إلى التعقيب المصدري عند سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي (ت710هـ) في كتابه الإكسير في علم التفسير، وذلك في النوع العاشر من علوم القرآن الموسوم بالتعقيب المصدري ، وقد وصفه بأنه:((هو تعقيب الكلام بالمصدر إشارة إلى تعظيم شأنه أو ذمه وسبابه)) [2]. ثم أورد الشواهد القرآنية الثلاثة التي سبق أن ذكرها ابن القيم. ومن ذلك ما نجده في حاشية الشهاب، إذ يقول عن قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)[النمل 88]:((وقوله: ونحن له عابدون ملائم لقوله صبغة الله لأنها دين الله فالمصدر كالفذلكة لما سبق)) [3]. فقد وصف استعمال المصدر في تلك المواضع التي أشار إليها بالفذلكة لما سبق من الكلام. والفذلكة: كَلِمَةٌ مُخْتَرَعَةٌ من قولِك: فذلك الرجل حسابه، إذا أَجْمَلَ حِسابَه: فذلِكَ كَذَا وكَذَا عدَداً، وكَذا وكَذا قَفِيزاً [4]، واستعمال الشهاب كلمة الفذلكة هو، في نظرنا، استعمال يرادف التعبير بالتعقيب المصدري كما يبدو من معناها اللغوي. وقد أشار الأستاذ خالد بن عثمان السبت إلى التعقيب المصدري أيضا في المقصد الثالث الموسوم بالقواعد اللغوية الخاصة بالتفسير، قال:((التعقيب بالمصدر يفيد التعظيم أو الذم)) [5]. هذه هي أهم الإشارات الصريحة التي وجدناه عن التعقيب المصدري في ما اطلعنا عليه. وهناك إشارات غير صريحة إلى هذه الظاهرة الأسلوبية اللغوية تُمَثِّلُ لها وتكشف عن دلالتها، ومن ذلك ما نجده عند سيبويه، إذ قال:((هذا باب ما يكون المصدرُ فيه توكيداً لنفسه نصباً وذلك قولك: له عليَّ أَلْفُ

1 نفسه: 253.

2 الإكسير في علم التفسير: 205.

3 حاشية الشهاب= عناية القاضي: 2/ 248.

4 ينظر: تاج العروس: 27/ 293-294، (عقب).

5 مختصر في قواعد التفسير: 8.

درهمٍ عُرْفاً...... وإنّما صار توكيداً لنفسه لأنه حين قال: له عليّ، فقد أقرَّ واعتَـرف.... واعلم أنه قد تُدخل الألفُ واللام في التوكيد في هذه المصادر المتمكّنة التي تكـون بـدلاً من اللفظ بالفعل: كدخولها في الأمر والنهي والخبر والاستفهام، فأجْرِها في هذا البـاب مُجراها هناك. وكذلك الإضافةُ بمنزلـة الألـف والـلام. فأمّـا المضـاف فقـول الله تبـارك وتعالى: (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله)[النمل 89]، وقـال الله تبارك وتعالى: (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الـرحيم. وعد الله لا يخلف الله وعده)[الروم5-6]. وقال جـلّ وعـزّ: (الَّذِي أَحْسَنَ كـل شـيء خَلْقَه). وقال جـل ثنـاؤه: (والمحصـنات مـن النسـاء إلا مـا ملكـت أيمـانكم كتـاب الله عليكم)[النساء 24]. ومن ذلك: اللهُ أكبرُ دَعْـوةَ الحَـقّ. لأنّـه لمّـا قـال جـلّ وعـزّ: (مـر السحاب)، وقال: (أحسن كل شيء)، عُلم أنّه خَلْقٌ وصُنْعٌ، ولكنّه وكَّد وثبّت للعباد. ولما قال: (حرمت عليكم أمهاتكم)حتّى انقضى الكلام، علم المخاطبون أنّ هذا مكتـوبٌ عليهم، مثبّت عليهم، وقال: كِتَابَ اللهِ، توكيداً كما قال: صُنْعَ اللهِ، وكـذلك: وَعْـدَ اللهِ، لأنَّ الكلام الذي قبله وعد وصُنعٌ، فكأنّه قال جلّ وعزّ: وَعْـداً وصُـنعا وخَلْقـا وكِتابـا. وكذلك: دَعْوةَ الحَقّ؛ لأنّه قد عُلم أنَّ قولك: اللهُ أكبرُ، دُعاءُ الحـقّ ولكنّـه توكيـدٌ، كأنّـه قال: دعاءً حقًّا. واعلمْ أنّ، هذا البابَ أتاه النصبُ كمنصوبٍ بما قبله من المصادر في أنّـه ليس بصفة ولا من اسمٍ قبله، وإنّما ذكرته لتؤَكّدَ به، ولم تُحمله علـى مضـمَرٍ يكـون مـا بعده رفعا وهو مفعولٌ به)) [1].فقد أشار سيبويه إلى هذه الظاهرة، وإن لم يسمها، والى أنها تتألف من جملة يتبعها مصدر يؤكد معناها ويثبته، ومثّل لها. ولعل من الإشـارات المهمـة إلى هذه الظاهرة اللغوية أيضا ما جاء عند الفراء الذي التفت إلى تشابه التركيب النحـوي الذي يرد فيه المصدر المؤكد لغيره في القرآن الكريم كما نبه علـى وظيفتـه الدلاليـة الـتي ترتكز أساسا على التوكيد والتقوية؛ قـال في تفسـير قولـه تعـالى: (لَـا جُنَـاحَ عَلَـيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُـوا لَهُـنَّ فَرِيضَـةً وَمَتِّعُـوهُنَّ عَلَـى الْمُوسِـعِ قَـدَرُهُ

1 كتاب سيبويه: 1/ 381-383.

وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ)[البقرة 236] :((وقوله مَتاعاً بِالْمَعْرُوفِ منصوب خارجا من القدر لأنه نكرة والقدر معرفة. وإن شئت كان خارجا من قوله «مَتِّعُوهُنَّ» متاعا ومتعة. فأمّا حَقًّا فإنه نصب من نية الخبر لا أنه من نعت المتاع. وهو كقولك فِي الكلام: عَبْد اللَّه فِي الدار حقا. إنما نصب الحق من نية كلام المخبر كأنه قال: أخبركم خبرا حقا، وبذلك حقا وقبيح أن تجعله تابعا للمعرفات أو للنكرات لأن الحق والباطل لا يكونان فِي أنفس الأسماء إنما يأتي بالإخبار. من ذلك أن تقول: لي عليك المال حقا، وقبيح أن تقول: لي عليك المال الحق، أو: لي عليك مال حقّ، إلا أن تذهب به إلى أنه حق لي عليك، فتخرجه مخرج المال لا على مذهب الخبر. وكل ما كان فِي القرآن مما فِيهِ من نكرات الحق أو معرفته أو ما كان فِي معنى الحق فوجه الكلام فِيهِ النصب مثل قوله «وَعْدَ الْحَقِّ» و «وَعْدَ الصِّدْقِ» ومثل قوله «إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا» هذا على تفسير الأوّل)) [1]. ويلحظ انه يسمي هذا النوع من المصادر في مثل هذا الاستعمال بالخروج مما قبله، وقد يسميه أحيانا بالقطع مما قبله. وقال أيضا:((وقوله: وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي (16) . كقولك: وعدا صدقا، أضيف إلى نفسه، وما كَانَ من مصدر فِي معنى حقا فهو نصب معرفة كَانَ أَوْ نكرة، مثل قوله فِي يونس: «وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا»)) [2]. ومن الأمثلة التي نلمس فيها هذه الظاهرة وتبين إحساس الفراء بهذه الظاهرة اللغوية في القرآن الكريم، ما ورد في قوله:((وما كَانَ من سُنَّة الله، وصبغة الله وشبهه فإنه منصوب لاتصاله بما قبله عَلَى مذهب حقًّا وشبهه. والرفعُ جائز لأنه كالجواب ألا ترى أن الرجل يقول: قد قام عبد الله، فتقول: حقًّا إذًا وصلته. وإذا نويت الاستئناف رفعته وقطعته مِمّا قبله. وهذه محض القطع الَّذِي تسمعه من النحويين)). ومن ذلك ما ورد عند الزجاج، عن قوله تعالى (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا

---

1 معاني القرآن للفراء: 1/ 154.

2 نفسه: 3/ 53.

وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ)[آل عمران145]، إذ قال :(((كِتَابًا مُؤَجَّلًا) على التوكيد، المعنى كتب اللّه ذلك كتاباً مؤجلاً أي كتاباً ذا أجَل...، ومثل هذا التوكيد قوله عزَّ وجلَّ: (كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) لأنه لما قال: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ) دل ذلك على أنه مفروض عليهم فكان قوله: (كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) توكيداً. وكذلك قوله عز وجلّ: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) لأنه لما قال: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ دل ذلك على أنه خَلق اللّه وصُنعُه. فقال: (صُنْعَ اللَّهِ) وهذا في القرآن في غير موضع، وهذا مجراه عند جميع النحويين)) [1]، وهكذا نجد الفراء يشير إلى ان هذه الظاهرة غير قليلة في القرآن الكريم. ومن ذلك ما نجده من إحساس جامع العلوم الباقولي بالتشابه في البناء النحوي لشواهد الآيات التي تشملها هذه الظاهرة؛ إذ خصص بابا للمصادر المنصوبة الواردة في القرآن الكريم والعامل فيها فعل مضمر دل عليه ما قبله، ذكر فيه الكثير من الشواهد المتضمنة للتعقب بالمصدر [2].

تدل هذه الإشارات إلى التفات بعض القدماء إلى هذه الخصيصة اللغوية الأسلوبية في النص القرآني الكريم، غير أنهم لم يقفوا إلا على شواهد معدودة ومكررة لاتمثل جميع ما ورد منها في القرآن، كما أنهم لم يتوسعوا في الكشف عن صورها في العبارة القرآنية، كما اكتفوا بتحديد دلالتها في أنها تأتي لغرض: تعظيم شأن المذكور أو ذمه. ولذلك سيكون مدار هذا البحث على تحديد أهم صورها التي وردت في القرآن الكريم والكشف عن سياقاتها ودلالاتها في تلك السياقات.

نوع المصدر المعقَّب به :

ولّما كان هذا الأسلوب يعتمد المصدر النائب عن فعله؛ فلا بد لنا من أن نبين أن النحاة يقسمون المصدر في العربية على ثلاثة أقسام، هي: المصدر المؤكد لعامله،

1 معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 1/ 474-475.

2 ينظر: إعراب القرآن للباقولي المنسوب خطأ للزجاج: 2/ 767.

والمصدر المبين لنوع عامله، والمصدر المبين لعدد عامله. وهذا التقسيم فيه نظر، لأنه لم يستوف أقسام المفعول المطلق من جهة، ولأن الاقتصار على هذه الأقسام يؤدي إلى الوقوع في التعارض بين هذا التقسيم والواقع اللغوي [1]. ومن ذلك التعارض قول النحاة إن عامل المصدر المؤكد لايحذف لأنهم يرون أن الغاية من المصدر توكيد عامله، فهو لا يحذف جوازا لان الغرض من المصدر هو التوكيد؛ فهو مسوق لتوكيد معنى عامله في النفس، وتقويته، ولتقرير المراد منه، - أي: لإزالة الشك عنه - ولبيان أن معناه حقيقي لا مجازي [2]؛ ولكن النحاة-في الوقت نفسه- يذكرون أن العامل في المصدر المؤكد لمضمون الجملة محذوف، كما في نحو: (أنت ابني حقا)و(له علي ألف دينار عرفا)، وهذا يؤدي إلى شيء من التعارض- شكليا على اقل تقدير-؛ يقود إلى القول بأن المصدر المؤكد غير المصدر المؤكد لمضمون الجملة، ولذا علينا الفصل بين المصدر المؤكد لعامله والمصدر المؤكد لمضمون الجملة [3]. وقد أحس بهذا التناقض بعض القدماء، ومنهم ابن الناظم(ت686ه) وابن عقيل(ت769ه) والاشموني(ت900ه) والصبان(ت1206ه) [4]. وقد تناول الشاطبي هذه المسألة بالبحث، وانتهى إلى:((أن للمصدر المؤكد في هذا الباب إطلاقين: احدهما أن يراد به المؤكد لفعله، ...، والثاني: أن يراد به المؤكد للجملة المذكورة قبله، وليس بمؤكد لعامله الذي هو الفعل المقدر.... فالاطلاقان مختلفان في الاصطلاح... وإذا تباين الاصطلاحان لم يدخل احدهما على الآخر)) [5]. ويمكن أن نلمس شيئا من هذا التعارض عند بعض المحدثين أيضا ، ومنهم الشيخ مصطفى الغلاييني، فهو يقول عن المصدر الذي حُذف عامله وجوبا:((واعلم أنْ ليسَ المصدرُ،

1 ينظر:معاني النحو: 2/ 131.

2 ينظر: النحو الوافي: 2/ 219.

3 ينظر: معاني النحو: 2/ 131-132.

4 ينظر: شرح ابن الناظم: 193-194، ويوازن بـ:شرح ابن عقيل:1/ 593- 595، ورأي الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد بهامشه، وشرح الأشموني : 1/ 472، وحاشية الصبان: 2/ 173.

5 المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، الشاطبي:3/ 238-239. وينظر فيه :3/ 253.

الذي يُؤتى بِهِ بَدلاً من التلفظ بفعله، من المصادرِ المؤكّدةِ (كما زعم جمهورٌ من النُحاةِ) ، وإنما هو ضرب آخرُ من المصادرِ، كما علمتَ. ولو كان مؤكداً لم يَجُز حذفُ عامله، لأنه إنما أُتيَ به ليؤكّدَ عاملَه ويُقوّيه. فحذفُ العاملِ بعدَ ذلك يُنافي ما جِيءَ بالمصدرِ لأجله. ولو كان مؤكداً لجاز ذكر العامِلِ معَهُ. ولم يَقُلْ بذلك أحدٌ منهم، مع إجماعِهم على أنه يجوزُ ذكرُ العاملِ ومصدرهِ المؤكدِ له معاً. نحو (يا أيُّها آمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليماً)[الأحزاب 56]))[1]. على الرغم من انه ذكر قبل ذلك - في الموضع السابع من المواضع التي يحذف فيها العامل في المصدر وجوبا-أن عامل المصدر المؤكد لمضمون الجملة محذوف وجوبا؛ قال:((المصدرُ المؤكّدُ لمضمونِ الجملة قبلهُ. سواءٌ أجيءَ بهِ لمجرَّد التأكيدِ (أيِ لا لدفعِ احتمال المجازِ، بسبب أنَّ الكلامَ لا يحتملُ غيرَ الحقيقةِ) نحو لكَ عليَّ الوفاءُ بالعهد حَقّاً، أم للتأكيد الدافعِ إرادةَ المجاز نحو "هو أخي حقّاً"))[2]، فهو يقرر، من جهة، أن المصدر المحذوف العامل -وهو الذي جيء به بدلا من التلفظ بفعله- ليس من المصادر المؤكدة، ولكنه، من جهة أخرى، يتابع النحاة فيقرر أن العامل في المصدر المؤكد لمضمون الجملة محذوف. وبناء على ماسبق يمكن القول إن أمر حذف عامل المصدر المؤكد ليس على إطلاقه ، ولكن يمكن النظر إليه على انه قسمان؛ الأول: المصدر المؤكد لعامله وهو الذي لا يجوز حذف عامله، والآخر: المؤكد لمضمون الجملة وهو الذي يكون عامله محذوفا وجوبا ومفهوما من دلالة الجملة التي قبله، وقد أغنت الجملة التي قبله عن ذكره، لذا قيل إن حذفَ عامله حذفٌ واجب.

وقد حدد النحاة المواضع التي يحذف فيها العامل في المصدر وجوبا [3]، على النحو الآتي:

---

1 جامع الدروس العربية: 3/ 42.

2 نفسه: 3/ 42.

3 ينظر: النحو الوافي:2/ 228، والموجز في قواعد اللغة العربية: 261-259.

1. في الطلب أمراً أو نهياً أو دعاءً أو استفهاماً، نحو: "صبراً يا أخي على مصابك"، و "إقداماً لا تأخراً". و "سقياً له ورعياً". و "أكسلاً وقد جد منافسوك؟".

2. مصادر مسموعة شاع استعمالها ولا أفعال معها، ولكن القرائن دالة عليها مثل: "سمعاً وطاعة، عجباً، حمداً وشكراً لا كفراً، معاذَ الله سبحان الله، لَبَّيْك، لبيْك وسعْديْك، وحنانيْك؟ دواليْك، حذاريْك"

3. في تفصيل مجمل أو بيان عاقبة مثل: (فَشُدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً)[محمد 4].

4. إذا كرر المصدر أو حصر أو استفهم عنه وكان عامله خبراً عن اسم عين مثل: "أنت رحيلاً رحيلاً"، "إنما أنت رحيلاً"، "أأنت رحيلاً؟" والمقدّر في ذلك كله فعل "ترحل" أو "راحل".

5. أن يكون فعلاً علاجياً تشبيهياً بعد جملة مشتملة عليه وعلى صاحبه: مررت على أخيك فإذا له بكاءٌ بكاءَ ثكلى. استمعت إلى خالد فإذا له سجعٌ سجعَ حمام. فإن لم تتقدم جملة أو كان الفعل غير علاجي وجب الرفع تقول: لأخيك بكاءُ ثكلى، لخالد ذكاءُ داهية.

ويهمنا أن نقف هنا على ما له علاقة بموضوع بحثنا(التعقيب المصدري)؛ وهو المصدر المؤكد لمضمون الجملة، لان التعقيب بالمصدر في القرآن الكريم إنما جاء عن طريق هذا النوع من المصادر دون غيرها، وهو يتمثل في حالتين يجب فيهما حذف العامل في المصدر، وهما: الأولى: أن يقع المصدر بعد جملة يؤكد مضمونها؛ ويكون المصدر فيها مؤكدا لنفسه، بأن يكون واقعا بعد جملة مضمونها كمضمونه، ومعناها الحقيقي -لا المجازي- كمعناه، ولا تحتمل مرادا غير ما يراد منه، فهي نص في معناه الحقيقي، كقولك: "لك علي ألفٌ اعترافاً"؛ و: "أنت تعرف لوالديك فضلهما يقيناً". ولا يصح في هذا النوع من الأساليب تقديم المصدر على الجملة التي يؤكد معناها، ولا التوسط بين جزأيها.

والحالة الثانية: أن يقع المصدر بعد جملة ليدفع احتمال المجاز فيها، ويجعل معناها نصا في أمر واحد بعد أن لم يكن نصا. ويسمى مؤكدا لغيره ، كقولك: "هذا أخي حقاً فلولا المصدر"حقاً لاحتمل الكلام الأخوة المجازية، و نحو: هذا بيتي قطعا أي: أقطع برأيي قطعا، فلولا مجيء المصدر: "قطعاً" لجاز فهم المعنى على أوجه متعددة بعضها حقيقي، والآخر مجازي، أقربها: أنه بيتي حقا، أو: أنه ليس بيتي حقيقة، ولكنه بمنزلة بيتي، لكثرة ترددي عليه، أو: ليس بيتي ولكنه يضم أكثر أهلي. ويكون المصدر في هذا النوع واقعا بعد جملة معناها ليس نصا في أمر واحد يقتصر عليه، ولا يحتمل غيره، وإنما يحتمل عدة معان مختلفة، منها المعنى الذي يدل المصدر عليه قبل مجيئه، فإذا جاء بعدها منع عنها الاحتمال، وأزال التوهم، وصار المعنى نصا في شيء واحد. ولم يشترط النحويون أن تكون الجملة السابقة على المصدر المؤكد مشتملة على لفظه [1].

وقد أشار القدماء إلى دلالة هذا النوع من المصادر-أعني المؤكد لمضمون الجملة- على التوكيد؛ فقد تناول سيبويه الجوانب التركيبية لهذا الأسلوب وطريقة بنائه، كما أشار إلى الغرض من استعماله، وهو التوكيد والتثبيت، وتحدث أيضا عن العامل في هذا النوع من المصادر المستعملة للتوكيد، التي سبق ان مرت بنا الشواهد التي ذكرها مثل: له عليّ ألف درهم حقا، وكتاب الله عليكم، وصبغة الله ، قال:((واعلم أنَّ نصب هذا " الباب " المؤكَّدِ به العامُّ منه وما وُكّد به نفسُه، ينصب على إضمار فعل غيرِ كلامِك الأوّل، لأنه ليس فى معنى كَيْفَ ولا لِمَ، كأنّه قال: أَحُقُّ حَقًّا، فجَعله بدلاً كظَنًّا من أَظُنُّ، ......، وكَتب اللهُ تبارك وتعالى كتابَه، ....، وصَبغ اللهُ صِبغَة، ولكن لا يَظهر الفعلُ لأنَّه صار بدلاً منه بمنزلة سَقيا. وكذلك توجّهُ سائر الحروفِ من هذا البابِ، كما فعلت ذلك في باب سقياً وحمداً لك)) [2]. فقد أشار سيبويه هنا إلى المصدر الذي يؤكد مضمون

---

1 ينظر: النحو الوافي: 2/ 229.

2 الكتاب: 1/ 383-384. وينظر: المقتضب: 3/ 203، والخصائص: 2/ 74، المفصل: 57، والإنصاف: 1/ 186، وهمع الهوامع: 2/ 124.

الجملة، ووسم نوعيه بالمؤكد العام والمؤكد لنفسه، ولعل النحاة انطلقوا من تعبير سيبويه عنهما في النص المذكور؛ فسموهما المؤكد لنفسه والمؤكد لغيره، وقد ذكر الأعلم الشنتمري(ت476هـ) في شرحه كلام سيبويه في هذا الباب أن سيبويه سمى مايؤكد ماقبله بالعام وما يؤكد نفسه خاصا، قال:((سمى سيبويه، أيضا، الباب الأول[أي المؤكد لغيره أو لما قبله] توكيدا عاما؛ لأنه سمى هذا[يعني الباب الآخر الذي يشرحه، نحو: له علي ألف عرفا] توكيدا لنفسه، من حيث كان توكيد الاعتراف الذي هو معنى الكلام الظاهر، وهو لفظ اختصاص، فجعل الآخر عاما)) [1]. ومثل ذلك ما نجده عند الرضي الاستراباذي(ت686هـ)، قال عن تسميتهما بالمؤكد لنفسه والمؤكد لغيره:((وهذه عبارة المتأخرين، وسيبويه يسمي المؤكد لنفسه: التأكيد الخاص، والمؤكد لغيره: التأكيد العام)) [2]. وقريب من ذلك ما نجده عند الشاطبي قال-شارحا هذه التسمية، في ضوء شواهد سيبويه وأمثلته التي سبق ذكرها-:((وقد يسمى أيضا الأول التوكيد الخاص، والثاني التوكيد العام، ومعنى الخصوصية في الأول مقصور على قوله: له علي كذا، وخاص به. وأما حقا فليس بخاص بتلك الجملة بعينها، بل يكون توكيدا لها، فتقول هو ابني حقا، ولغيرها نحو: أبوك منطلق حقا، وزيد قائم، وأبوك سائر، وغير ذلك من الأخبار، فيحق أن يسمى التوكيد العام، والأول خاصا)) [3]. وقد بيّن النحويون أن العامل في هذا النوع من المصادر- المؤكد لغيره أو المؤكد لنفسه- مقدر ومفهوم من سياق الجملة التي قبله التي يؤكد مضمونها، قال ابن يعيش عن المصدر الذي يؤكد غيره:((والناصب لها فعل مقدر قبلها دل عليه معنى الجملة)) [4]. وقال في موضع آخر عن المصدر الذي يؤكد نفسه:((وما أكد نفسه، نحو: له علي ألف درهم عرفا ينتصب

1 النكت في تفسير كتاب سيبويه، الأعلم الشنتمري: 194.

2 شرح كافية ابن الحاجب، الرضي الاستراباذي: 1/ 293.

3 المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: 3/ 254.

4 شرح المفصل، ابن يعيش: 1/ 285.

على إضمار فعل غير كلامك الأول، لأنه ليس بحال، ولا مفعول له، ....، ولا يظهر الفعل كما لم يظهر في باب: سقيا لك وحمدا، فاعرفه)) [1]، فقد بيّن ابن يعيش هنا أن العامل في المصدر المؤكد لنفسه لا يظهر وان المصدر بدل منه. وقد ذهب الرضي إلى ان الجملة المتقدمة على المصدر هي العاملة فيه، قال:((ولا يمتنع في كل ما هو تأكيد لنفسه من المصادر ان يقال: الجملة المتقدمة عاملة فيه، لنيابتها عن الأفعال الناصبة، وتأديتها معناها)) [2]. وعلل الرضي وجوب حذف العامل مع هذا النوع من المصادر بان الجملة تقوم مقامه وتدل عليه فتغني عنه، قال:((وإنما وجب حذف الفعل الناصب في المؤكد لنفسه ولغيره ، لكون الجملتين كالنائبتين عن الناصب من حيث الدلالة عليه، وقائمتين مقامه، أعني قبل المصدر، فلا يجوز تقدم المصدرين على الجملتين، لكونهما كالعامل الضعيف،...، وأنا لا أرى بأسا بارتكاب كون الجملتين بأنفسهما عاملتين في المصدرين، لإفادتهما معنى الفعل،كما ذكرنا، فلا يتقدم المصدران عليهما لضعف العامل)) [3]، فهو يستدل – على أن العامل في المصدر المؤكد لنفسه هو: الجملة المتقدمة- بأن هذا المصدر لا يجوز ان يتقدم على الجملة لأنها عامل ضعيف؛ لكونها نائبة عن الناصب وليست هي الناصب الأصلي. وقد أفاد الرضي أن المصدر المؤكد لنفسه يختلف عن المؤكد لعامله من حيث طبيعة ما يؤكده كل منهما، فالأول يؤكد معنى تؤديه الجملة في حين يؤكد الثاني فعله أو عامله؛ فهما لا يختلفان من حيث دلالتهما على التوكيد ولكنهما يختلفان في تركيب الجملة التي يدخلان في تأليفها شكليا؛ قال:((ان المصدر الظاهر يؤكد نفسه، فـ:اعترافا، في: له علي ألف درهم اعترافاً، يؤكد الاعتراف الذي تضمنته الجملة المذكورة، كما ان المصدر مؤكد لنفسه في نحو: ضربت ضربا، إلا ان المؤكد ههنا مضمون المفرد أي الفعل من دون الفاعل، لان الفعل يدل وحده على المصدر والزمان، وأما في

1 شرح المفصل: 1/ 289.

2 شرح كافية ابن الحاجب: 1/ 289.

3 نفسه: 1/ 293.

مسألتنا، فالاعتراف مضمون الجملة الاسمية بكمالها، لامضمون احد جزأيها.... فالمصدر المؤكد لنفسه هو الذي يؤكد جملة تدل على ذلك المصدر نصا)) [1]. وقد حدد الرضي ضابطين لوجوب حذف الفعل في مثل هذه المصادر، قال:((ففي مثل هذه المصادر ضابطان لوجوب حذف أفعالها: الإضافة المذكورة[أي إضافة المصدر إلى فاعله]، وكونها تأكيدا لأنفسها)) [2]. ويذهب الرضي إلى ان المصدر المؤكد لغيره هو في الحقيقة مصدر مؤكد لنفسه، قال:((واعلم ان المؤكد لغيره في الحقيقة مؤكد لنفسه، وإلا فليس بمؤكد، لان معنى التأكيد تقوية الثابت بان تكرره، وإذا لم يكن الشيء ثابتا فكيف يقوى؟ وإذا كان ثابتا فمكرره إنما يؤكد نفسه)) [3]. ويستدل على ان المؤكد لغيره مؤكد لنفسه في الحقيقة بان((جميع الأمثلة الموردة للمؤكد لغيره، إما صريح القول ، أو ما هو في معنى القول، قال تعالى: (ذلك عيسى بن مريم قول الحق)، وقولهم: هذا القول لا قولك، أي هذا القول الحق لا أقول مثل قولك، انه باطل....وقولك: هذا زيد حقا، أي: قولا حقا)) [4]. ثم يورد مجموعة من الشواهد والأمثلة ويعالجها على وفق هذه الرؤية لينتهي إلى القول:((فقد تبين –بما قدمنا– ان جميع المصادر المؤكدة لغيرها، ينبغي ان تكون مدلولة الجملة المتقدمة بحيث لاتحتمل من حيث اللفظ سواها؛ كما في المؤكدة لنفسها)) [5]. وقد عد الطاهر بن عاشور مصطلح النحاة: المصدر المؤكد لنفسه تسمية غريبة، قال في تفسير قوله تعالى:(وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّـهُ وَعْدَهُ) الروم6:((وَهَذَا مِنَ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ الْمُؤَكِّدِ لِمَعْنَى جُمْلَةٍ قَبْلَهُ هِيَ بِمَعْنَاهُ وَيُسَمِّيهِ النَّحْوِيُّونَ مَصْدَرًا مُؤَكِّدًا لِنَفْسِهِ تَسْمِيَةً غَرِيبَةً يُرِيدُونَ بِنَفْسِهِ مَعْنَاهُ دُونَ لَفْظِهِ)) [6].

---

1 نفسه: 1/ 287-288.

2 نفسه: 1/ 289.

3 نفسه: 1/ 289.

4 نفسه: 1/ 289.

5 نفسه: 1/ 292.

6 التحرير والتنوير: 21/ 48. وينظر فيه أيضا: 11/ 91.

في الدلالة الصرفية للتعقيب المصدري:

إن لموضوع التعقيب المصدري وجهين ينبعان من طبيعة الموضوع ، ولذا يمكن القول إن التعقيب المصدري مقولة صرفية نحوية؛ لكونه ظاهرة أسلوبية لغوية، عمادها المصدر- الذي هو مقولة صرفية- ،وذلك في حال وقوعه مفعولا مطلقا مؤكدا لمضمون الجملة السابقة-وهذا الأمر مقولة نحوية -، ولاشك في أن استعمال المصدر أضفى مرونة تعبيرية على النص لأنه أدى إلى دلالات صرفية مختلفة اكسبه إياها سياق النص الكريم،من جهة، مما أسهم في خلق معان فنية وجمالية بخيوط بيانية كما في الاستعارة أو المجاز المرسل مثلا، تنبثق من خصائص الكلمة الصرفية(المصدر) وعلاقتها بالكلمات الأخرى في الجملة. وأول ما ينبغي لنا الوقوف عليه في هذه الظاهرة الأسلوبية أنها تمثلت في النص الكريم بالاسم دون غيره من أشكال الكلمة في العربية، كالفعل أو الحرف، كما تجلت، من بين أشكال الاسم، في (المصدر) دون غيره من صور الصيغ الصرفية للاسم في لغة القرآن الكريم. ولابد لنا أن نشير هنا إلى أن اختيار المصدر من البدائل أو الأشباه والنظائر التعبيرية المتعددة الأخرى وتفضيله عليها في تلك المواضع، إنما جاء مبنيا على أساس لغوي وبلاغي؛ مرجعه ما يمتاز به الاسم أولا والمصدر ثانيا من دلالة صرفية؛ ذلك ((أن أصل المعنى يمكن الدلالة عليه بأكثر من صيغة)) [1]، فيكون الأساس، الذي تجري عملية اختيار طريقة التعبير بناء عليه، هو مراعاة الفروق بين المعاني الوظيفية للصيغ التي تشترك في ما بينها في الدلالة على معنى ما [2]. فقد جرى التعقيب- كما ذكرنا- عن طريق الاسم، والاسم يفيد الثبوت لا التجدد والحدوث؛ قال عبد القاهر الجرجاني:((إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا

---

1 الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: 66.

2 ينظر: نفسه: 74.

بعد شيء)) [1] . وقد أشار الرازي إلى الفرق بين الاسم والفعل انطلاقا من كينونة كل منهما، قال:((الاسم له دلالة على الحقيقة دون زمانها، فان قلت: زيد منطلق لم يفد إلا إسناد الانطلاق إلى زيد. وأما الفعل فله دلالة على الحقيقة وزمانها، فإذا قلت :انطلق زيد أفاد ثبوت الانطلاق في زمن معين لزيد. وكل ما كان زمانيا فهو متغير والتغير مشعر بالتجدد)) [2]. وقال الكفوي عن دلالة المصدر الصرفية:((وَقيل: الْمصدر مَوْضُوع الحَدِيث من حَيْثُ اعْتِبَار تعلقه بالمنسوب إِلَيْهِ على وَجه الْإِبْهَام، وَلِهَذَا يَقْتَضِي الْفَاعِل وَالْمَفْعُول، وَيحْتَاج إِلَى تعيينهما فِي اسْتِعْمَاله)) [3]. ومن هنا فقد قرر الدكتور فاضل السامرائي أن الاسم اعم واشمل واثبت في الدلالة من الفعل ؛ لان الفعل مقيد بأحد الأزمنة الثلاثة مع إفادة التجدد في حين أن دلالة الاسم لاتقتضي التقيد بالزمن والتجدد [4]. والى مثل ذلك ذهب الدكتور محمود احمد عكاشة ، قال: ((الاسم أقوى في الدلالة من الفعل، فالاسم يفيد ثبوت الصفة لصاحبها....بينما يدل الفعل على التجدد والحدوث، و[وهو]مقيد بالزمن)) [5]. تجمع آراء العلماء هذه على أن الاسم أقوى دلالة من الفعل واشمل. والمصدر يتضمن الحدث فقط دون الزمن في حين أن الفعل يدل على الحدث والزمن معا، وعليه فالمصدر هو ما يدل على الحدث متضمنا فاعله، قال الرضي:((الحدث إن اعتبر صدوره عن الفاعل ووقوعه على المفعول سُمي مصدراً)) [6]. ويرى ابن قيم الجوزية أن ((المصدر دال على الحدث وفاعله)) [7]. ولكن هذا الاقتران بين الحدث وفاعله في المصدر لايتحدد بزمن معين؛ وهو ما يناسب دلالة الثبوت التي

---

1 دلائل الإعجاز: 133-134.

2 نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: 79.

3 الكليات: 816.

4 ينظر: معاني الأبنية في العربية: 9.

5 التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: 64-65.

6 شرح كافية ابن الحاجب: 1/ 288 .

7 بدائع الفوائد: 2/ 137.

يفيدها الاسم، في حين أن الفعل يشتمل على الحدث وفاعله مقترنا بزمن ماض أو مضارع أو مستقبل. ومن ثم يمكن، في ضوء ماسبق، أن نفهم أساس اختيار النص الكريم للاسم(المصدر) وسيلة للتعقيب دون الفعل؛ ويمكن إيضاح ذلك بما ورد في قوله تعالى:(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)، فقد استعمل النص الشريف المصدر(صنع) وأضافه إلى فاعله، ولم يأت به بصيغة الفعل، كأن يقال: ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنعها الله الذي أتقن كل شيء. وصنع هنا مصدر بمعنى اسم المفعول، قال الزركشي: ((قوله: (صنع الله) أيْ: مَصْنُوعَهُ)) [1]. ولكنّ النص الكريم فضّل المصدر على اسم المفعول؛ لان فيه الحدث والفاعل وهو الله تعالى، وهو يناسب معنى الآية الكريمة والغرض منها غاية المناسبة، ويناسب هذا ان نعرف أن معنى الصُّنْع في اللغة هو إجادةُ الفعل [2]، وهو معنى يوافق الدلالة العامة للآية الكريمة التي تريد بثّها في نفوس السامعين. إن مسألة التناوب بين المصدر والفعل أمر محتمل ووارد ولعل مما يؤكد ذلك ويدل عليه وقوع الفعل موقع المصدر في بعض القراءات، وقد ورد ذلك في قوله تعالى:(إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ)[يونس4] ، فقد قُرِئت وَعَدَ اللَّهُ عَلَى لَفْظِ الْفِعْلِ [3]. كما دل المصدر على معنى الوصفية، كالدلالة على اسم الفاعل أو اسم المفعول في قوله تعالى: (واتوا النساء صدقاتهن نحلة)[النساء 4] بمعنى آتوا النساء صدقاتهن ناحلين.فنحلة مصدر، بمعنى عطية؛ قال الراغب الأصفهاني:((والنَّحْلَةُ والنِّحْلَةُ: عَطِيَّة على سبيل التَبرُّع، وهو أخصُّ من الهِبَة، إذ كلُّ هِبَةٍ نِحْلَةٌ، وليس

1 البرهان في علوم القرآن: 2/ 287، وينظر: الإتقان: 3/ 128.

2 المفردات في غريب القرآن: 493.

3 ينظر: مفاتيح الغيب: 17/ 204.

كلُّ نِحْلَةٍ هِبَةٌ)) [1]. قال الزمخشري:((كأنه قيل: وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة، أي أعطوهنّ مهورهنّ عن طيبة أنفسكم، أو على الحال من المخاطبين، أي آتوهنّ صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء، أو من الصدقات، أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس)) [2]. وقال الفخر الرازي:((أَنَّهَا نُصِبَتْ عَلَى الْحَالِ، ثُمَّ فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: عَلَى الْحَالِ مِنَ الْمُخَاطَبِينَ أَيْ آتُوهُنَّ صَدُقَاتِهِنَّ نَاحِلِينَ طَيِّبِي النُّفُوسِ بِالْإِعْطَاءِ. وَالثَّانِي: عَلَى الْحَالِ مِنَ الصَّدُقَاتِ، أَيْ مَنْحُولَةً مُعْطَاةً عَنْ طِيبَةِ الْأَنْفُسِ)) [3]. ولعل هاتين الدلالتين مرادتان هنا، فيكون هذا التعبير قد جمع الدلالتين معا؛ بان يكون الأمر للرجال بإيتاء النساء صدقاتهن وهم ناحلون أي طيبو النفس، أو يكون الأمر بإيتاء النساء صدقاتهن وهن منحولات. وقد أفاد المصدر دلالة اسم المرة كما في قوله تعالى: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)، قال ابن جني((الفِعْلَة: كناية عن الحال التي تكون عليها، كالرِّكْبَة، والجِلْسة. والمِشْيَة، والإِكْلَة: فجرت مجرى قولك: وفعلت فعلك الذي فعلت؛ وذلك لأن الفعل قد تعاقب الفعل، كقولهم: نشدته نشدا، وكذلك (صِبْغَةَ اللَّهِ))) [4]. وقد أشار الزمخشري إلى أن الصبغة فعلة بمعنى المرة ، وبيّن أن في استعمالها جانبا بلاغيا يتمثل في أنها استعارة مبناها المشاكلة لفعل النصارى، قال :((هي فعلة من صبغ، كالجلسة من جلس، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ، والمعنى: تطهير الله، لأن الإيمان يطهر النفوس. والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون: هو تطهير لهم.... وإنما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة، كما تقول لمن يغرس الأشجار: اغرس كما يغرس فلان، تريد رجلا يصطنع الكرم وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً يعنى أنه يصبغ عباده بالإيمان، ويطهرهم

1 المفردات في غريب القرآن: 795.

2 الكشاف: 1/ 470.

3 مفاتيح الغيب: 9/ 492. وينظر: الجامع لأحكام القرآن: 5/ 24، وأنوار التنزيل: 2/ 60، ومدارك التنزيل: 1/ 329، والبحر المحيط:3/ 511، والدر المصون: 3/ 572، واللباب في علوم الكتاب: 6/ 171.

4 المحتسب: 2/ 127.

به من أوضار الكفر فلا صبغة أحسن من صبغته)) [1]. وذكر ابن عطية أن الصبغة هنا استعارة غير انه لم يقل بأنها على طريقة المشاكلة، وإنما عدها استعارة لان الدين يظهر على الإنسان كما أن الصبغ يظهر على صاحبه، قال:((سمي الدين صِبْغَةَ استعارة من حيث تظهر أعماله وسَمْته على المتدين كما يظهر الصبغ في الثوب وغيره)) [2]. وجمع الفخر الرازي الآراء التي قيلت في تفسير الصبغة هنا، قال:(((وَالصِّبْغَةُ) فِعْلَةٌ مِنْ صَبَغَ كَالْجِلْسَةِ مِنْ جَلَسَ، وَهِيَ الْحَالَةُ الَّتِي يَقَعُ عَلَيْهَا الصَّبْغُ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِصِبْغَةِ اللَّهِ عَلَى أَقْوَالٍ. الْأَوَّلُ: أَنَّهُ دِينُ اللَّهِ، وَذَكَرُوا فِي أَنَّهُ لم سمي دين الله بصبغة اللَّهِ وُجُوهًا. أَحَدُهَا: أَنَّ بَعْضَ النَّصَارَى كَانُوا يَغْمِسُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي مَاءٍ أَصْفَرَ يُسَمُّونَهُ الْمَعْمُودِيَّةَ وَيَقُولُونَ:هُوَ تَطْهِيرٌ لَهُمْ... وَالسَّبَبُ فِي إِطْلَاقِ لَفْظِ الصِّبْغَةِ عَلَى الدِّينِ طَرِيقَةُ الْمُشَاكَلَةِ ... وَثَانِيهَا: الْيَهُودُ تَصْبُغُ أَوْلَادَهَا يَهُودًا وَالنَّصَارَى تَصْبُغُ أَوْلَادَهَا نَصَارَى بِمَعْنَى يُلْقُونَهُمْ فَيَصْبُغُونَهُمْ بِذَلِكَ لِمَا يُشْرِبُونَ فِي قُلُوبِهِمْ، ... يُقَالُ: فُلَانٌ يَصْبُغُ فُلَانًا فِي الشَّيْءِ، أَيْ يُدْخِلُهُ فِيهِ وَيُلْزِمُهُ إِيَّاهُ كَمَا يُجْعَلُ الصِّبْغُ لَازِمًا للثواب .... وَثَالِثُهَا: سُمِّيَ الدِّينُ صِبْغَةً لِأَنَّ هَيْئَتَهُ تَظْهَرُ بِالْمُشَاهَدَةِ مِنْ أَثَرِ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ، ..... وَرَابِعُهَا: ... وَصَفَ هَذَا الْإِيمَانَ مِنْهُمْ بِأَنَّهُ صِبْغَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِيُبَيِّنَ أَنَّ الْمُبَايَنَةَ بَيْنَ هَذَا الدِّينِ الَّذِي اخْتَارَهُ اللَّهُ، وَبَيْنَ الدِّينِ الَّذِي اخْتَارَهُ الْمُبْطِلُ ظَاهِرَةٌ جَلِيَّةٌ، كَمَا تَظْهَرُ الْمُبَايَنَةُ بَيْنَ الْأَلْوَانِ وَالْأَصْبَاغِ لِذِي الْحِسِّ السَّلِيمِ...)) [3]. وهكذا يكون هذا الاستعمال قد أفاد معاني عدة قد يكون النص الكريم مريدا لها، منها ان صبغة الله هي دين الله،أو أنها فطرة الله الناس على دينه. ومثل ذلك استعمال المصدر على نحو يؤدي إلى احتمال التركيب لأكثر من معنى من خلال احتمال أكثر من دلالة صرفية [4] ، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة الصيغة

---

1 الكشاف: 1/ 196. وينظر: ومفاتيح الغيب: 4/ 75، ومدارك التنزيل: 1/ 134، والدر المصون: 2/ 143.

2 المحرر الوجيز: 1/ 216.

3 مفاتيح الغيب: 4/ 75. وينظر: البحر المحيط: 1/ 635.

4 ينظر: الجملة العربية والمعنى: 155.

الصرفية للكلمة كما في قوله تعالى:(لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ)[آل عمران198]، والنُّزُلُ: ما يُعَدُّ للنَّازل من الزَّاد والضيافة والقرى هذا أصلُه ثم اتُّسع فيه فأطلق على الرزق والغذاء، وإنْ لم يكن لضيف [1]. وهي تحتمل أن تكون مصدرا، أو مصدرا بمعنى اسم المفعول،كما تحتمل أن تكون جمع تكسير، قال العكبري:(((نُزُلًا) : مَصْدَرٌ، وَانْتِصَابُهُ بِالْمَعْنَى... وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ نَازِلٍ ....، فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي خَالِدِينَ. وَيَجُوزُ إِذَا جَعَلْتَهُ مَصْدَرًا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ، فَيَكُونُ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ فِي فِيهَا؛ أَيْ: مَنْزُولَةً)) [2]. ونزلا هنا تأتي في سياق مشابه لمصدر آخر معقب به وهو قوله تعالى: (ثوابا من عند الله)، والتعقيب بهذا المصدر جاء لمعنى لطيف وهو تأكيد معنى أن للأبرار جنات تجري من تحتها الأنهار؛ وذلك بأن رزقهم يأتيهم في الآخرة، من عند الله تعالى، من غير عناء ولا كدٍّ؛ يؤيد ذلك قول أبي حيان في تفسيره، قال:((النُّزُلُ الثَّوَابُ، وَهِيَ كَقَوْلِهِ: ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...وَيُقَالُ: أَقَمْتُ لِلْقَوْمِ نُزُلَهُمْ أَيْ مَا يَصْلُحُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْغِذَاءِ، وَجَمْعُهُ أَنْزَالٌ....وَمَعْنَى مِنْ عِنْدِ اللَّهِ: أَيْ لَا مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ، وَسَمَّاهُ نُزُلًا لِأَنَّهُ ارْتَفَعَ عَنْهُمْ تَكَالِيفُ السَّعْيِ وَالْكَسْبِ، فَهُوَ شَيْءٌ مُهَيَّأٌ يُهَيَّأُ لَهُمْ لَا تَعَبَ عَلَيْهِمْ فِي تَحْصِيلِهِ هُنَاكَ، وَلَا مَشَقَّةَ. كَالطَّعَامِ الْمُهَيَّإِ لِلضَّيْفِ لَمْ يَتْعَبْ فِي تَحْصِيلِهِ، وَلَا فِي تَسْوِيَتِهِ وَمُعَالَجَتِهِ)) [3]. وهكذا يكون في استعمالها توسع دلالي منبعه الصيغة الصرفية، إذ تدل كلمة (نزل) على معنيين، فهي تحتمل أن تكون

---

1 ينظر:المفردات في غريب القرآن: 800، والكشاف: 1/ 458، والمحرر الوجيز: 1/ 558،ومفاتيح الغيب: 9/ 472، والجامع لأحكام القرآن: 4/ 321، وانوار التنزيل: 4/ 56، ومدارك التنزيل:1/ 324، والبحر المحيط:3/ 483، والدر المصون: 3/ 546، واللباب في علوم الكتاب: 6/ 131، وإرشاد العقل السليم: 2/ 135.

2 التبيان في إعراب القرآن: 1/ 1/ 323-324. وينظر:الدر المصون: 3/ 547، واللباب في علوم الكتاب: 6/ 132.

3 البحر المحيط: 3/ 483.

مصدرا، على معنى الثواب، يؤكد أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، كما تحتمل أن تكون جمع تكسير لاسم الفاعل (نازل) وهم المتقون الخالدون الذين أكرمهم الله بإدخالهم الجنة؛ فيكون النص قد جمع المعنيين في تعبير واحد. ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأحزاب 50]، فقد وردت كلمة خالصة مصدرا على الرغم من كونها على وزن فاعلة ، فكأنها بمعنى رخصة لك فهي لاتعود على المرأة وإنما تعود على الخصلة المذكورة؛ قال الفراء في تفسير معنى خالصة:((يقول: هَذِهِ الخصلة خالصة لك ورُخصة دون الْمُؤْمِنِين، فليس للمؤمنين أن يتزوَّجوا امرأة بغير مهر)) [1]، فقد جعل الأمر أو الخصلة خالصة وليست المرأة. وقد صرح الزمخشري بأنها مصدر، قال:((خالِصَةً مصدر مؤكد، كوعد الله، وصبغة الله، اي: خلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصة، بمعنى خلوصا، والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين، كالخارج والقاعد، والعافية والكاذبة)) [2]. إن هذا الوزن غالبا مايقع اسم فاعل، ولكن الزمخشري يرى أن(خالصة) هنا جاءت مصدرا كما أن الخارج والعافية والكاذبة تقع مصادر، وهو يقرر أن مثل هذا الاستعمال شيء غير عزيز في العربية. ومثله [3] ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ﴾[الإسراء 79]. ونظرا لما تمتاز به هذه الكلمة في سياقها فقد أجاز العكبري فيها وجهين:(((نَافِلَةً لَكَ) : فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: هُوَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى تَهَجُّدًا ؛ أَيْ تَنَفَّلْ تَنَفُّلًا، وَفَاعِلَة هُنَا مَصْدَرٌ كَالْعَافِيَةِ. وَالثَّانِي: هُوَ حَالٌ؛ أَيْ صَلَاةً نَافِلَةٍ)) [4]. ويرى أبو حيان أن (خالصة) وقعت مصدرا يفيد التوكيد شأنه شأن وعد الله وصبغة الله، إلا انه خالف الزمخشري فذهب إلى أن وزن فاعل في المصادر عزيز وليس

1 معاني القرآن للفراء: 2/ 345.

2 الكشاف: 3/ 551. وينظر: التبيان في إعراب القرآن: 2/ 1059، ومدارك التنزيل: 3/ 39، والدر المصون: 9/ 135، وإرشاد العقل السليم: 7/ 110، ومحاسن التأويل: 8/ 95، وحاشية الشهاب: 7/ 179.

3 ينظر: إعراب القرآن للباقولي المنسوب خطأ للزجاج: 2/ 767.

4 التبيان في إعراب القرآن: 2/ 830.

شائعا، قال:((هُوَ مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ، كَـ: وَعَدَ اللَّهُ ، وصِبْغَةَ اللَّهِ، أَيْ أَخْلَصَ لَكَ إِخْلَاصًا. أَحْلَلْنا لَكَ، خالِصَةً بِمَعْنَى خُلُوصًا، وَيَجِيءُ الْمَصْدَرُ عَلَى فَاعِلٍ وَعَلَى فَاعِلَةٍ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَالْفَاعِلُ وَالْفَاعِلَةُ فِي الْمَصَادِرِ غَيْرُ عَزِيزَيْنِ، كَالْخَارِجِ وَالْقَاعِدِ وَالْعَاقِبَةِ وَالْكَاذِبَةِ. انْتَهَى، وَلَيْسَ كَمَا ذَكَرَ، بَلْ هُمَا عَزِيزَانِ،...، وَقَدْ تُتَأَوَّلُ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مَصَادِرَ)) [1]. وما جاء في الآية الكريمة خطاب خُصَّ بِهِ الرسول وَلَمْ يَشْرَكْهُ فِيهِ غيرُهُ لا لَفْظًا وَلَا مَعْنًى لشرف نبوته وتقرير لاستحقاق الكرامة لأجله [2]. فهي مزية خَاصَّةٌ به صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْ أَنْ تَتَّخِذَ زَوْجَةً بِالْهِبَةِ، أَيْ دُونَ مَهْرٍ وَلَيْسَ لِبَقِيَّةِ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ [3]. إن ما نلمسه في هذه الكلمة من تعدد في التوجيه الصرفي أو احتمال الوزن الواحد لأكثر من صيغة صرفية يدل على بلاغة النص القرآني لان هذا النوع من الاستعمال هو في الحقيقة من باب التوسع الدلالي في الوزن الصرفي الذي يجمع الدلالات المختلفة المحتملة فيمكن عندئذ أن يكون المعنى على أن خالصة مصدر فتكون هذه المزية خاصة بالرسول وخالصة له، كما يمكن أن تكون بمعنى اسم الفاعل فتكون المرأة، التي وهبت نفسها للرسول، هي الخالصة له.

في الدلالة النحوية للتعقيب المصدري:

سبق أن ذكرنا أن هذه المصادر المعقب بها جاءت على طريقة المفعول المطلق، الذي يؤدي وظيفة المصدر المؤكد لمضمون الجملة، وهذا هو الغالب، ويظهر هذا الأمر واضحا من الشواهد التي ذكرها القدماء التي وجهت على أنها مفعول مطلق، وان لم يشيروا إلى أنها من التعقيب بالمصدر؛ قال الفراء:((قوله: فِطْرَتَ اللَّهِ يريد: دين الله منصوب عَلَى الفعل، كقوله (صِبْغَةَ اللَّهِ)) [4]. وقال في موضع آخر:((وما كَانَ من سُنَّة

---

1 البحر المحيط: 8/ 493. وينظر: روح المعاني: 11/ 237.

2 ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 8/ 245، وأنوار التنزيل: 4/ 235.

3 ينظر: التحرير والتنوير: 22/ 68.

4 معاني القرآن للفراء: 2/ 324.

الله، وصبغة الله وشبهه فإنه منصوب لاتصاله بما قبله عَلَى مذهب حقًّا وشبهه)) [1]. وقال الاخفش:((قال الله تعالى (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً)، فقوله سبحانه (كِتَاباً مُّؤَجَّلاً) توكيد، ونصبه على كُتَبَ اللهُ ذلكَ كِتاباً مُؤَجَّلاً. وكذلك كل شيء في القرآن من قوله (حَقّا) إنما هو أُحِقُّ ذلِكَ حَقّاً. وكذلك (وَعْدَ اللَّهِ) و (رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) و (صُنْعَ اللَّهِ) و (كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) إنما هو من صَنَعَ اللهُ ذلكَ صُنْعاً فهذا تفسير كل شيء في القرآن من نحو هذا، وهو كثير)) [2]. وقال الزمخشري:(((سُنَّتَ اللَّهِ) بمنزلة وَعَدَ اللَّهُ وما أشبهه من المصادر المؤكدة)) [3]. وقال أيضا:((صُنْعَ اللَّهِ من المصادر المؤكدة، كقوله وَعَدَ اللَّهُ. وصِبْغَةَ اللَّهِ)) [4].وقال ابن عطية:((وقوله فِطْرَتَ اللَّهِ نصب على المصدر، كقوله صِبْغَةَ اللَّهِ [البقرة: 138])) [5]. وقال الفخر الرازي:((أَمَّا قَوْلُهُ: (صُنْعَ اللَّهِ) فَهُوَ مِنَ المصادر المؤكدة كقوله: (وَعَدَ اللَّهُ) [النساء: 95] و(صِبْغَةَ اللَّهِ) [الْبَقَرَةِ: 138])) [6]. غير أننا نجد أن بعض تلك المصادر المعقب بها قد وُجِّهت بأوجه إعرابية أخرى؛ مما أدى إلى تعدد الدلالات النحوية التي نتجت من هذا التعدد، ((ومما لاشك فيه أن المعنى أصل والإعراب فرع عليه يختلف باختلاف أصله، وإذا تعددت احتمالات الإعراب في كلمة أو جملة فذلك دليل القوة التعبيرية في اختزال العديد من المعاني في نظم العبارة)) [7]. وفي ما يأتي من البحث نقف على اثر احتمال المصادر المعقب بها لأوجه إعرابية أخرى محتملة تصب في إغناء النص بالدلالات والمعاني؛ مما يؤكد أن النص القرآني نص معجز بلغ الغاية في مراتب بلاغة. ومن ذلك

1 نفسه: 2/ 345-346.

2 معاني القرآن للأخفش: 1/ 235.

3 الكشاف: 4/ 183.

4 الكشاف: 3/ 387.

5 المحرر الوجيز: 4/ 336.

6 مفاتيح الغيب: 24/ 574.

7 اتساع الدلالة في الخطاب القرآني :98.

ما جاء في قوله تعالى: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً)؛ فقد وجهها الفراء على البدلية، قال:صبغة: ((نَصْب، مردودة على المِلَّة)) [1]. وكذلك هي عند الاخفش، قال:((قال (صِبْغَةَ اللَّهِ) بالنصب،...، أبدل الصِّبْغَةَ من المِلَّة فقال (صِبْغَةَ اللَّهِ) بالنصب)) [2]. ونقل النحاس هذا التوجيه واستحسنه [3]. وذكر مكي بن أبي طالب القيسي ثلاثة أوجه، الأول أنها بدل من مِلَّة إِبْرَاهِيم، والثاني هُوَ النصب على الإغراء أي اتبعُوا صبغة الله، وَالثالث النصب على التَّمْيِيز [4]. وجمع أبو حيان الأوجه المحتملة، ثم حاكمها وانتهى إلى أنها منصوبة على أنها مصدر مؤكد، قال:((وَجْه عَلَى أَوْجُهٍ: أَظْهَرُهَا أَنَّهُ مَنْصُوبٌ انْتِصَابَ الْمَصْدَرِ الْمُؤَكِّدِ ... وَقِيلَ: هُوَ نَصْبٌ عَلَى الْإِغْرَاءِ، أَيِ الْزَمُوا صِبْغَةَ اللَّهِ. وَقِيلَ: بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: مِلَّةَ إِبْراهِيمَ، أَمَّا الْإِغْرَاءُ فَتُنَافِرُهُ آخِرُ الْآيَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ: وَنَحْنُ لَهُ عابِدُونَ،...، وَأَمَّا الْبَدَلُ، فَهُوَ بَعِيدٌ، وَقَدْ طَالَ بَيْنَ الْمُبْدَلِ مِنْهُ وَالْبَدَلِ بِجُمَلٍ، وَمِثْلُ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ. وَالْأَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ مُنْتَصِبًا انْتِصَابَ الْمَصْدَرِ الْمُؤَكِّدِ عَنْ قَوْلِهِ: قُولُوا آمَنَّا، فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، كَانَ الْمَعْنَى: صَبَغَنَا اللَّهُ بِالْإِيمَانِ صِبْغَةً، وَلَمْ يَصْبُغْ صِبْغَتَكُمْ. وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَالْمَعْنَى: صَبَغَنَا اللَّهُ بِالْإِيمَانِ صِبْغَةً لَا مِثْلَ صِبْغَتِنَا، وَطَهَّرَنَا بِهِ تَطْهِيرًا لَا مِثْلَ تَطْهِيرِنَا. وَنَظِيرُ نَصْبِ هَذَا الْمَصْدَرِ نَصْبُ قَوْلِهِ: صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)) [5]، وهكذا يحتمل النص دلالات نحوية مختلفة، يفيد بعضها التوكيد مثل النصب على المصدرية والإغراء، كما ان الدلالة تتوسع فتحتمل صبغة في حال نصبها على المصدرية ان تكون من قول المسلمين فتكون خاصة بهم وان تكون أمرا موجها إلى اليهود والنصارى فتكون دالة على الفرق بين صبغة المسلمين وصبغة اليهود والنصارى. ومن ذلك(كتابا مؤجلا) في قوله تعالى:(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ

1 معاني القرآن للفراء: 1/ 82.

2 معاني القرآن للأخفش: 1/ 159.

3 ينظر:إعراب القرآن للنحاس: 1/ 82.

4 ينظر: مشكل إعراب القرآن: 1/ 112-113.

5 البحر المحيط: 1/ 656.

تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ)[آل عمران145]؛ فقد التفت الاخفش إلى معنى التوكيد في استعمال المصدر ومثّل له بالمصدر حقا على انه مصدر مؤكد:((فقوله سبحانه (كِتَاباً مُؤَجَّلاً) توكيد، ونصبه على (كَتَبَ اللهُ ذلكَ كِتاباً مُؤَجَّلاً). وكذلك كل شيء في القرآن من قوله (حَقّا))) [1]. واكتفى النحاس ومكي والبغوي بتوجيهه على انه مصدر [2]. وبيّن الزمخشري دلالة التوكيد فيه قال:((كِتاباً مصدر مؤكد، لأن المعنى: كتب الموت كتابا مُؤَجَّلًا موقتا له أجل معلوم لا يتقدّم ولا يتأخر)) [3]. ومثل ذلك نجده عند ابن الجوزي، ومثّل بشواهد أخرى على هذه الظاهرة، قال ((قوله تعالى: كِتاباً مُؤَجَّلًا توكيد، والمعنى: كتب الله ذلك كتاباً ذا أجل. والأجل: الوقت المعلوم، ومثله في التوكيد كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، لأنه لمّا قال: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ دلّ على أنه مرفوض، فأكّد بقوله: كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وكذلك قوله تعالى: صُنْعَ اللَّهِ لأنه لما قال: وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً دلّ على أنه خلق الله فأكد بقوله: صُنْعَ اللَّهِ)) [4]. وذهب إلى انه مصدر مؤكد أيضا الفخر الرازي والعكبري والقرطبي والبيضاوي والنسفي وأبو السعود والقاسمي [5]. في حين أضاف أبو حيان النصب على الإغراء، قال:((وَانْتِصَابُ كِتَابًا عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ وَالتَّقْدِيرُ: كَتَبَ اللَّهُ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَنَظِيرُهُ: كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ صُنْعَ اللَّهِ ووَعْدَ اللَّهِ. وَقِيلَ: هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْإِغْرَاءِ، أَيِ الزموا وَآمِنُوا بِالْقَدَرِ

---

1 معاني القرآن للأخفش: 1/ 234.

2ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1/ 183، ومشكل إعراب القرآن: 1/ 175، ومعالم التنزيل: 1/ 518.

3 الكشاف: 1/ 424.

4 زاد المسير: 1/ 331.

5 ينظر: مفاتيح الغيب: 9/ 379، والتبيان في إعراب القرآن: 1/ 297، والجامع لأحكام القرآن: 4/ 226، وأنوار التنزيل: 2/ 41، ومدارك التنزيل: 1/ 298، وإرشاد العقل السليم: 2/ 94، ومحاسن التأويل: 2/ 423، وتفسير المنار: 4/ 137.

وَهَذَا بَعِيدٌ)) [1] . وأشار أبو حيان هنا إلى أن هذا التوجيه يشمل مصادر مشابهة وردت في القران الكريم وهي قوله تعالى :(صنع الله، ووعد الله). وبلغت الأوجه الإعرابية عند السمين الحلبي إلى ثلاثة أوجهٍ، أظهرُها عنده: أنه مصدرٌ مؤكِّد لمضمونِ الجملة التي قبلَه، فعاملُه مضمرٌ تقديرُه:» كَتَبَ الله ذلك كتاباً «، وجعله مثل قوله تعالى: (صُنْعَ الله) [النمل: 88] (وَعْدَ الله) [النساء: 122]، و (كِتَابَ الله عَلَيْكُمْ) [النساء: 24] . والثاني: أنه منصوبٌ على التمييز، وعده غير مستقيم؛ لأنَّ التمييزَ منقولٌ وغيرُ منقولٍ، وأقسامُه محصورةٌ وليس هذا شيئاً منها. كما ان الجملة تخلو من ذات مبهمة تحتاج إلى تفسير. والثالثُ: أنه منصوب على الإغراءِ، والتقديرُ: الزَموا كتاباً مؤجلاً وآمِنوا بالقدر، وضعفه لان المعنى ليس على ذلك [2]. وإذا نظرنا إلى معنى المصدر المؤكد لمضمون ما قبله، فان المعنى يكون ان الله كتب لكل نفس عمرها كتابا مؤقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر. وفي هذا تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال، فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد. وذهب الطاهر بن عاشور إلى انه حال لأنه اسم بمعنى المكتوب، ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا، قال: ((كِتاباً مُؤَجَّلًا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمًا بِمَعْنَى الشَّيْءِ الْمَكْتُوبِ، فَيَكُونُ حَالًا مِنَ الْإِذْنِ، أَوْ مِنَ الْمَوْتِ، كَقَوْلِهِ: لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ [الرَّعْد: 38] و«مؤجّلا» حَالًا ثَانِيَةً، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كِتاباً مَصْدَرَ كَاتَبَ الْمُسْتَعْمَلِ فِي كُتُبٍ لِلْمُبَالِغَةِ، وَقَوْلُهُ:مُؤَجَّلًا صِفَةٌ لَهُ، وَهُوَ بَدَلٌ مِنْ فِعْلِهِ الْمَحْذُوفِ، وَالتَّقْدِيرُ: كَتَبَ كِتَابًا مُؤَجَّلًا أَيْ مؤقتا)) [3].

ومن ذلك (ثوابا) في قوله تعالى:(لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)[آل عمران 195]، فقد

---

1 البحر المحيط: 3/ 366. وينظر: الدر المصون:3/ 419، واللباب في علوم الكتاب: 5/ 576، وإرشاد العقل السليم: 2/ 94.

2 ينظر: الدر المصون: 3/ 419، واللباب في علوم الكتاب: 5/ 576-577، وروح المعاني: 2/ 290.

3 التحرير والتنوير: 4/ 115.

جعلها الفراء تفسيرا خارجا من معنى ماقبله، ولعله يريد به التمييز، قال:((وقوله: نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ... (198) و(ثوابا) خارجان من المعنى: لهم ذلك نزلا وثوابا، مفسرا كما تقول: هُوَ لك هبةً وبيعا وصدقة)) [1]. وأعربها الزجاج مصدرا، قال:((وقوله عزَّ وجلَّ: (ثَوَابًا) مصدر مؤكد، لأن معنى (وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)لأثيبنهُمْ ومثله (كِتَابَ اللَّهِ عَلَيكم) لأن قوله عزَّ وجلَّ (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ. . .) . معناه: كتب اللَّه عليكم هذا فـ (كِتَابَ اللَّهِ) مؤكد، وكذلك قوله: عزَّ وجلَّ: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) قد علم أن ذلك صنع اللَّه)) [2]. وبيّن ابن النحاس انه مصدر مؤكد عند البصريين ومنصوب على القطع عند الكسائي وتفسير عند الفراء [3]. واكتفى الزمخشري بوجه المصدر المؤكد، قال:((ثواباً في موضع المصدر المؤكد بمعنى إثابة أو تثويباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لأن قوله: (لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ....) (وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ) في معنى: لاثيبنهم)) [4]. وذكر العكبري ستة أوجه، قال: ((ثَوَابًا) : مَصْدَرٌ، وَفِعْلُهُ دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ الْمُتَقَدِّمُ؛ لِأَنَّ تَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ إِثَابَةٌ فَكَأَنَّهُ قَالَ لَأُثِيبَنَّكُمْ ثَوَابًا، وَقِيلَ: هُوَ حَالٌ وَقِيلَ: تَمْيِيزٌ وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ كُوفِيٌّ. وَالثَّوَابُ بِمَعْنَى الْإِثَابَةِ، وَقَدْ يَقَعُ بِمَعْنَى الشَّيْءِ الْمُثَابِ بِهِ، كَقَوْلِكَ هَذَا الدِّرْهَمُ ثَوَابُكَ، فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الْجَنَّاتِ؛ أَيْ: مُثَابًا بِهَا، أَوْ حَالًا مِنْ ضَمِيرِ الْمَفْعُولِ فِي لَأُدْخِلَنَّهُمْ؛ أَيْ: مُثَابِينَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا بِهِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى أُدْخِلَنَّهُمْ أُعْطِيَنَّهُمْ فَيَكُونُ عَلَى هَذَا

---

1 معاني القرآن للفراء: 1/ 251.

2 معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 1/ 500.

3 ينظر:إعراب القرآن للنحاس: 1/ 195،و مشكل إعراب القرآن: 1/ 185، ومعالم التنزيل: 1/ 558، والجامع لأحكام القرآن 4/ 319. وقال أبو حيان في: البحر المحيط: 3/ 480، عن هذين الوجهين: ((وَقِيلَ: انْتَصَبَ عَلَى التَّمْيِيزِ. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْقَطْعِ، وَلَا يَتَوَجَّهُ لِي مَعْنَى هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ هُنَا)).

4 الكشاف: 1/ 457، وينظر: إعراب القرآن للباقولي المنسوب خطأ للزجاج: 2/ 767، وزاد المسير: 1/ 363، ومدارك التنزيل: 1/ 323، ومحاسن التاويل: 2/ 485، وتفسير المنار: 4/ 253.

بَدَلًا مِنْ جَنَّاتٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَأْنَفًا؛ أَيْ: يُعْطِيهِمْ ثَوَابًا)) [1]. ومن ثم تتعدد الدلالات التي تحتملها الآية الكريمة إذ يحتمل أن يكون المعنى ان دخولهم الجنة ثوابا من الله تعالى، أو ان أنهم يدخلون الجنة مثابين، أو ان الجنة هي ثوابهم، ولا شك ان انفتاح النص على كل هذه الدلالات يكسبه غنى وثراء فترى المعاني المحتملة تشع من النص فتغمر القارئ بالاطمئنان إلى جزيل ثوابه سبحانه. ومنه(نصيبا) في قوله تعالى:(وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)[النساء7]، جعله الفراء مصدرا مؤكدا، قال:((وإنما نصب النصيب المفروض وهو نعت للنكرة لأنه أَخْرَجَهُ مخرج المصدر. ولو كان اسما صحيحا لم ينصب. ولكنه بمنزلة قولك: لك على حق حقا، ولا تقول: لك على حق درهما. ومثله عندي درهمان هبةً مقبوضة. فالمفروض فِي هذا الموضع بمنزلة قولك: فريضة وفرضا)) [2]. وهو منصوب عند الاخفش نصب المصدر كما في قوله تعالى:(كِتَاباً مُّؤَجَّلاً) [3]. وذهب أبو عبيد إلى انه منصوب على الخروج من الوصف [4]. في حين وجّه الزجاج نصبه على الحالية، قال عنه:((هذا منصوب على الحال، المعنى لهؤُلاءِ الْصِبة على ما ذكرناها في حال الفرض، وهذا كلام مؤَكّد لأن قوله جل ثناؤه:(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ) معناه: إنَّ ذلك مفروض لهنَّ)) [5]. ونقل مكي وجهي النصب على المصدرية والحالية [6]. وهو عند الزمخشري والرازي والنسفي منصوب على الاختصاص

---

1 التبيان في إعراب القرآن: 1/ 323. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 6/ 128- 129.

2 معاني القرآن للفراء: 1/ 257. وينظر:إعراب القرآن للنحاس: 1/ 202، والجامع لأحكام القرآن: 5/ 48.

3 ينظر: معاني القرآن للأخفش: 1/ 246. وينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1/ 202، والجامع لأحكام القرآن: 5/ 48.

4 ينظر: مجاز القرآن 1/ 118. وجعله البغوي منصوبا على القطع، قال:((نَصِيباً مَفْرُوضاً، نُصِبَ عَلَى الْقَطْعِ)) معالم التنزيل: 1/ 572.

5 معاني القرآن وإعرابه: 2/ 15. وينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1/ 202، والجامع لأحكام القرآن: 5/ 48.

6 ينظر: مشكل إعراب القرآن: 1/ 190.

بفعل تقديره اعني، وأجازوا ان يكون منصوبا على المصدرية [1]. وهو منصوب عند ابن عطية نصب المصدر المؤكد، قال:((ونَصِيباً مَفْرُوضاً، نصب على الحال، كذا قال مكي، وإنما هو اسم نصب كما ينصب المصدر في موضع الحال، تقديره: فرضا، ولذلك جاز نصبه، كما تقول: لك عليّ كذا وكذا حقا واجبا، ولولا معنى المصدر الذي فيه ما جاز في الاسم الذي ليس بمصدر هذا النصب، ولكان حقه الرفع)) [2]. ونقل أبو حيان الأوجه المذكورة وحاكمها قال:((قَالَ الزَّجَّاجُ وَمَكِّيٌّ: نَصِيبًا مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ، الْمَعْنَى: لِهَؤُلَاءِ أَنْصِبَاءُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا هُنَا فِي حَالِ الْفَرْضِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: نُصِبَ لِأَنَّهُ أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ الْمَصْدَرِ، وَلِذَلِكَ وَحَّدَهُ كَقَوْلِكَ لَهُ: عَلَيَّ كَذَا حَقًّا لَازِمًا، وَنَحْوُهُ: فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَلَوْ كَانَ اسْمًا صَحِيحًا لَمْ يُنْصَبْ، لَا تَقُولُ: لَكَ عَلَيَّ حَقٌّ دِرْهَمًا انْتَهَى،....، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ نَحْوًا مِنْ كَلَامِ الزَّجَّاجِ قَالَ: إِنَّمَا هُوَ اسْمٌ نُصِبَ كَمَا يُنْصَبُ الْمَصْدَرُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ تقديره: فَرْضًا. وَلِذَلِكَ جَازَ نَصْبُهُ كَمَا تَقُولُ لَهُ: عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا حَقًّا وَاجِبًا، وَلَوْلَا مَعْنَى الْمَصْدَرِ الَّذِي فِيهِ مَا جَازَ فِي الاسم الَّذِي لَيْسَ بِمَصْدَرٍ هَذَا النَّصْبُ، وَلَكان حَقُّهُ الرَّفْعَ انْتَهَى كَلَامُهُ. وَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْ كَلَامِ الزَّجَّاجِ وَالْفَرَّاءِ، وَهُمَا مُتَبَايِنَانِ لِأَنَّ الِانْتِصَابَ عَلَى الْحَالِ مُبَايِنٌ لِلِانْتِصَابِ عَلَى الْمَصْدَرِ الْمُؤَكِّدِ مُخَالِفٌ له. وقال الزمخشري: ونصيبا مَفْرُوضًا نُصِبَ عَلَى الِاخْتِصَاصِ بِمَعْنَى أَعْنِي: نَصِيبًا مَفْرُوضًا مَقْطُوعًا وَاجِبًا انْتَهَى. فَإِنْ عَنَى بِالِاخْتِصَاصِ مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ النَّحْوِيُّونَ فَهُوَ مَرْدُودٌ بِكَوْنِهِ نَكِرَةً، وَالْمَنْصُوبُ عَلَى الِاخْتِصَاصِ نَصُّوا عَلَى أَنَّهُ لَا يَكُونُ نَكِرَةً. وَقِيلَ: انْتَصَبَ نَصْبَ الْمَصْدَرِ الصَّرِيحِ، لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ أَيْ نَصِيبُهُ نَصِيبًا. وَقِيلَ: حَالٌ مِنَ النَّكِرَةِ، لِأَنَّهَا قَدْ وُصِفَتْ. وَقِيلَ: بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: جَعَلْتُهُ أَوْ، أَوْجَبْتُ لَهُمْ نَصِيبًا. وَقِيلَ: حَالٌ مِنَ الْفَاعِلِ فِي قَلَّ أَوْ كَثُرَ)) [3].

---

1 ينظر:الكشاف: 1/ 476، ومفاتيح الغيب: 9/ 503، ومدارك التنزيل: 1/ 333. ونقله البيضاوي: أنوار التنزيل: 2/ 61، وروح البيان: 2/ 168، وإرشاد العقل السليم: 2/ 147، وتفسير المنار: 4/ 324.

2 المحرر الوجيز: 2/ 12. وينظر: التبيان في إعراب القرآن: 1/ 332.

3 البحر المحيط : 3/ 525. ونقله: الدر المصون: 3/ 589، واللباب في علوم الكتاب: 6/ 195، وروح المعاني: 2/ 421.

وذهب الطاهر بن عاشور إلى انه حال، قال:((وَقَوْلُهُ: نَصِيباً مَفْرُوضاً حَالٌ مِنْ (نَصِيبٌ) فِي قَوْلِهِ: لِلرِّجالِ نَصِيبٌ وَلِلنِّساءِ نَصِيبٌ وَحَيْثُ أُرِيدَ بِنَصِيبِ الْجِنْسِ جَاءَ الْحَالُ مِنْهُ مُفْرَدًا وَلَمْ يُرَاعَ تَعَدُّدُهُ، فَلَمْ يَقُلْ: نَصِيبَيْنِ مَفْرُوضَيْنِ، عَلَى اعْتِبَارِ كَوْنِ الْمَذْكُورِ نَصِيبَيْنِ، وَلَا قِيلَ: أنصباء مَفْرُوضَةٌ، عَلَى اعْتِبَارِ كَوْنِ الْمَذْكُورِ مُوَزَّعًا لِلرِّجَالِ وَلِلنِّسَاءِ، بَلْ روعي الْجِنْسُ فَجِيءَ بِالْحَالِ مُفْرَدًا ومَفْرُوضاً وَصْفٌ)) [1]. وإذا نظرنا إلى هذه الأعاريب وجدناها تؤدي إلى معان متعددة منها: ان نصيب المذكورين من الرجال والنساء نصيب مفروض قل أو كثر، أو انه مصدر يفيد توكيد الفكرة السابقة التي تتضمنها الآية، أو انه يفيد معنى الاختصاص ومن ثم هو يفيد التوكيد أيضا. ومنه (فريضة) في قوله تعالى: (آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً)، فقد عدها الفراء منصوبة على القطع، قال:((فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ) نصب على القطع. والرفع فى (فريضة) جائز لو قرئ بِهِ)) [2]. في حين اكتفى الاخفش ببيان أن نصبها مثل نصب كتاب مؤجلا، قال: ((فنصب (وَصِيَّةً) و (فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ)، كما نصب (كِتَاباً مُؤَجَّلاً))) [3]. وجعله الزجاج منصوبا على الحال المؤكدة، قال:((منصوب على التوكيد والحال من . . ولأبَوَيْهِ. . . أي، ولهؤلاءِ الورثة ما ذكرنا مفروضاً، ففريضة مَؤكدة لقوله (يوصيكم الله)) [4]. وأعربها النحاس ومكي مصدرا [5]. وجعلها الزمخشري مصدرا مؤكدا، قال:((فَرِيضَةً نصبت نصب المصدر المؤكد، أي فرض ذلك فرضاً)) [6]. ومثل ذلك جاء عند ابن عطية والفخر الرازي والعكبري والقرطبي والبيضاوي وأبي حيان، الذي صرح بأنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة، والنسفي وابن عادل وأبي

1 التحرير والتنوير: 4/ 250.

2 معاني القرآن للفراء: 1/ 444.

3 معاني القرآن للأخفش: 1/ 250.

4 معاني القرآن وإعرابه: 2/ 25.

5 ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1/ 203، ومشكل إعراب القرآن: 1/ 192.

6 الكشاف: 1/ 484.

السعود [1]. وجمع السمين الحلبي ما قيل فيها من أوجه؛ قال:((فيها ثلاثة أوجه، أظهرها: أنها مصدرٌ مؤكِّدٌ لمضمون الجملة السابقة من الوصية، لأنَّ معنى «يوصيكم» فرض الله عليكم، فصار المعنى: «يوصيكم الله وصيةَ فرض» فهو مصدر على غير الصدر. والثاني: أنها مصدر منصوب بفعل محذوف من لفظها. قال أبو البقاء: و «فريضةً» مصدر لفعل محذوف أي: فرض الله ذلك فريضة «والثالث: قاله مكي وغيره أنها حالٌ لأنها ليست مصدراً)) [2]. وهكذا تعبر الآية الكريمة بـ(فريضة) عن معنيين؛ هما: دلالة المصدرية على التوكيد وهو المتبادر من اللفظ، لما بين يوصيكم وفريضة من تقارب، أي يوصيكم وصية أو يفرض عليكم فرضا. والمعنى الثاني: الدلالة على الوصفية الذي تفيده الحال، أي للمذكورين حصتهم المقررة مفروضة. ومنه(وصية)في قوله تعالى:(مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ)[النساء12]، قال الفراء في توجيهها:((ونصب قوله وصية من قوله: فَلِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ- وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ، مثل قولك: لك درهمان نفقةً إلى أهلك، وهو مثل قوله نَصِيباً مَفْرُوضاً)) [3]. ومثّلها الاخفش بـ:كتابا مؤجلا:((نصب (وَصِيَّةً) و(فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ)، كما نصب (كِتَاباً مُؤَجَّلاً))) [4]. وأعربها والعكبري والنحاس مصدرا [5]. وقال الزمخشري:((وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ مصدر مؤكد، أي يوصيكم بذلك وصية، كقوله: (فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ) ويجوز أن تكون منصوبة بغير مضار)) [6]. وجعلها مكي منصوبة على أنها مصدر في موضع الحال، ونقل

---

1 ينظر: المحرر الوجيز: 2/ 18، ومفاتيح الغيب: 9/ 520، والتبيان في إعراب القرآن: 1/ 335، والجامع لأحكام القرآن: 5/ 75، وأنوار التنزيل: 2/ 63، والبحر المحيط: 3/ 544، ومدارك التنزيل: 1/ 337، والدر المصون: 3/ 606، واللباب في علوم الكتاب: 6/ 221، وإرشاد العقل السليم: 2/ 150.

2 الدر المصون: 3/ 606.

3 معاني القرآن للفراء: 1/ 258.

4 معاني القرآن للأخفش: 1/ 250.

5 ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1/ 204، والتبيان في إعراب القرآن: 1/ 337

6 الكشاف: 1/ 486. وينظر: مفاتيح الغيب: 9/ 525، وأنوار التنزيل: 2/ 64، ومدارك التنزيل: 1/ 338، ويُقابل بـ: البحر المحيط: 3/ 550 .

توجيه الفراء من أنها منصوبة على الخروج، أو ان غير مضار عمل فيها [1]. وجمع صاحب الدر المصون الأوجه النحوية، قال:((في نصبها أربعة أوجه؛ أحدُها: أنها مصدر مؤكّد، أي يوصيكم الله بذلك وصيةً الثاني: أنها مصدر في موضع الحال، والعامل فيها يُوصيكم. قاله ابن عطية، والثالث: أنها منصوبةٌ على الخروج: إمَّا من قولِه: {فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السدس} أو من قوله: (فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي الثلث)، وهذه عبارةٌ تشبه عبارة الكوفيين. والرابع: أنها منصوبةٌ باسمِ الفاعل وهو «مُضارّ» ، والمُضارَّةُ لا تقع بالوصية بل بالورثة، لكنه لَمَّا وصّى الله تعالى بالوَرَثة جَعَل المُضارَّة الواقعة بهم كأنها واقعة بنفس الوصية مبالغةً في ذلك)) [2]. فقد أفاد استعمال المصدر معاني عدة منها دلالة التوكيد التي يفيده المصدر المؤكد، ودلالة الحالية التي يؤديها الحال الذي يدل على المبالغة؛ لان المصادر إذا وقعت أحوالا دلت على المبالغة. ودلالة المفعولية على أنها مفعول به لاسم الفاعل مضار أي على ألا تؤدي إلى الإضرار بالوصية.

ومنه(كتاب الله) في قوله تعالى:(وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)[النساء24]، قال الفراء في توجيهه: ((وقوله: كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ كقولك: كتابا من اللَّه عليكم. وقد قَالَ بعض أهل النحو: معناه: عليكم كتاب اللَّه. والأول أشبه بالصواب)) [3]. وقال أبو عبيدة:((«كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»، أي: كتب الله ذاك عليكم، والعرب تفعل مثل هذا إذا كان فى موضع «فعل» أو «يفعل» ، نصبوه)) [4]. ووجهها الزجاج على أنها مصدر مؤكد وأجاز ان تكون منصوبة على الإغراء بفعل يفسره(عليكم):((وقوله: (كِتَابَ اللَّهِ عليْكُم) منصوب على التوكيد محمول على المعنى، لأن معنى قوله: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ) كتب الله عليكم هذا كتاباً،...، وقد يجوز أن

1 ينظر: المحرر الوجيز: 2/ 20، والجامع لأحكام القرآن: 5/ 81.

2 الدر المصون: 3/ 613. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 6/ 231، وإرشاد العقل السليم: 2/ 153.

3 معاني القرآن للفراء: 1/ 260.

4 مجاز القرآن: 1/ 122.

يكون منصوباً على جهة الأمر، ويكون (عليكُم) مفسراً له، فيكون المعنى الزموا كتاب اللّه. ولا يجوز أن يكون منصوباً بـ (عليكُم) ، لأن قولك: عَلَيْك زيداً، ليس لهُ ناصِب متَصرف فيجوز تقديمُ منصوبه)) [1]. وقال الزمخشري:((كِتابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ مصدر مؤكد، أي كتب اللّه ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا)) [2]. وجمع السمين الحلبي الأوجه النحوية فيها، قال:((في نصبه ثلاثة أوجه، أظهرها: أنه منصوبٌ على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة قبله وهي قوله: «حُرِّمت» ، ونصبُه بفعل مقدر أي: كَتَبَ الله ذلك عليكم كتاباً. ... الثاني: أنه منصوبٌ على الإغراء ب «عليكم» والتقدير: عليكم كتابَ الله أي: الزموه كقوله: (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ)[المائدة: 105] ، وهذا رأي الكسائي ومَنْ تابعه، أجازوا تقديمَ المنصوب في باب الإغراء .... والبصريون يمنعون ذلك، قالوا: لأنَّ العاملَ ضعيف.....والثالث: أنه منصوب بإضمار فعل أي: الزموا كتاب الله، وهذا قريبٌ من الإغراء)) [3]. وبيّن الطاهر بن عاشور ان َقوْله: كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَذْيِيلٌ، غايته التَّحْرِيضُ عَلَى وُجُوبِ الْوُقُوفِ عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ، فَـ عَلَيْكُمْ نَائِبٌ مَنَابَ (الْزَمُوا) ، وَهُوَ مُصَيَّرٌ بِمَعْنَى اسْمِ الْفِعْلِ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الظُّرُوفِ وَالْمَجْرُورَاتِ الْمُنَزَّلَةِ مَنْزِلَةَ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ بِالْقَرِينَةِ، كَقَوْلِهِمْ: إِلَيْكَ، وَدُونَكَ، وَعَلَيْكَ. وكِتابَ اللَّهِ مَفْعُولُهُ مُقَدَّمٌ عَلَيْهِ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ، أَوْ يُجْعَلُ مَنْصُوبًا بِـ (عَلَيْكُمْ) مَحْذُوفًا دَلَّ عَلَيْهِ الْمَذْكُورُ بَعْدَهُ، عَلَى أَنَّهُ تَأْكِيدٌ لَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كِتابَ مَصْدَرًا نَائِبًا مَنَابَ فِعْلِهِ، أَيْ كَتَبَ اللَّهُ ذَلِكَ كِتَابًا، وعَلَيْكُمْ مُتَعَلِّقًا بِهِ [4]. وبهذا تعبر الآية الكريمة عن معنيين رئيسين؛ هما: أولهما: توكيد معنى

---

1 معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 2/ 36. وينظر: الكتاب: 1/ 381، وإعراب القرآن للنحاس: 1/ 208، ومشكل إعراب القرآن: 1/ 194، والكشاف: 1/ 497، والمحرر الوجيز 2/ 35، وزاد المسير: 1/ 391، والجامع لأحكام القرآن: 5/ 123- 124، وأنوار التنزيل: 2/ 68، ومدارك التنزيل: 1/ 348، والبحر المحيط: 3/ 584.

2 الكشاف: 1/ 497. وينظر: المحرر الوجيز: 2/ 35، وأنوار التنزيل: 2/ 68، والبحر المحيط: 3/ 584.

3 الدر المصون: 3/ 648-649. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 6/ 300.

4 ينظر: التحرير والتنوير: 5/ 7.

الجملة السابقة بوصفه مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة، والمعنى الثاني: انه حث على الالتزام بكتاب الله، على معنى الإغراء. ومنه(توبة)في قوله تعالى:(فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً)[النساء92] جعلها الزجاج مفعولا لأجله، قال:((ونَصْبُ (تَوْبَةً مِنَ اللَّه) على جهةِ نصب فعلْتُ ذلك حذار الشر)) [1]. وهو منصوب عند النحاس ومكي والرازي والبيضاوي والطاهر بن عاشور على المصدرية وأجازوا ان يعرب مفعولا لأجله [2]. في حين وجه العكبري نصبه على انه مفعول لأجله وأجاز نصبه على المصدرية [3]. واكتفى القرطبي والنسفي بوجه النصب على المصدرية [4]. وقال أبو حيان:((تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ انْتَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ أَيْ: رُجُوعًا مِنْهُ إِلَى التَّسْهِيلِ وَالتَّخْفِيفِ...)) [5]. وأضاف صاحب اللباب مع الوجهين السابقين وجه النصب على الحالية [6]؛ قال:((أحدها: أنه مَفْعُول من أجْلِه، تقديره: شَرَعَ ذلك توبةً منه،...، الثاني: أنها مَنْصُوبةٌ على المَصْدَر أي: رجُوعاً منه إلى التَّسْهِيل، حيث نَقَلكم من الأثْقَلِ إلى الأخَفِّ، أو توبة مِنْه، أي: قَبُولاً منه، مِنْ تاب عَلَيْه، إذا قبل تَوْبَته، فالتقدير: تابَ عليكم تَوْبَةً مِنْه. الثالث: أنها مَنْصُوبةٌ على الحَال، ولكن على حَذْفِ مُضَافٍ، تقديره: فَعَليه كذا حالَ كَوْنِهِ صَاحِبَ توبةٍ)) [7]. وبهذا تكون توبة احتملت ثلاثة معان في هذا السياق، الأول ان صيام شهرين متتابعين يكون من اجل التوبة على أنها مفعول لأجله، والثاني: أنها مصدر مؤكد يفيد توكيد معنى التوبة المفهوم من سياق قوله صيام

---

1 معاني القرآن وإعرابه: 2/ 91.

2 ينظر: إعراب القرآن للنحاس 1/ 232، ومشكل إعراب القرآن: 1/ 206، ومفاتيح الغيب: 10/ 182، وأنوار التنزيل: 2/ 90، والتحرير والتنوير: 5/ 162.

3 ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 1/ 381.

4ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 5/ 328، ومدارك التنزيل: 1/ 385.

5 البحر المحيط: 4/ 27.

6 ينظر: اللباب في علوم الكتاب: 6/ 569.

7 نفسه: 6/ 569.

شهرين، والثالث: دلالة الحالية على تقدير حذف مضاف إليه، أي عليه صيام شهرين في حال كونه صاحب توبة. ومنه(غرورا)في قوله تعالى:(يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)[الانعام112] قال الزجاج:((و (غُرُورًا) مَنْصوب على المصدَر، وهذا المصدرُ محمول على المعنى. لأن مبنى إيحاءِ الزخْرف من القول معنى الغرور، وكأنه قال يَغرونَ غُروراً.)) [1]. في حين ذهب ابن النحاس إلى إعرابه حالا، قال:((وغُروراً نصب على الحال لأن معنى يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ يغرّونهم بذلك غرورا ويجوز أن يكون[مصدرا] في موضع الحال)) [2]. وهذا الوجه الأخير هو الذي اكتفى مكي بذكره، قال:((قَوْله (غرُورًا)نصب على أنه مصدر فِي مَوضِع الْحَال)) [3]. في حين أجاز العكبري والبيضاوي ان يكون منصوبا على انه مفعول لأجله أو الحالية [4]. وجعله أبو حيان منصوبا على انه مفعول لأجله وأجاز الأوجه الأخرى السابق ذكرها، قال:((وَانْتَصَبَ غُرُورًا عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ وَجَوَّزُوا أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا لِيُوحِي لِأَنَّهُ بِمَعْنَى يَغُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَوْ مَصْدَرًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْ غَارِّينَ)) [5]. واكتفى صاحب التحرير والتنوير بإعرابه مفعولا لأجله، قال:((وَانْتَصَبَ غُروراً عَلَى الْمَفْعُول لِأَجْلِهِ لِفِعْلِ يُوحِي، أي يرجون زُخْرُفَ الْقَوْلِ لِيَغُرُّوهُمْ)) [6]. ومن ثم فان (غرورا) في الآية الكريمة تعرب بثلاثة أعاريب عن ثلاثة معان يصح ان تكون مرادة، الأول: ان تكون مفعولا لأجله، على أنهم يوحي بعضهم إلى بعض لأجل الغرور، والثاني: أنها تكون منصوبة على المصدرية لان معنى الإيحاء بزخرف القول أنهم يغرونهم؛ فكأنه معنى الآية: يغرّ

1 معاني القرآن وإعرابه: 2/ 284.

2 إعراب القرآن للنحاس: 2/ 28. وينظر: مفاتيح الغيب: 13/ 121، والجامع لأحكام القرآن: 7/ 67.

3 مشكل إعراب القرآن: 1/ 266.

4 ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 1/ 532، وأنوار التنزيل: 2/ 178.

5 البحر المحيط: 4/ 625. وينظر: الدر المصون: 5/ 116.

6 التحرير والتنوير: 8-أ/ 10.

بعضهم بعضا بزخرف القول غـرورا، والثالـث: انـه منصـوب علـى الحاليـة أي يـوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غارين.

ومنه(سنة) في قوله تعالى:(مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا(76)سُـنَّةَ مَـنْ قَـدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُـنَّتِنَا تَحْوِيلًـا)[الاسـراء76-77]، الـتي فسـر الفـراء نصبها على حذف حرف الجر الكاف، قال:((نصب السنة عَلَـى العـذاب المضـمر، أي يُعذبون كسنة من قد أرسلنا)) [1]. وجعله الأخفش منصوبا على المصدرية، قـال عنهـا:((أي: سَنَنّاها سُنَّةَ)) [2]. وتابعه الزجاج، قال: ((سُنَّةَ) منصوب بمعنى أنا سَنَنَّا هذه السـنةَ فيمن أرسلنا قبلك من رُسُلِنَا)) [3]. ووجّهها ابن النحاس على المصدرية ثـم نقـل توجيـه الفراء [4]. ووجّه الزمخشري نصبها على المصدرية، قال:((ونصبت نصب المصـدر المؤكـد، أي: سن الله ذلك سنة)) [5]. وأجاز أبو حيان أن تكون مفعولا به وكأنه يرى أنها منصوبة على الإغراء، قال:((وَقَالَ الْفَرَّاءُ: انْتَصَبَ سُنَّةَ عَلَى إِسْقَاطِ الْخَافِضِ لِأَنَّ الْمَعْنَى كَسُـنَّةِ فَنُصِبَ بَعْدَ حَـذْفِ الْكَـافِ،....، وَيَجُـوزُ أَنْ يَكُـونَ مَفْعُولًـا بِـهِ أَيِ اتَّبِعْ سُـنَّةَ مَـنْ قَـدْ أَرْسَلْنَا)) [6]. وقال الطاهر بن عاشور مناقشا الأوجه المحتملة وعلاقتها بالمعنى:((وَانْتَصَبَ سُنَّةَ من مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ. فَإِنْ كَانَتْ سُنَّةَ اسْمَ مَصْدَرٍ فَهُوَ بَدَلٌ مِـنْ

---

1 معاني القرآن للفراء: 2/ 129. وينظر: إعراب القرآن للنحاس: 2/ 281، ومشكل إعراب القرآن: 1/ 434، ومعالم التنزيل: 3/ 148، والمحرر الوجيز : 3/ 477، وزاد المسير: 3/ 45، وانوار التنزيل: 3/ 264.

2 معاني القرآن للأخفش: 2/ 425. وينظر: زاد المسير: 3/ 45.

3 معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 3/ 255. وينظر: مشكل إعراب القرآن: 1/ 434، وزاد المسير: 3/ 45.

4 ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 2/ 281

5، الكشاف: 2/ 686. وينظر: مفاتيح الغيب: 21/ 381، والتبيان في إعراب القرآن: 2/ 830، وأنوار التنزيل: 3/ 264، ومدارك التنزيل: 2/ 272، والبحر المحيط: 7/ 92، والدر المصون: 7/ 395، واللباب في علوم الكتاب: 12/ 353، وروح البيان: 5/ 190، وإرشاد العقل السليم: 5/ 188-189، وروح المعاني: 8/ 126، ومحاسن التأويل: 6/ 482.

6 البحر المحيط: 7/ 93.

فِعْلِهِ. وَالتَّقْدِيرُ: سَنَنَّا ذَلِكَ لِمَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا، أَيْ لِأَجْلِهِمْ. فَلَمَّا عَدَلَ عَنِ الْفِعْلِ إِلَى الْمَصْدَرِ أُضِيفَ الْمَصْدَرُ إِلَى الْمُتَعَلِّقِ بِالْفِعْلِ إِضَافَةَ الْمَصْدَرِ إِلَى مَفْعُولِهِ عَلَى التَّوَسُّعِ وَإِنْ كَانَتْ سُنَّةَ اسْمًا جَامِدًا فَانْتِصَابُهُ عَلَى الْحَالِ لِتَأْوِيلِهِ بِمَعْنَى اشْتِقَاقِيٍّ)) [1]. فقد احتملت كلمة(سنة) في الآية أربعة معان ناتجة من أربعة اعاريب، الأول:أنها مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله لأنها بمعنى ما سبق من أنهم لايلبثون إلا قليلا، والثاني: أنها منصوبة على نزع الخافض(الكاف) وكأنها في الأصل شبه جملة تعلل الحكم السابق أو تصفه، والثالث: أنها مفعول به لفعل تقديره: اتبع، وفيه معنى الإغراء، والرابع: أنها حال على تأويلها بمشتق، أي: سانين.

ومن ذلك أيضا: (جهد أيمانهم) في قوله تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ)[الأنعام 109]، فهو منصوب عند مكي على المصدرية [2]، وعند الزمخشري على الحالية، قال:((وأصل: أقسم جهد اليمين: أقسم يجهد اليمين جهدا، فحذف الفعل وقدّم المصدر فوضع موضعه مضافا إلى المفعول كقوله: فَضَرْبَ الرِّقَابِ وحكم هذا المنصوب حكم الحال، كأنه قال: جاهدين أيمانهم)) [3]. ووجّهه ابن عطية على أنه مصدر مؤكد، قال:((جَهْدَ أَيْمانِهِمْ نصب جهد على المصدر المؤكد)) [4]. وذكر العكبري الوجهين، قال:((فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ حَالٌ، ...، وَالثَّانِي: أَنَّهُ مَصْدَرٌ يَعْمَلُ فِيهِ أَقْسَمُوا، وَهُوَ مِنْ مَعْنَاهُ لَا مِنْ لَفْظِهِ)) [5]. واكتفى القرطبي بوجه المصدرية، قال:((جَهْدَ : مَنْصُوبٌ عَلَى مَذْهَبِ الْمَصْدَرِ تَقْدِيرُهُ: إِقْسَامًا بَلِيغًا)) [6]. وجعله النسفي مصدرا في تقدير الحال، قال:((وجهد أيمانهم مصدر في تقدير الحال أي مجتهدين في توكيد

1التحرير والتنوير: 15/ 180.

2 ينظر: مشكل إعراب القرآن: 1/ 230.

3 الكشاف: 3/ 250.

4 المحرر الوجيز: 2/ 207. وينظر: البحر المحيط: 4/ 613.

5 التبيان في إعراب القرآن: 1/ 445. وينظر: أنوار التنزيل: 2/ 131.

6 الجامع لأحكام القرآن: 12/ 296.

أيمانهم)) [1]. والوجه الأظهر عند السمين الحلبي هو النصب على المصدرية، قال: ((في انتصابه وَجْهان، أظهرُهما: أنه مصدرٌ مؤكِّدٌ ناصبُه «أَقْسموا» فهو من معناه،....، والثاني ... أنه منصوبٌ على الحالِ كقولهم: «افعَلْ ذلك جَهْدَك» أي: مجتهداً، ولا يُبالى بتعريفه لفظاً فإنه مؤولٌ بنكرة على ما ذكرته لك، وللنحْويين في هذه المسألة أبحاث، والمعنى هنا: أقسموا بالله مجتهدين في أيمانهم.)) [2]. ووجّهه الالوسي على الحالية وأجاز ان يكون منصوبا على نزع الخافض، قال: ((فجهد مصدر في موضع الحال. وجُوّز أن يكون منصوبا بنزع الخافض أي أقسموا بجهد أيمانهم)) [3]. وقال الطاهر بن عاشور:((انْتَصَبَ جَهْدَ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ لِأَنَّهُ بِإِضَافَتِهِ إِلَى «الْأَيْمَانِ» صَارَ مِنْ نَوْعِ الْيَمِينِ فَكَانَ مَفْعُولًا مُطْلَقًا مُبَيِّنًا لِلنَّوْعِ)) [4]. وبهذا يحتمل ثلاثة معان بحسب النظر إلى الاعاريب التي ذكرها العلماء، الأول: انه مصدر يفيد التوكيد، والثاني: انه حال على تقدير يجهدون جاهدين، والثالث: انه مصوب على نزع الخافض أي بجهد أيمانهم. وبذلك يكون هذا التعبير قد جمع بين دلالات عدة في عبارة واحدة، قد تكون مرادة.

ومنه (صنع) في قوله تعالى:(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)[النمل88]، فـ(صنع) منصوب عند الزجاج على المصدرية، قال:((من نصب فعلى معنى المَصْدر، لأن قوله: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)، دَلِيل على الصنْعَةِ، كأنَّه قِيلَ صَنَعَ اللَّه ذلك صنعاً...)) [5]. ونقل ابن النحاس نصبه على المصدرية عن الخليل وسيبويه، وأجاز ان

---

1 مدارك التنزيل: 1/ 454.

2 الدر المصون: 4/ 305. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 7/ 386، وروح البيان: 2/ 403، وإرشاد العقل: 3/ 50، وحاشية الشهاب: 3/ 253.

3 روح المعاني: 4/ 238.

4 التحرير والتنوير: 6/ 233-234.

5 معاني القرآن وإعرابه: 4/ 130.

يكون منصوبا على الإغراء بتقدير: انظروا صنع الله [1]. وهكذا انقسم النحاة في توجيه نصبها على قسمين؛ قسم يكتفي بوجه المصدرية، ومنهم الزمخشري، قال ((صُنْعَ اللَّهِ من المصادر المؤكدة، كقوله وَعَدَ اللَّهُ. وصِبْغَةَ اللَّهِ إلا أن مؤكدة محذوف)) [2]. والبغوي وابن الجوزي [3]، والفخر الرازي الذي قال في توجيهها:((قَوْلُهُ: (صُنْعَ اللَّهِ) فَهُوَ مِنَ المصادر المؤكدة كقوله:(وَعَدَ اللَّهُ) [النساء: 95] و(صِبْغَةَ اللَّـهِ)[الْبَقَرَةِ: 138] إِلَّا أَنَّ مُؤَكِّدَهُ مَحْذُوفٌ وَهُوَ الناصب ليوم يُنْفَخُ)) [4]. ونلمس، في كلامه هذا، إحساساً بالتشابه الشكليّ والمعنويّ بين المصادر في الآيات المذكورة الممثل بها. ومنهم العكبريّ والبيضاويّ والنسفيّ وأبو حيان [5]. وقسم آخر يذكر مع الوجه السابق: النصب على الإغراء. ومنهم ابن عطية والقرطبي [6]. وبناء على ما سبق فان (صنع) تحتمل معنيين، الأول: انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة يثبت الفكرة التي تتضمنها الآية السابقة، والثاني: انه منصوب على الإغراء على تقدير فعل(انظروا)، وفي الإغراء اهتمام وعناية بالمغرى. وهذان المعنيان مما يناسب سياق الآية الكريمة أيضا.

ومنه(فطرة) في قوله تعالى:(أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)[الروم 30]، فقد وجه الفراء نصبها على المصدرية، قال:((وقوله: فِطْرَتَ اللَّـهِ، يريد: دين الله، منصوب عَلَى الفعل، كقوله (صِبْغَةَ اللَّهِ))) [7]. وجعله الطبري منصوبا

1 ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 3/ 153.

2 الكشاف: 3/ 387. وينظر: البحر المحيط: 8/ 273.

3 ينظر: معالم التنزيل: 3/ 520، وزاد المسير: 3/ 372.

4 مفاتيح الغيب: 24/ 574. وينظر:البحر المحيط: 8/ 273، والدر المصون: 8/ 645 ،واللباب في علوم الكتاب: 15/ 207، وإرشاد العقل السليم: 6/ 305.

5 ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 2/ 1015، وأنوار التنزيل: 4/ 169، ومدارك التنزيل: 2/ 624، وروح البيان: 6/ 376، والتحرير والتنوير: 20/ 50.

6 المحرر الوجيز: 4/ 273. وينظر: الجامع لأحكام القرآن: 13/ 244- 243، وأنوار التنزيل: 4/ 169.

7 معاني القرآن للفراء: 2/ 324.

على المصدرية [1]. وهو منصوب عند الزجاج على تقدير فعل(اتبع) وربما يكون فيه معنى الإغراء، قال:(((فِطْرَتَ اللَّهِ) منصوب بمعنى اتَّبِعْ فطرة اللَّهِ، لأن معنى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ) اتبع الدينَ القَيِّمَ)) [2]. ونقل ابن النحاس ومكي وابن عطية والعكبري والقرطبي والبيضاوي وأبو حيان والسمين الحلبي الوجهين المذكورين النصب على: الإغراء، والمصدرية [3]. وصرح البغوي بأنه منصوب على الإغراء، قال:((فِطْرَتَ اللَّهِ، دِينَ اللَّهِ وَهُوَ نُصِبَ عَلَى الْإِغْرَاءِ أَيْ إِلْزَمْ فِطْرَةَ اللَّهِ)) [4]. وهو ما ذهب إليه الزمخشري:((فِطْرَتَ اللَّهِ أي الزموا فطرة الله. أو عليكم فطرة الله. وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله مُنِيبِينَ إِلَيْهِ)) [5]. وإليه ذهب ابن الجوزي والرازي [6]. وذكر الالوسي ثلاثة أوجه، هي: الإغراء أو المصدرية أو البدلية من حنيفا، ورجح الأول(الإغراء) قال:((فِطْرَتَ اللَّهِ نصب على الإغراء أي الزموا فطرة الله تعالى،....، وجوز أن يكون نصبا بإضمار أعني، وأن يكون مفعولا مطلقا لفعل محذوف دل عليه ما بعد أي فطركم فطرة الله،....، وأن يكون بدلا من حَنِيفاً. والمتبادر إلى الذهن النصب على الإغراء)) [7]. في حين اختار الطاهر بن عاشور وجه النصب على البدلية وجعل فيه الدلالة على الحالية، قال:((وفِطْرَتَ اللَّهِ بَدَلٌ مِنْ حَنِيفاً بَدَلُ اشْتِمَالٍ فَهُوَ فِي مَعْنَى الْحَالِ مِنَ الدِّينِ أَيْضًا وَهُوَ حَالٌ ثَانِيَةٌ فَإِنَّ الْحَالَ كَالْخَبَرِ تَتَعَدَّدُ بِدُونِ عَطْفٍ عَلَى التَّحْقِيقِ عِنْدَ النُّحَاةِ. وَهَذَا أَحْسَنُ لِأَنَّهُ أَصْرَحُ فِي إِفَادَةِ أَنَّ هَذَا الدِّينَ مُخْتَصٌّ بِوَصْفَيْنِ هُمَا: التَّبَرُّؤُ مِنَ الْإِشْرَاكِ،

1ينظر: جامع البيان: 20/ 97.

2 معاني القرآن وإعرابه: 4/ 184.

3 ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 3/ 185 ، ومشكل إعراب القرآن: 2/ 561،والمحرر الوجيز: 4/ 336، والتبيان في إعراب القرآن: 2/ 1040، والجامع لأحكام القرآن: 14/ 24، وأنوار التنزيل: 4/ 206، والبحر المحيط: 8/ 389، والدر المصون: 9/ 44، واللباب في علوم الكتاب: 15/ 409.

4 معالم التنزيل:3/ 577.

5 الكشاف: 3/ 479.

6ينظر: زاد المسير: 3/ 422، ومفاتيح الغيب: 25/ 98.

7 روح المعاني: 11/ 40.

وَمُوَافَقَتُهُ الْفِطْرَةَ، فَيُفِيدُ أَنَّهُ دِينٌ سَمْحٌ سَهْلٌ لَا عَنَتَ فِيهِ)) [1]. وفي ضوء ما سبق فان (فطرة) تحتمل دلالتين، الأولى: انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة، والثانية: انه منصوب على الإغراء على تقدير فعل(الزموا)، وفي الإغراء عناية واهتمام وترغيب بالمغرى. وهاتان الدلالتان مما يناسب سياق الآية الكريمة أيضا.

ومنه(قولا) في قوله تعالى:(سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ)[يس 58]، قال أبو عبيدة:((«قولا» خرجت مخرج المصدر الذي يخرج من غير لفظ فعله)) [2]. وهو منصوب عند الاخفش على انه مصدر أو مفعول مطلق ناب عن فعله المحذوف، قال:((انتصب (قَوْلاً) على البدل من اللفظ بالفعل كأنه قال أَقُولُ قَوْلاً)) [3]. ويفهم من كلام الزجاج انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة، قال:((و (قَوْلًا) منصوب على معنى لهم سلام يقوله اللّه - عزَّ وجلَّ - قَوْلاً)) [4]. وقد فسّر ابن النحاس كلامه، قال:((وقَوْلًا مصدر أي نقوله قولا يوم القيامة، ويجوز أن يكون معناه قال الله جلّ وعزّ هذا قولا)) [5]. وذكر الزمخشري وجه النصب على المصدرية؛ ولكنه رأى ان الأوْجه ان يكون منصوبا على الاختصاص، قال:((وقَوْلًا مصدر مؤكد لقوله تعالى وَلَهُمْ ما يَدَّعُونَ سَلامٌ أي: عدة من رب رحيم. والأوجه: أن ينتصب على الاختصاص)) [6]. وهو ما احتمله البيضاوي من غير تفضيل. ووجّهه ابن عطية والعكبري والقرطبي والسمين الحلبي والالوسي على المصدرية فقط [7]. وذكر الرازي مع ما سبق وجه النصب على أنه تمييز [1]. في حين استند

1 التحرير والتنوير: 21/ 89.

2 مجاز القرآن: 2/ 164.

3 معاني القرآن للأخفش: 2/ 489.

4 معاني القرآن وإعرابه: 4/ 292.

5 إعراب القرآن للنحاس: 3/ 271.

6 الكشاف: 4/ 22. وينظر: أنوار التنزيل: 4/ 271، وإرشاد العقل السليم: 7/ 174.

7 ينظر: المحرر الوجيز: 4/ 459، والتبيان في إعراب القرآن: 2/ 1085، والجامع لأحكام القرآن: 15/ 46، والدر المصون: 9/ 279، واللباب في علوم الكتاب: 16/ 249، وروح المعاني: 12/ 37.

الطاهر بن عاشور إلى الدلالة في محاكمته للأوجه النحوية، مبينا أن المصدر هنا ينوب عن فعله وأن التنوين فيه للتعظيم، قال:((وَحَذْفُ خَبَرِ سَلامٌ لِنِيَابَةِ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ وَهُوَ قَوْله قَوْلًا عَنِ الْخَبَرِ لِأَنَّ تَقْدِيرَهُ: سَلَامٌ يُقَالُ لَهُمْ قَوْلًا مِنَ اللَّهِ، وَالَّذِي اقْتَضَى حَذْفَ الْفِعْلِ وَنِيَابَةَ الْمَصْدَرِ عَنْهُ هُوَ اسْتِعْدَادُ الْمَصْدَرِ لِقَبُولِ التَّنْوِينِ الدَّالِّ عَلَى التَّعْظِيمِ، وَالَّذِي اقْتَضَى أَنْ يَكُونَ الْمَصْدَرُ مَنْصُوبًا دُونَ أَنْ يُؤْتَى بِهِ مَرْفُوعًا هُوَ مَا يُشْعِرُ بِهِ النَّصْبَ مِنْ كَوْنِ الْمَصْدَرِ جَاءَ بَدَلًا عَنِ الْفِعْلِ،...، وَتَنْوِينُ رَبٌّ لِلتَّعْظِيمِ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ عُدِلَ عَنْ إِضَافَةِ رَبٌّ إِلَى ضَمِيرِهِمْ، وَاخْتِيرَ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ بِوَصْفِ الرَّبِّ لِشِدَّةِ مُنَاسَبَتِهِ لِلْإِكْرَامِ وَالرِّضَى عَنْهُمْ بِذِكْرِ أَنَّهُمْ عَبَدُوهُ فِي الدُّنْيَا فَاعْتَرَفُوا بربوبيته)) [2]. وهكذا يحتمل (قولا) معنيين، الأول: انه منصوب على انه مصدر مؤكد على تقدير فعل مفهوم من السلام الذي هو قول ووعد أيضا، والثاني: انه منصوب على الاختصاص لأنه من الله سبحانه وتعالى، والثالث: انه تمييز للسلام المذكور قبله؛ فهو يبين نوع السلام وحقيقته. ومن يطلع على هذه المعاني الناتجة من الاعاريب المذكورة يجد ان النص الكريم يحتملها لأنها جاءت بتعبير دقيق ومحكم وموجز.

ومنه(رزقا) في قوله تعالى:(أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[القصص 57]، فهو منصوب عند العكبري على المصدرية، قال:(((رِزْقًا) : مَصْدَرٌ مِنْ مَعْنَى يُجْبَى)) [3]. ووجّهه القرطبي على انه مفعول لأجله، وأجاز المصدرية، قال:((رِزْقاً نصب على المفعول من أجله. ويجوز نصبه على المصدر بالمعنى، لان معنى" تجبى" ترزق)) [4]. في حين زاد البيضاوي وجه النصب على الحالية:((وانتصاب رِزْقاً على المصدر من معنى يُجْبَى، أو حال من ال ثَمَراتُ

---

1 مفاتيح الغيب: 26/ 296.

2 التحرير والتنوير: 23/ 44.

3 التبيان في إعراب القرآن: 2/ 1023. وينظر: روح البيان: 6/ 417.

4 الجامع لأحكام القرآن: 13/ 300.

لتخصصها بالإضافة)) [1]. وذكر النسفي والالوسي الأوجه الثلاثة السابقة، قال النسفي:(({رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا} هو مصدر لأن معنى (يجبى إليه) يرزق أو مفعول له أو حال من الثمرات إن كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالإضافة كما تنصب عن النكرة المتخصصة بالصفة)) [2]. وأعربها الطاهر بن عاشور حالا، قال:((ورِزْقاً حَالٌ مِنْ ثَمَراتُ وَهُوَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ)) [3]. وبذلك يحتمل ثلاثة معان هي، الأول: انه منصوب على انه مصدر يؤكد مضمون الجملة السابقة ؛ لأنه بمعنى يجبى إليه ثمرات كل شيء، والثاني: انه مفعول لأجله على معنى انه يجبى إليهم ثمرات كل شيء لأجل أن يرزقهم، والثالث: انه حال من (ثمرات) لأنها تخصصت بشبه الجملة بمعنى مرزوق. ولاشك في ان هذه المعاني سائغة ومقبولة في سياق الآية الكريمة التي عبرت عن هذه المعاني بعبارة وجيزة.

ومنه(نكالا) في قوله تعالى:(فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى)[النازعات 25]، فقد جعله الفراء وصفاً لمصدر محذوف، قال في تفسير الآية:((أي: أخذه الله أخذًا نكالًا للآخرة والأولى)) [4]. وهو منصوب عند الاخفش على المصدرية، قال:((كأنه نُكِّلَ بهٍ فأخرج المصدر على ذلك. وتقول ُوالله لأصرِمَنَّكَ تركا بَيِّناً)) [5]. ووضّح الزجاج كلام الاخفش، قال:(((نَكَالَ) منصوب مصدر مؤكد لأن معنى أخذه اللَّه: نَكَّلَ بِهِ)) [6]. وذكر مكي والعكبري وجهين هما انه مصدر أو مفعول لأجله [7]. وقال الزمخشري:((

---

1 أنوار التنزيل: 4/ 181. وتابعه أبو السعود ينظر: إرشاد العقل السليم: 7/ 19.

2 مدارك التنزيل: 2/ 650. وينظر: روح المعاني: 10/ 305.

3 التحرير والتنوير: 20/ 149.

4 معاني القرآن للفراء: 3/ 233. وينظر: مفاتيح الغيب: 31/ 42.

5 معاني القرآن للأخفش: 2/ 566.

6 معاني القرآن وإعرابه: 5/ 280، وزاد المسير: 4/ 396.

7 ينظر: مشكل إعراب القرآن: 2/ 799، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: 2/ 1269، وروح المعاني: 15/ 231.

نَكالَ هو مصدر مؤكد، كوعد الله، وصبغة الله، كأنه قيل: نكل الله به)) [1]. وذكر الفخر الرازي ان نصبه على وجهين هما المصدرية وعلى نعت مصدر محذوف [2]. وذكر السمين الحلبي ثلاثة أوجه هي أنه منصوب على أنه مصدر للفعل أخذ، أو أنه نعت لمصدر محذوف، أو مفعول له، أو مصدر مؤكد لمضمون الجملة فعامله مقدّر من معنى الجملة السابقة، وضعّف أن يكون حالا لأنه معرف بالإضافة [3]. وذكر أبو السعود وجها آخر، زيادةً على وجه النصب على المصدرية والمفعول له، وهو النصب على نزع الخافض، أي أخذَهُ بنكال الآخرةِ والأولى [4]. ووجّهه الطاهر بن عاشور على المفعولية المطلقة، والمصدر هنا مبينٌ للنوع، قال:((وَانْتَصَبَ نَكالَ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ لِفِعْلِ «أَخَذَهُ» مُبَيِّنٌ لِنَوْعِ الْأَخْذِ بِنَوْعَيْنِ مِنْهُ لِأَنَّ الْأَخْذَ يَقَعُ بِأَحْوَالٍ كَثِيرَةٍ. وَإِضَافَةُ نَكالَ إِلَى الْآخِرَةِ وَالْأُولى عَلَى مَعْنَى (فِي) . فَالنَّكَالُ فِي الْأُولَى هُوَ الْغَرَقُ، وَالنَّكَالُ فِي الْآخِرَةِ هُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ)) [5]. فقد تنوّعت المعاني المحتملة له على وفق هذه الاعاريب المذكورة؛ الأول: انه مصدر مؤكد لان معنى أخذه الله أي نكل به، والثاني: انه مفعول لأجله على معنى أخذه للتنكيل به، والثالث: انه حال من المفعول به الضمير(الهاء) على معنى أخذه منكّلا به، والرابع انه منصوب على نزع الخافض أي على معنى: أخذه بنكال كلمته الأولى والآخرة. والله اعلم.

---

1 الكشاف: 4/ 696. وينظر: مدارك التنزيل: 3/ 598، والبحر المحيط: 10/ 399، وروح المعاني: 15/ 231.

2 مفاتيح الغيب: 31/ 42. وفيه: أَنَّ الْآخِرَةَ وَالْأُولَى صِفَةٌ لِكَلِمَتَيْ فِرْعَوْنَ إِحْدَاهُمَا قَوْلُهُ: (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي) [الْقَصَصِ: 38] والأخرى قوله:(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى)[النازعات: 24] قَالُوا: وَكَانَ بَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ سَنَةً.

3 ينظر: الدر المصون: 10/ 677، واللباب في علوم الكتاب: 20/ 140، وروح المعاني: 15/ 231.

4 ينظر: إرشاد العقل السليم: 9/ 101، وروح المعاني: 15/ 231.

5 التحرير والتنوير: 30/ 81.

دلالة التعقيب المصدري بين النصب والرفع في ضوء القراءات القرآنية :

تُذكرُ كتب القراءات القرآنية والتفسير أن بعض المصادر- موضوع البحث- قرئت بالرفع ، ولعل من أقدم الإشارات إلى ذلك ما ورد عند سيبويه، قال:((وقد يجوز الرفعُ فيما ذكرنا أجمعَ على أن يضمِرَ شيئاً هو المظهَرُ، كأنّك قلت: ذاك وعدُ اللهِ، وصبغةُ اللهِ، أو هو دَعْوةُ الحقّ. على هذا ونحوِه رفعُه. ومن ذلك قوله جلّ وعزّ: (كَأَن لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاَغٌ)[الاحقاف 35]، كأنه قال: ذاك بَلاغٌ)) [1]. ويبدو أن النحاة يلمسون في المصدر المنصوب دلالة الأمر قال سيبويه عن قول العرب: صبر جميل: ((والنصبُ أكثر وأجود؛ لأنه يأمره. ومَثَلُ الرفع (فصبر جميل والله المستعان)[يوسف 18]، كأنه يقول: الأمرُ صبرٌ جميلٌ.والذي يُرْفَعُ عليه حَنانٌ وصبرٌ وما أشبه ذلك لا يُستعمل إظهارُه، وتركُ إظهاره كتركِ إظهارِ ما يُنْصَبُ فيه)) [2]. وقال ابن الأثير عن قوله تعالى:((ومن حذف الفعل باب يسمى باب إقامة المصدر مقام الفعل. وإنما يفعل ذلك لضرب من المبالغة والتوكيد، كقوله تعالى: (فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ)، قوله: (فَضَرْبَ الرِّقَابِ) ، أصله: فاضربوا الرقاب ضربا، فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه، وفي ذلك اختصار، مع إعطاء معنى التوكيد المصدري)) [3]. ونريد هنا أن نقف على ماذكره النحاة من دلالات نحوية في تعليل هذه القراءات، وهل اختلفت دلالتها عنها في حالة النصب. ولاشك في ان من أهم الإشارات التي تفسر الفرق في الدلالة بين الرفع والنصب ما ورد عند ابن عطية:((وقوله تعالى: فَاتِّبَاعٌ رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره فالواجب والحكم اتباع، وهذا سبيل الواجبات كقوله تعالى:(فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ) [البقرة: 229] ، وأما المندوب إليه فيأتي منصوبا كقوله تعالى:(فَضَرْبَ الرِّقابِ) [محمد: 4] ، وهذه الآية حض من الله تعالى على حسن الاقتضاء من الطالب وحسن القضاء

---

1 الكتاب: 1/ 382.

2 الكتاب: 1/ 321.

3 المثل السائر: 2/ 237.

من المؤدي، وقرأ ابن أبي عبلة «فاتباعا» بالنصب)) [1]. وقال أبو حيان معلقا على هذه الفكرة في تفسيره قوله تعالى:(قالوا سلاما قال سلام قوم منكرون)[الذاريات 25]: ((وَنَصْبُ سَلَامًا يَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ، وَرَفْعُ سَلَامٌ يَدُلُّ على الثبوت وَالِاسْتِقْرَارِ)) [2]. في حين قال في تفسير قوله تعالى:(فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ) [البقرة 178]: ((قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ بَعْدَ تَقْدِيرِهِ: فَالْحُكْمُ أَوِ الْوَاجِبُ اتِّبَاعٌ، وَهَذَا سَبِيلُ الْوَاجِبَاتِ، كَقَوْلِهِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ وَأَمَّا الْمَنْدُوبُ إِلَيْهِ فَيَأْتِي مَنْصُوبًا كَقَوْلِهِ: فَضَرْبَ الرِّقَابِ انْتَهَى. وَلَا أَدْرِي هَذِهِ التَّفْرِقَةَ بَيْنَ الْوَاجِبِ وَالْمَنْدُوبِ إِلَّا مَا ذَكَرُوا مِنْ أَنَّ الْجُمْلَةَ الِابْتِدَائِيَّةَ أَثْبَتُ وَآكَدُ مِنَ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الَّذِي لَحِظَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ مِنْ هَذَا)) [3]. وقد نقل السيوطي كلام ابن عطية وجمع بين تعليقي أبي حيان في الموضعين؛ قال في القاعدة التي خصصها لدلالة المصدر:((قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: سَبِيلُ الْوَاجِبَاتِ الْإِتْيَانُ بِالْمَصْدَرِ مَرْفُوعًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أو تسريح بإحسان)[البقرة229] (فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ)[البقرة 178]، وَسَبِيلُ الْمَنْدُوبَاتِ الْإِتْيَانُ بِهِ مَنْصُوبًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَضَرْبَ الرِّقَابِ)[محمد 4] وَلِهَذَا اخْتَلَفُوا هَلْ كَانَتِ الْوَصِيَّةُ لِلزَّوْجَاتِ وَاجِبَةً لِاخْتِلَافِ الْقِرَاءَةِ فِي قوله: (وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ)[البقرة 240] بالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ. قَالَ أَبُو حَيَّانَ: وَالْأَصْلُ فِي هَذِهِ التَّفْرِقَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ)[الذاريات 25] فَإِنَّ الْأَوَّلَ مَنْدُوبٌ وَالثَّانِيَ وَاجِبٌ. وَالنُّكْتَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْجُمْلَةَ الِاسْمِيَّةَ أَثْبَتُ وَآكَدُ مِنَ الْفِعْلِيَّةِ)) [4]. وقال الكفوي عن

---

1 المحرر الوجيز: 1/ 246. وينظر: المقتضب: 4/ 11، والدر المصون: 2/ 254، واللباب: 3/ 225، والكليات: 1/ 1014.

2 البحر المحيط: 6/ 179–180. وينظر: الدر المصون: 2/ 254، واللباب: 3/ 225، والتحرير والتنوير: 23/ 44.

3 البحر المحيط: 2/ 151. وينظر: الدر المصون: 2/ 254، واللباب في علوم الكتاب: 3/ 225.

4 الإتقان في علوم القرآن: 2/ 379. وينظر: معترك الإقران: 3/ 497، والدر المصون: 2/ 254، واللباب: 3/ 225، والكليات:1/ 1014.

دلالة الرفع والنصب في المصادر، قال:((وَالرَّفع فِي بَاب المصادر الَّتِي أَصْلهَا النِّيَابَة عَن أفعالها يدل على الثُّبُوت والاستقرار بخِلَاف النصب فَانه يدل على التجدد والحدوث الْمُسْتَفَاد من عَامله الَّذِي هُوَ الْفِعْل فَإِنَّهُ مَوْضُوع للدلالة عَلَيْهِ بخِلَاف الْجُمْلَة الاسمية فَإِنَّهَا مَوْضُوعَة للدلالة على مُجَرّد الثُّبُوت مُجَردا عَن قيد التجدد والحدوث فَنَاسَبَ أَن يقْصد بهَا الدَّوَام والثبات بِقَرِينَة الْمقَام ومعونته)) [1]. كما أشار الطاهر بن عاشور إلى الفرق بين الرفع والنصب ودلالة كل منهما؛ قال في تفسير قوله تعالى:(قالوا سلاما قال سلام):((وَرَفْعُ الْمَصْدَرِ أَبْلَغُ مِنْ نَصْبِهِ، لِأَنَّ الرّفع فِيهِ تناسي مَعْنَى الْفِعْلِ فَهُوَ أَدَلُّ عَلَى الدَّوَامِ وَالثَّبَاتِ وَلِذَلِكَ خَالَفَ بَيْنَهُمَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- رَدَّ السَّلَامَ بِعِبَارَةٍ أَحْسَنَ مِنْ عِبَارَةِ الرُّسُلِ زِيَادَةً فِي الْإِكْرَامِ)) [2]. وقال في تفسيره قوله تعالى:(قال سلام قولا من رب رحيم):((وسَلامٌ مَرْفُوع فِي جَمِيع الْقِرَاءَاتِ الْمَشْهُورَةِ. وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَتَنْكِيرُهُ لِلتَّعْظِيمِ وَرَفْعُهُ لِلدَّلَالَةِ على الدَّوَام والتحقق، فَإِنَّ أَصْلَهُ النَّصْبُ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ نِيَابَةً عَنِ الْفِعْلِ،...، فَلَمَّا أُرِيدَتِ الدَّلَالَةُ عَلَى الدَّوَامِ جِيءَ بِهِ مَرْفُوعًا)) [3].

1. وأول هذه الآيات ما ورد في قوله تعالى: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً)[البقرة 138]، وقد وجه النحاة قراءة الرفع على أن صبغة خبر لمبتدأ تقديره: هي صبغة، قال الزجاج:((يجوز أن ترفع الصبغة على إضمار هي، كأنهم قالوا: هي صبغة اللّه أي هي ملة إبراهيم صبغة الله)) [4]. وذكر السمين الحلبي وجهاً اخر لرفعها وهو البدلية، قال:((وأمَّا قراءةُ الرفعِ فتحتملُ وَجْهين أحدُهما: أنَّها خبرُ مبتدأ محذوفٍ أي: ذلك الإِيمانُ صبغةُ الله. والثاني: أن تكونَ بدلاً مِنْ

---

1 الكليات: 814.

2 التحرير والتنوير: 12/ 116. وينظر فيه أيضا:12/ 239.

3 التحرير والتنوير: 23/ 44.

4 معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 1/ 215. وينظر: معاني القرآن للفراء: 1/ 83، وجامع البيان: 3/ 117، والمحرر الوجيز:1/ 216، وزاد المسير: 1/ 117، والجامع لأحكام القرآن:2 / 144، والبحر المحيط:1/ 656، والدر المصون: 2/ 142.

«مِلَّة» لأنَّ مَنْ رَفَعَ «صِبْغَة» رفع «مِلَّة» كما تقدَّم فتكونَ بدلاً منها كما قيل بذلك في قراءةِ النصبِ)) [1]. وهذه المعاني المذكورة متقاربة ففي حال كانت خبرا لمبتدأ محذوف تقديره:(هي) فان هذا الضمير سيعود إلى كلمة(ملة) وهو يؤدي إلى الوجه الثاني وهو انه بدل من ملة. غير ان القارئ يشعر بفرق بين دلالة النصب ودلالة الرفع؛ ففي الحالة يدل النصب على الحدوث فكأن فيها حثاً على الالتزام بصبغة الله، في حين يدل الرفع على الثبوت وكأنها تقرر حقيقة لا حاجة معها إلى تقدير فعل يدل على التجدد أو الفعل كالحث أو الإلزام المفهومة من دلالة النصب.

2. ومنه قوله تعالى:(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[التوبة 60]، قال الزمخشري:((فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ في معنى المصدر المؤكد، لأنّ قوله إنما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم. وقرئ فريضةٌ بالرفع على: تلك فريضة)) [2]. قال القرطبي:((قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ) بِالنَّصْبِ عَلَى الْمَصْدَرِ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ. أَيْ فَرَضَ اللَّهُ الصَّدَقَاتِ فَرِيضَةً. وَيَجُوزُ الرَّفْعُ عَلَى الْقَطْعِ فِي قَوْلِ الْكِسَائِيِّ، أَيْ هُنَّ فَرِيضَةٌ)) [3]. ومعنى النصب أنها بمعنى الفعل فهي فرض وطلب وأمر موجه إلى المسلمين بأداء الفريضة، في حين ان الرفع يدل على ان ما سبق من فرائض وحدود هي فريضة من الله.

3. ومنه في قوله تعالى:(ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (3) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)[يونس3-4]، قال الفراء:((ولو استؤنف (وعد الله حق) كَانَ

---

1 الدر المصون: 2/ 143-144.

2 الكشاف: 2/ 283. وينظر: معاني القرآن للفراء: 1/ 444، ومعاني القرآن وإعرابه: 2/ 457، والجامع لأحكام القرآن:8/ 192، وأنوار التنزيل: 3/ 86، والدر المصون: 6/ 72.

3 الجامع لأحكام القرآن: 8/ 192.

صوابًا)) [1] . وبيّن أبو حيان وجه قراءة الرفع، قال:((وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عَبْلَةَ: حَقٌّ بِالرَّفْعِ، فَهَذَا ابْتِدَاءٌ وَخَبَرُهُ أَنَّهُ انْتَهَى. وكَوْنُ حق خبر مبتدأ، وأنه هُوَ الْمُبْتَدَأُ هُوَ الْوَجْهُ فِي الْإِعْرَابِ كَمَا تَقُولُ: صَحِيحٌ أَنَّكَ تَخْرُجُ، لِأَنَّ اسْمَ أَنَّ مَعْرِفَةٌ، وَالَّذِي تَقَدَّمَهَا فِي نَحْوِ هَذَا الْمِثَالِ نَكِرَةٌ)) [2] . فهي في قراءة النصب تدل على التوكيد لأنها مصدر مؤكد لغيره من معنى مفهوم من الكلام. أما قراءة الرفع فتدل على تقرير الوعد المتضمن في الجملة السابقة والتقدير: مرجعكم إلى الله هو وعد حق من الله.

4. ومثله(وعدا عليه حقا)في قوله تعالى:(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[النحل 38]،إذ قال الفراء:((ولو كَانَ رفعًا عَلَى قوله: بَلى ذَلِكَ وعدٌ عَلَيْهِ حقٌّ كَانَ صوابًا)) [3] . ووجهه النحاس قال:((وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا مصدر. قال الكسائي والفراء : ولو قيل: وعد عليه حقّ لكان صوابا أي ذلك وعد عليه حقّ)) [4] . وقال أبو حيان:((وَقَرَأَ الضَّحَّاكُ: بَلَى وَعْدٌ حَقٌّ، وَالتَّقْدِيرُ: بَعْثُهُمْ وَعْدٌ عَلَيْهِ حَقٌّ، وَحَقٌّ صِفَةٌ لِوَعْدٍ.)) [5] . فقراءة النصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر من معنى الجملة أي وعدهم الله وعدا، وقراءة الرفع على انه خبر لمبتدأ تقديره: بعثهم وعد حق على الله تعالى. وهاتان الدلالتان تناسبان معنى التوكيد وتقرير الفكرة.

---

1 معاني القرآن للفراء: 1/ 457. وينظر: إعراب القرآن للنحاس: 2/ 140. وذكر مكي أنها لم يقرأ بها أحد مشكل إعراب القرآن: 1/ 339، والكشاف: 2/ 329، والجامع لأحكام القرآن: 8/ 308.

2 البحر المحيط: 6/ 13. وينظر: الدر المصون: 6/ 149.

3 معاني القرآن للفراء: 2/ 100.

4 إعراب القرآن للنحاس: 2/ 250.

5 البحر المحيط: 6/ 529. وينظر: الدر المصون: 7/ 219.

5. ومنه قوله تعالى:(ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ)[مريم 34]، قال الطبري:((وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامَّة قرّاء الحجاز والعراق (قَوْلُ الحَقِّ) برفع القول ،...، وجعلوه في إعرابه تابعًا لعيسى، كالنعت له، وليس الأمر في إعرابه عندي على ما قاله الذين زعموا أنه رفع على النعت لعيسى، ...، وإلا فرفعه عندي بمضمر، وهو هذا قول الحقّ على الابتداء، ...، وقد قرأ ذلك عاصم بن أبي النجود وعبد الله بن عامر بالنصب، وكأنهما أرادا بذلك المصدر: ذلك عيسى ابن مريم قولا حقا، ثم أدخلت فيه الألف واللام)) [1].

وقال الزجاج في توجيه القراءتين:((بالرفع، ويجوز (قَوْلَ الْحَقِّ) بالنصب، فمن رفع فالمعنى هو قول الحق ومن نصب فالمعنى أقول قولَ الحق الذي فيه يمترون أي يشكون)) [2]. وقد بيّن أبو حيان أن قراءة النصب وقراءة الرفع تتفقان في الدلالة، فالنصب يدل على ان قول مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله التي تتضمن الإخبار بان عيسى ابن مريم ثابت النسب إليها وليس منسوبا لغيرها، وقد تفيد هذه القراءة المدح، والرفع يدل على أن نِسْبَتَهُ إِلَى أُمِّهِ فقط؛((فَتَتَّفِقُ إِذْ ذَاكَ قِرَاءَةُ النَّصْبِ وَقِرَاءَةُ الرَّفْعِ فِي الْمَعْنَى)) [3]. وقال الطاهر بن عاشور((وقَوْلَ الْحَقِّ قَرَأَهُ الْجُمْهُورُ بِالرَّفْعِ، وَقَرَأَهُ ابْنُ عَامِرٍ، وَعَاصِمٌ، وَيَعْقُوبُ بِالنَّصْبِ فَأَمَّا الرَّفْعُ فَهُوَ خَبَرٌ ثَانٍ عَنِ اسْمِ الْإِشَارَةِ أَوْ وَصْفٌ لِعِيسَى أَوْ بَدَلٌ مِنْهُ، وَأَمَّا النَّصْبُ فَهُوَ حَالٌ مِنِ اسْمِ الْإِشَارَةِ أَوْ مِنْ عِيسَى. وَمَعْنَى قَوْلَ الْحَقِّ أَنَّ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي سَمِعْتُمْ هِيَ قَوْلُ الْحَقِّ، أَيْ مَقُولٌ هُوَ الْحَقُّ وَمَا خَالَفَهَا بَاطِلٌ، أَوْ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ قَوْلُ الْحَقِّ، أَيْ مَقُولُ الْحَقِّ، أَيِ الْمُكَوَّنُ مِنْ قَوْلِ (كُنْ) ، فَيَكُونُ مَصْدَرًا بِمَعْنَى

---

1 جامع البيان: 18/ 194.

2 معاني القرآن وإعرابه: 3/ 329.وينظر: الكشاف : 3/ 16، والمحرر الوجيز: 4/ 15، وأنوار التنزيل: 4/ 10، والدر المصون: 7/ 598، واللباب في علوم الكتاب: 13/ 62-63.

3 البحر المحيط: 7/ 260.

اسْمِ الْمَفْعُولِ كَالْخَلْقِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ) [لُقْمَان: 11])) [1]. فقراءة النصب فيها معنى المدح والتوكيد فبعد ان ذكر الله تعالى قصة ميلاد عيسى عليه السلام قال سبحانه ان المخبر والمتحدث عنه هو عيسى عليه السلام ثم مدحه أو وصف حاله بقوله: قول الحق، أي ان ذلك المتحدث عنه هو عيسى بن مريم الممدوح بكونه قول الحق الذي فيه يمترون. وفي قراءة الرفع يكون قول الحق خبرا ثانيا لاسم الإشارة فيكون المعنى ذلك المخبر عنه عيسى ابن مريم هو قول الحق [2]. وهما قراءتان متآزرتان في تحقيق الفكرة التي يريد النص الإخبار عنها.

6. ومنه(خالصة)في قوله تعالى: (وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) فقد قال الفراء:((ولو رفعت (خالصة) لك عَلَى الاستئناف كَانَ صوابًا كما قَالَ (لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاغٌ) أي: هَذَا بلاغ)) [3]. وفرّق أبو حيان بيْنَ القراءتين:((فقراءة النَّصْبِ عَلَى الْحَالِ،...،: أَيْ أَحْلَلْنَاهَا خَالِصَةً لَكَ، وَالرَّفْعُ خَبَرُ مُبْتَدَإٍ: أَيْ هِيَ خَالِصَةٌ لَكَ، أَيْ هِبَةُ النِّسَاءِ أَنْفُسَهُنَّ مُخْتَصٌّ بِكَ، لَا يَجُوزُ أَنْ تَهَبَ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا لِغَيْرِكَ)) [4]. وقراءة النصب فيها دلالة الحدوث واضحة وهي تفيد التوكيد، والوصفية عن طريق الحال، في حين تفيد دلالة الرفع الثبوت من غير اقتران بفعل الاستنكاح المذكور على تقدير مبتدأ: وهي خالصة لك. ويمكن القول -بعدُ- ان الرفع في حقيقته عدول من النصب الذي يمثل الأمر والطلب إلى الرفع الذي يمثل الإخبار، وكان الطلب سورع في تنفيذه فصار في عداد الخبر، فالمصدر المرفوع ، إذاً، أقوى في

1 التحرير والتنوير: 16/ 102.

2 ينظر: الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية العشر، رانية محفوظ الورفلي:410.

3 معاني القرآن للفراء: 2/ 345-346. وينظر: الكشاف: 3/ 551.

4 البحر المحيط : 8/ 493. وينظر: معاني القرآن وإعرابه: 4/ 232، والدر المصون: 9/ 13، واللباب في علوم الكتاب: 15/ 570، وإرشاد العقل السليم: 7/ 110.

التأكيد من المصدر المنصوب؛ لأن المنصوب طلب سيتم تنفيذه، أما المرفوع فهو خبر عن طلب تم تنفيذه واخبر عن هذا التنفيذ فصار حقيقة مفروغا منها.

السياقات الدلالية للمصادر المعقَّب بها :

أ. التعقيب المصدري بين المدح والذم: توزع مجيء المصادر المعقب بها في سياقين غالبا هما توكيد المدح، وقد كان ما جاء من تعقيب في هذا السياق أكثر شيوعا مما ورد في سياق الذم وكثيرا ما كان مضافا إلى لفظ الجلالة الله تعالى أو إلى الحق أو القوة ، مثل إضافة مصدر صنع إلى لفظ الجلالة (الله) في قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)[النمل88]، ولاشك في ان اختيار هذا المصدر جاء في غاية الفصاحة؛ ذلك ان السياق سياق مدح وتعظيم لله تعالى فناسبه استعمال هذه الكلمة، ولاسيما إذا علمنا ان الصُّنْعُ هو: إجادةُ الفعل، وان كلّ صُنْعٍ فِعْلٌ، وليس كلّ فعل صُنْعاً، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل [1]. وقد جاء هذا الاستعمال في سياق تَمْجِيد النِّظَامِ الْعَجِيبِ الذي خلقه الله تعالى إِذْ تَتَحَرَّكُ الْأَجْسَامُ الْعَظِيمَةُ مَسَافَاتٍ شَاسِعَةً وَالنَّاسُ يَحْسَبُونَهَا قَارَّةً ثَابِتَةً وَهِيَ تَتَحَرَّكُ بِهِمْ وَلَا يَشْعُرُونَ. وَوَصْفُ اللَّهِ بِالَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ تَعْمِيمٌ يراد بِهِ التذييل، أَيْ مَا هَذَا الصُّنْعُ الْعَجِيبُ إِلَّا مُمَاثِلًا لِأَمْثَالِهِ مِنَ الصَّنَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ الدَّقِيقَةِ الصُّنْعِ. وقد أكد هذا التعقيب وثبته بجُمْلَة إِنَّهُ خَبِيرٌ بما تَفْعَلُونَ التي تؤلف تَذْييلا أو اعْتِرَاضا فِي آخِرِ الْكَلَامِ لِلتَّذْكِيرِ وَالْوَعْظِ وَالتَّحْذِير، وإنما جاء بذلك عَقِبَ قَوْلِهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ لِأَنَّ إِتْقَانَ الصُّنْعِ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ سَعَةِ الْعِلْمِ فَالَّذِي بِعِلْمِهِ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُ الْخَلْقُ فجاء به تحذيرا عن مخالفة أمره [2]. وقد أشار الزمخشري إلى انه تعالى وسم هذا المصدر هنا بسمة التعظيم بإضافته إليه 3. ومثل ذلك نجده في قوله

1 ينظر: المفردات في غريب القرآن: 493.

2 ينظر: التحرير والتنوير: 20/ 51.

3 ينظر: الكشاف: 3/ 388.

تعالى:﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الروم 4-6]، فالآية الكريمة وعدٌ من الله سبحانه بالنصر وَوَعْدُ اللَّهِ لَا خُلْفَ فِيهِ[1]، لامتناع الكذب عليه تعالى. وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم[2]. ((وإِضَافَةُ الْوَعْدِ إِلَى اللَّهِ تَلْوِيحٌ بِأَنَّهُ وَعْدٌ مُحَقَّقٌ الْإِيفَاءِ لِأَنَّ وَعْدَ الصَّادِقِ الْقَادِرِ الْغَنِيِّ لَا مُوجِبَ لِإِخْلَافِهِ. وَجُمْلَةُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ بَيَانٌ لِلْمَقْصُودِ مِنْ جُمْلَةِ وَعْدَ اللَّهِ فَإِنَّهَا دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُ وَعْدٌ مُحَقَّقٌ بِطَرِيقِ التَّلْوِيحِ، فَبَيَّنَ ذَلِكَ بِالصَّرِيحِ بِجُمْلَةِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ))[3]. وقد يأتي بعد المصدر المعقب به جار ومجرور متعلق به يخصصه ويحدد فضاءه فيدل على المدح مثل:(رب رحيم) أو(من عند الله) أو(فريضة من الله) أو(من لدنا)، كما في قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾[آل عمران 198]، والآية بيان عن أن ما عِنْدَ اللَّهِ لكثرته ودوامه خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله[4]. وقد وصف هذا النزل بأنه من عند الله[5]. وَقَدْ وَعَدَهُمْ هَذَا الْجَزَاءَ عَلَى التَّقْوَى، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَنَّ النَّعِيمَ الرُّوحَانِيَّ يَكُونُ بِمَحْضِ الْفَضْلِ، وَالْإِحْسَانِ لِلْأَبْرَارِ، فَقَالَ: وَمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْكَرَامَةِ الزَّائِدَةِ عَلَى هَذَا النُّزُلِ الَّذِي هُوَ بَعْضُ مَا عِنْدَهُ[6].

ومنه قوله تعالى:﴿أُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾، فإضافة الثواب إلى الله تعالى للدلالة على انه ثواب خاص

---

1 ينظر: مفاتيح الغيب: 25/ 81، وأنوار التنزيل: 4/ 202

2 ينظر: أنوار التنزيل: 4/ 202.

3 التحرير والتنوير: 21/ 48.

4 ينظر: أنوار التنزيل: 2/ 56.

5 ينظر: مدارك التنزيل: 1/ 324.

6 ينظر: تفسير المنار: 4/ 257.

لان مصدره الله تعالى الذي يختص بقدرته وفضله [1]، قال ابن عادل:((وقوله: {مِّن عِندِ اللهِ} صفةٌ له، وهذا يدل على كون ذلك الثَّوابِ في غايةِ الشرف)) [2]. وقد أضاف الثواب إليه تعالى ليدل على أنه عظيم، لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلا كثيرا [3]. ومنه قوله تعالى:(أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[القصص 57]، قال الطاهر بن عاشور:((وَمَعْنَى مِنْ لَدُنَّا مِنْ عِنْدِنَا، وَالْعِنْدِيَّةُ مَجَازٌ فِي التَّكْرِيمِ وَالْبَرَكَةِ، أَيْ رِزْقًا قَدَّرْنَاهُ لَهُمْ إِكْرَامًا فَكَأَنَّهُ رِزْقٌ خَاصٌّ مِنْ مَكَانٍ شَدِيدِ الِاخْتِصَاصِ بِاللَّهِ تَعَالَى)) [4]. وقد يأتي المصدر المعقَّب به منوناً غيرَ مضاف، غير أن المتلقي يشعر ان فيه رائحة الإضافة إليه سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى: (إن الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (13) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[الاحقاف 13-14]، فالجزاء إنما يكون منه سبحانه. وقد وظّف النص الكريم التنوين للدلالة على التعظيم والتفخيم، كما في قوله تعالى: (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ)، قال أبو السعود عن تنوين كلمة وصية:((وتنوينُه للتفخيم ومن متعلقةٌ بمضمر وقع صفةً له مؤكدةً لفخامته)) [5]. وهذا ينطبق على تنوين(فريضة من الله) في قوله تعالى:(آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11))[النساء 10-11] أيضا؛ لان السياق واحد فيها وهو

1 ينظر: الكشاف: 1/ 457.

2 اللباب في علوم الكتاب: 6/ 129. وينظر:إرشاد العقل السليم: 2/ 134.

3 ينظر: تفسير المنار: 4/ 253.

4 التحرير والتنوير:20/ 149.

5 إرشاد العقل السليم: 2/ 153.

التشريع ووضع الأحكام التي تنظم حياة الأسرة [1]. فاستعمالها جاء مناسبا لسياق التقرير ووجوب الطاعة الذي يتطلبه النص الكريم [2].

في حين أفاد بعضها الآخر دلالة المبالغة في توكيد الذم وهو أقل من النوع الأول ومنه قوله تعالى: (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى)[النازعات 24-25]؛ وقد ناسب استعمال المصدر هنا لتوكيد دلالة التحقير الموجه إلى فرعون وإذلاله وإهانته، لأن معنى أخذه الله نَكَّلَ بِهِ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى وذلك بان أغرقه في الدنيا وسيعذبه في الآخرة [3]. و(النكال) اسم لمن جعل نكالا لغيره، وَهُوَ الَّذِي إِذَا رَآهُ أَوْ بَلَغَهُ خَافَ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلَهُ، وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ مِنَ الِامْتِنَاعِ، وَقِيلَ لِلْقَيْدِ نِكْلٌ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ، والنَّكَالُ مِنَ الْعُقُوبَةِ هُوَ أَعْظَمُها حَتَّى يَمْتَنِعَ مَنْ سَمِعَ بِهِ عَنِ ارْتِكَابِ مِثْلِ ذَلِكَ الذَّنْبِ الَّذِي وَقَعَ التَّنْكِيلُ بِهِ [4]. ومنه قوله سبحانه:(وَالْجِنُّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)، فقد جاء التعقيب بالمصدر(غرورا) هنا مناسبا غاية المناسبة لمعنى الذم الذي ترسمه الآية الكريمة لفعل الجن؛ إذ يوحي بعضهم إلى بعض الكذب من القول غرورا، أي خداعا وأخذاً على غرّة، لأنهم يغرون به المضَلّين ويوهمونهم أنهم على شيء والأمر بخلاف ذلك [5]. فالْمَغْرُورَ هُوَ الَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الشَّيْءِ انه مُطَابِقٌ لِلْمَنْفَعَةِ وَالْمَصْلَحَةِ مَعَ أَنَّهُ فِي نَفْسِهِ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَالْغُرُورُ هو امَّا أَنْ يَكُونَ عِبَارَةً عَنْ الْجَهْلِ عَيْنِه أَوْ عَنْ حَالَةٍ مُتَوَلِّدَةٍ عَنْه، ومن ثم يظهر أَنَّ تَأْثِيرَ الْأَرْوَاحِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ أَكْمَلَ وَلَا أَقْوَى دَلَالَةً عَلَى تَمَامِ الْمَقْصُودِ مِنْ قَوْلِهِ يُوحِي

---

1 ينظر: الكشاف: 1/ 486.

2 ينظر: الكشاف 1/ 484، ومفاتيح الغيب: 9/ 519.

3 ينظر: معاني القرآن وإعرابه: 5/ 280، والمفردات في غريب القرآن: 824.

4 ينظر: مفاتيح الغيب: 31/ 42، والجامع لأحكام القرآن: 19/ 203. ويُقابل بـ:حاشية الشهاب: عناية القاضي: 8/ 315، والتحرير والتنوير:30/ 81.

5 ينظر: الكشاف: 2/ 59، والمحرر الوجيز: 2/ 336.

بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً [1]. كما ورد المصدر المعقب به مستعملا في سياق تقرير فكرة من غير الدخول في مجالي المدح أو الذم، كما في قوله تعالى:(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ)، فالسياق الذي ورد فيه المصدر لايفيد مدحا ولا ذما، وإنما هو سياق تقرير فكرة مؤداها: ان كل نفس لا تموت إلا بإذن الله تعالى، فجيء بالمصدر تعقيبا على هذه الحقيقة ليؤكدها ويثبت أن الموت كتاب مؤجل، أي مؤقت له أجل معلوم لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ على تقديمه أو تأخيره [2].

ب. التعقيب المصدري بين الوصف(القصص القرآني أو الحياة الدنيا أو الآخرة) والحكم الشرعي.

وتوزعت المصادر المعقَّب بها بين ما جاء في سياق الوصف، سواء أكان يدور في القصص القرآني أو وصف الحياة الدنيا أو الآخرة، وما ورد منه في سياق توكيد التشريع الذي يتضمنه النص. ومن النوع الأول(الوصف) ما جاء في قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)، فسياق الآية الكريمة هو الوصف لا التشريع، وقد اختلف المفسرون في شأن ما تصفه الآية الكريمة أهو دنيوي؛ إذ استشهد النص على الناس بما يغشى أبصارهم فيحسبون الجبال واقفة لا تتحرك ولكنه صنع الله الذي أتقن كل شيء وهي في الحقيقة تمر مرور السحاب مسرعة، أم أنه في سياق الآخرة لوقوع الآية بين آيات الساعة التي تتكلم عن الآخرة [3]. ومنه قوله سبحانه:(فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (84) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ

---

1 ينظر: مفاتيح الغيب: 13/ 121.

2 ينظر: معالم التنزيل: 1/ 518، والكشاف: 1/ 424، ومفاتيح الغيب: 9/ 379، والتحرير والتنوير: 4/ 115.

3 ينظر: التحرير والتنوير: 20/ 47.

فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) فالآية الكريمة تصوّر لنا أن سنة الله هي الغالبة؛ إذ ينتصر أنبياؤه على أعدائه وهي تتمثل في إِرْسَالِ الرُّسُلِ وَالْإِعْزَازِ بِهِمْ، وَتَعْذِيبِ مَنْ كَذَّبَهُمْ وَاسْتِهَانَتِهِمْ وَاسْتِئْصَالِهِمْ بِالْهَلَاكِ، وَعَدَمِ الِانْتِفَاعِ بِالْإِيمَانِ حَالَةَ تَلَبُّسِ الْعَذَابِ بِهِمْ، وقيل إن سنته إشارة نصر المسلمين في وقعة بدر [1] .

ومن النوع الثاني الذي جاءت المصادر لتؤكد التشريع الذي يتضمنه النص الكريم، ما ورد في قوله سبحانه:(آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)، فالآية الكريمة تشرع للناس ما يخص المواريث وتبيّن أنه العليم والحكيم بما هو أصلح لهم. قال الفخر الرازي:((فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِشَارَةٌ إِلَى وُجُوبِ الِانْقِيَادِ لِهَذِهِ الْقِسْمَةِ الَّتِي قَدَّرَهَا الشَّرْعُ وَقَضَى بِهَا)) [2]. ومنه قوله سبحانه:(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا(7))، فالآية تبيّن ضوابط توزيع الميراث، فللذكور من أولاد الرجل الميّت حصة من ميراثه، وللإناث منهم حصة منه أيضاً، من قليل ما خلّف بعده وكثيره، حصة مفروضة، واجبة معلومة مؤقتة [3] . فَمَعْنَى كَوْنِهِ مَفْرُوضًا أَنَّهُ نصيب مُعَيَّنُ الْمِقْدَارِ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَهَذَا أَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهَذِهِ الْآيَةِ تشريع الْمَوَارِيث [4] . ومن هنا يكون مجيء المصدر نصيباً موظفاً ليؤكد ذلك ويقرره، قال الزجاج في معنى :(نصيبا مفروضا) في الآية

---

1 ينظر: الكشاف: 4/ 341، والمحرر الوجيز: 5/ 135، ومفاتيح الغيب: 28/ 81، والجامع لأحكام القرآن: 16/ 280، والبحر المحيط: 9/ 278.

2 مفاتيح الغيب: 9/ 519. وينظر: الكشاف: 1/ 484، وزاد المسير: 1/ 379.

3 ينظر: جامع البيان 7/ 597، ومعاني القرآن وإعرابه: 2/ 15، ومعالم التنزيل: 1/ 572، والكشاف: 1/ 476، ومفاتيح الغيب: 5/ 231، والجامع لأحكام القرآن: 5/ 47، وأنوار التنزيل: 2/ 61، ومدارك التنزيل: 1/ 333، والبحر المحيط: 3/ 525، وروح المعاني: 2/ 421، وإرشاد العقل السليم: 2/ 147، والتحرير والتنوير: 4/ 250.

4 ينظر: التحرير والتنوير: 4/ 250.

الكريمة:((وهذا كلام مؤكّد)) [1]. وفيه دليلٌ على أنَّ الوارثَ لو أعرض عن نصيبه لم يسقُطْ حقُّه [2].

التعقيب بمصدرين في جملة واحدة:

وفي إطار البحث في أثر التعقيب المصدري في الدلالة، لابد من الوقوف، هنا، على المصدرين (وعد الله حقًا) و(وعدًا عليه حقًا) اللذين تكررا في مواضع مختلفة، من اجل الكشف عن سبب استعمالهما معاً ودلالة هذا الاقتران؛ ومن ذلك قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا(122)) [النساء22] ويبدو من الآية الكريمة أن ذلك يعود إلى أن هذين المصدرين يؤديان دلالتين متآزرتين ومتضافرتين، فهما يؤكدان ان وعد الله بإدخال الصالحين الجنة حق، وهو ليس كوعد الشيطان ، لذلك جاء بهما معا تثبيتا لهذه الفكرة والمبالغة في توكيدها ترغيباً للعباد في تحصيل الصالحات وترك السيئات؛ إذ إن احدهما يؤكد نفسه في حين أن الآخر يؤكد غيره؛ قال الزمخشري:((وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا مصدران: الأول مؤكد لنفسه، والثاني مؤكد لغيره وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا توكيد ثالث بليغ. فإن قلت: ما فائدة هذه التوكيدات؟ قلت: معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد اللّه الصادق لأوليائه، ترغيباً للعباد في إيثار ما يستحقون به تنجز وعد اللّه، على ما يتجرعون في عاقبته غصص إخلاف مواعيد الشيطان)) [3]. فاستعمال المصدر الأول لِبَيَانِ ان وَعْده تعالى لَازِمٌ لَا يَتَخَلَّفُ [4]، اما المصدر الثاني(حَقا)، فهو في الأَصْل مَصْدَرٌ، وَلكنه استُعْمِلَ هنا استِعْمَالَ الْأَسْمَاءِ لِلشَّيْءِ

1 معاني القرآن وإعرابه: 2/ 15. وينظر: إرشاد العقل السليم: 2/ 147.

2 إرشاد العقل السليم: 2/ 147.

3 الكشاف: 1/ 567. وينظر: مفاتيح الغيب: 11/ 225، وأنوار التنزيل: 2/ 99، والتحرير والتنوير: 5/ 207.

4 ينظر: التحرير والتنوير: 14/ 155.

الثَّابِتِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَيُطْلَقُ كَثِيرًا، عَلَى الْكَامِلِ فِي نَوْعِهِ [1]. وقال أبو السعود موضحا معنى التوكيد المستفاد من المصدر الذي يؤكد معنى الجملة السابقة، قال:(((وَعْدَ اللهِ حَقًّا)مصدرانِ مؤكّدانِ الأول لنفسه والثّاني لغيرِهِ لأنَّ قولَه تعالَى لهم جنَّاتُ النَّعيمِ في معنى وعَدَهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنَّاتِ النَّعيمِ (وَهُوَ العزيز) الذي لا يغلبه شيء ليمنعه من إنجازِ وعدِهِ أو تحقيقِ وعيدِهِ)) [2]. ووضّح الطاهر بن عاشور هذا الأمر، قال:((وَانْتَصَبَ وَعْدَ اللَّهِ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ تَوْكِيدًا لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ الْمُسَاوِيَةِ لَهُ، وَيُسمى موكّدا لِنَفْسِهِ فِي اصْطِلَاحِ النُّحَاةِ لِأَنَّ مَضْمُونَ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ الْوَعْدُ بِإِرْجَاعِهِمْ إليه وَهُوَ مُفَادُ وَعْدِ اللَّهِ، وَيُقَدَّرُ لَهُ عَامِلٌ مَحْذُوفٌ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الْمُؤَكِّدَةَ لَا تَصْلُحُ لِلْعَمَلِ فِيهِ.وَالتَّقْدِيرُ: وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَعْدًا حَقًّا. وَانْتُصِبَ حَقًّا عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ الْمُؤَكِّدَةِ لِمَضْمُونِ جُمْلَةِ وَعْدَ اللَّهِ بِاعْتِبَارِ الْفِعْلِ الْمَحْذُوفِ. وَيُسَمَّى فِي اصْطِلَاحِ النُّحَاةِ مُؤَكِّدًا لِغَيْرِهِ، أَيْ مُؤَكِّدًا لِأَحَدِ مَعْنَيَيْنِ تَحْتَمِلُهُمَا الْجُمْلَةُ الْمُؤَكَّدَةُ)) [3].

الخاتمة والنتائج:

وفي الخاتمة فقد كشف البحث عن مجموعة من النتائج؛ أهمها التعريف بظاهرة التعقيب المصدري أو التعقيب بالمصدر في القرآن الكريم، وهي ظاهرة لغوية أسلوبية امتاز بها النص القرآني الكريم لم يسبق للباحثين دراستها والكشف عن ملامحها، والتعقيب هو الإتيان بالمصدر بعد الكلام لغرض توكيده وتثبيته، وهذه الظاهرة تعتمد على المصدر المؤكد لمضمون الجملة السابقة؛ لأن هذا المصدر يناسب الغرض من توكيد الكلام من غير إعادته لفظيًا، فالتعقيب المصدري هو المجيء بمصدر يردف معنى الجملة السابقة ويقويه أو يجمله؛ فلا يدخل الشك إلى ذهن المتلقي وإنما يُقْبِلُ على الكلام

---

1 ينظر: نفسه: 9/ 261.

2 إرشاد العقل السليم: 7/ 70.

3 التحرير والتنوير: 11/ 90-91.

بالقبول والموافقة؛ فهو شاهد على صدق الكلام السابق، والتعقيب المصدري بالمعنى المذكور مصطلح قال به المفسرون ولم يقل به النحويون. وقد اتضح من البحث أنَّ اعتماد النص الكريم المصدر طريقًا للتعقيب جاء بناء على ما يمتاز به المصدر من الصيغ الصرفية الأخرى، ومن ثم فقد أضفى استعمال المصدر مرونة تعبيرية على النص لأنه أدى إلى دلالات صرفية مختلفة اكتسبتها من خلال السياق، وهذا أسهم في خلق معان فنية وجمالية، انبثقت من خصائص الكلمة الصرفية للمصدر وعلاقتها بالكلمات الأخرى في الجملة. كما أنَّ التعقيب بالمصدر أغنى النص الكريم بالدلالات النحوية فقد جاء عدد من هذه المصادر محتملا لأوجه نحوية مختلفة تصب في إغناء النص بالدلالات والمعاني؛ مما يؤكد أنَّ القرآن الكريم نص معجز بلغ الغاية في البلاغة. ولما كان بعض المصادر المعقب بها قد قرئ بالرفع كما قرئ بالنصب فقد كشف البحث عن القيمة الدلالية للحالة الإعرابية لتلك المصادر بين الرفع والنصب؛ في ضوء ما قدمه العلماء من دلالة الأول على الثبوت ودلالة الثاني على الحدوث والتجدد. وقد توزعت المصادر المعقب بها بين سياقات المدح تارة عن طريق الإضافة إلى لفظ الجلالة أو تعليقه به بحرف جر، مثل: (صنع الله) (قولا من رب رحيم) أو(ثوابا من عند الله) أو(فريضة من الله) أو(رزقا من لدنا)، والذم تارة أخرى ، وهو أقل ورودا من سابقه مثل: (نكال الآخرة والأولى). وقد ورد التعقيب في بعض المواضع بمصدرين أحيانا، هما: (وعدا وحقا)، واستنتج البحث، من قراءة الآيات التي احتوت التعقيب بمصدرين، أن ذلك يعود إلى أن هذين المصدرين يؤديان دلالتين متآزرتين ومتضافرتين في تلك النصوص الكريمة.

ملحق بمواطن التعقيب في القرآن الكريم [1]

التسلسل	اسم السورة	رقم الآية	موطن التعقيب
1	البقرة	138	(فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) [البقرة:137- 138]
2	البقرة	180	(كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) [البقرة: 180]
3	البقرة	236	(لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ) [البقرة: 236]
4	البقرة	241	(وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) [البقرة: 241]
5	آل عمران	145	(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) [آل عمران:

1 اعتمدنا في هذا الملحق على الكتاب الفذ: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة، في كلامه على المفعول المطلق.

			[145
6	آل عمران	195	(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) [آل عمران: 195]
7	آل عمران	198	(لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ) [آل عمران: 198]
8	النساء	4	(وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا) [النساء: 4]
9	النساء	7	(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا) [النساء: 7]
10	النساء	11	(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ

			اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء: 11]
11	النساء	12	(وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ) [النساء: 12]
13	النساء	24	(وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء: 24]
14	النساء	92	(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء: 92]			
(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء: 95]	94	النساء	15
(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) [النساء: 122]	122	النساء	16
(أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) [النساء: 151]	151	النساء	17
(قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) [الأنعام: 31]	31	الأنعام	
(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) [الأنعام: 109]	109	الانعام	18
(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ	112	الأنعام	19

			وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) [الأنعام: 112]
20	الأنفال	4	(أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4) كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) [الأنفال: 4، 5]
21	التوبة	60	(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة: 60]
22	التوبة	111	(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: 111]
23	يونس	4	(إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) [يونس: 4]
24	يونس	103	(ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ) [يونس: 103]

25	يوسف	47	(قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ) [يوسف: 47]
26	النحل	38	(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [النحل: 38]
27	الإسراء	77	(وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا) [الإسراء: 76، 77]
28	الكهف	82	(وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) [الكهف: 82]
29	مريم	34	(ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) [مريم: 34]
30	الأنبياء	35	(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [الأنبياء: 35]
31	الأنبياء	104	(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء: 104]

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [النور: 53]	53	النور	32
(لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [النور: 63]	63	النور	33
(وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (208) ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) [الشعراء: 208، 209]	209	الشعراء	34
(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) [النمل: 88]	88	النمل	35
(وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [القصص: 57]	57	القصص	36
(الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا	6	الروم	37

			يَعْلَمُونَ) [الروم:1- 6]
38	الروم	30	(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [الروم: 30]
39	لقمان	9	(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (8) خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [لقمان: 8، 9]
40	لقمان	14	(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) [لقمان: 14]
41	الاحزاب	38	(مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) [الأحزاب: 38]
42	الأحزاب	50	(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [الأحزاب: 50]

43	الاحزاب	62	(لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (60) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (61) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) [الأحزاب: 60 - 62]
44	فاطر	42	(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا) [فاطر: 42]
45	يس	5	(يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) [يس: 1 - 5]
46	يس	58	(سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ) [يس: 58]
47	الصافات	7	(إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (6) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ) [الصافات: 6، 7]
48	ص	43	(وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [ص: 43]
49	الزمر	3	(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) [الزمر: 3]

50	الزمر	20	(لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ) [الزمر: 20]
51	غافر	85	(فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) [غافر: 85]
52	فصلت	10	(وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) [فصلت: 10]
53	فصلت	12	(فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) [فصلت: 12]
54	فصلت	28	(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (26) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (27) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) [فصلت: 26 – 28]
55	الدخان	5	(حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) [الدخان: 1 – 5]

56	الدخان		(حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (5) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [الدخان: 1 - 6]
57	الاحقاف	16	(أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) [الأحقاف: 16]
58	الفتح	23	(وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (22) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) [الفتح: 22، 23]
59	النجم	13	(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) [النجم: 11 - 14]
60	النبأ	36	(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (33) وَكَأْسًا دِهَاقًا (34) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (35) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا) [النبأ: 31 - 36]
61	النازعات	25	(فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى) [النازعات: 25]

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم.

- اتساع الدلالة في الخطاب القرآني، د. محمد نور الدين المنجد، دار الفكر- دمشق، الطبعة الأولى، 2010م.
- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة: 1974 م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم =تفسير أبي السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط، د.ت.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ – 1998 م.
- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: دراسة نظرية تطبيقية، د. عبد الحميد احمد هنداوي، عالم الكتب الحديث ودار جدارا- الأردن، ط1، 2008 م.
- إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت 338هـ)، عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ.
- إعراب القرآن المنسوب خطأً للزجاج، أبو الحسن نور الدين علي بن الحسين بن علي، جامع العلوم الأصفهاني الباقولي (ت 543هـ)، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري – القاهرة ودار الكتب اللبنانية – بيروت، الطبعة الرابعة – 1420 هـ.
- الإكسير في علم التفسير، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي (ت710هـ)، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 2009 م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات، كمال الدين الانباري (ت 577هـ)، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى 1424هـ- 2003م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل =تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى – 1418 هـ.

- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، الطبعة 1420هـ.
- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، د.ط، د.ت.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1376 هـ - 1957 م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت 616هـ)، تحقيق : علي محمد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه- مصر.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت 1031هـ)، عالم الكتب ، عبد الخالق ثروت- القاهرة، الطبعة الأولى، 1990م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (ت 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2000م.
- جامع الدروس العربية، الشيخ: مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت 1364هـ)، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الثامنة والعشرون، 1414 هـ - 1993م.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964م.

- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت 1376هـ)، دار الرشيد- دمشق ومؤسسة الإيمان- بيروت، الطبعة الرابعة، 1418 هـ .
- حاشية الشِّهابِ عَلَى تفسيرِ البَيضَاوي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفسِيرِ البَيضَاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت 1069هـ)، دار صادر – بيروت.
- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت 1206هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1417 هـ -1997م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1418 هـ - 1997م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق.
- دستور العلماء : جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق 12هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م.
- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت 471هـ)، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة 1413هـ - 1992م
- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت 1127هـ)، دار الفكر – بيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني= تفسير الالوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي (ت1270هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ.

- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، 1395 هـ - 1975م.
- السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت 303هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، 1406 – 1986.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت 769هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، الطبعة العشرون 1400 هـ - 1980م .
- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك(ت686ه)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية-بيروت،الطبعة الأولى، 2000.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (ت 900هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى 1419هـ- 1998م.
- شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي(ت686ه)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط2، 2007.
- شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي(ت643ه)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 2001.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1418هـ- 1997م.
- الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – لبنان، الطبعة الثانية، د.ت.
- الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية العشر، رانية محفوظ الورفلي، منشورات جامعة قاريونس- ليبيا، الطبعة الأولى، 2008م.

فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1422هـ - 2002م.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية، تحقيق لجنة التراث، مكتبة الهلال – بيروت، د.ط، د.ت.

القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، الدكتور سعدي أبو حبيب، دار الفكر- دمشق – سورية، الطبعة الثانية 1408 هـ - 1988م.

القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، 1426 هـ - 2005م.

كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى 1403هـ -1983م.

الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408 هـ - 1988م.

كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - 1407 هـ .

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ -1998م.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت 711هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة - 1414 هـ.

مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت 209هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي – القاهرة، طبعة سنة: 1381 هـ.

- محاسن التأويل=تفسير القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبعة 1420هـ- 1999م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ.
- مختصر في قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم- دار ابن عفان، الطبعة الأولى ،2005م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب- بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- المسند الصحيح المختصر ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت 437هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، 1405.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 510هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، 1420 هـ.
- معاني الأبنية، د. فاضل السامرائي، بغداد، ط1.
- معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت 215هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1990م.

- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت 207هـ)،تحقيق: أحمد يوسف النجاتي و محمد علي النجار و عبد الفتاح إسماعيل الشلبي،الدار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت 311هـ)، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م.
- معاني النحو، د. فاضل السامرائي، مطبعة الجامعة، ط1.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- دمشق، 1399هـ - 1979م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - 1420 هـ .
- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى، 1993.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى - 1412 هـ .
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ، الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، (ت790ه)، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين وزملائه، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي- جامعة أم القرى مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 2007.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي المعروف بالمبرد (ت 285هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب- بيروت.
- الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت 1417هـ)، دار الفكر - بيروت – لبنان، الطبعة : 1424هـ - 2003م.
- النحو الوافي، عباس حسن (ت 1398هـ)، دار المعارف،الطبعة الخامسة عشرة.

- النكت في تفسير كتاب سيبويه، يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري (ت476ه)، تحقيق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 2005.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر.

الابْتِكَارُ اللُّغَوِيُّ في الخِطَابِ القُرْآنِي عِنْدَ الطَّاهِرِ بْنِ عَاشُور

دِرَاسَةٌ في المَفْهُومِ وَالمَرْجِعِيَّاتِ

الحمد لله رب العالمين على عظيم نعمه، والصلاة والسلام على أحسن خلقه سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين..

يعالج هذا البحث موضوعة لغوية نقدية تجلت في فكر الشيخ الطاهر بن عاشور الذي يعد من أهم مفسري القرآن الكريم في القرن العشرين، وهي نظرية الابتكار في لغة القرآن الكريم، ولأجل الكشف عن ملامح هذه النظرية ومعالمها الرئيسة، انقسم البحث على ثلاثة محاور، عرَّفتُ في المحور الأول بالشيخ الطاهر بن عاشور تعريفًا موجزًا، ودرستُ في المحور الثاني مفهومَ الابتكار عند الشيخ الطاهر، وتناولتُ في المحور الثالث مظاهرَ الابتكار اللغوي في القرآن الكريم كما تجلَّتْ في تفسير التحرير والتنوير، والتي تمثلت بنوعين؛ ضمَّ النوعُ الأول صورَ الابتكار اللغوي العامة في القرآن الكريم، في حين ضمَّ النوع الثاني صورَ الابتكار اللغوي الخاصة، ثم ختمتُ البحثَ بخاتمةٍ اشتملتْ على أهمِّ ما توصَّل إليه البحث.

وُلِد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في الزيتونة بتونس سنة (1879م)، في أسرة علمية عريقة تمتد أصولها إلى بلاد الأندلس [1]. وحفظ الطاهر القرآن الكريم، وتعلم اللغة الفرنسية، والتحق بجامع الزيتونة سنة (1892م) وهو في الرابعة عشرة من عمره، فدرس العلوم التي تدرس في الزيتونة ونبغ فيها، وأظهر همة عالية في التحصيل، وساعده على ذلك ذكاؤه النادر والبيئة العلمية الدينية التي نشأ فيها. تخرج الطاهر في

1 ينظر: المعجم الجامع في تراجم المعاصرين : 129.

الزيتونة عام (1896م) ، والتحق بسلك التدريس في هذا الجامع العريق، ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى عين مدرسًا من الطبقة الأولى بعد اجتياز اختبارها سنة (1903م) [1].
وقد اختير ابن عاشور في لجنة إصلاح التعليم الأولى بالزيتونة في (1910م) ، وكذلك في لجنة الإصلاح الثانية (1924م) ، ثم اختير شيخا لجامع الزيتونة في (1932م) ، كما كان رئيس المفتين المالكيين. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة [2]؛ من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) وتفسير(التحرير والتنوير)، و(الوقف وآثاره في الإسلام) و(أصول الإنشاء والخطابة) و(موجز البلاغة)، ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) في أربعة أجزاء. كما كان له إسهامه العلمي والثقافي في المجلات [3].

أحدثت آراؤه نهضة في علوم الشريعة والتفسير والتربية والتعليم والإصلاح، وكان لها أثرها البالغ ؛ فقد كان الطاهر بن عاشور عالما مصلحا مجددا، لا يستطيع الباحث في شخصيته وعلمه أن يقف على جانب واحد فقط، إلا أن القضية الجامعة في حياته وعلمه ومؤلفاته هي التجديد والإصلاح من خلال الإسلام وليس بعيدا عنه، ومن ثم جاءت آراؤه وكتاباته ثورة على التقليد والجمود وثورة على التسيب والضياع الفكري والحضاري [4].

يعد الطاهر بن عاشور من كبار مفسري القرآن الكريم في العصر الحديث، ولقد احتوى تفسيره 'التحرير والتنوير' على خلاصة آرائه الاجتهادية والتجديدية؛ إذ استمر في هذا التفسير ما يقرب من خمسين عاما، وأشار في بدايته إلى أن تفسيره احتوى أحسن ما في التفاسير، وأحسن مما فيها ، قال:((فَفِيهِ أَحْسَنُ مَا فِي التَّفَاسِيرِ، وَفِيهِ أَحْسَنُ مِمَّا فِي

1 ينظر: نفسه : 129.
2 ينظر: الأعلام: 6/ 174، والوفيات والأحداث: 209.
3 ينظر: الأعلام: 6/ 174، والوفيات والأحداث: 209.
4 ينظر: المعجم الجامع في تراجم المعاصرين : 130.

التَّفَاسِيرِ)) [1]. وتفسير التحرير والتنوير في حقيقته تفسير بلاغي، اهتم فيه بدقائق البلاغة في كل آية من آياته، وأورد فيه بعض الحقائق العلمية ولكن باعتدال ودون توسع أو إغراق في تفريعاتها ومسائلها [2].

وقد توفي الطاهر بن عاشور سنة (1973م) بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي والإصلاح الفكري والتربوي والتجديد [3].

مفهوم الابتكار عند الشيخ الطاهر:

خصص الطاهر بن عاشور في الجهة الثالثة من الجهات التي يرجع إعجاز القرآن إليها جزءا من حديثه لما اصطلح عليه بـ(مبتكرات القرآن)، وقد ذكر فيه مجموعةً من تلك المبتكرات اللغوية القرآنية، وفيه تحدَّث عن بعض الأساليب المبتكرة الرئيسة مما تنطوي تحته صور جزئية وأمثلة فرعية يمكن لمن أراد ان يلتمس نظائرها في القرآن الكريم الرجوع إليها، وقد كشف الشيخ الطاهر عن عدد من تلك الأساليب-أو كما عبر عنها هو بالطرائق المبتكرة في التعبير- في تفسيره ، وسيقف البحث هنا على مفهوم الابتكار والمبتكر عند الطاهر بن عاشور؛ من اجل تحديد الرؤية التي سار بهديها في معالجته للموضوع، لغرض معرفة المعيار الذي في ضوئه جعل من ذلك اللفظ أو التركيب مبتكرا، ثم سيعرض البحث لأهم الأساليب والألفاظ التي وصفها الطاهر بن عاشور بالابتكار اللغويّ. وقبل البدء بما قررناه لابد من الإشارة إلى أنَّ الدافعَ الذي وجَّه الشيخَ الطاهرَ إلى هذه الفكرة هو هاجسُ إضافةِ شيءٍ جديدٍ في ميدان البحث في الإعجاز القرآني عامة واللغوي منه خاصة، وهذا ما يمكن أنْ نلمسَه في قوله عن المقدمة التي كتبها عن الإعجاز:((وَلَعَلَّكَ تَجِدُ فِي هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ أُصُولًا وَنُكَتًا أَغْفَلَهَا مَنْ تَقَدَّمُوا مِمَّنْ

1 ينظر: التحرير والتنوير: 1/ 8.

2 ينظر: المعجم الجامع في تراجم المعاصرين: 130.

3 المعجم الجامع في تراجم المعاصرين: 130.

تَكَلَّمُوا فِي إِعْجَازِ القرآن مِثْلَ الْبَاقِلَّانِيِّ، وَالرُّمَّانِيِّ، وَعَبْدِ الْقَاهِرِ، وَالْخَطَّابِيِّ، وَعِيَاضٍ، وَالسَّكَّاكِيِّ، فَكُونُوا مِنْهَا بِالْمِرْصَادِ، وَافْلُوا عَنْهَا كَمَا يُفْلَى عَنِ النَّارِ الرَّمَادُ)) [1]. فهو ينطلق في عمله في تلك المقدمة من البحث عما أغفله المتقدمون ممن تكلموا في الإعجاز القرآني، كما قال في موضع آخر:((غَيْرَ أَنِّي ذَاكِرٌ هُنَا أُصُولًا لِنَوَاحِي إِعْجَازِهِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَبِخَاصَّةٍ مَا لَمْ يَذْكُرْهُ الْأَئِمَّةُ أَوْ أَجْمَلُوا فِي ذِكْرِهِ)) [2]. واهتمامه هذا بالإعجاز يعود إلى إيمانه بأنَّ القرآنَ الكريمَ هو المعجزةُ الكبرى للرسول محمد(صلى الله عليه وآله وسلَّم) وأنها مُعجزةٌ باقيةٌ خالدة [3]. فلا بدَّ لها من أنْ تتميز من غيرها، ومرجع هذا التميّز وسرّ هذا الإعجاز هو نظم القرآن على نحوٍ يفوقُ كلَّ النصوص السابقة ويُعْجِزُ كلَّ مَن أرادَ أنْ يدانيَه مِن أصحاب النصوص اللاحقة. وقد كَشَفَ عن أهمية خُصوصية النصّ القرآنيّ في كونِه مُعجزاً بقوله:((وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا شَكَّ فِي أَنَّ خُصُوصِيَّاتِ الْكَلَامِ الْبَلِيغِ وَدَقَائِقَهُ مُرَادَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى فِي كَوْنِ القرآن مُعْجِزًا وَمَلْحُوظَةٌ لِلْمُتَحَدَّيْنَ بِهِ عَلَى مِقْدَارِ مَا يَبْلُغُ إِلَيْهِ بَيَانُ الْمُبِينِ)) [4]. إنَّ تفكير الشيخ الطاهر في خصوصيات النصّ القرآني المؤدية إلى اتصافه بصفة الإعجاز قاده إلى البحث في ما وسمه بـ:(الجهة الثانية من جهات الإعجاز) المتمثلة بما أبدعه القرآن الكريم من أساليب تعبيرية جديدة ليس للعرب، في شعرهم أو نثرهم، تَصرُّفٌ بها؛ قال:((وَأَمَّا الْجِهَةُ الثَّانِيَةُ: وَهِيَ مَا أَبْدَعَهُ القرآن مِنْ أَفَانِينِ التَّصَرُّفِ فِي أَسَالِيبِ الْكَلَامِ الْبَلِيغِ وَهَذِهِ جِهَةٌ مَغْفُولَةٌ مِنْ عِلْمِ الْبَلَاغَةِ، فَاعْلَمْ أَنَّ أَدَبَ الْعَرَبِ نَوْعَانِ شِعْرٌ وَنَثْرٌ، وَالنَّثْرُ خَطَابَةٌ وَأَسْجَاعُ كُهَّانٍ، وَأَصْحَابُ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ وَإِنْ تَنَافَسُوا فِي ابْتِكَارِ الْمَعَانِي وَتَفَاوَتُوا فِي تَرَاكِيبِ أَدَائِهَا فِي الشِّعْرِ فَهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأُسْلُوبِ قَدِ الْتَزَمُوا فِي أُسْلُوبَيِ الشِّعْرِ وَالْخَطَابَةِ طَرِيقَةً وَاحِدَةً تَشَابَهَتْ فُنُونُهَا

---

1 التحرير والتنوير: 1/ 101-102.

2 نفسه: 1/ 106.

3 ينظر: نفسه: 1/ 102.

4 نفسه: 1/ 108.

فَكَادُوا لَا يَعْدُونَ مَا أَلْفُوهُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى إِنَّكَ لَتَجِدُ الشَّاعِرَ يَحْذُو حَذْوَ الشَّاعِرِ فِي فَوَاتِحِ الْقَصَائِدِ وَفِي كَثِيرٍ مِنْ تَرَاكِيبِهَا،....، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي خُطَبِهِمْ تَكَادُ تَكُونُ لَهْجَةً وَاحِدَةً وَأُسْلُوبًا وَاحِدًا)) [1]. وفي خضمِّ بحثه عن الاختلاف والتمايز بين القرآن الكريم وكلام العرب: شعره ونثره انبثقتْ عنده- في أغلبِ الظن- فكرةُ الابتكارِ القرآنيِّ، ومن ثمَّ فهو يقرر أنَّ القرآنَ الكريمَ جاء على أسلوبٍ لغويٍّ لا يُعَدُّ من الشعر، وهو قريبٌ من النثر ولكنه مُتميزٌ منه بما ابتكره من أساليب، قال:((فَلَمَّا جَاءَ القرآن وَلَمْ يَكُنْ شِعْرًا وَلَا سَجْعَ كُهَّانٍ، وَكَانَ مِنْ أُسْلُوبِ النَّثْرِ أَقْرَبَ إِلَى الْخَطَابَةِ، ابْتَكَرَ لِلْقَوْلِ أَسَالِيبَ كَثِيرَةً بَعْضَهَا تَتَنَوَّعُ بِتَنَوُّعِ الْمَقَاصِدِ، وَمَقَاصِدُهَا بِتَنَوُّعِ أُسْلُوبِ الْإِنْشَاءِ، فِيهَا أَفَانِينُ كَثِيرَةٌ فَيَجِدُ فِيهِ الْمُطَّلِعُ عَلَى لِسَانِ الْعَرَبِ بُغْيَتَهُ وَرَغْبَتَهُ)) [2]. وهكذا أخذتْ فكرةُ الابتكارِ اللغويِّ تترسخ في فكرِ الشيخ الطاهر بن عاشور؛ فأخذ يَرسمُ ملامحَها في القرآن الكريم شيئًا فشيئًا، مُبينًا مرةً أخرى أنَّه كلامٌ منثورٌ فاقَ ما جاء من النثر على ألْسِنة الفصحاء والبلغاء وأنَّ لمجيئه منثورًا غاية إعجازية مُتمثلة في أنَّه جاء بشكل تعبيريٍّ مألوف لمن أرسِلَ إليهم، قال: ((فَجَاءَ القرآن كَلَامًا مَنْثُورًا وَلَكِنَّهُ فَاقَ فِي فَصَاحَتِهِ وَسَلَاسَتِهِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَتَوَافُقِ كَلِمَاتِهِ وَتَرَاكِيبِهِ فِي السَّلَامَةِ مِنْ أَقَلِّ تَنَافُرٍ وَتَعَثُّرٍ عَلَى الْأَلْسِنَةِ. فَكَانَ كَوْنُهُ مِنَ النَّثْرِ دَاخِلًا فِي إِعْجَازِهِ)) [3]. وعلى الرغم من أنَّ القرآنَ الكريمَ جاء منثورًا -كما هو شأنُ كلامهم - إلَّا أنَّه بَقِيَ مُعجِزًا لهم في الوقت نفسه؛ لأنه ابتكر أساليب لم يسبق لهم أنْ عرفوها، ولم يكتفِ الطاهرُ بهذا، بل راحَ يُعلِّلُ سببَ هذا التنويعِ في استعمالِ القرآنِ الكريم أساليبَ عرفتها ألْسِنةُ فصحائهم مرةً، واستعمال أساليبَ أُخر لم يعرفوها مرةً أخرى، قال:((وَقَدِ اشْتَمَلَ القرآن عَلَى أَنْوَاعِ أَسَالِيبِ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ، وَابْتَكَرَ أَسَالِيبَ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهَا. وَإِنَّ لِذَلِكَ التَّنْوِيعِ حِكْمَتَيْنِ دَاخِلَتَيْنِ فِي الإعجاز: أولا هما ظُهُورُ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِذْ قَدْ

1 التحرير والتنوير: 1/ 113-114.

2 نفسه: 1/ 114.

3 نفسه: 1/ 115.

تَعَارَفَ الْأُدَبَاءُ فِي كُلِّ عَصْرٍ أَنْ يَظْهَرَ نُبُوغُ نَوَابِغِهِمْ عَلَى أَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ كُلٌّ يُجِيدُ أُسْلُوبًا أَوْ أُسْلُوبَيْنِ. الثَّانِيَة أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ زِيَادَة التحدي المتحدّين بِهِ بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ إِنَّ هَذَا الْأُسْلُوبَ لَمْ تَسْبِقْ لِي مُعَالَجَتُهُ وَلَوْ جَاءَنَا بِأُسْلُوبٍ آخَرَ لَعَارَضْتُهُ)) [1]. ومما سبق نرى أن فكرة الابتكار اللغويِّ في الخطابِ القرآنيِّ ارتبطت بالبحث في الإعجاز وإليه تعود ومنه انبثقتْ وتبلورتْ، فهي وجهٌ من وجوهِه ومَلْمَحٌ من مَلامحِه تؤكِّدُ حقيقةَ أنَّ القرآنَ مُعجِزٌ وأنَّ هذا الإعجازَ مُستَمِرٌ على تعاقب السنين، ومن ثَمَّ، فهو ليس من نتاج البشر؛ لأنَّه جاء بأساليبَ جديدةٍ ومبتكرةٍ، ليست مِن وسْع إنسانٍ مَهْمَا بلَغَتْ فَصَاحَتُهُ وعَلا كَعْبُهُ في البَلاغة. فهو يَرَى أنَّ النصَّ القرآنيَّ مُتفَرِّدٌ بِجِدَّةِ أُسْلُوبِه وتعدُّدِ دلالاتِه ووَفْرَتِها وأنَّ هذا أمرٌ لم تألَفْهُ العَرَبُ في كلامِها، ولعلَّ مِن أوضحِ الإشاراتِ إلى ذلك ما نجده في قوله:((إِنَّ نَظْمَ القرآن مَبْنِيٌّ عَلَى وَفْرَةِ الْإِفَادَةِ وَتَعَدُّدِ الدَّلَالَةِ، فَجُمَلُ القرآن لَهَا دَلَالَتُهَا الْوَضْعِيَّةُ التَّرْكِيبِيَّةُ الَّتِي يُشَارِكُهَا فِيهَا الْكَلَامُ الْعَرَبِيُّ كُلُّهُ، وَلَهَا دَلَالَتُهَا الْبَلَاغِيَّةُ الَّتِي يُشارِكُهَا فِي مُجْمَلِهَا كَلَامُ الْبُلَغَاءِ وَلَا يَصِلُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِمْ إِلَى مَبْلَغِ بَلَاغَتِهَا. وَلَهَا دَلَالَتُهَا الْمَطْوِيَّةُ وَهِيَ دَلَالَةُ مَا يُذْكَرُ عَلَى مَا يُقَدَّرُ اعْتِمَادًا عَلَى الْقَرِينَةِ، وَهَذِهِ الدَّلَالَةُ قَلِيلَةٌ فِي كَلَامِ الْبُلَغَاءِ وَكَثُرَتْ فِي القرآن مِثْلَ تَقْدِيرِ الْقَوْلِ وَتَقْدِيرِ الْمَوْصُوفِ وَتَقْدِيرِ الصِّفَةِ،...، وَهَذِهِ الدَّلَالَةُ لَا تَتَأَتَّى فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لِقِصَرِ أَغْرَاضِهِ فِي قَصَائِدِهِمْ وَخُطَبِهِمْ بِخِلَافِ القرآن، فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ قَبِيلِ التَّذْكِيرِ وَالتِّلَاوَةِ سَمَحَتْ أَغْرَاضُهُ بِالْإِطَالَةِ، وَبِتِلْكَ الْإِطَالَةِ تَأَتَّى تَعَدُّدُ مَوَاقِعِ الْجُمَلِ وَالْأَغْرَاضِ)) [2]. فكلامُه في هذا النصِّ يكشفُ عن توجّهه إلى الموازنة بين النصِّ القرآنيِّ وكلامِ العربِ للوقوفِ على خصائص تفرّدِه وإعجازِه، فهو يرى أنَّ النصَّ القرآنيَّ على الرغم من اشتراكه في أشياءَ مع كلام العرب إلا أنّه في الوقت نفسه مختلف في وفرة دلالاته وقوة بلاغتِه التي لا يصل إليها كلامُ العربِ على الرغم مِن فصاحتِه، وكثرةِ

1 نفسه: 1/ 115.

2 نفسه: 1/ 110.

حذوفه مما يكسبه عمقا في الدلالة وسعة فيها، وان هـذا إنمـا جـاء لمـا أراده الله سـبحانه وتعالى لكتابه من ان يكون كتابـا للتـذكير والـتلاوة. إنَّ فكـرةَ اسـتمرارِ إعجـازِ القـرآنِ الكريمِ، على الرغم من تقادُمِ العصور التي أُنزِل فيها، فكرةٌ تبنَّاهَـا بعـضُ العلمـاء مـن السابقين، كما في نَقْل الزركشيِّ عن حازم القرطاجني: ((وقال حازم في منهـاج البلغـاء: وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصـاحة والبلاغـة فيـه في جميـع أنحائهـا في جميعه استمرارا لا يوجد له فترة، ولا يقدِرُ عليه أحـد مـن البشـر. وكـلام العـرب ومَـنْ تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميـع أنحائهـا في العـالي منـه إلا في الشـيء اليسير المعدود، ثم تعترض الفترات الإنسانية، فينقطع طيب الكلام ورونقهُ، فـلا تسـتمر لذلك الفصاحة في جميعه، بل توجد في تفاريق وأجزاء منه)) [1].

يستند مفهومُ الابتكارِ في اللغة القرآنية عند الشيخ الطاهر بن عاشـور، إلى المعنـى اللغوي للفظ (الابتكار)؛ فهو مأخوذ من الفعل الثلاثي المجرد (بكر)، ويبدو مـن العـودة إلى المعجمات العربية أنَّ دلالتَه تَرتبطُ بالأولِ من كلِّ شيء، وقد يكونُ هذا المعنى أُطلـقَ أولَ الأمرِ على ما هو ماديّ كإطلاقِ اسمِ البِكْر على الطفلِ الأولِ، وعلى المرأة العـذراء التي لم يَمْسَسْها رجـل، كمـا يُطْلِقونـه علـى أولِ النهـارِ، إذ يسـمونه (بُكْـرة)، ويسـمون الخروج فيه بالإبكار، قال الخليل:((البَكْرُ من الإبل: ما لم يبزل بعد، والأنثى بَكْرة،....، والبِكْرُ: التي لم تمس من النساء بعد. والبِكرُ: أول ولد الرجل غلاماً كان أو جاريـة،....، والبكرُ من كل شيء: أوله ،....، والتَّبكيرُ والبُكور والابتكار: المضـي في ذلـك الوقـت. والإبكارُ: السيرورة فيه)) [2]. وأضاف ابن دريد أن البكر هو((الفَـتِيُّ مـن الْإِبِـل وَجمعـه: بِكارٌ، وبِكَارةٌ. وَقَالَ أَبو الهيثمِ: العربُ تسمِّي الَّتِي ولدت بَطنا وَاحِدًا بِكْراً بولدِها الَّـذِي

1 البرهان في علوم القرآن: 2/ 101، وينظر: الإتقان في علوم القرآن: 4/ 10، ومعترك الأقران : 1/ 24، وأسرار ترتيب القرآن: 22، وملحق منهاج البلغاء: 389-390.

2 العين: 5/ 364 – 365. وينظر: جمهرة اللغة: 1/ 326، والصحاح: 2/ 596-597، ولسان العرب: 4/ 76، والمصباح المنير: 1/ 58، والقاموس المحيط: 353-354.

ئبتكِرُ بِهِ. ويُقَال لَهَا أَيْضا بِكْرٌ مَا لم تَلد... والبُكْرَةُ من الغَـدَاة تُجمـع بُكـراً وأبكـاراً...، والبُكورُ، والتبكيرُ: الْخُرُوج فِي ذَلِـك الْوَقْـت. والإبكـارُ: الـدُّخول فِـي ذَلِـك الْوَقْـت، وَيُقَال: باكَرْتُ الشَّيْء إِذا بكَّرْتَ لَهُ... وَفِي حَدِيث آخر: (مَنْ بَكَّرَ يـوْمَ الجُمعـةِ وابتكـر فلهُ كذَا) [1] فَمَعْنَى بَكَّرَ: خرج إِلَى الْمَسْجِد باكِراً، وَمعنى ابتَكرَ: أدركَ أول الخُطبة. وَقَالَ أَبُو سعيد فِي قَوْله: من بكر وابتكر إِلَى الْجُمُعَة، تَفْسِيره عندنَا: من بكر إِلَى الْجُمُعَة قبل الْأَذَان، وَإِن لم يأتها باكراً فقد بكَّر، وَأما ابتكارها فَأن تـدركَ أول وَقتهَـا)) [2]. وبـيَّنَ ابـنُ فارس أنَّ (بكر) أصلٌ واحدٌ يتفرَّعُ إلى معانٍ، وهذا الأصلُ يدلُّ على أول الشيء وبُدُوّه، ومِن معانيه:((الْبُكْرَةُ وَهِيَ الْغَدَاةُ، وَالْجَمْعُ الْبُكَرُ. وَالتَّبْكِيرُ وَالْبُكُورُ وَالِابْتِكَـارُ: الْمُضِـيُّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ)) [3]. وقـال ابـن منظـور: ((وَقَـدِ ابْتَكَـرْتُ الشـيءَ إِذا اسْـتَوْلَيْتُ عَلَـى بَاكُورَتِهِ. وابْتَكَرَ الرجلُ: أَكل باكُورَةَ الْفَاكِهَةِ ،...، وَكُلُّ مَنْ أَسـرع إِلى شَـيْءٍ، فَقَـدْ بَكَّـرَ إِليه. وابْتَكَرَ: أَدرك الخُطْبَةَ مِنْ أَوّلها، وَهُوَ مِنَ الْبَاكُورَةِ. وأَوَّلُ كُـلِّ شَـيْءٍ: باكُورَتُـه.....، وَفِي الْحَدِيثِ:(كَانَتْ ضَرَبَاتُ عَلِيٍّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَبْكـاراً إِذا اعْتَلَـى قَـدَّ وإِذا اعْتَـرَضَ قَطَّ) ؛ وَفِي رِوَايَةٍ:(كَانَتْ ضَرَبَاتُ عَلِيٍّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُبْتَكَرَاتٍ لَا عُوناً) [4] أَي أَن ضَرْبَتَهُ كَانَـتْ بِكـراً يَقْتُـلُ بِوَاحِـدَةٍ مِنْهَـا لَـا يَحْتَـاجُ أَن يُعِيـدَ الضَّـرْبَةَ ثَانِيًـا)) [5]. وقـال الفيروزابادي:((وبَكَرَ عليه، وإليه، وفيه بُكوراً، وبَكَّرَ وابْتَكَرَ وأبْكَرَ، وباكَرَهُ: أتـاهُ بُكْـرَةً،

---

1 في: مسند أحمد: 26/ 83، بلفظ اخر، فيه: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فَغَسَّلَ أَحَدُكُمْ رَأْسَهُ، وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ غَدَا أَوْ ابْتَكَرَ، ثُمَّ دَنَا فَاسْتَمَعَ، وَأَنْصَتَ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ خَطَاهَا، كَصِيَامِ سَنَةٍ، وَقِيَامِ (2) سَنَةٍ". وفي: المعجم الكبير للطبراني 1/ 216 : عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ غَدَا، أَوْ رَاحَ، أَوِ ابْتَكَرَ، ثُمَّ دَنَا وَأَنْصَتَ وَاسْتَمَعَ، كَانَ لَهُ بِقَدْرِ كُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا كَأَجْرِ قِيَامِ سَنَةٍ، وَصِيَامِ سَنَةٍ"

2 تهذيب اللغة: 10/ 127-128.

3 مقاييس اللغة: 1/ 287.

4 الحديث بهذا اللفظ في: غريب الحديث للخطابي: 3/ 321،وغريب الحديث لابن الجوزي: 1/ 84،والنهاية في غريب الحديث والأثر: 1/ 149.

5 لسان العرب: 4/ 77- 81.

وكُلُّ مَنْ بادَرَ إلى شيءٍ: فقد أَبْكَرَ إليه في أيّ وقتٍ كان. وبَكُرٌ وبَكِرٌ: قَوِيٌّ على البُكورِ)) [1]. وفي تاج العروس:(((و) من الْمجاز: (ابْتَكَرَ) الرجلُ، إذا (أَدْرَكَ أَوّلَ الخُطْبَةِ). وعبارةُ الأساس: وابْتَكَرَ الخُطْبَةَ: سَمِعَ أَوّلَهَا؛ وَهُوَ مِن الباكُورة. (و) من الْمجَاز: ابْتَكَرَ، إذا (أَكَلَ باكُورَةَ الفاكهةِ) ، وأصلُ الابتكارِ الاستيلاءُ على باكُورةِ الشَّيْءِ.وأوّلُ كلِّ شيْءٍ: بكُورَتُه)) [2]. ويبدو مِن كلامِ الشيخِ الطاهرِ بن عاشور أنّه يشترط في المبتكر القرآنيّ أنْ يكونَ أولُ استعمالِه في القرآنِ الكريم، أي أنْ لا يكون واردًا في شعر العرب أو نثرهم قبلَ الإسلام ولذلك نجده يؤكد أنّه لم يجد نظائرَ لهذا المبتكر في كلام العرب، قال:((وَلَمْ أَظْفَرْ، فِيمَا حَفِظْتُ مِنْ غَيْرِ القرآن، بِأَنَّهَا كَانَتْ مُسْتَعْمَلَةً عِنْدَ الْعَرَبِ، فَلَعَلَّهَا مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن)) [3]. وقال: ((وَلَمْ يَذْكُرُوا مِنْهُ شَيْئًا وَقَعَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَهُوَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن)) [4]. وسنقف في البحث على عبارات أخرى مشابهة تؤكد هذا الفهم. ومن المهم أن نذكر أنَّ ما وسَمه الشيخُ الطاهرُ بالابتكارِ مُتنوعٌ من حيث البنية، كما أنَّ الأسبابَ التي تؤدي إلى هذا الوصفِ مختلفةٌ هي الأخرى؛ فقد يكونُ لفظًا مفردًا نَقَلَ القرآنُ الكريمُ دلالتَه إلى دلالةٍ جديدةٍ غيرِ مسبوقةٍ في كلامِ العرب، وقد يكون عبارةً غيرَ مستعملةٍ سابقًا ولها دلالةٌ جديدة أيضا، أو أنها مستعملة على نحوٍ فنيّ وبلاغيّ لم يَسْبق للعرب أن عرفته، كما في بعض الأمثلة التي سنقف عليها وكما في بعض الأمثال القرآنية التي رأى الشيخ الطاهر أنّها مما لم يعهده العرب، وقد يكون جملةً موجزةً ذات دلالة حَكمية جامعة تجري مَجرى المثل. ولا بدَّ مِن الإشارةِ هنا إلى أنَّ الابتكارَ من المصطلحات التي تُستعمل في ميدانِ النقد الأدبي، ويحيل غالبا على ما لا يمكن تقليده، بل إنَّ الابتكارَ والتقليدَ عند بعض المختصين بالنقد الأدبيّ طَرَفا

---

1 القاموس المحيط: 353-354، وتاج العروس: 10/ 236.

2 تاج العروس: 10/ 241- 246. وينظر: أساس البلاغة: 1/ 72، والمغرب في ترتيب المعرب: 340.

3 التحرير والتنوير: 4/ 83.

4 نفسه: 17/ 62.

نقيض [1]. ويمتاز النصُّ الذي يتصف بالابتكار أو الاختراع بالأصالة التي تنتج من توافر عنصرين هما عمق الإحساس – وهذا يكون في ميدان الشعر طبعًا- والعنصر الثاني استقلال التعبير وتميزه [2]. وفي ضوء المنهج الذي اتخذه الشيخ الطاهر لعرض موضوع المبتكرات اللغوية في القرآن الكريم وطريقته في تناولها يمكننا ان نقسم مظاهر الابتكار في اللغة القرآنية –كما فهمها الشيخ الطاهر- على قسمين، وسنقوم بعرضهما على النحو الآتي:

القسم الأول: وفيه عالج مجموعة من الأساليب اللغوية التي يمكن أن نصفها بالعامة، لأنها مبتكرات تعمُّ أسلوب القرآن جميعه ولا تخصّ لفظاً منه بعينه أو آيةً محددة أو نصًا مخصوصًا، وهذا الأمر نابع- كما سبقت الإشارة – مِن توجُّهِهِ، إلى جَمْعِ كلِّ ما يؤيدُ قضيةَ الإعجازِ اللغويِّ للقرآنِ الكريمِ، ومن هنا فقد عَرَضَ الطاهرُ مجموعةً مِن الأشكالِ التعبيريَّة الرئيسةِ التي ميَّزت نَظْمَ القرآنِ مِن بقيةِ كلامِ العربِ، والأنماط الأسلوبية الجديدة التي وسمت النص القرآني بميسمها، فكان مختلفًا، ومِن ثَمَّ، كان نصًّا مبتكرًا متميزًا. وسنقف في هذا الجزء من البحث على تلك المبتكرات التي تشمل ظواهرَ أساسية وكبيرة ، قام عليها بناء النص القرآني الكريم، فأضفتْ عليه طابع الابتكار والتفرد والإعجاز. نصَّ الشيخُ الطاهرُ على أنَّ للقران مبتكراتٍ تميز بها، قال:((هَذَا وَلِلْقُرْآنِ مُبْتَكَرَاتٌ تَمَيَّزَ بها نَظْمُهُ عَنْ بَقِيَّةِ كَلَامِ الْعَرَبِ)) [3]. وفي ما يأتي يقف البحث على تلك الأساليب الرئيسة التي تتصف بصفة الابتكار، والسبب الذي دعا الشيخ الطاهر إلى وصفها بهذا الوصف، موازنين بعد ذلك بين كلامه عليها من جهة وما قاله العلماء السابقون فيها من جهة أخرى، للكشف عن مدى الجدة في أقواله ومرجعياته في ما ذهب إليه.

1 ينظر: الابتكار في الأدب والفنون: 29، 31.

2 ينظر: ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر: 81-82.

3 التحرير والتنوير: 1/ 120.

1. يرى الطاهر بن عاشور أنَّ من القران الكريم ابتكر أسلوبه الخاص به في مبناه العام؛ إذ جاء القرآن على أسلوب يختلف عن أسلوب الشعر والنثر آنذاك، قال:((أَنَّهُ جَاءَ عَلَى أُسْلُوبٍ يُخَالِفُ الشِّعْرَ لَا مَحَالَةَ، وَقَدْ نَبَّهَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ الْمُتَقَدِّمُونَ، وَأَنَا أَضُمُّ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ أسلوبه يُخَالف أسلوب الْخَطَابَةَ بَعْضَ الْمُخَالَفَةِ)) [1]. وقد أرجع سبب هذا الاختلاف إلى أنَّ القرآنَ كتابُ حفظٍ وتلاوة وأنَّ هذا من وجوه إعجازه؛ لأنَّ الطريقةَ التي بُنِي عليها طريقةٌ مُبتكرةٌ، قال:((جَاءَ بِطَرِيقَةِ كِتَابٍ يُقْصَدُ حِفْظُهُ وَتِلَاوَتُهُ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ إِعْجَازِهِ إِذْ كَانَ نَظْمُهُ عَلَى طَرِيقَةٍ مُبْتَكَرَةٍ لَيْسَ فِيهَا اتِّبَاعٌ لِطَرَائِقِهَا الْقَدِيمَةِ فِي الْكَلَامِ)) [2]. وما ذهب إليه الطاهر هنا نجد له مصادر سابقة عند بعض علماء الإعجاز السابقين؛ فقد أشار بعضُ القدماء إلى أنَّ القرآن جنسٌ مختلفٌ عن الشعرِ والخطابةِ، ومن ذلك قول الباقلاني:((ونظم القرآن جنس متميز، وأسلوب متخصص، وقبيل عن النظير متخلص)) [3]. ومنه ما ورد في قول القاضي عياض: ((الْوَجْهُ الثَّانِي مِن إِعْجَازِهِ صُورَةُ نَظْمِهِ العَجِيبِ وَالْأُسْلُوبُ الْغَرِيبُ الْمُخَالِفُ لِأَسَالِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَمَنَاهِجِ نَظْمِهَا وَنَثْرِهَا الَّذِي جَاءَ عَلَيْهِ وَوَقَفَتْ مَقَاطِعُ آيِهِ وَانْتَهَتْ فَوَاصِلُ كلمات إِلَيْهِ وَلَمْ يُوجَدْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ نَظِيرٌ لَهُ وَلَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ مُمَاثَلَةَ شيءٍ مِنْهُ بَلْ حَارَتْ فِيهِ عُقُولُهُمْ وَتَدَلَّهَتْ دُونَهُ أَحْلَامُهُمْ وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى مِثْلِهِ فِي جِنْسِ كَلَامِهِمْ مِن نَثْرٍ أَوْ نَظْمٍ أَوْ سَجْعٍ أَوْ رَجْزٍ أَوْ شِعْرٍ)) [4]. وقال الراغب عن الأسلوب القرآني:((بالنظم المخصوص صار القرآن قرآنا)) [5]. قال القرطبي:((ووجوه إعجاز القرآن عَشْرَةٌ: مِنْهَا النَّظْمُ الْبَدِيعُ الْمُخَالِفُ لِكُلِّ نظمٍ مَعْهُودٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَفِي غَيْرِهَا،...،ومنها

---

1 نفسه: 1/ 120.

2 نفسه: 1/ 120.

3 إعجاز القرآن للباقلاني: 243.

4 الشفا بتعريف حقوق المصطفى: 1/ 264.

5 تفسير الراغب الأصفهاني: 1/ 44.

الْأُسْلُوبُ الْمُخَالِفُ لِجَمِيعِ أَسَالِيبِ الْعَرَبِ)) [1]. ومن ذلك ما نقله الزركشي عن بعضهم من أن الإعجاز في القرآن يعود إلى ((مَا فِيهِ مِنَ النَّظْمِ وَالتَّأْلِيفِ وَالتَّرْصِيفِ وَ[إلى]أَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ جَمِيعِ وُجُوهِ النَّظْمِ الْمُعْتَادِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَمُبَايِنٌ لِأَسَالِيبِ خِطَابَاتِهِمْ)) [2]. وقال السيوطي في هذا الباب أيضًا:((وأسلوبه الغريب مخالفاً لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه، ووقفت عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصلُ كلماته، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له)) [3]. وبيّنَ السيوطيُّ في موضع آخرَ أنَّ مِن وجوه إعجاز القرآن تفرّده عن الشعر والنثر وأطلق على ذلك اسم: نقض العادة، قال:((وَنَقْضُ الْعَادَةِ هُوَ أَنَّ الْعَادَةَ كَانَتْ جَارِيَةً بِضُرُوبٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ مَعْرُوفَةٍ مِنْهَا الشِّعْرُ وَمِنْهَا السَّجْعُ وَمِنْهَا الْخُطَبُ وَمِنْهَا الرَّسَائِلُ وَمِنْهَا الْمَنْثُورُ الَّذِي يَدُورُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْحَدِيثِ فَأَتَى القرآن بِطَرِيقَةٍ مُفْرَدَةٍ خَارِجَةٍ عَنِ الْعَادَةِ لَهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْحُسْنِ تَفُوقُ بِهِ كل طريقة وتفوق الْمَوْزُونُ الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ الْكَلَامِ)) [4].

2. عدّ الشيخُ الطاهرُ بنُ عاشور من صور الابتكار في اللغة القرآنية: الجمل التي تدلُّ على معانٍ مفيدةٍ محررةٍ لا يدخلها الاستدراكُ أو النقضُ بوجود الاستثناء، وكأنّها جُمَلٌ علمية أو قواعدُ تشريعية، قال:((وَأَعُدُّ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ جَاءَ بِالْجُمَلِ الدَّالَّةِ عَلَى مَعَانٍ مُفِيدَةٍ مُحَرَّرَةٍ، شَأْنَ الْجُمَلِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْقَوَاعِدِ التَّشْرِيعِيَّةِ)) [5]، ومَرجع القول بالابتكار عنده، هنا، أنَّ هذه الجمل في اللغة القرآنية صاغها واضعُها بإتقانٍ؛ فما كان غايتُه التخصيصَ جاء مخصصًا وما أُريدَ به التقييدُ وَرَدَ مُقيداً غيرَ عام،

---

1 الجامع لأحكام القرآن: 1/ 73.

2 البرهان في علوم القرآن: 2/ 98.

3 معترك الأقران: 1/ 23.

4 الإتقان في علوم القرآن: 4/ 18.

5 التحرير والتنوير: 1/ 120.

واستعمال اللغة على هذا النحو يعدُّ استعمالًا مُبتكرًا نسبةً إلى ما كان يفعله العرب من قلة اهتمام بالأحوال القليلة والأفراد النادرة، قال: ((فَلم يَأْتِ بعمومات شَأْنُهَا التَّخْصِيصُ غَيْرَ مَخْصُوصَةٍ، وَلَا بِمُطْلَقَاتٍ تَسْتَحِقُّ التَّقْيِيدَ غَيْرَ مُقَيَّدَةٍ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ الْعَرَبُ لِقِلَّةِ اكْتِرَاثِهِمْ بِالْأَحْوَالِ الْقَلِيلَةِ وَالْأَفْرَادِ النَّادِرَةِ)) [1]، وذكَرَ من أمثلة ذلك قَوْله تَعَالَى:(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ) [النساء: 95]، وبيّن موضع الدقة فيه، قال:((وَإِذْ قَدْ كَانَ وَجْهُ التَّفَاضُلِ مَعْلُومًا فِي أَكْثَرِ مَوَاقِعِ أَمْثَالِ هَذَا التَّرْكِيبِ، صَارَ فِي الْغَالِبِ أَمْثَالُ هَذَا التَّرْكِيبِ مُسْتَعْمَلَةً فِي مَعْنَى الْكِنَايَةِ، وَهُوَ التَّعْرِيضُ بِالْمَفْضُولِ فِي تَفْرِيطِهِ وَزُهْدِهِ فِيمَا هُوَ خَيْرٌ مَعَ الْمُكْنَةِ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ هُوَ هُنَا لِظُهُورِ أَنَّ الْقَاعِدَ عَنِ الْجِهَادِ لَا يُسَاوِي الْمُجَاهِدَ فِي فَضِيلَةِ نُصْرَةِ الدِّينِ، وَلَا فِي ثَوَابِهِ عَلَى ذَلِكَ، فَتَعَيَّنَ التَّعْرِيضُ بِالْقَاعِدِينَ وَتَشْنِيعُ حَالِهِمْ. وَبِهَذَا يَظْهَرُ مَوْقِعُ الِاسْتِثْنَاءِ بِقَوْلِهِ: غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ كَيْلَا يَحْسَبَ أَصْحَابُ الضَّرَرِ أَنَّهُمْ مَقْصُودُونَ بِالتَّحْرِيضِ فَيَخْرُجُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَيُكَلِّفُوهُمْ مُؤُونَةَ نَقْلِهِمْ وَحِفْظِهِمْ بِلَا جَدْوَى، أَوْ يَظُنُّوا أَنَّهُمْ مَقْصُودُونَ بِالتَّعْرِيضِ فَتَنْكَسِرُ لِذَلِكَ نُفُوسُهُمْ، زِيَادَةً عَلَى انْكِسَارِهَا بِعَجْزِهِمْ، وَلِأَنَّ فِي اسْتِثْنَائِهِمْ إِنْصَافًا لَهُمْ وَعُذْرًا بِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا قَادِرِينَ لَمَا قَعَدُوا، فَذَلِكَ الظَّنُّ بِالْمُؤْمِنِ، وَلَوْ كَانَ الْمَقْصُودُ صَرِيحَ الْمَعْنَى لَمَا كَانَ لِلِاسْتِثْنَاءِ مَوْقِعٌ. فَاحْفَظُوا هَذَا فَالِاسْتِثْنَاءُ مَقْصُودٌ، وَلَهُ مَوْقِعٌ من البلاغة لا يضاع، وَلَوْ لَمْ يُذْكَرُ الِاسْتِثْنَاءُ لَكَانَ تَجَاوُزُ التَّعْرِيضِ أَصْحَاب الضَّرَر مَعْلُومَات فِي سِيَاقِ الْكَلَامِ فَالِاسْتِثْنَاءُ عُدُولٌ عَنِ الِاعْتِمَادِ عَلَى الْقَرِينَةِ إِلَى التَّصْرِيحِ بِاللَّفْظِ)) [2]. وقد ألمح الزمخشري إلى طَرَفٍ من هذا، قال:((فإن قلت: معلوم أن القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان، فما فائدة نفى الاستواء؟ قلت: معناه الإذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد، ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته، فيهتز للجهاد

1 نفسه: 1/ 120.

2 نفسه: 5/ 170.

ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته)) [1]. كما مثَّلَ بقوله تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ) [القصص:50]، وكشف الشيخ الطاهر عن وجه التحرير في الآية، قال:((فَبَيَّنَ أَنَّ الْهَوَى قَدْ يَكُونُ مَحْمُودًا إذا كَانَ هوى الْمَرْءِ عَنْ هُدًى)) [2]، وَمِنه قَوْلُهُ تعالى:(إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا) [العصر: 2، 3]، التي قال في تفسيرِ وجْهِ التحرير فيها:((وَتَعْرِيفُ الْإِنْسَانَ تَعْرِيفُ الْجِنْسِ مُرَادٌ بِهِ الِاسْتِغْرَاقُ وَهُوَ اسْتِغْرَاقٌ عُرْفِيٌّ الْإِنْسَانِيُّ الْمَوْجُودِينَ فِي زَمَنِ نُزُولِ الْآيَةِ وَهُوَ زَمَنُ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ ،....، وَمَخْصُوصٌ بِالنَّاسِ الَّذِينَ بَلَغَتْهُمُ الدَّعْوَةُ فِي بِلَادِ الْعَالَمِ عَلَى تَفَاوُتِهَا. وَلَمَّا اسْتُثْنِيَ مِنْهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بَقِيَ حُكْمُهُ مُتَحَقِّقًا فِي غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ ،...، وَقَدْ دَلَّ اسْتِثْنَاءُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ أَنْ يَكُونُوا فِي خُسْرٍ عَلَى أَنَّ سَبَبَ كَوْنِ بَقِيَّةِ الْإِنْسَانِ فِي خُسْرٍ هُوَ عَدَمُ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ بِدَلَالَةِ مَفْهُومِ الصِّفَةِ. وَعُلِمَ مِنَ الْمَوْصُولِ أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ هُمَا سَبَبُ انْتِفَاءِ إِحَاطَةِ الْخُسْرِ بِالْإِنْسَانِ)) [3].

3. ومن مظاهر الابتكار الكلية في القرآن الكريم - عند الشيخ الطاهر – أنّه بُنِي على تقسيم جديد لا عهد للعرب به وهو تقسيمه على السور كما جاء مبوّبًا في داخل كل سورة على نحو جديد ومبتكر أيضا، فجاء مبنيًا على الآيات، قال:((وَمِنْهَا أَنْ جَاءَ عَلَى أُسْلُوبِ التَّقْسِيمِ وَالتَّسْوِيرِ وَهِيَ سُنَّةٌ جَدِيدَةٌ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ أَدْخَلَ بِهَا عَلَيْهِ طَرِيقَةَ التَّبْوِيبِ وَالتَّصْنِيفِ وَقَدْ أَوْمَأَ إِلَيْهَا فِي «الْكَشَّافِ» إِيمَاءً)) [4]. وإيماءة الزمخشري هذه التي يشير إليها الشيخ الطاهر جاءت في تفسير قوله تعالى:(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

1 الكشاف: 1/ 553- 554.

2 التحرير والتنوير: 1/ 120.

3 نفسه: 30/ 531- 532.

4 نفسه: 1/ 120.

إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) (23) [البقرة : 23]، قال الزمخشريُّ:((والسورة: الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات،....، فان قلت: ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً؟ قلت: ليست الفائدة في ذلك واحدة. ولأمر ما أنزل اللّه التوراة والإنجيل والزبور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه على هذا المنهاج مسوّرة مترجمة السور. وبوّب المصنفون في كل فنّ كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم. ومن فوائده: أنّ الجنس إذا انطوت تحته أنواع، واشتمل على أصناف، كان أحسن وأنبل وأفخم من أن يكون بيانا واحدا. ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأهز لعطفه، وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله)) [1]. وقد يُفهم من كلام الزمخشريِّ أنَّ هذا الاستعمالَ كان موجودًا قبل القرآنِ الكريم مما ينقض كونه مبتكرًا، ولكننا نرى أنَّ الزمخشريَّ لم يُرِد القول إنَّه كان مستعملًا بلفظ السورة بنصِّه وبالبناء الذي نعهده في القرآن الكريم، ولكنه عبَّر عن ذلك بما هو موجود في الإسلام والمتمثل بما في القرآن الكريم. والعرب قديمًا اتخذت اسمًا للبيت وللبيتين فصاعدًا ولم يستعملوا اسم السورة؛ نقل الباقلاني عن العرب أنها كانت:((تسمي البيت الواحد يتيماً، وكذلك يقال : "الدرة اليتيمة"، لانفرادها، فإذا بلغ البيتين والثلاثة فهي "نتفة"، وإلى العشرة تسمى "قطعة"، وإذا بلغ العشرين استحق أن يسمى "قصيداً"، وذلك مأخوذ من المخ القصيد، وهو المتراكم بعضه على بعض، وهو ضد الزار، ومثله الرثيد)) [2]. و بَحَثَ الزركشيُّ في الحكمة من تقسيم النصِّ القرآنيِّ إلى سور، وربط ذلك بالإعجاز؛ قال:((فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْحِكْمَةُ فِي تَقْطِيعِ القرآن سُوَرًا؟ قُلْتُ: هِيَ الْحِكْمَةُ فِي تَقْطِيعِ السُّوَرِ آيَاتٍ مَعْدُودَاتٍ لِكُلِّ آيَةٍ حَدٌّ وَمَطْلَعٌ حَتَّى تَكُونَ كُلُّ سُورَةٍ بَلْ كُلُّ آيَةٍ فَنًّا مُسْتَقِلًّا وَقُرْآنًا مُعْتَبَرًا وَفِي تَسْوِيرِ السُّورَةِ تَحْقِيقٌ لِكَوْنِ السُّورَةِ بِمُجَرَّدِهَا مُعْجِزَةً وَآيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

1 الكشاف: 1/ 97- 98. ونقل الشيخ الطاهر بعضه في: التحرير والتنوير: 1/ 86.

2 إعجاز القرآن: 257. وينظر: البرهان في علوم القرآن: 1/ 264.

تَعَالَى وَسُوِّرَتِ السُّوَرُ طِوَالًا وَقِصَارًا وَأَوْسَاطًا تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الطُّولَ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِعْجَازِ فَهَذِهِ سُورَةُ الْكَوْثَرِ ثَلَاثُ آيَاتٍ وَهِيَ مُعْجِزَةٌ إِعْجَازَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثُمَّ ظَهَرَتْ لِذَلِكَ حِكْمَةٌ فِي التَّعْلِيمِ وَتَدْرِيجِ الْأَطْفَالِ مِنَ السُّوَرِ الْقِصَارِ إِلَى مَا فَوْقَهَا يَسِيرًا يَسِيرًا تَيْسِيرًا مِنَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ لِحِفْظِ كِتَابِهِ)) [1].

4. وذكر الشيخ الطاهر من أشكال الابتكار الرئيسة في الخطاب القرآني، مما جاء متكررًا لا يمكن حصره؛ لأنه يؤلف نمطا أساسيا في بنية الخطاب القرآني، ما جاء فيه من أسلوب قصصي في((حِكَايَةِ أَحْوَالِ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَفِي تَمْثِيلِ الْأَحْوَالِ))2. وهو يرى أن لهذا الأسلوب تأثيرا في النفس العربية، وأن هذا الأسلوب جديدٌ في الأدب العربي أو مفقود منه إلا ما ندر، ومن ثَمَّ، كان مُبْتَكَرًا بُهر العربُ به، قال:((وَقَدْ كَانَ لِذَلِكَ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ عَلَى نُفُوسِ الْعَرَبِ إِذْ كَانَ فَنُّ الْقَصَصِ مَفْقُودًا مِنْ أَدَبِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَّا نَادِرًا، كَانَ فِي بَعْضِ الشِّعْرِ كَأَبْيَاتِ النَّابِغَةِ فِي الْحَيَّةِ الَّتِي قَتَلَتِ الرَّجُلَ وَعَاهَدَتْ أَخَاهُ وَغَدَرَ بِهَا، فَلَمَّا جَاءَ الْقرآن بِالْأَوْصَافِ بُهِتَ بِهِ الْعَرَبُ كَمَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ [44] مِنْ وَصْفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ وَأَهْلِ الْأَعْرَافِ: (وَنَادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ) إِلَخْ وَفِي سُورَةِ الْحَدِيدِ [13] : (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ) الْآيَاتِ))3. وقد سَبَقَ القاضي عياض إلى عدِّ ما جاء في القرآن من قصص مظهرًا من مظاهر إعجازه، قال مشيرا إلى ذلك:((ثمَّ هُوَ فِي سَرْدِ الْقِصَصِ الطِّوَالِ وَأَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّوَالِفِ الَّتِي يَضْعُفُ فِي عَادَةِ الْفُصَحَاءِ عِنْدَهَا الْكَلَامُ وَيَذْهَبُ مَاءُ الْبَيَانِ آيَةٌ لِمُتَأَمِّلِهِ من رَبْطِ الْكَلَامِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ وَالْتِئَامِ سَرْدِهِ وَتَنَاصُفِ وُجُوهِهِ كَقِصَّةِ يُوسُفَ عَلَى طُولِهَا ثُمَّ إِذَا تَرَدَّدَتْ قِصَصُهُ اخْتَلَفَتِ الْعِبَارَاتُ عَنْهَا عَلَى كَثْرَةِ تَرَدُّدِهَا حَتَّى تَكَادَ كُلُّ وَاحِدَةٍ تُنْسِي فِي الْبَيَانِ صَاحِبَتَهَا

1 البرهان في علوم القرآن: 1/ 264- 265.

2 التحرير والتنوير: 1/ 120.

3 نفسه: 1/ 120.

وَتَناصِفُ فِي الْحَسَنِ وَجْهَ مُقَابلَتِهَا وَلَا نُفورَ لِلنُّفُوسِ مِن تَرْدِيدِهَا وَلَا مُعَادَاةَ لِمُعَادِهَا))1. ووقف الفيروزابادي على القصص القرآني ومنهج القرآن الكريم في تقديم القصة الواحدة بطرائقَ مختلفةٍ وما يتبع ذلك من اعتماد أساليبَ لغويةٍ جديدةٍ ؛ قال:((وأمَّا تصريف القِصَص والأحوال فهو أنَّ الله تعالى ذكر بحِكَمِهِ البالغة أحوال القرون الماضية، ووقائع الأنبياءِ، وقصصهم، بألفاظ مختلفة، وعبارات متنوِّعة، بحيث لو تأمّل غوّاصو بحار المعاني، وخوّاضو لُجَج الحُجَج، وتفكّروا فى حقائقها، وتدبَّروا فى دقائقها، لعلموا وتيقّنوا (وتحققوا) وتبيَّنوا أنَّ ما فيها من الألفاظ المكرَّرة المعادات، إنَّما هي لأسرار، ولطائف لا يرفع بُرْقع حجابها من الخاصَّة إلاَّ أوحدُهم وأخصُّهم، ولا يكشف سِتر سرائرها من النحارير إلاَّ واسِطتهم وقصبهم))2. ولا بد أن نذكر أنَّ بعض الباحثين المحدثين أشار إلى أنَّ العرب لم يعرفوا القصائد القصصية في شعرهم، من ذلك ما نجده في قول الرافعي:((ان الشعر القصصي -بالمعنى المصطلح عليه- لم يكن في طبيعة العرب ولا هو من مقتضيات اجتماعهم، فهم لم ينظموه في جاهليتهم قطعًا، ولم ينظمه من بعدهم لوقوفهم عند حد التقليد))[3]. في حين أشار بعض الباحثين إلى أنَّ في بعض القصائد الجاهلية أسلوبًا قصصيًا كما في معلقة امرئ القيس وفي شعر صعاليك ما قبل الإسلام مثل الشنفرى الأزدي وتأبط شرا[4].

5. وقد أدَّى هذا الأسلوبُ القصصيُّ الجديد الذي جاء به النصُّ القرآنيُّ الكريم إلى ابتكار مسلكٍ لغويٍّ جديد آخرَ في التعامل مع الأقوال المحكية في الأسلوب الحواري

---

1 الشفا بتعريف حقوق المصطفى: 1/ 264.

2 بصائر ذوي التمييز: 1/ 71.

3 تاريخ آداب العرب: 3/ 96.

4 ينظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي: 279- 281، وتاريخ آداب العرب: 3/ 97، والفن ومذاهبه في النثر العربي: 16، ودراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق: 100، وفي تاريخ الأدب الجاهلي: 451.

للقصص التي يرويها، فكان ينقلها كما وردت على ألسنة أصحابها من حيث المعنى، ولكنه لم يكن ينقلها بلفظها نفسه أو بلغةِ شخوصِها الأصلية، وإنما كان ينقلها باللغة العربية وبصياغة جديدة تناسب ما يتصف به النصُّ القرآنيُّ من بلاغةٍ وفصاحةٍ وإعجازٍ للعرب، قال:((ومِمَّا يَتْبَعُ هَذَا أَنَّ القرآن يَتَصَرَّفُ فِي حِكَايَةِ أَقْوَالِ الْمَحْكِيِّ عَنْهُمْ فَيَصُوغُهَا عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ أُسْلُوبُ إِعْجَازِهِ لَا عَلَى الصِّيغَةِ الَّتِي صَدَرَتْ فِيهَا، فَهُوَ إِذَا حَكَى أَقْوَالًا غَيْرَ عَرَبِيَّةٍ صَاغَ مَدْلُولَهَا فِي صِيغَةٍ تَبْلُغُ حَدَّ الْإِعْجَازِ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَإِذَا حَكَى أَقْوَالًا عَرَبِيَّةً تَصَرَّفَ فِيهَا تَصَرُّفًا يُنَاسِبُ أُسْلُوبَ الْمُعَبِّرِ مِثْلَ مَا يَحْكِيهِ عَنِ الْعَرَبِ فَإِنَّهُ لَا يَلْتَزِمُ حِكَايَةَ أَلْفَاظِهِمْ بَلْ يَحْكِي حَاصِلَ كَلَامِهِمْ))[1]. غير أنه عقّب بعْدَ ذلك بأنَّ مثل هذا التغيير اللفظيّ في الأقوال المحكية هو من سنن العرب؛ لأنَّ مدارَ الأمر عندهم الإحاطةُ بالمعنى، قال:((وَلِلْعَرَبِ فِي حِكَايَةِ الْأَقْوَالِ اتِّسَاعٌ مَدَارُهُ عَلَى الْإِحَاطَةِ بِالْمَعْنَى دُونَ الْتِزَامِ الْأَلْفَاظِ، فَالْإِعْجَازُ الثَّابِتُ لِلْأَقْوَالِ الْمَحْكِيَّةِ فِي القرآن هُوَ إِعْجَازٌ لِلْقُرْآنِ لَا لِلْأَقْوَالِ الْمَحْكِيَّةِ))[2]. وفي كلامه السابق ما يوحي بأنَّ القرآنَ الكريمَ في مسلكه هذا لم يكن مُبتكِرًا لأنَّه كان مسبوقًا بمثل هذا النهج اللغوي. وربما يمكن القول إنه أراد بالعرب هنا ما بعد الإسلام وبعد القرآن الكريم فلا ينتقض هذا النمط. وفي الحقيقة أننا عندما قرأنا هذا الكلام تبادر إلى ذهننا أنَّ من غير المعقول أنْ يكون شعرُ العرب خاليًا من مثل هذه الظاهرة، إذ لا يعقل أنَّ الشعراء حين يَحْكون أقوال غيرهم في شعرهم لم يُغَيِّروه بسبب الوزن والقافية، وربما يكون الجواب على مثل هذا الاعتراض متمثلا في ما ذكره الشيخ من أنَّ العرب لم تكن تعرف الفن القصصيَّ سابقًا إلا نادرًا. وقد جعل الشيخُ الطاهرُ ما يصيبُ الأسماءَ الواردة في القصص القرآنيِّ من تغيير غايتُه الفصاحةُ والإعجازُ داخلًا في هذا الباب أيضا، قال:((وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ حِكَايَةُ الْأَسْمَاءِ الْوَاقِعَةِ فِي

1 التحرير والتنوير: 1/ 120-121.

2 نفسه: 1/ 121.

الْقِصَصِ فَإِنَّ القرآن يُغَيِّرُهَا إِلَى مَا يُنَاسِبُ حُسْنَ مَوَاقِعِهَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الْفَصَاحَةِ مِثْلَ تَغْيِيرِ شَاوِلَ إِلَى طَالُوتَ، وَتَغْيِيرِ اسْمِ تَارَحَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ إِلَى آزَرَ)) [1].

إنَّ هذا التغيير في الأسماء أمرٌ أشار إليه بعض المفسرين القدماء، ومنهم مثلًا البغوي الذي قال: ((وَكَانَ طَالُوتُ اسْمُهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ شَاوِلُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ أَوْلَادِ بِنْيَامِينَ بْنِ يَعْقُوبَ، سُمِّيَ طَالُوتَ لِطُولِهِ)) [2]. في حين ذهب الفخر الرازي إلى أنَّ اسمه آزر وليس تارح، قال:((وَالدَّلِيلُ الْقَوِيُّ عَلَى صِحَّةِ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ كَانُوا فِي غَايَةِ الْحِرْصِ عَلَى تَكْذِيبِ الرَّسُول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِظْهَارِ بُغْضِهِ، فَلَوْ كَانَ هَذَا النَّسَبُ كَذِبًا لَامْتَنَعَ فِي الْعَادَةِ سُكُوتُهُمْ عَنْ تَكْذِيبِهِ وَحَيْثُ لَمْ يُكَذِّبُوهُ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا النَّسَبَ صَحِيحٌ واللَّه أَعْلَمُ)) [3]. وعالج السيوطيُّ موضوعًا قريبًا من هذا وهو ما سمّاه: (إدراج كلام الغير في الكلام)، وجعل غايته التوكيدَ، ناقلا أنه لم يَرِدْ منه في القرآن إلا في موضعين، قال :((إِدْرَاجُ كَلَامِ الْغَيْرِ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ لِقَصْدِ تَأْكِيدِ الْمَعْنَى، أَوْ تَرْتِيبِ النَّظْمِ وَهَذَا هُوَ النَّوْعُ الْبَدِيعِيُّ قَالَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ: وَلَمْ أَظْفَرْ فِي القرآن بِشَيْءٍ مِنْهُ إِلَّا فِي مَوْضِعَيْنِ تَضَمَّنَا فَصْلَيْنِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ قَوْلِهِ: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) الْآيَةَ وَقَوْلِهِ: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) الْآيَةَ)) [4].

7. ومن صور الابتكار اللغوي في الخطاب القرآنيِّ الأمثالُ التي جاءت في جملٍ بليغةٍ، تداولتها الألسنُ، قال((وَكَذَلِكَ التَّمْثِيلُ فَقَدْ كَانَ فِي أَدَبِ الْعَرَبِ الْأَمْثَالُ وَهِيَ حِكَايَةُ أَحْوَالٍ مَرْمُوزٍ لَهَا بِتِلْكَ الْجُمَلِ الْبَلِيغَةِ الَّتِي قِيلَتْ فِيهَا أَوْ قِيلَتْ لَهَا الْمُسَمَّاةِ بِالْأَمْثَالِ، فَكَانَتْ تِلْكَ الْجُمَلُ مُشِيرَةً إِلَى تِلْكَ الْأَحْوَالِ، إِلَّا أَنَّهَا لَمَّا تَدَاوَلَتْهَا الْأَلْسُنُ فِي

1 نفسه :1/ 121.

2 معالم التزيل: 1/ 333.

3 مفاتيح الغيب: 13/ 32.

4 الإتقان في علوم القرآن: 3/ 309.

الِاسْتِعْمَال وَطَالَ عَلَيْهَا الْأَمَدُ نُسِيَتِ الْأَحْوَالُ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَلَمْ يَبْقَ لِلْأَذْهَانِ عِنْدَ النُّطْقِ بِهَا إِلَّا الشُّعُورُ بِمَغَازِيهَا الَّتِي تُقَالُ لِأَجْلِهَا. أَمَّا القرآن فَقَدْ أَوْضَحَ الْأَمْثَالَ وَأَبْدَعَ تَرْكِيبَهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ [إبراهيم: 18] وَقَوْلِهِ: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ) [الحج: 31] وَقَوْلِهِ:(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ) إِلَى قَوْلِهِ: (فَما لَهُ مِنْ نُورٍ) [النور: 39] وَقَوْلِهِ: (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَباسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْماءِ لِيَبْلُغَ فاهُ وَما هُوَ بِبالِغِهِ) [الرعد: 14])). وما وصفه الشيخ الطاهر بالابتكار هنا سبق أنْ أشار إليه بعض المفسرين، ومنهم الزمخشري الذي بيّن أنَّ الغرض من استعمال الأمثال هو الكشف عن المعنى الخفي على نحوٍ جليّ، قال:((انَّ التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، وإدناء المتوهم من المشاهد. فإنْ كان المتمثل له عظيمًا كان المتمثلُ به مثلَه، وإن كان حقيرًا كان المتمثلُ به كذلك. فليس العِظَمُ والحقارة في المضروب به المثلُ إذاً إلا أمراً تستدعيه حال المتمثل له وتستجرّه إلى نفسها، فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية. ألا ترى إلى الحق لما كان واضحاً جلياً أبلج، كيف تمثل له بالضياء والنور؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفته، كيف تمثل له بالظلمة؟ ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أنداداً للّه تعالى لا حال أحقر منها وأقلّ، ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن، وجعلت أقلّ من الذباب وأخس قدرا، وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع)) [1]. وقد نبّه الزركشي على أنَّ التمثيلَ إنما يكون بأمرٍ ظاهرٍ مقبولٍ لا خلافَ فيه لكي يَبْنِي عليه ما يُريد تقريره مِن حقيقةٍ؛ قال:((وَمِنْهُ التَّمْثِيلُ وَإِنَّمَا يَكُونُ بِأَمْرٍ ظَاهِرٍ يُسَلِّمُهُ السَّامِعُ وَيُقَوِّيهِ مَا فِي القرآن مِنْ قَصَصِ الْأَشْقِيَاءِ تَحْذِيرًا لِمَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَأَخْبَارِ السُّعَدَاءِ تَرْغِيبًا لِمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الثواب

1 الكشاف: 1/ 111.

وفي الحديث أرأيت لو مضضت أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ دَيْنٌ كَيْفَ ظَهَرَ إِمْكَانُ نَقْلِ الْحُكْمِ مِنْ شَبَهٍ إِلَى شَبَهٍ)) [1]. وقال في موضع آخر:((وَفِي ضرب الأمثال من تقرير المقصود مالا يَخفَى إِذِ الْغَرَضُ مِنَ الْمَثَلِ تَشْبِيهُ الْخَفِيِّ بِالْجَلِيِّ وَالشَّاهِدِ بِالْغَائِبِ فَالْمُرَغَّبُ فِي الْإِيمَانِ مَثَلًا إِذَا مُثِّلَ لَهُ بِالنُّورِ تَأَكَّدَ فِي قَلْبِهِ الْمَقْصُودُ وَالْمُزَهَّدُ فِي الْكُفْرِ إِذَا مُثِّلَ لَهُ بِالظُّلْمَةِ تَأَكَّدَ قُبْحُهُ فِي نَفْسِهِ وَفِيهِ أَيْضًا تَبْكِيتُ الْخَصْمِ. ،....، وَلَمَّا كَانَ الْمَثَلُ السَّائِرُ فِيهِ غَرَابَةٌ اسْتُعِيرَ لَفْظُ الْمَثَلِ لِلْحَالِ أَوِ الصِّفَةِ أَوِ الْقِصَّةِ إِذَا كَانَ لَهَا شَأْنٌ وَفِيهَا غَرَابَةٌ)) [2]. ونقل الفيروزابادي ما يشير إلى مكانة الأمثال في النص القرآني، وهو قولهم:((الأمثال سُرج القرآن)) [3].

8. ومن معالم الابتكار اللغوي في النص القرآنيّ –عند الطاهر بن عاشور– أن هذا النص الكريم لم يُبْنَ على منهجٍ واحدٍ، وإنّما كان لكل سورة فيه أسلوبها الخاص بها ولهجتها الخاصة التي تناسب موضوع السورة ومضمونها نفسيًا وفكريًا، قال ((لَمْ يَلْتَزِمِ القرآن أُسْلُوبًا وَاحِدًا، وَاخْتَلَفَتْ سُوَرُهُ وَتَفَنَّنَتْ، فَتَكَادُ تَكُونُ لِكُلِّ سُورَةٍ لَهْجَةٌ خَاصَّةٌ، فَإِنَّ بَعْضَهَا بُنِيَ عَلَى فَوَاصِلَ وَبَعْضَهَا لَيْسَ كَذَلِكَ. وَكَذَلِكَ فَوَاتِحُهَا مِنْهَا مَا افْتُتِحَ بِالِاحْتِفَالِ كَالْحَمْدِ، وَيَا (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) [الْبَقَرَة: 104] ، و(الم ذَلِكَ الْكِتابُ) [الْبَقَرَة: 1، 2] ، وَهِيَ قَرِيبٌ مِمَّا نُعَبِّرُ عَنْهُ فِي صِنَاعَةِ الْإِنْشَاءِ بِالْمُقَدِّمَاتِ. وَمِنْهَا مَا افْتُتِحَ بِالْهُجُومِ عَلَى الْغَرَضِ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ نَحْوَ: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمالَهُم) [مُحَمَّد: 1] (وبَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) [التَّوْبَة: 1])). وهذا التفننُ في الأسلوب مما أشار إليه الزركشي؛ فقد أرجع سببَ اختلافِ أساليب السورِ إلى اختلاف الغاية والمضمونِ لكل منها، والى :((أَنَّ كُلَّ سُورَةٍ نَمَطٌ مُسْتَقِلٌّ فَسُورَةُ

1 البرهان في علوم القرآن: 1/ 317.

2 نفسه 1/ 488، وينظر عن التشبيه والتمثيل في القرآن الكريم في: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: 2/ 205.

3 بصائر ذوي التمييز: 1/ 69.

يُوسُفَ تُتَرْجِمُ عَنْ قِصَّتِهِ وَسُورَةُ بَرَاءَةَ تُتَرْجِمُ عَنْ أَحْوَالِ الْمُنَافِقِينَ وَكَامِنِ أَسْرَارِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا كَانَتِ الْكُتُبُ السَّالِفَةُ كَذَلِكَ؟ قُلْتُ لِوَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ مُعْجِزَاتٍ مِنْ نَاحِيَةِ النَّظْمِ وَالتَّرْتِيبِ وَالْآخَرُ أَنَّهَا لَمْ تُيَسَّرْ لِلْحِفْظِ)) [1]. ولعلَّ البيضاويَّ كان يلمِّح إلى ذلك في قوله:((ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطاً للسامع)) [2]. ومثله ما نجده عند أبي حيان الأندلسي؛ إذ قال:((وَفِيهِ عَادَةُ التَّفَنُّنِ فِي الْكَلَامِ وَهُوَ مِمَّا يحسن إذا لَا يَبْقَى عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ)) [3]. وقال النسفي عن هذا المنحى:((والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل فى القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه وأملأ لاستلذاذ إصغائه وقد تختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح إلا للحذاق المهرة والعلماء النحارير)) [4]. وتوقف ابن كمال باشا على هذه الظاهرة وكشف عن وظيفتها في الكلام؛ قال: ((والعرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه، وأملأ باستدرار إصغائه)) [5]. وقد التفت المحدثون إلى هذه الخصيصة، قال محمد دراز عن أسلوب القرآن: ((والأعجب أنّه مع كونه أكثرَ الكلام افتنانًا وتنويعًا في الموضوعات، هو أكثره افتنانًا وتلوينًا في الأسلوب في الموضوع الواحد. فهو لا يستمر طويلًا على نمط واحد من التعبير، كما أنه لا يستمر طويلًا على هدف واحد من المعاني، ألا تراه كما يتنقل في السورة الواحدة من معنى إلى معنى يتنقل في المعنى

1 البرهان في علوم القرآن: 1/ 265.

2 أنوار التنزيل : 1/ 29.

3 البحر المحيط: 7/ 311-312. وينظر: البرهان في علوم القرآن: 1/ 50.

4 مدارك التنزيل: 1/ 31.

5 تلوين الخطاب: 347.

الواحد بين إنشاء وإخبار، وإظهار وإضمار، واسمية وفعلية، ومضي وحضور واستقبال وتكلم وغيبية وخطاب؛ إلى غير ذلك من طرق الأداء)) [1].

ومن المفيد هنا أنْ نذكر أنَّ الزركشي وقف وقفةً تحليليّةً حاول فيها أن يعلّلَ سببَ تنويع سور القرآن بيْن التي تعتمد الفواصل والتي لا تعتمدها، قال :((وَإِنَّمَا لَمْ يَجِئْ عَلَى أُسْلُوبٍ وَاحِدٍ لِأَنَّهُ لَا يَحْسُنُ فِي الْكَلَامِ جَمِيعًا أَنْ يَكُونَ مُسْتَمِرًّا عَلَى نَمَطٍ وَاحِدٍ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّكَلُّفِ وَلِمَا فِي الطَّبْعِ مِنَ الْمَلَلِ عَلَيْهِ وَلِأَنَّ الِافْتِنَانَ فِي ضُرُوبِ الْفَصَاحَةِ أَعْلَى مِنَ الِاسْتِمْرَارِ عَلَى ضَرْبٍ وَاحِدٍ فَلِهَذَا وَرَدَتْ بَعْضُ آيِ القرآن مُتَمَاثِلَةَ الْمَقَاطِعِ وَبَعْضُهَا غير متماثل)) [2]

9. ويرى الشيخ الطاهر أن من أهم أشكال الابتكار اللغوي القرآنيِّ ما فيه من أسلوب الإيجاز، قال: ((وَمِنْ أَبْدَعِ الْأَسَالِيبِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْإِيجَازُ وَهُوَ مُتَنَافَسُهُمْ وَغَايَةٌ تَتَبَارَى إِلَيْهَا فُصَحَاؤُهُمْ، وَقَدْ جَاءَ القرآن بِأَبْدَعِهِ إِذْ كَانَ- مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْإِيجَازِ الْمُبَيَّنِ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي- فِيهِ إِيجَازٌ عَظِيمٌ آخَرُ وَهُوَ صَلُوحِيَّةُ مُعْظَمِ آيَاتِهِ لِأَنْ تُؤْخَذَ مِنْهَا مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ كُلُّهَا تَصْلُحُ لَهَا الْعِبَارَةُ بِاحْتِمَالَاتٍ لَا يُنَافِيهَا اللَّفْظُ، فَبَعْضُ تِلْكَ الِاحْتِمَالَاتِ مِمَّا يُمْكِنُ اجْتِمَاعُهُ، وَبَعْضُهَا إِن كَانَ فَرْضٌ وَاحِدٌ مِنْهُ يَمْنَعُ مِنْ فَرْضٍ آخَرَ فَتَحْرِيكُ الْأَذْهَانِ إِلَيْهِ وَإِخْطَارُهُ بِهَا يَكْفِي فِي حُصُولِ الْمَقْصِدِ مِنَ التَّذْكِيرِ بِهِ لِلِامْتِثَالِ أَوِ الِانْتِهَاءِ،...، وَلَوْلَا إِيجَازُ القرآن لَكَانَ مَا يَتَضَمَّنُهُ مِنَ الْمَعَانِي فِي أَضْعَافِ مِقْدَارِ القرآن، وَأَسْرَارُ التَّنْزِيلِ وَرُمُوزُهُ فِي كُلِّ بَابٍ بَالِغَةٌ مِنَ اللُّطْفِ وَالْخَفَاءِ حَدًّا يَدِقُّ عَنْ تَفَطُّنِ الْعَالِمِ وَيَزِيدُ عَنْ تَبَصُّرِهِ، وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ [فاطر: 14]. إِنَّكَ تَجِدُ فِي كَثِيرٍ مِنْ تَرَاكِيبِ القرآن حَذْفًا وَلَكِنَّكَ لَا تَعْثُرُ عَلَى حَذْفٍ يَخْلُو الْكَلَامُ مِنْ دَلِيلٍ عَلَيْهِ مِنْ لَفْظٍ أَوْ سِيَاقٍ، زِيَادَةً عَلَى جَمْعِهِ الْمَعَانِيَ الْكَثِيرَةَ فِي الْكَلَامِ الْقَلِيلِ)) [3].

1 النبأ العظيم: 178: (هامش: 1)

2 نفسه: 1/ 60. وينظر فيه: 1/ 58.

3 التحرير والتنوير: 1/ 121-122.

وموضوع الإيجاز في النص القرآني مما التفت إليه علماء العربية والمفسرون وتوقفوا عنده وتدارسوه فكشفوا عن قيمته البلاغية وآثاره في دلالة النص؛ ومن ذلك إشارة الزمخشري إلى أنَّ الإيجاز من أهمِّ سمات القرآن الكريم، قال: ((إلا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار، كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه)) [1]. وبيَّن الفيروزابادي في حديثه عن منزلة الإيجاز في العبارة القرآنية أنَّ النصَّ القرآنيَّ وصل إلى أبلغ أنواع الإيجاز؛ قال:((أمّا إيجاز اللفظ مع تمام المعنى فهو أبلغ أقسام الإيجاز. ولهذا قيل: الإعجاز فى الإيجاز نهاية إعجاز. وهذا المعنى موجود فى القرآن إمّا على سبيل الحذف، وإما على سبيل الاختصار)) [2]. وجعل الرازي الإيجاز مزية للفظ القرآني؛ قال: ((أنَّ أَلْفَاظَ القرآن جَارِيَةٌ فِي الْـأَكْثَرِ عَلَـى الِاخْتِصَارِ)) [3]. وقد تحدث السيوطي عن صور الإيجاز في القرآن الكريم وقسمها أقساما، فتناول الإيجاز بالحذف وفوائده الدلالية للنص الكريم؛ قال: ((الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ قِسْمَيِ الْإِيجَازِ: الْحَذْفِ وَفِيهِ فَوَائِدُ. ذِكْرُ أَسْبَابِهِ: مِنْهَا مُجَرَّدُ الِاخْتِصَارِ وَالِاحْتِرَازِ عَنِ الْعَبَثِ لِظُهُورِهِ وَمِنْهَا التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الزَّمَانَ يَتَقَاصَرُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِالْمَحْذُوفِ وَأَنَّ الِاشْتِغَالَ بِذِكْرِهِ يُفْضِي إِلَى تَفْوِيتِ الْمُهِمِّ وَهَذِهِ هِيَ فَائِدَةُ بَابِ التَّحْذِيرِ وَالْإِغْرَاءِ وَقَدِ اجْتَمَعَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا) فناقة اللَّهِ تَحْذِيرٌ بِتَقْدِيرِ "ذَرُوا" وَ "سُقْيَاهَا" إِغْرَاءٌ بِتَقْدِيرِ "الْزَمُوا" . وَمِنْهَا التَّفْخِيمُ وَالْإِعْظَامُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِبْهَامِ قَالَ حَازِمٌ فِي مِنْهَاجِ الْبُلَغَاءِ إِنَّمَا يَحْسُنُ الْحَذْفُ لِقُوَّةِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ أَوْ يُقْصَدُ بِهِ تَعْدِيدُ أَشْيَاءَ فَيَكُونُ فِي تَعْدَادِهَا طُولٌ وَسَآمَةٌ فَيُحْذَفُ وَيُكْتَفَى بِدَلَالَةِ الْحَالِ وَتُتْرَكُ النَّفْسُ تَجُولُ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُكْتَفَى بِالْحَالِ عَنْ ذِكْرِهَا قَالَ: وَلِهَذَا الْقَصْدِ يُؤْثَرُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُرَادُ بِهَا التَّعَجُّبُ وَالتَّهْوِيلُ عَلَى النُّفُوسِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي وَصْفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ

1 الكشاف: 4/ 655. وينظر: ومعترك الأقران : 2/ 461.

2 بصائر ذوي التمييز : 1/ 68.

3 مفاتيح الغيب: 7/ 90.

أَبْوَابُهَا)، فَحُذِفَ الْجَوَابُ إِذْ كَانَ وَصْفُ مَا يَجِدُونَهُ وَيَلْقَوْنَهُ عِنْدَ ذَلِكَ لَا يَتَنَاهَى فَجُعِلَ الْحَذْفُ دَلِيلًا على ضيق الْكَلَامِ عَنْ وَصْفِ مَا يُشَاهِدُونَهُ وَتُرِكَتِ النُّفُوسُ تُقَدِّرُ مَا شَاءَتْهُ وَلَا تَبْلُغُ مَعَ ذَلِكَ كُنْهَ مَا هُنَالِكَ)) [1]. ومن هذا يظهر جليا مدى عناية القدماء بالإيجاز في النص القرآني، ولكنهم في الوقت نفسه لم يطلقوا عليه صفة الابتكار، ولعل الذي أغناهم عنها –زيادة على عدم استعمالهم هذا المصطلح– أنهم عدّوا هذه الظاهرة من مظاهر الإعجاز وأسبابه، ومن ثمَّ، فما كان معجزًا فلاشكَّ في أنّه مبتكر أيضًا.

10. ويرى الشيخ الطاهر أنَّ طريقة القرآن الكريم في الإخبار متنوعةٌ ولها غاياتٌ بعيدةٌ لا تتمثل بالظاهر منها؛ ولذا عدها من مظاهر الابتكار اللغوي الرئيسة، قال:((وَمِنْ ذَلِكَ الْإِخْبَارُ عَنْ أَمْرٍ خَاصٍّ بِخَبَرٍ يَعُمُّهُ وَغَيْرَهُ لِتَحْصُلَ فَوَائِدُ [2]: فَائِدَةُ الْحُكْمِ الْعَامِّ، وَفَائِدَةُ الْحُكْمِ الْخَاصِّ، وَفَائِدَةُ أَنَّ هَذَا الْمَحْكُومَ عَلَيْهِ بِالْحُكْمِ الْخَاصِّ هُوَ مِنْ جِنْسِ ذَلِكَ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ بِالْحُكْمِ الْعَامِّ. وَقَدْ تَتَبَّعْتُ أَسَالِيبَ مِنْ أَسَالِيبِ نَظْمِ الْكَلَامِ فِي القرآن فَوَجَدْتُهَا مِمَّا لَا عَهْدَ بِمِثْلِهَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ مُبَيِّناتٍ) [الطَّلَاق: 10] فَإِبْدَالُ (رَسُولًا) مِنْ (ذِكْرًا) يُفِيدُ أَنَّ هَذَا الذِّكْرَ ذِكْرُ هَذَا الرَّسُول، وَأَنَّ مَجِيءَ الرَّسُولِ هُوَ ذِكْرٌ لَهُمْ، وَأَنَّ وَصفه بقوله يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ يُفِيدُ أَنَّ الْآيَاتِ ذِكْرٌ. وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُهُ: (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً) [الْبَيِّنَة: 1، 2] الْآيَةَ وَلَيْسَ الْمَقَامُ بِسَامِحٍ لإيراد عديد الْأَمْثِلَة مِنْ هَذَا، وَلَعَلَّهُ يَأْتِي فِي أَثْنَاءِ التَّفْسِيرِ)) [3]. ولا شكَّ في أنَّ ذلك مما أضفى على النصِّ القرآنيِّ سمةَ التميزِ والتفردِ والحيويةِ الأسلوبية إنْ جازَ التعبير.

1 الإتقان في علوم القرآن: 3/ 190.

2 ينظر: البرهان في علوم القرآن: 2/ 217، والإتقان في علوم القرآن: 3/ 48، وفيه أيضا:3/109، ومعترك الأقران: 1/ 174.

3 التحرير والتنوير: 1/ 122-123.

11. وقد عدَّ الشيخ الطاهر الإيجازَ عن طريق الحذف والتضمين مما ابتكره القرآن واحتفى به، قال: ((وَمِنْ بَدِيعِ الْإِيجَازِ فِي القرآن وَأَكْثَرِهِ مَا يُسَمَّى بِالتَّضْمِينِ، وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى إِيجَازِ الْحَذْفِ، وَالتَّضْمِينُ أَنْ يُضَمَّنَ الْفِعْلُ أَوِ الْوَصْفُ مَعْنَى فِعْلٍ أَوْ وَصْفٍ آخَرَ وَيُشَارُ إِلَى الْمَعْنَى الْمُضَمَّنِ بِذِكْرِ مَا هُوَ مِنْ مُتَعَلَّقَاتِهِ مِنْ حَرْفٍ أَوْ مَعْمُولٍ فَيَحْصُلُ فِي الْجُمْلَةِ مَعْنَيَانِ)) [1]. وقد بيّن الزمخشري دلالةَ التضمين وسبب استعمال القرآن له، قال:((أي غرض في هذا التضمين؟ ،...، قلت الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ)) [2]. وهو ما أكده النسفي؛ إذ قال :((وفائدة التضمين إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنًى فذٌّ)) [3]. وذكر السيوطي أنَّ التضمين من أنواع الإيجاز، وأنّه على نوعين؛ قال:((انَّ مِنَ الْإِيجَازِ نَوْعًا يُسَمَّى التَّضْمِينُ وَهُوَ حُصُولُ مَعْنًى فِي لَفْظٍ مِنْ غَيْرِ ذِكْرٍ لَهُ بِاسْمٍ هِيَ عِبَارَةٌ عَنْهُ قَالَ وَهُوَ نَوْعَانِ: أحدهما ما يفهم من البنية كَقَوْلِهِ مَعْلُومٌ فَإِنَّهُ يُوجِبُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ عَالِمٍ وَالثَّانِي من معنى العبارة كبسم اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَإِنَّهُ تَضَمَّنَ تَعْلِيمَ الِاسْتِفْتَاحِ فِي الْأُمُورِ بِاسْمِهِ عَلَى جِهَةِ التَّعْظِيمِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالتَّبَرُّكِ بِاسْمِهِ)) [4].

12 . ومما عدَّه الشيخ الطاهر من صور الابتكار اللغوي في الخطاب القرآني ما جاء فيه من جمل جارية مجرى المثل في السيرورة وقوة الدلالة والسهولة، قال:((وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْجُمَلِ الْجَارِيَةِ مَجْرَى الْأَمْثَالِ، وَهَذَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْبَلَاغَةِ نَادِرٌ فِي كَلَامِ بُلَغَاءِ الْعَرَبِ، وَهُوَ الَّذِي لِأَجْلِهِ عُدَّتْ قَصِيدَةُ زُهَيْرٍ فِي «الْمُعَلَّقَاتِ» فَجَاءَ فِي القرآن مَا يَفُوقُ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ [الْإِسْرَاء: 84] وَقَوْلِهِ: (طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ) [النُّور: 53] وَقَوْلِهِ: (ادْفَعْ بِالَّتِي

1 نفسه: 1/ 123.

2 الكشاف: 2/ 717.

3 مدارك التنزيل: 2/ 298.

4 الإتقان في علوم القرآن: 3/ 189. وينظر: معترك الأقران: 1/ 230.

هِيَ أَحْسَنُ) [الْمُؤْمِنُونَ: 96])) [1]. وقد أشار المفسرون [2] إلى كثيرٍ من هذه الجمل الجارية مجرى المثل كما في كلامهم على قوله تعالى: (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ) [القصص26]، وقد خصص الثعالبي فصلا ذكر فيه طائفة من الجمل التي تجري مجرى المثل في القرآن الكريم تجمع في دلالتها ((الإعجاب، والإعجاز، والإيجاز)) [3]. ومنها قوله تعالى:(وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) [فاطر: 43] وقوله تعالى:(قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شَاكِلَتِهِ) [الإسراء: 84] . ويرى السيوطي أن هذه الجمل الجارية مجرى المثل والحكمة من مظاهر إعجاز القرآن، قال:((وَمِنْهَا الْحِكَمُ الْبَالِغَةُ الَّتِي لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِأَنْ تَصْدُرَ فِي كَثْرَتِهَا وَشَرَفِهَا مِنْ آدَمِيٍّ)) [4]. كما ذكر السيوطي في النوع السادس والستين الموسوم بأمثال القرآن فائدةً جمع فيها عددًا من الجمل الواردة في القرآن مما جرى مجرى المثل ونَقَلَ عن بعض العلماء أنَّ هذا الاستعمال هو نوع بديعيٌّ يُسَمى: إرسال المثل [5].

13. أشار الشيخ الطاهر إلى أنَّ القرآن الكريم سَلَكَ مَسلكًا فريدًا في استعمال الإطناب، قال:((وَسَلَكَ القرآن مَسْلَكَ الْإِطْنَابِ لِأَغْرَاضٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَمِنْ أَهَمِّ مَقَامَاتِ الْإِطْنَابِ مَقَامُ تَوْصِيفِ الْأَحْوَالِ الَّتِي يُرَادُ بِتَفْصِيلِ وَصْفِهَا إِدْخَالُ الرَّوْعِ فِي قَلْبِ السَّامِعِ وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ عَرَبِيَّةٌ فِي مِثْلِ هَذَا،...، فَمِنْ آيَاتِ القرآن فِي مِثْلِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (كَلَّا إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ وَقِيلَ مَنْ راقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) [الْقِيَامَة: 26- 29] وَقَوْلُهُ: (فَلَوْلا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ) [الْوَاقِعَة: 83، 84] وَقَوْلُهُ: (مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) [إِبْرَاهِيم:

1 التحرير والتنوير: 1/ 123.

2 ينظر: مدارك التنزيل: 2/ 638، والبحر المحيط: 8/ 299، وحاشية الشهاب: 7/ 70.

3 الإعجاز والإيجاز: 19.

4 الجامع لأحكام القرآن: 1/ 75.

5 ينظر: الإتقان في علوم القرآن: 4/ 50، ومعترك الأقران : 1/ 356.

43]]) [1]. ومن إشارات القدماء إلى ذلك ما جاء في قول السيوطيّ عن الإيجاز والإطناب: ((اعْلَمْ أَنَّهُمَا مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْبَلَاغَةِ حَتَّى نَقَلَ صَاحِبُ سِرِّ الْفَصَاحَةِ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ: البلاغة هِيَ الْإِيجَازُ وَالْإِطْنَابُ. قَالَ صَاحِبُ الْكَشَّافِ: كَمَا أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْبَلِيغِ فِي مَظَانِّ الْإِجْمَالِ أَنْ يُجْمِلَ وَيُوجِزَ فَكَذَلِكَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ فِي مَوَارِدِ التَّفْصِيلِ أَنْ يُفَصِّلَ وَيُشْبِعَ)) [2]. وقال أيضا: ((من وجوه إعجازه (إيجازه في آية وإطنابه في أخرى) وهما من أعظم أنواع البلاغة ،...، وفسروا الإيجاز بأداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف. والإطناب أداؤه بأكثر منها لكون المقام حقيقاً بالبسط)) [3]. و جاء في تفسير المنار في هذا السياق: ((وَهُوَ مُعْجِزٌ فِي إِطْنَابِهِ كَإِيجَازِهِ، لَا لَغْوَ فِيهِ وَلَا حَشْوَ، وَلِكُلٍّ مَقَامٍ فِيهِ مَقَالٌ يَنْطَبِقُ عَلَى الْحِكْمَةِ، وَيُعِينُ عَلَى التَّدَبُّرِ وَالتَّذَكُّرِ)) [4].

14. ويرى الشيخ الطاهر أنَّ القرآنَ الكريمَ ابتكر أسلوبًا جديدًا في استعمال اللفظ، انفرد به من غيره من الكلام؛ فقد يرد اللفظ الواحد-في القرآن الكريم- في سياقٍ واحدٍ ليفيدَ دلالاتٍ عدة محتملة لا يرفضها السياقُ أو القرائنُ مما يدلُ على إعجازِ النصِّ الذي اشتملَ على مِثْلِ هذا الاستعمال من غيرِ تعارضٍ، وقد أشار إليه بقوله: ((وَمِنْ أَسَالِيبِ القرآن الْمُنْفَرِدِ بِهَا الَّتِي أَغْفَلَ الْمُفَسِّرُونَ اعْتِبَارَهَا أَنَّهُ يَرِدُ فِيهِ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ فِي مَعْنَيَيْنِ أَوْ مَعَانٍ إِذَا صَلُحَ الْمَقَامُ بِحَسَبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِإِرَادَةِ مَا يَصْلُحُ مِنْهَا، وَاسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ فِي مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ وَالْمَجَازِيِّ إِذَا صَلُحَ الْمَقَامُ لِإِرَادَتِهِمَا، وَبِذَلِكَ تَكْثُرُ مَعَانِي الْكَلَامِ مَعَ الْإِيجَازِ وَهَذَا مِنْ آثَارِ كَوْنِهِ مُعْجِزَةً خَارِقَةً لِعَادَةِ كَلَامِ الْبَشَرِ وَدَالَّةً عَلَى أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ لَدُنِ الْعَلِيمِ بِكُلِّ شَيْءٍ وَالْقَدِيرِ عَلَيْهِ.

1 التحرير والتنوير: 1/ 123.

2 الإتقان في علوم القرآن: 3/ 179.

3 معترك الأقران: 1/ 222.

4 تفسير المنار: 2/ 357.

وَقَدْ نَبَّهْنَا عَلَى ذَلِكَ وَحَقَّقْنَاهُ فِي الْمُقَدِّمَةِ التَّاسِعَةِ)) [1]. وقد عالج هذا الموضوع الراغبُ الأصفهانيُّ في الفصلِ الموسوم بـ: (جواز إرادة المعنيين المختلفين بعبارة واحدة)، اشترط فيه ألا يتنافى المعنيان المحتملان للعبارة، قال:((العبارة الموضوعة لمعنيين على سبيل الاشتراك حقيقة فيهما أو مجازاً في أحدهما؟ متى تنافي معناهما في المراد لم يصح أن يرادا معاً بعبارة واحدة)) [2]. وقد درسَ العلماءُ الألفاظَ التي تدلُّ على معنيين أو أكثرَ تحت أسماء مختلفة مثل المتشابه والظاهر والمؤول والمُشْكِل والتعريض والأشباه والنظائر، قال الزركشيُّ:((وَأَمَّا الْمُتَشَابِهُ فَأَصْلُهُ أَنْ يَشْتَبِهَ اللَّفْظُ فِي الظَّاهِرِ مَعَ اخْتِلَافِ الْمَعَانِي ،...، وَيُقَالُ لِلْغَامِضِ: مُتَشَابِهٌ لِأَنَّ جِهَةَ الشَّبَهِ فِيهِ كَمَا تَقُولُ لِحُرُوفِ التَّهَجِّي وَالْمُتَشَابِهُ مِثْلُ الْمُشْكِلِ لِأَنَّهُ أَشْكَلَ أَيْ دَخَلَ فِي شَكْلِ غَيْرِهِ وَشَاكَلَهُ وَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَقِيلَ: هُوَ الْمُشْتَبَهُ الَّذِي يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا،...، وَقِيلَ: مَا يَحْتَمِلُ وُجُوهًا)) [3]. وقال في موضع آخر:((وَقَدْ يَكُونُ اللَّفْظُ مُحْتَمِلًا لِمَعْنَيَيْنِ وَهُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَظْهَرُ فَيُسَمَّى الرَّاجِحَ ظَاهِرًا وَالْمَرْجُوحَ مُؤَوَّلًا)) [4]. وخصص فصلا للعلاقة بين اللفظ والدلالة من حيث الإفراد والتعدد؛ قال:((فَصْلٌ في اشتراك اللفظ بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز قَدْ يَكُونُ اللَّفْظُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ حَقِيقَتَيْنِ أَوْ حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ وَيَصِحُّ حَمْلُهُ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا ،...، فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا اللَّفْظِ كِلَا الْمَعْنَيَيْنِ عَلَى الْقَوْلَيْنِ أَمَّا إِذَا قُلْنَا بِجَوَازِ اسْتِعْمَالِ الْمُشْتَرَكِ فِي مَعْنَيَيْهِ فَظَاهِرٌ وَأَمَّا إِذَا قُلْنَا بِالْمَنْعِ فَبِأَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ قَدْ خُوطِبَ بِهِ مَرَّتَيْنِ مَرَّةً أُرِيدَ هَذَا وَمَرَّةً هَذَا وَقَدْ جَاءَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا كَثِيرَةً رواه أحمد أي اللَّفْظَ الْوَاحِدَ يَحْتَمِلُ مَعَانِيَ مُتَعَدِّدَةً وَلَا يَقْتَصِرُ به على ذلك

1 التحرير والتنوير: 1/ 123.

2 تفسير الراغب الأصفهاني: 1/ 40.

3 البرهان في علوم القرآن: 2/ 69-70.

4 نفسه: 2/ 205.

المعنى بل يعلم أنه يصلح لهذا ولهذا وقال ابن القشيري في مقدمة تفسيره: مالا يَحْتَمِلُ إِلَّا مَعْنًى وَاحِدًا حُمِلَ عَلَيْهِ وَمَا احتمل معنيين فصاعدا بأن وضع الأشياء مُتَمَاثِلَةٍ كَالسَّوَادِ حُمِلَ عَلَى الْجِنْسِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ وَإِنْ وُضِعَ لِمَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ فَإِنْ ظَهَرَ أَحَدُ الْمَعْنَيَيْنِ حُمِلَ عَلَى الظَّاهِرِ إِلَّا أَنْ يَقُومَ الدليل وإن استويا سواء كان الاستعمال فيهما حقيقة أو مجازا أو في أحدهما حقيقة وَفِي الْآخَرِ مَجَازًا كَلَفْظِ الْعَيْنِ وَالْقُرْءِ وَاللَّمْسِ فَإِنْ تَنَافَى الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا فَهُوَ مُجْمَلٌ فَيُطْلَبُ الْبَيَانُ مِنْ غَيْرِهِ وَإِنْ لَمْ يَتَنَافَ فَقَدْ مَالَ قَوْمٌ إِلَى الْحَمْلِ عَلَى الْمَعْنَيَيْنِ وَالْوَجْهُ التَّوَقُّفُ فِيهِ لِأَنَّهُ مَا وُضِعَ لِلْجَمِيعِ بَلْ وُضِعَ لِآحَادِ مُسَمَّيَاتٍ عَلَى الْبَدَلِ وَادِّعَاءُ إِشْعَارِهِ بِالْجَمِيعِ بَعِيدٌ نَعَمْ يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ جَمِيعَ الْمَحَامِلِ وَلَا يَسْتَحِيلُ ذَلِكَ عَقْلًا وَفِي مِثْلِ هَذَا يُقَالُ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ كَذَا وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كَذَا)) [1]. وقد التفت بعض القدماء إلى ذلك منهم الزمخشري؛ إذ قال: ((لأنّ اللفظ الواحد لا يصحّ استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين)) [2]. وقال القرطبي:((وَإِذَا احْتَمَلَ اللَّفْظُ الْحَقِيقَةَ وَالْمَجَازَ فَالْأَصْلُ الْحَقِيقَةُ حَتَّى يَرِدَ دَلِيلٌ يُزِيلُهَا)) [3]. و منهم الماوردي الذي قال: ((فإنه ينقسم قسمين: أحدهما: أن يكون مشتملاً على معنى واحد لا يتعداه، ومقصوراً عليه ولا يحتمل ما سواه، ،...،والقسم الثاني: أن يكون اللفظ محتملاً لمعنيين أو أكثر، وهذا على ضربين: أحدهما: أن يكون أحد المعنيين ظاهراً جليًّا، والآخر باطناً خفيّاً، فيكون محمولاً على الظاهر الجلي دون الباطن الخفي، إلا أن يقوم الدليل على أن الجليَّ غيرُ مُرَادٍ، فيحمل على الخفي. والضرب الثاني: أن يكون المعنيان جليَّين، واللفظ مستعملاً فيهما حقيقةً)) [4].

1 نفسه: 2/ 208.

2 الكشاف: 3/ 149.

3 الجامع لأحكام القرآن: 2/ 330.

4 النكت والعيون: 1/ 38.39.

15. ومن الابتكار اللغوي في أساليب القرآن طريقة استعمال بعض الألفاظ التي يمكن أن تلفظ على أنحاء مختلفة فتؤدي إلى دلالات مختلفة ومحتملة لا يرفضها السياق، وقد بين الشيخ الطاهر ان هذا غالبا ما يكون في القراءات القرآنية؛ إذ قرئت اللفظة القرآنية قراءات عدة باختلاف حرف أو حركة وفي كل منها دلالة جديدة يكتسب النص منها معنى جديدا كاشفا، وهذا ما بينه بقوله: ((وَمِنْ أَسَالِيبِهِ الْإِتْيَانُ بِالْأَلْفَاظِ الَّتِي تَخْتَلِفُ مَعَانِيهَا بِاخْتِلَافِ حُرُوفِهَا أَوِ اخْتِلَافِ حَرَكَاتِ حُرُوفِهَا وَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ اخْتِلَافِ كَثِيرٍ مِنَ الْقِرَاءَاتِ مِثْلَ: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا) [الزخرف: 19] قرئ (عِنْدَ) بِالنُّونِ دون ألف وقرئ (عِبَادُ) بِالْمُوَحَّدَةِ وَأَلِفٍ بَعْدَهَا، وَمِثْلَ: (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) [الزخرف: 57] بِضَمِّ الصَّادِ وَكَسْرِهَا. وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى ذَلِكَ فِي الْمُقَدِّمَةِ السَّادِسَةِ)) [1]. وقد أشار المفسرون وعلماء القراءات إلى ما تضفيه تلك القراءات من معان ودلالات، ومن ذلك ما نجده عند القرطبي في تفسير قوله تعالى:(مالك يوم الدين)[الفاتحة4] :((اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ أَيُّمَا أَبْلَغُ: مَلِكٌ أَوْ مَالِكٌ؟ وَالْقِرَاءَتَانِ مَرْوِيَّتَانِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. ذَكَرَهُمَا التِّرْمِذِيُّ، فَقِيلَ: مَلِكٌ أَعَمُّ وَأَبْلَغُ مِنْ مالِكٍ إِذْ كُلُّ مَلِكٍ مَالِكٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مَالِكٍ مَلِكًا، وَلِأَنَّ امر الْمَلِكَ نَافِذٌ عَلَى الْمَالِكِ فِي مُلْكِهِ، حَتَّى لَا يَتَصَرَّفَ إِلَّا عَنْ تَدْبِيرِ الْمَلِكِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْمُبَرِّدُ. وَقِيلَ: مالِكٌ أَبْلَغُ، لِأَنَّهُ يَكُونُ مَالِكًا لِلنَّاسِ وَغَيْرِهِمْ، فَالْمَالِكُ أَبْلَغُ تَصَرُّفًا وَأَعْظَمُ، إِذْ إِلَيْهِ إِجْرَاءُ قَوَانِينِ الشَّرْعِ، ثُمَّ عِنْدَهُ زِيَادَةُ التَّمَلُّكِ)) [2]. وقد أشار أبو زهرة إلى شيء من ذلك، قال: ((وهناك أمر... في تنوع القراءات، وهو أن يكون مجموع القراءتين -وكلتاهما قرآن- دالًا على معنيين في لفظ واحد، متلاقيين غير متضادين، ...، فالقراءتان والكلمة واحدة تدلان بالنص

1 التحرير والتنوير: 1/ 123-124.

2 الجامع لأحكام القرآن: 1/ 140. وينظر: المحرر الوجيز: 1/ 69، ومدارك التنزيل: 1/ 30، والدر المصون: 1/ 48، ومحاسن التأويل: 1/ 227.

على معنيين غير متضادين، وكلاهما صحيح صادق)) [1]. وقد توقف القدماء على اثر اختلاف القراءات القرآنية في المعنى [2].

16. ومن الابتكار اللغوي للنص القرآني ما يمتاز به أسلوبه من جزالة في موضعها، واستعمال الرقة في موضعها، قال: ((وَاعْلَمْ أَنَّ مِمَّا يَنْدَرِجُ تَحْتَ جِهَةِ الْأُسْلُوبِ مَا سَمَّاهُ أَئِمَّةُ نَقْدِ الْأَدَبِ بِالْجَزَالَةِ، وَمَا سَمَّوْهُ بِالرِّقَّةِ وَبَيَّنُوا لِكُلٍّ مِنْهُمَا مَقَامَاتِهِ وَهُمَا رَاجِعَتَانِ إِلَى مَعَانِي الْكَلَامِ، وَلَا تَخْلُو سُورَةٌ مِنَ القرآن مِنْ تَكَرُّرِ هَذَيْنِ الْأُسْلُوبَيْنِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا بَالِغٌ غَايَتَهُ فِي مَوْقِعِهِ، فَبَيْنَمَا تَسْمَعُهُ يَقُولُ: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [الزمر: 53] وَيَقُولُ:(يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً)[النِّسَاء: 28] إِذْ تَسْمَعُهُ يَقُولُ:(فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ) [فصلت: 13] قَالَ عِيَاض فِي «الشِّفَاء» : إِنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ الْآيَةَ أَمْسَكَ بِيَدِهِ عَلَى فَمِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَهُ: نَاشَدْتُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ إِلَّا مَا كَفَفْتَ)) [3]. وقد أشار الباقلاني إلى ذلك، قال:((وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ أَجْنَاسَ الْكَلَامِ مُخْتَلِفَةٌ وَمَرَاتِبَهَا فِي دَرَجَةِ الْبَيَانِ مُتَفَاوِتَةٌ ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية فَمِنْهَا الْبَلِيغُ الرَّصِينُ الْجَزْلُ وَمِنْهَا الْفَصِيح الْقَرِيبُ السَّهْلُ وَمِنْهَا الْجَائِزُ الطَّلْقُ الرَّسْلُ وَهَذِهِ أقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتة فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ أَعْلَاهُ وَالثَّانِي أَوْسَطُهُ وَالثَّالِثُ أَدْنَاهُ وَأَقْرَبُهُ فَحَازَتْ بَلَاغَاتُ القرآن مِنْ كُلِّ قِسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ حِصَّةً وَأَخَذَتْ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ شُعْبَةً فَانْتَظَمَ لَهَا بِامْتِزَاجِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ نَمَطٌ مِنَ الْكَلَامِ يَجْمَعُ صِفَتَيِ الْفَخَامَةِ وَالْعُذُوبَةِ وَهُمَا عَلَى الِانْفِرَادِ فِي نُعُوتِهِمَا كَالْمُتَضَادَّيْنِ لِأَنَّ العذوبة نتاج السهولة

---

1 المعجزة الكبرى القرآن: 42.

2 ينظر: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية :137-255. والكتاب غرضه بيان ذلك.

3 التحرير والتنوير: 1/ 124.

والجزالة والمتانة في الكلام يُعَالِجَانِ نَوْعًا مِنَ الْوُعُورَةِ فَكَانَ اجْتِمَاعُ الْأَمْرَيْنِ فِي نَظْمِهِ مَعَ نُبُوِّ كُلٍّ مِنْهُمَا عَنِ الآخر فضيلة خص بها القرآن يسرها الله بلطيف قدرته ليكون آية بينة لنبيه ودلالة على صحة ما دعا إليه من أمر دينه)) [1]. وقد نبّه الزركشيُّ على هذه الخصوصية للأسلوب القرآني، قال:((وَمِنْهَا جَمْعُهُ بَيْنَ صِفَتَيِ الْجَزَالَةِ وَالْعُذُوبَةِ وَهُمَا كَالْمُتَضَادَّيْنِ لَا يَجْتَمِعَانِ غَالِبًا فِي كَلَامِ الْبَشَرِ لِأَنَّ الْجَزَالَةَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي لَا تُوجَدُ إِلَّا بِمَا يَشُوبُهَا مِنَ الْقُوَّةِ وَبَعْضِ الْوُعُورَةِ وَالْعُذُوبَةَ مِنْهَا مَا يُضَادُّهَا مِنَ السَّلَاسَةِ وَالسُّهُولَةِ فَمَنْ نَحَا نَحْوَ الصُّورَةِ الْأُولَى فَإِنَّمَا يَقْصِدُ الْفَخَامَةَ وَالرَّوْعَةَ فِي الْأَسْمَاعِ مِثْلُ الْفُصَحَاءِ مِنَ الْأَعْرَابِ وَفُحُولِ الشُّعَرَاءِ مِنْهُمْ وَمَنْ نَحَا نَحْوَ الثَّانِيَةِ قَصَدَ كَوْنَ الْكَلَامِ فِي السَّمَاعِ أَعْذَبَ وَأَشْهَى وَأَلَذَّ مِثْلُ أَشْعَارِ الْمُخَضْرَمِينَ وَمَنْ دَانَاهُمْ مِنَ الْمُوَلَّدِينَ الْمُتَأَخِّرِينَ وَتَرَى أَلْفَاظَ القرآن قَدْ جَمَعَتْ فِي نَظْمِهِ كِلْتَا الصِّفَتَيْنِ وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ وُجُوهِ الْبَلَاغَةِ وَالْإِعْجَازِ)) [2]. وقد عدّ القرطبي الجزالة أحد وجوه الإعجاز، قال:((وَمِنْهَا: الْجَزَالَةُ الَّتِي لَا تَصِحُّ مِنْ مَخْلُوقٍ بِحَالٍ، وَتَأَمَّلْ ذَلِكَ فِي سُورَةِ(ق وَالقرآن الْمَجِيدِ) إِلَى آخِرِهَا، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ:(وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ:(وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. قَالَ ابْنُ الْحَصَّارِ: فَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْحَقُّ، عَلِمَ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْجَزَالَةِ لَا تَصِحُّ فِي خطاب غيره، لا يَصِحُّ مِنْ أَعْظَمِ مُلُوكِ الدُّنْيَا أَنْ يَقُولَ: (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) وَلَا أَنْ يَقُولَ: (وَيُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ))) [3]. وقال في موضع آخر:((إِنَّ القرآن لَمَّا كَانَ فِي غَايَةِ الْجَزَالَةِ وَالْبَلَاغَةِ، فَكَانُوا إِذَا رأوا عجز هم عَنْ مُعَارَضَتِهِ، اقْشَعَرَّتِ الْجُلُودُ مِنْهُ إِعْظَامًا لَهُ، وَتَعَجُّبًا مِنْ حُسْنِ

---

1 إعجاز القرآن للباقلاني: 14-15. ونقله الزركشي في: البرهان في علوم القرآن: 2/ 102، والسيوطي في: الإتقان في علوم القرآن: 4/ 14.

2 البرهان في علوم القرآن: 2/ 107، ونقله السيوطي في: الإتقان في علوم القرآن: 4/ 17.

3 الجامع لأحكام القرآن: 1/ 73.

تُرْصِيعِهِ وَتَهَيُّبًا لِمَا فِيهِ)) [1] . إنَّ في هذه الإشارات التي نجدها عند علماء القرآن من القدماء- في هذا الموضع والمواضع السابقة- ما يدل على التفاتهم إلى هذه الأساليب التعبيرية التي عدها الطاهر ابتكارًا لغويًا ، ويدل أيضًا على تنبيههم على قيمتها الفنية واللغوية والدلالية ومكانتها في اتصاف النص القرآني بصفة الإعجاز. ولا شك في أنَّ الشيخ الطاهر اطلع على هذه الآراء الخاصة بالإعجاز القرآني فتبناها، ولكنه عبَّر عنها بصفة الابتكار، ليؤكد بذلك قضية الإعجاز اللغوي للقران الكريم، وليكون الابتكار اللغوي احد مظاهر الإعجاز ومصادره.

17. ويرى الشيخ الطاهر أنَّ البناء الموسيقي للنص القرآني من معالم الابتكار اللغوي فيه، إذ يجد أنَّ بناءه بناءٌ لغوي مبتكر قائم على أسلوب الفواصل المتماثلة في الإسماع على الرغم من عدم تماثلها في الحروف، والغاية من ذلك البناء –عنده- أنه يؤدي إلى تناسقٍ موسيقيٌ يُساعد الذاكرةَ الإنسانيةَ على حفظه، كما يُسهم ذلك في إمكانية البقاء في تلك البيئة الشفهية، قال:((وَكَانَ لِفَصَاحَةِ أَلْفَاظِهِ وَتَنَاسُبِهَا فِي تَرَاكِيبِهِ وَتَرْتِيبِهِ عَلَى ابْتِكَارِ أُسْلُوبِ الْفَوَاصِلِ الْعَجِيبَةِ الْمُتَمَاثِلَةِ فِي الْأَسْمَاعِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُتَمَاثِلَةَ الْحُرُوفِ فِي الْأَسْجَاعِ، كَانَ لِذَلِكَ سَرِيعَ الْعُلُوقِ بِالْحَوَافِظِ خَفِيفَ الِانْتِقَالِ وَالسَّيْرِ فِي الْقَبَائِلِ، مَعَ كَوْنِ مَادَّتِهِ وَلُحْمَتِهِ هِيَ الْحَقِيقَةَ دُونَ الْمُبَالَغَاتِ الْكَاذِبَةِ وَالْمُفَاخَرَاتِ الْمَزْعُومَةِ، فَكَانَ بِذَلِكَ لَهُ صَوْلَةُ الْحَقِّ وَرَوْعَةٌ لِسَامِعِيهِ، وَذَلِكَ تَأْثِيرٌ رُوحَانِيٌّ وَلَيْسَ بِلَفْظِيٍّ وَلَا مَعْنَوِيٍّ)) [2].

القسم الثاني: جاء هذا القسم مبثوثا في صفحات تفسيره:(التحرير والتنوير)، وليس مجموعا كما هو شأن القسم الأول، ومادة القسم الثاني تختلف عن مادة القسم الأول؛ فمادة القسم الثاني هي مجموعة من الآيات التي ذَكَرَ الشيخُ الطاهرُ في تفسيرها:

1 نفسه: 15/ 250.

2 التحرير والتنوير: 1/ 119.

أنَّ فيها مُبتكرًا لغويًا، وقد جَمَعْنا هذه المواضعَ في هذا القسم، لأنها أمثلةٌ جزئيةٌ وليست قواعدَ نظريةً جامعةً أو ضوابطَ كُلِّيَّة ناظمة، كما هي الحال مع مادة القسم الأول. وفي ما يأتي الألفاظ والتراكيب التي وصفها الطاهر بالابتكار، مما وقفنا عليه في تفسير التحرير والتنوير، وقد صرّح الشيخ الطاهر بأنّ فيها ابتكارًا لغويًا :

الْآيَةُ: عرفها الطاهر بن عاشور بأنها: ((مِقْدَارٌ مِنَ القرآن مُرَكَّبٌ وَلَوْ تَقْدِيرًا أَوْ إِلْحَاقًا، فَقَوْلِي وَلَوْ تَقْدِيرًا لِإِدْخَال قَوْلِهِ تَعَالَى: (مُدْهامَّتان) [الرَّحْمَن: 64] إِذِ التَّقْدِيرُ هُمَا مُدْهَامَّتَانِ، وَنَحْو: (وَالْفَجْرِ) [الْفَجْر:1] إِذِ التَّقْدِيرُ أُقْسِمُ بِالْفَجْرِ.... أَوْ إِلْحَاقًا: لِإِدْخَال بَعْضِ فَوَاتِحِ السُّوَرِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فَقَدْ عَدَّ أَكْثَرُهَا فِي الْمَصَاحِفِ آيَاتٌ مَا عَدَا:الر، وَالمر، وَطس، وَذَلِكَ أَمْرٌ تَوْقِيفِيٌّ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ وَلَا يَظْهَرُ فَرْقٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ غَيْرِهَا)) [1]. ثم نصَّ بعد ذلك بأنَّ مصطلح الآية مما ابتكره القرآن الكريم، قال: ((وَتَسْمِيَةُ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ آيَاتٌ هُوَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن)) [2]، ولفظ(الآية) ورد في النص الكرم كما في قوله تَعالَى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ) [آل عمران: 7] وَقَالَ:(كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ) [هود: 1] ، وعلل الطاهر سبب تسميتها بأنها إِنَّمَا سُمِّيَتْ (آيَةً) ((لِأَنَّهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا مُوحًى بِهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى مَا هُوَ مِنَ الْحَدِّ الْأَعْلَى فِي بَلَاغَةِ نَظْمِ الْكَلَامِ، وَلِأَنَّهَا لِوُقُوعِهَا مَعَ غَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ جُعِلَتْ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ القرآن مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَلَيْسَ مِنْ تَأْلِيفِ الْبَشَرِ إِذْ قد تحدّى النَّبِي بِهِ أَهْلَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَعَجَزُوا عَنْ تَأْلِيفِ مِثْلِ سُورَةٍ مِنْ سُوَرِهِ)) [3]. وبناءً على كون التسمية من ابتكار

1 نفسه: 1/ 74.

2 نفسه: 1/ 74.

3 نفسه: 1/ 74. وهو مما ذكره القدماء، ينظر: جامع البيان: 6/ 384، ومشكل إعراب القرآن: 1/ 379، وتفسير الراغب الأصفهاني: 2/ 548، والمفردات في غريب القرآن: 103، والكشاف: 1/ 525، والمحرر الوجيز: 1/ 57، والتبيان في إعراب القرآن: 1/ 56، والجامع لأحكام القرآن: 1/ 66، وبصائر ذوي التمييز: 1/ 86، والدر المصون: 1/ 308.

القرآن فهو يقرر أنه((لَا يَحِقُّ لِجُمَلِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ أَنْ تُسَمَّى آيَاتٍ إِذْ لَيْسَتْ فِيهَا هَذِهِ الْخُصُوصِيَّةُ فِي اللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ وَالْآرَامِيَّةِ))[1].

صِبْغَةَ اللَّهِ: بيّن الشيخ الطاهر في تفسير قوله تعالى: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)[البقرة138] أن أصل الصبغة هو الاغتسال بماء نهر في الأردن وهو سنة بدأها يحيى عليه السلام واتبعها النصارى رمزا للتطهر الروحاني[2]، وكانوا يسمونها بـ(المعموذيت)، وَقد كَانَ عِيسَى يعمد الْحَوَارِيِّينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، فَتَقَرَّرَ فِي سُنَّةِ النَّصَارَى تَعْمِيدَ مَنْ يَدْخُلُ فِي دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ كَبِيرًا، أَمَّا مَنْ يُوَلَدُ لِلنَّصَارَى فَيُعَمِّدُونَهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ وِلَادَتِهِ، وقد عرّب العرب هذا اللفظ فقالوا: (المعمودية)[3]. ثم ذهب إلى احتمالين في تأصيل استعمال الصبغة، في القرآن، بمعنى المعمودية، الأول أنها من ابتكار القرآن الكريم، والاحتمال الثاني ان يكون هذا الاستعمال مما ابتدعه نصارى العرب في الجاهلية، قال: ((وإِطْلَاقُ اسْمِ الصِّبْغَةِ عَلَى الْمَعْمُودِيَّةِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ نَصَارَى الْعَرَبِ سَمُّوا ذَلِكَ الْغَسْلِ صِبْغَةً، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى مَا يُثْبِتُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَظَاهِرُ كَلَامِ الرَّاغِبِ أَنَّهُ إِطْلَاقٌ قَدِيمٌ عِنْدَ النَّصَارَى إِذْ قَالَ: «وَكَانَتِ النَّصَارَى إِذَا وُلِدَ لَهُمْ وَلَدٌ غَمَسُوهُ بَعْدَ السَّابِعِ فِي مَاءِ مَعْمُودِيَّةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ صِبْغَةً لَهُمْ»))[4]. ويرى أن وَجْهُ تَسْمِيَةِ الْمَعْمُودِيَّةِ (صِبْغَةً) خَفِيٌّ السبب لان مَاءِ الْمَعْمُودِيَّةِ لا لَوْن له فَيُطْلَق عَلَى

---

1 التحرير والتنوير: 1/ 74.

2 ورد هذا التفسير في: جامع البيان 3/ 117، ومعاني القرآن وإعرابه: 1/ 215، وتفسير الراغب الأصفهاني: 1/ 325، والكشاف: 1/ 196، والمحرر الوجيز: 1/ 216، ومفاتيح الغيب: 4/ 75، ومحاسن التأويل: 1/ 409.

3 ينظر: التحرير والتنوير: 1/ 743. وينظر فيها: أسباب النزول: 41، ومعالم التزيل: 1/ 173، وزاد المسير: 1/ 116، وأنوار التنزيل: 1/ 109، ومدارك التنزيل: 1/ 134، والجامع لأحكام القرآن: 2/ 144، والبحر المحيط: 1/ 655، واللباب في علوم الكتاب: 2/ 527، ومعترك الأقران: 1/ 312.

4 التحرير والتنوير: 1/ 743.

التَّلَطُّخِ بِهِ. ومن ثم راح يقرر ((إِطْلَاقُ الصِّبْغَةِ عَلَى مَاءِ الْمَعْمُودِيَّةِ أَوْ عَلَى الِاغْتِسَالِ بِهِ اسْتِعَارَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى تَشْبِيهٍ وَجْهُهُ تَخْيِيلِيٌّ إِذْ تَخَيَّلُوا أَنَّ التَّعْمِيدَ يُكْسِبُ الْمُعَمَّدَ بِهِ صِفَةَ النَّصْرَانِيَّةِ وَيُلَوِّنُهُ بِلَوْنِهَا كَمَا يُلَوِّنُ الصَّبْغُ ثَوْبًا مَصْبُوغًا)) [1]. ويبدو أن سبب قوله بالابتكار اللغوي في استعمال(صبغة الله) هو جدّةُ استعمالها بالدلالة المذكورة؛ فظاهر كلام الشيخ أنَّ أول استعمال لها بهذه الدلالة هو الوارد في القرآن في هذا الموضع.

وَاللَّهُ وَاسِعٌ: تكلم الشيخُ الطاهرُ على كلمة (واسع) في الآية الكريمة:(وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (73) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (74))[آل عمران 73-74] فبيّن معناها الأصلي ثم معناها الذي نتج من اتساع دلالتها بسبب كثرة استعمالها، قال: ((يُطْلَقُ الِاتِّسَاعُ وَمَا يُشْتَقُّ مِنْهُ عَلَى وَفَاءِ شَيْءٍ بِالْعَمَلِ الَّذِي يَعْمَلُهُ نَوْعُهُ دُونَ مَشَقَّةٍ يُقَالُ: فُلَانٌ وَاسِعُ الْبَالِ، وَوَاسِعُ الصَّدْرِ، وَوَاسِعُ الْعَطَاءِ. وَوَاسِعُ الْخُلُقِ، فَتَدُلُّ عَلَى: شِدَّةٍ أَوْ كَثْرَةِ مَا يُسْنَدُ إِلَيْهِ أَوْ يُوصَفُ بِهِ أو يعلق بِهِ مِنْ أَشْيَاءَ وَمَعَانٍ، وَشَاعَ ذَلِكَ حَتَّى صَارَ مَعْنًى ثَانِيًا)) [2]. وقال الزجاج:((أصل السعَة فِي الْكَلَام كَثْرَة أجزاء الشَّيْء يُقَال إِنَاء وَاسع وَبَيت وَاسع ثمَّ قد يسْتَعْمل فِي الْغنى يُقَال فلَان يُعْطي من سَعَة يرَاهُ من غنى وَجدَة وَفُلَان وَاسع الرحل وَهُوَ الْغَنِيّ)) [3]. قال أبو بكر الانباري في تفسير معنى الواسع: ((الواسع معناه في كلامهم: الكثير العطايا، الذي يسع لما يُسأل، عز وجل... ويقال الواسع: المحيط بعلم كل شيء)) [4]. قال الراغب:((السَّعَةُ تقال في الأمكنة، وفي الحال،

1 نفسه: 1/ 743.

2 نفسه: 3/ 285.

3 تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج: 51.

4 الزاهر في معاني كلمات الناس: 1/ 94. وينظر: لسان العرب: 8/ 392،وتاج العروس: 22/ 325.

وفي الفعل كالقدرة والجود ونحو ذلك)) [1]. بيّن الشيخ الطاهر أن (واسع) ورد في القرآن الكريم، بالمعنى المجازي، اسمًا من أسماء الله الحسنى، قال: ((وواسِعٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَهُوَ بِالْمَعْنَى الْمَجَازِيِّ لَا مَحَالَةَ لِاسْتِحَالَةِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ فِي شَأْنِهِ تَعَالَى،...، وَإِسْنَادُ وَصْفِ وَاسِعٍ إِلَى اسْمِهِ تَعَالَى إِسْنَادٌ مجازي أَيْضا لأَنَّ الْوَاسِعَ صِفَاتُهُ فَوَصْفُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنَّهُ وَاسِعٌ هُوَ سِعَةُ الْفَضْلِ لِأَنَّهُ وَقَعَ تَذْيِيلًا لِقَوْلِهِ: (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ))) [2]، وقد ذكر الزمخشري الاستعمال المجازي هذا ، قال:((وسع المكان وغيره سعةً واتسع وتوسع واستوسع. ،...، ولي في هذا المكان متّسع،...، وفرس وساعٌ ووسيعٌ: واسع الخطو، وقد وسع وساعة. ووسع الرجل المكان، ووسعه المكان. ومن المجاز: إنه ليسعني ما يسعك، ولا يسعني شيء ويضيق عنك، ولا يسعك أن تفعل كذا. ووسّع الله عليه العيش وأوسعه. وأوسع الرجل واستوسع: اتسعت حاله. وهو في عيش واسع " والله واسع "، ووسعت رحمته كل شيء)) [3]. ثم قرر الطاهر بعد ذلك أنَّ استعماله في وصف الله تعالى مما ابتكره القرآن الكريم، قال:((وَأَحْسَبُ أَنَّ وَصْفَ اللَّهِ بِصِفَةِ وَاسِعٍ فِي الْعَرَبِيَّةِ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن)) [4]. اي أنَّ سبب وصفها بالابتكار هنا هو أنها لم يَسبق أن استُعملَت كلمة الواسع في وَصْف الله تعالى قبل استعمالها في القرآن الكريم.

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ : توقف الشيخُ الطاهر في تفسيره للآية الكريمة: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (128) [آل عمران 128] على سبب نزولها، وهو أَنَّهُ لَمَّا شُجَّ وَجْهُ الرسول (ص) يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ دَاعِيًا وَرَحْمَةً، اللَّهُمَّ اهْدِ

---

1 المفردات في غريب القرآن: 870.

2 التحرير والتنوير 3/ 285. وفيه من كلام الغزالي في: المقصد الأسنى: 119.

3 أساس البلاغة: 2/ 333. وينظر أيضا: المصباح المنير: 2/ 660.

4 التحرير والتنوير: 3/ 285.

قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [1]. ثم ذكر أقوال العلماء في دعاء الرسول على أعدائه وما إذا كانت هذه الآية حرمته عليه أو نسخت جوازه. ثم تحدث عن التركيب الذي تتألف منه الجملة، قال:((وَاللَّامُ الْجَارَّةُ لَامُ الْمِلْكِ، وَكَافُ الْخِطَابِ لِمُعَيَّنٍ، وَهُوَ الرَّسُولُ- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-. وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ إِذْ رُكِّبَتْ تَرْكِيبًا وَجِيزًا مَحْذُوفًا مِنْهُ بَعْضُ الْكَلِمَاتِ، وَلَمْ أَظْفَرْ، فِيمَا حَفِظْتُ مِنْ غَيْرِ القرآن، بِأَنَّهَا كَانَتْ مُسْتَعْمَلَةً عِنْدَ الْعَرَبِ، فَلَعَلَّهَا مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن)) [2]، ولم يكتفِ بذلك وإنما التفت إلى تراكيبَ نحوية مشابهة وردت في آيات قرآنية أخرى، جاء بعضها محكيًا، فنبّه على أنها إنْ كان القرآن حكاها معنًى فقط دون اللفظ فهي من مبتكراته، وان كانت محكيةً لفظًا ومعنًى فهي في هذه الحال من المبتكرات الدلالية في القرآن الكريم؛ قال:((وَقَرِيبٌ مِنْهَا قَوْلُهُ:(وَما أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) [الممتحنة: 4] وَسَيَجِيءُ قَرِيبٌ مِنْهَا فِي قَوْلِهِ الْآتِي: (يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ) [آل عمران: 154] (ويَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنا هاهُنا) [آل عمران: 154] فَإِنْ كَانَتْ حِكَايَةُ قَوْلِهِمْ بِلَفْظِهِ، فَقَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مُسْتَعْمَلَةٌ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَإِنْ كَانَ حِكَايَةً بِالْمَعْنَى فَلَا)) [3].

الْجَاهِلِيَّةِ: وفي تفسيره للآية الكريمة:(ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ

---

1 ينظر: نفسه 4/ 82. وتنظر أقوال المفسرين فيها، في: جامع البيان: 7/ 194، ومعاني القرآن وإعرابه: 1/ 467،وأسباب النزول: 121، ومعالم التنزيل: 1/ 503، والكشاف: 1/ 413، والمحرر الوجيز: 1/ 505، وزاد المسير: 1/ 323، ومفاتيح الغيب: 8/ 355، وأنوار التنزيل: 2/ 37، ومدارك التنزيل: 1/ 290، والجامع لأحكام القرآن: 4/ 199-200، والبحر المحيط: 3/ 338، واللباب في علوم الكتاب: 5/ 530،وإرشاد العقل السليم: 2/ 83، وحاشية الشهاب: 5/ 239، وروح المعاني: 2/ 264.

2 التحرير والتنوير: 4/ 82.

3 نفسه: 4/ 83.

كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)[آل عمران154] تكلم الشيخ الطاهر على كلمة: (الجاهلية)؛ فبيَّن أنَّها((صِفَةٌ جَرَتْ عَلَى مَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ يُقَدَّرُ بِالْفِئَةِ أَوِ الْجَمَاعَةِ، وَرُبَّمَا أُرِيدَ بِهِ حَالَةُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي قَوْلِهِمْ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:(تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)[الأحزاب 33]، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ نِسْبَةٌ إِلَى الْجَاهِلِ أَيِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ الدِّينَ وَالتَّوْحِيدَ)) [1]. ثم قرر بعد ذلك أنَّ هذا الاستعمال من جاء به القرآن الكريم، قال:((وَأَحْسَبُ أَنَّ لَفْظَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن، وَصَفَ بِهِ أَهْلَ الشِّرْكِ تَنْفِيرًا مِنَ الْجَهْلِ، وَتَرْغِيبًا فِي الْعِلْمِ، وَلِذَلِكَ يَذْكُرُهُ القرآن فِي مَقَامَاتِ الذَّمِّ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ:(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) [الْمَائِدَة: 50] (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى) [الْأَحْزَاب: 33](إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ) [الْفَتْح: 26])) [2]. ثم ذكر قولهم: شِعْرُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَيَّامُ الْجَاهِلِيَّةِ، وقول ابْنُ عَبَّاس: سَمِعْتُ أَبِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُ: اسْقِنَا كَأْسًا دِهَاقًا. وعقب عليه:((وَلَمْ يُسْمَعْ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَّا بَعْدَ نُزُولِ القرآن وَفِي كَلَامِ الْمُسْلِمِينَ)) [3]. وقوله بالابتكار في هذه الكلمة ناتج من أنَّها لم تُستَعمَل بهذه الدلالة المذكورة إلَّا في القرآن الكريم، وقد تناول الباحث عودة خليل عودة التطور في دلالة كلمة (الجاهلية) في القرآن الكريم، بعد أن عَرَضَ معانيَها في المعجم العربي والشعر العربي قبلَ الإسلام، وهي: الجهل ضد العلم، والجهل بمعنى الضياع والتّيه، وبمعنى السَّفَه والطيش والغضب، وبمعنى الإعراض عن دين الله تعالى،ثم انتهى إلى أنَّ ((مصطلح الجاهلية الذي صَنَعَهُ القرآنُ الكريم مستمد من الجهل بمعنى السفه والطيش والإعراض وليس من الجهل الذي هو ضد العلم)) [4].

1 نفسه: 4/ 136.

2 نفسه: 4/ 136.

3 نفسه: 4/ 136.

4 التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن:150.

كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ: ذكر الشيخ الطاهر في تفسير قوله تعالى:(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[الاعراف175-176] ، أن((اسْتِعْمَالُ القرآن لَفْظَ الْمَثَلِ بَعْدَ كَافِ التَّشْبِيهِ مَأْلُوفٌ بِأَنَّهُ يُرَادُ بِهِ تَشْبِيهُ الْحَالَةِ بِالْحَالَةِ، ،... فَلِذَلِكَ تَعَيَّنَ أَنَّ التَّشْبِيهَ هُنَا لَا يَخْرُجُ عَنِ الْمُتَعَارَفِ فِي التَّشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ، فَهَذَا الضَّالُّ تَحَمَّلَ كُلْفَةَ اتِّبَاعِ الدِّينِ الصَّالِحِ وَصَارَ يَطْلُبُهُ فِي حِينٍ كَانَ غَيْرَ مُكَلَّفٍ بِذَلِكَ فِي زَمَنِ الْفَتْرَةِ فَلَقِيَ مِنْ ذَلِكَ نَصَبًا وَعَنَاءً، فَلَمَّا حَانَ حِينُ اتِّبَاعِ الْحَقِّ ببعثة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَمَّلَ مَشَقَّةَ الْعِنَادِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ فِي وَقْتٍ كَانَ جَدِيرًا فِيهِ بِأَنْ يَسْتَرِيحَ مِنْ عَنَائِهِ لِحُصُولِ طِلْبَتِهِ فَكَانَتْ حَالَتُهُ شَبِيهَةً بِحَالَةِ الْكَلْبِ الْمَوْصُوفِ بِاللَّهَثِ، فَهُوَ يَلْهَثُ فِي حَالَةِ وُجُودِ أَسْبَابِ اللَّهَثِ مِنَ الطَّرْدِ وَالْإِرْهَابِ وَالْمَشَقَّةِ وَهِيَ حَالَةُ الْحَمْلِ عَلَيْهِ، وَفِي حَالَةِ الْخُلُوِّ عَنْ ذَلِكَ السَّبَبِ وَهِيَ حَالَةُ تَرْكِهِ فِي دَعَةٍ وَمُسَالَمَةٍ، وَالَّذِي يُنَبِّهُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى هُوَ قَوْلُهُ أَوْ تَتْرُكْهُ)) [1] . وبيّن الطاهرُ علةَ اختيار حيوان الكلب للتشبيه به دونَ غيره من الحيوانات بأنّه((لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ حَالَةٌ تصلح لِلتَّشْبِيهِ بِهَا فِي الْحَالَتَيْنِ غَيْرُ حَالَةِ الْكَلْبِ اللَّاهِثِ، لِأَنَّهُ يَلْهَثُ إِذَا أُتْعِبَ وَإِذَا كَانَ فِي دَعَةٍ، فَاللَّهَثُ فِي أَصْلِ خِلْقَتِهِ)) [2].

1 التحرير والتنوير 9/ 177. وينظر تفسير التمثيل في: جامع البيان: 13/ 271، والحيوان: 1/ 238و2/ 166، الأمثال من الكتاب والسنة: 28، ومعاني القرآن للنحاس: 3/ 106، والانتصار للقرآن للباقلاني: 2/ 750، والتفسير الوسيط: 2/ 428، والمفردات في غريب القرآن: 760، ومعالم التنزيل: 2/ 252، والكشاف: 2/ 178، والمحرر الوجيز: 2/ 478، وزاد المسير: 2/ 171، ومفاتيح الغيب: 15/ 405-406، وأنوار التنزيل: 3/ 42، ومدارك التنزيل: 1/ 618، والبحر المحيط: 5/ 224-225، واللباب في علوم الكتاب: 9/ 390-391، وبصائر ذوي التمييز: 4/ 483، وروح المعاني: 2/ 366، ومحاسن التأويل: 5/ 223، وتفسير الشعراوي: 7/ 4462.

2 التحرير والتنوير: 9/ 177.

وبعد أنْ كَشَفَ عمّا في هذا التمثيل المركب من دقة في الاختيار والتعبير الذي يرسم صورة متكاملة للحالة المراد التعبير عنها على نحو يغري المتلقي بالتدقيق في ملامح هذه الصورة وفهم دلالاتها وإيحاءاتها، ثم يقرر ان هذا التمثيل من ابتكار القرآن الكريم، قال:((وَهَذَا التَّمْثِيلُ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن ،...، فَهَذَا تَشْبِيهُ تَمْثِيلٍ مُرَكَّبٌ مُنْتَزَعَةٌ فِيهِ الْحَالَةُ الْمُشَبَّهَةُ وَالْحَالَةُ الْمُشَبَّهُ بِهَا مِنْ مُتَعَدِّدٍ، وَلَمَّا ذَكَرَ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ فِي شِقِّ الْحَالَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا، تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ لَهَا مُقَابِلٌ فِي الْحَالَةِ الْمُشَبَّهَةِ، وَتَتَقَابَلُ أَجْزَاءُ هَذَا التَّمْثِيلِ بِأَنْ يُشَبَّهَ الضَّالُّ بِالْكَلْبِ، وَيُشَبَّهَ شَقَاؤُهُ وَاضْطِرَابُ أَمْرِهِ فِي مُدَّةِ الْبَحْثِ عَنِ الدِّينِ بِلَهَثِ الْكَلْبِ فِي حَالَةِ تَرْكِهِ فِي دَعَةٍ، تَشْبِيهَ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ، وَيُشَبَّهَ شَقَاؤُهُ فِي إِعْرَاضِهِ عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ عِنْدَ مَجِيئِهِ بِلَهَثِ الْكَلْبِ فِي حَالَةِ طَرْدِهِ وَضَرْبِهِ تَشْبِيهَ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ. وَقَدْ أَغْفَلَ هَذَا الَّذِينَ فَسَّرُوا هَذِهِ الْآيَةَ فَقَرَّرُوا التَّمْثِيلَ بِتَشْبِيهِ حَالَةٍ بَسِيطَةٍ بِحَالَةٍ بَسِيطَةٍ فِي مُجَرَّدِ التَّشْوِيهِ أو الخسة. فيؤول إِلَى أَنَّ الْغَرَضَ مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْكَلْبِ إِظْهَارُ خِسَّةِ الْمُشَبَّهِ، كَمَا دَرَجَ عَلَيْهِ فِي «الْكَشَّافِ» ، وَلَوْ كَانَ هَذَا هُوَ الْمُرَادَ لَمَا كَانَ لِذِكْرِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ كَبِيرُ جَدْوَى، بَلْ يَقْتَصِرُ عَلَى أَنَّهُ لِتَشْوِيهِ الْحَالَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا، لِتَكْتَسِبَ الْحَالَةُ الْمُشَبَّهَةُ تَشْوِيهًا، وَذَلِكَ تَقْصِيرٌ فِي حَقِّ التَّمْثِيلِ)) [1]. وقد سبق أن أشار بعض القدماء إلى ما في هذا التمثيل من بلاغة متناهية في الحسن؛ قال الزجاج:((ضرب اللّه عزَّ وجلَّ: بالتارك لآياته والعَادِلِ عنها. أحسن مثل في أخسِّ أحواله، فقال عزَّ وجل: (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ) إذا كان الكلب لهثان، وذلك أن الكلب إذا كان يلهث فهو لا يقدر لنفسه على ضَر وَلَا نَفْع، لأن التمثيل به على أنه يلهث على كل حال حملت عليه أو تركته، فالمعنى فمثله كمثل الكلب لاهثاً)) [2].وقد عدّه أبو هلال العسكري من أجود صور التشبيه وابلغه، لأنَّ فيه إخراجَ

1 نفسه: 9/ 177-178.

2 معاني القرآن وإعرابه: 2/ 391.

ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه من لهث الكلب [1]. وقال البيضاوي:((والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان)) [2]. ونقل القرطبي في تفسيره:((هَذَا شَرُّ تَمْثِيلٍ، لِأَنَّهُ مِثْلُهُ فِي أَنَّهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ هَوَاهُ حَتَّى صَارَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا بِكَلْبٍ لَاهِثٍ أَبَدًا، حُمِلَ عَلَيْهِ أَوْ لَمْ يُحْمَلْ عَلَيْهِ، فَهُوَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ تَرْكَ اللَّهَثَانِ)) [3]. ويعلق السيد قطب على الصورة التي يحتويها هذا التمثيل، واصفا إياه بالجديد وغير المسبوق في لغة العرب، قال:((إنه مشهد من المشاهد العجيبة، الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات؛ إنسان يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع، ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخاً،...، ثم إذا هو مسخ في هيئة الكلب، يلهث إن طورد ويلهث إن لم يطارد. كل هذه المشاهد المتحركة تتتابع وتتوالى والخيال شاخص يتبعها في انفعال وانبهار وتأثر،...،وهل يبلغ قول قائل في وصف هذه الحالة وتصويرها على هذا النحو العجيب الفريد إلا هذا القرآن العجيب الفريد)) [4].

خُذِ الْعَفْوَ: وفي تفسير قوله تعالى:(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [الاعراف199] يبين الشيخ الطاهر المعنى اللغوي لـ(الأخذ) واستعماله المجازي على طريق الاستعارة في الآية الكريمة ، فقول:((وَالْأَخْذُ حَقِيقَتُهُ تَنَاوُلُ شَيْءٍ لِلِانْتِفَاعِ بِهِ أَوْ لِإِضْرَارِهِ، كَمَا يُقَالُ: أَخَذْتُ الْعَدُوَّ مِنْ تَلَابِيبِهِ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ فِي الْأَسِيرِ أَخِيذٌ، وَيُقَالُ لِلْقَوْمِ إِذَا أُسِرُوا: أُخِذُوا وَاسْتُعْمِلَ هُنَا مَجَازًا فَاسْتُعِيرَ لِلتَّلَبُّسِ بِالْوَصْفِ وَالْفِعْلِ مِنْ بَيْنِ أَفْعَالٍ لَوْ شَاءَ لَتَلَبَّسَ بِهَا، فَيُشَبَّهُ ذَلِكَ التَّلَبُّسَ وَاخْتِيَارَهُ عَلَى تَلَبُّسٍ آخَرَ

1 ينظر: الصناعتين: الكتابة والشعر: 240.

2 أنوار التنزيل: 3/ 42.

3 الجامع لأحكام القرآن: 7/ 323.

4 في ظلال القرآن: 3/ 1396-1397.

بِأَخْذِ شَيْءٍ مِنْ بَيْنِ عِدَّةِ أَشْيَاءَ، فَمَعْنَى (خُذِ الْعَفْوَ) : عَامِلْ بِهِ وَاجْعَلْهُ وَصْفًا وَلَا تَتَلَبَّسْ بِضِدِّهِ)) [1]. ثم يذهب بعد ذلك إلى أن استعمال هذه الاستعارة من الابتكار اللغوي والبلاغيّ للقرآن الكريم، قال:((وَأَحْسَبُ اسْتِعَارَةَ الْأَخْذِ لِلْعُرْفِ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن وَلِذَلِكَ أرجح أَنَّ الْبَيْتَ الْمَشْهُورَ وَهُوَ:

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مودتي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ

هُوَ لِأَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ، وَأَنَّهُ اتَّبَعَ اسْتِعْمَالَ القرآن، وَأَنَّ نِسْبَتَهُ إِلَى أَسْمَاءَ بن خَارِجَةَ الْفَزَارِيِّ أَوْ إِلَى حَاتِمِ الطَّائِيِّ غَيْرُ صَحِيحَةٍ)) [2]. ويبدو من هذا النص أنَّ قول الطاهر بأنَّ استعمال(خذ العفو) من ابتكار القرآن، قد قاده إلى توجيه ما وجده من تعبير مماثل، في البيت المذكور المنسوب إلى شاعرين [3] من شعراء ما قبل الإسلام، بأن هذه النسبة غير صحيحة وانه لأبي الأسود الدؤلي الذي تأثر بالاستعمال القرآني.

ذَاتَ بَيْنِكُمْ: وقف الشيخُ الطاهر على معنى عبارة:(وأصلحوا ذات بينكم)، في قوله تعالى:(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[الانفال1]، فقال:((وَالْإِصْلَاحُ: جَعْلُ الشَّيْءِ صَالِحًا، وَهُوَ مُؤْذِنٌ بِأَنَّهُ كَانَ غَيْرَ صَالِحٍ، فَالْأَمْرُ بِالْإِصْلَاحِ دَلَّ عَلَى فَسَادِ ذَاتِ

1 التحرير والتنوير: 9/ 226.

2 نفسه: 9/ 226.

3 ينسب البيت إلى أسماء بن خارجة في: الموشى = الظرف والظرفاء: 149، والتذكرة الحمدونية: 3/ 339، وجمهرة خطب العرب: 2/ 507، وتاريخ دمشق لابن عساكر: 9/ 57، وفوات الوفيات: 1/ 169، والوافي بالوفيات: 9/ 38. وينسب إلى حاتم الطائي في: المحرر الوجيز:2/ 491، والبحر المحيط: 5/ 256. ونسب إلى أبي الأسود في: عيون الأخبار: 3/ 16، و4/ 76، والجامع لأحكام القرآن: 2/ 254، وحماسة الخالديين = الأشباه والنظائر: 101، والمجموع اللفيف: 206، ومعجم الأدباء: 4/ 1468، والوافي بالوفيات: 16/ 307 أيضا. ونسب لمالك بن أسماء وتمثل به أبو الأسود في: محاضرات الأدباء: 2/ 83، ونسب لعامر بن عمرو البكاء في: الحماسة البصرية: 2/ 71.

بَيْنِهِمْ، وَهُوَ فَسَادُ التَّنَازُعِ وَالتَّظَالُمِ. وذاتَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُؤَنَّثُ (ذُو) الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى صَاحِبٍ فَتَكُونُ أَلِفُهَا مُبْدَلَةً مِنَ الْوَاوِ،....، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (ذَاتَ) أَصْلِيَّةَ الْأَلِفِ كَمَا يُقَالُ: أَنَا أَعْرِفُ ذَاتَ فُلَانٍ، فَالْمَعْنَى حَقِيقَةُ الشَّيْءِ وَمَاهِيَّتُهُ،...، فَصَارَ الْمَعْنَى: أَصْلِحُوا حَقِيقَةَ بَيْنِكِمْ أَيِ اجْعَلُوا الْأَمْرَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ صَالِحًا غَيْرَ فَاسِدٍ)) [1]. ثم قرر أن هذا التعبير مما ابتكره القرآن الكريم، قال:((وَاعْلَمْ أَنِّي لَمْ أَقِفْ عَلَى اسْتِعْمَالِ (ذَاتِ بَيْنٍ) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَأَحْسَبُ أَنَّهَا مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن)) [2].

التخلص بـ(إذ): قال الشيخُ الطاهر بعد تفسيره قوله تعالى: (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9)وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11))[سُورَةِ الْأَنْفَالِ]:((لَقَدْ أَبْدَعَ نَظْمُ الْآيَاتِ فِي التَّنَقُّلِ مِنْ قِصَّةٍ إِلَى أُخْرَى مِنْ دَلَائِلِ عِنَايَةِ اللَّهِ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) تَعَالَى بِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

1 التحرير والتنوير: 9/ 253. وينظر: معاني القرآن للأخفش: 1/ 345،وجامع البيان: 13/ 367،ومعاني القرآن وإعرابه: 2/ 400، ومعاني القرآن للنحاس: 3/ 129، والكشاف: 2/ 195،و المحرر الوجيز: 2/ 500، ومفاتيح الغيب: 15/ 449-450، وأنوار التنزيل: 3/ 49، ومدارك التنزيل: 1/ 629، والجامع لأحكام القرآن: 7/ 360، و7/ 364، والبحر المحيط: 5/ 274، واللباب في علوم الكتاب: 9/ 447، والبرهان في علوم القرآن: 4/ 279، وإرشاد العقل السليم: 4/ 3، و روح البيان: 3/ 311، ومحاسن التأويل: 5/ 254، وتفسير المنار: 9/ 489.

2 التحرير والتنوير: 9/ 254.

وَبِالْمُؤْمِنِينَ، فَقَرَنَهَا، فِي قَرْنِ زَمَانِهَا، وَجَعَلَ يَنْتَقِلُ مِنْ إِحْدَاهَا إِلَى الْأُخْرَى بِوَاسِطَةِ إِذِ الزَّمَانِيَّةِ، وَهَذَا مِنْ أَبْدَعِ التَّخَلُّصِ، وَهُوَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن فِيمَا أَحْسَبُ)) [1].

وراوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ: تحدث الشيخُ الطاهر في تفسير قوله تعالى: (وَراوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوابَ وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ قالَ مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23)) [يوسف 12] عن معنى المراودة، فتناول اشتقاقها من الفعل راد، ومعناها كما بينته المعاجم وما تدل عليه صيغة مفاعلة من تكرار الفعل، أو جود طرفين يشتركان فيه أو يتجاذبانه، قال:((فَالْمُرَاوَدَةُ الْمُقْتَضِيَةُ تَكْرِيرَ الْمُحَاوَلَةِ بِصِيغَةِ الْمُفَاعَلَةِ، وَالْمُفَاعَلَةُ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي التَّكْرِيرِ. وَقِيلَ: الْمُفَاعَلَةُ تَقْدِيرِيَّةٌ بِأَنِ اعْتَبَرَ الْعَمَلَ مِنْ جَانِبٍ وَالْمُمَانَعَةَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْعَمَلِ بِمَنْزِلَةِ مُقَابَلَةِ الْعَمَلِ بِمِثْلِهِ. وَالْمُرَاوَدَةُ: مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَادَ يَرُودُ، إِذَا جَاءَ وَذَهَبَ. شَبَّهَ حَالَ الْمُحَاوِل أَحَدًا عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ مُكَرِّرًا ذَلِكَ. بِحَالِ مَنْ يَذْهَبُ وَيَجِيءُ فِي الْمُعَاوَدَةِ إِلَى الشَّيْءِ الْمَذْهُوبِ عَنْهُ، فَأَطْلَقَ رَاوَدَ بِمَعْنَى حَاوَلَ)) [2]. وقد فسّرها الراغبُ، قال: ((والمُرَاوَدَةُ: أن تنازع غيرك في الإرادة، فتريد غير ما يريد، أو ترود غير ما يرود، وراوَدْتُ فلانا عن كذا. قال: (هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي)[يوسف26] ، وقال:(تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ)[يوسف 30] ، أي: تصرفه عن رأيه، وعلى ذلك قوله:(وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ))) [3]. ثم ينتقل الشيخ للكلام على دلاله تعدية الفعل راود بعن، مبينا ان هذا الاستعمال كناية غرض المواقعة، قال:((وعَنْ لِلْمُجَاوَزَةِ، أَيْ رَاوَدَتْهُ مُبَاعَدَةً لَهُ عَنْ نَفْسِهِ، أَيْ بِأَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ لَهَا. وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا التَّرْكِيبَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ، فَالنَّفْسُ هُنَا كِنَايَةٌ عَنْ غَرَضِ الْمُوَاقَعَةِ، قَالَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ، أَيْ فَالنَّفْسُ أُرِيدَ بِهَا عَفَافُهُ وَتَمْكِينُهَا مِنْهُ لِمَا تُرِيدُ، فَكَأَنَّهَا تُرَاوِدُهُ عَنْ أَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهَا إِرَادَتَهُ وَحُكْمَهُ فِي نَفْسِهِ. وَأَمَّا تَعْدِيَتُهُ بِـ

1 نفسه: 9/ 277-278.

2 نفسه: 12/ 250.

3 المفردات في غريب القرآن: 371.

(عَلَى) فَذَلِكَ إِلَى الشَّيْءِ الْمَطْلُوبِ حُصُولُهُ. وَوَقَعَ فِي قَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيءَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَاوِدُ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ عَلَى الْإِسْلَامِ: وَفِي حَدِيث الإسلاء «فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قد وَاللهِ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ فَتَرَكُوهُ»)) [1].

الضمائر في(ردوا، وأيديهم، وأفواههم):

وفي تفسيره قوله تعالى:(أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ)[ابراهيم9] توقف الشيخُ على استعمال النص الكريم للضمائر في(ردوا، وأيديهم، وأفواههم) التي تعود إلى المتكلم عنهم سابقا وهم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، فذهب إلى ان هذا التركيب على هذا النحو لم يسبق للعرب ان استعملته ، أي ان القرآن الكريم قد ابتكره بسبقه إليه، قال: ((وَمَعْنَى جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ جَاءَ كُلَّ أُمَّةٍ رسولها. وضمائر فَرَدُّوا وأَيْدِيَهُمْ وأفْوَاهِهِمْ عَائِدٌ جَمِيعُهَا إِلَى قَوْمِ نُوحٍ وَالْمَعْطُوفَاتِ عَلَيْهِ. وَهَذَا التَّرْكِيبُ لَا أَعْهَدُ سَبْقَ مِثْلِهِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَلَعَلَّهُ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن)) [2].

الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى: وبعد أن فسّر الشيخُ قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[الاسراء1] انتهى إلى الكلام على استعمال النص لـ(المسجد الأقصى) الذي يراد به اسجد بيت المقدس الذي وصف بالأقصى لبعده عن مكة المكرمة ويرى ان هذا الاستعمال من ابتكار القرآن؛ لان العرب لم يكونوا يصفونه بهذا الوصف، قال:((وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى هُوَ الْمَسْجِدُ الْمَعْرُوفُ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ الْكَائِنِ بِإِيلِيَاءَ، وَهُوَ الْمَسْجِدُ الَّذِي بَنَاهُ سُلَيْمَانُ- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-. وَالْأَقْصَى، أَيِ الْأَبْعَدُ. وَالْمُرَادُ بُعْدُهُ عَنْ

---

1 التحرير والتنوير: 12/ 250.

2 نفسه: 13/ 197.

مَكَّةَ، بِقَرِينَةِ جَعْلِهِ نِهَايَةَ الْإِسْرَاءِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَهُوَ وَصْفٌ كَاشِفٌ اقْتَضَاهُ هُنَا زِيَادَةُ التَّنْبِيهِ عَلَى مُعْجِزَةِ هَذَا الْإِسْرَاءِ وَكَوْنُهُ خَارِقًا لِلْعَادَةِ لِكَوْنِهِ قَطَعَ مَسَافَةً طَوِيلَةً فِي بَعْضِ لَيْلَةٍ. وَبِهَذَا الْوَصْفِ الْوَارِدِ لَهُ فِي القرآن صَارَ مَجْمُوعُ الْوَصْفِ وَالْمَوْصُوفِ عَلَمًا بِالْغَلَبَةِ عَلَى مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ كَمَا كَانَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ عَلَمًا بِالْغَلَبَةِ عَلَى مَسْجِدِ مَكَّةَ. وَأَحْسَبُ أَنَّ هَذَا العلم لَهُ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن فَلَمْ يَكُنِ الْعَرَبُ يَصِفُونَهُ بِهَذَا الْوَصْفِ وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فَهِمُوا الْمُرَادَ مِنْهُ أَنَّهُ مَسْجِدُ إِيلِيَاءَ. وَلَمْ يَكُنْ مَسْجِدٌ لِدِينٍ إِلَهِيٍّ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ. وَفِي هَذَا الْوَصْفِ بِصِيغَةِ التَّفْضِيلِ بِاعْتِبَارِ أَصْلِ وَضْعِهَا مُعْجِزَةٌ خَفِيَّةٌ مِنْ مُعْجِزَاتِ القرآن إِيمَاءً إِلَى أَنَّهُ سَيَكُونُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ مَسْجِدٌ عَظِيمٌ هُوَ مَسْجِدُ طِيبَةَ الَّذِي هُوَ قَصِيٌّ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَيَكُونُ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَقْصَى مِنْهُ حِينَئِذٍ)) [1].

كُلٌّ فِي فَلَكٍ: وقد تحدث الشيخ الطاهر عن فن بلاغي جديد من ابتكار القرآن الكريم، وذلك في تفسير قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (33))، إذ نبّه الشيخُ على أنَّ فيه محسنًا بلاغيًا لم يَسْبِقْ أن استعملته العربُ قبلَ هذا، وذلك في قوله: (كُلٌّ فِي فَلَكٍ)، وقد عده من مظاهر الإعجاز القرآني، قال: ((وَمِنْ بَدَائِعِ الْإِعْجَازِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى:(كُلٌّ فِي فَلَكٍ)، فِيهِ مُحَسِّنٌ بَدِيعِيٌّ فَإِنَّ حُرُوفَهُ تُقْرَأُ مِنْ آخِرِهَا عَلَى التَّرْتِيبِ كَمَا تُقْرَأُ مِنْ أَوَّلِهَا مَعَ خِفَّةِ التَّرْكِيبِ وَوَفْرَةِ الْفَائِدَةِ وَجَرَيَانِهِ مَجْرَى الْمَثَلِ مِنْ غَيْرِ تَنَافُرٍ وَلَا غَرَابَةٍ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:(رَبَّكَ فَكَبِّرْ) [المدثر: 3] بِطَرْحِ وَاوِ الْعَطْفِ، وَكِلْتَا الْآيَتَيْنِ بُنِيَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ،...، وَهُوَ نَوْعٌ صَعْبُ الْمَسْلَكِ قَلِيلُ الِاسْتِعْمَال. قُلْتُ: وَلَمْ يَذْكُرُوا مِنْهُ شَيْئًا وَقَعَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَهُوَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن. ذَكَرَ أَهْلُ الْأَدَبِ أَنَّ الْقَاضِيَ الْفَاضِلَ الْبَيْسَانِيَّ زَارَ الْعِمَادَ الْكَاتِبَ فَلَمَّا رَكِبَ لِيَنْصَرِفَ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ لَهُ الْعِمَادُ: «سِرْ فَلَا كَبَا بِكَ

1 نفسه: 15/ 14-15.

الْفُرْسُ» فَفَطِنَ الْقَاضِي أَنَّ فِيهِ مُحَسِّنَ الْقَلْبِ فَأَجَابَهُ عَلَى الْبَدِيهَةِ: «دَامَ عُلَا الْعِمَادِ» وَفِيهِ محسن القلب))[1].

إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا: ومن الابتكار التركيبي والدلالي للقرآن الكريم ما جاء في تفسير قوله تعالى:(حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)) [المؤمنون99-100]، وذلك في قوله: كلا إنها كلمة هو قائلها، فقال:((وَقَوْلُهُ: إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها تَرْكِيبٌ يَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ وَهُوَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن. وَحَاصِلُ مَعْنَاهُ: أَنَّ قَوْلَ الْمُشْرِكِ رَبِّ ارْجِعُونِ إِلَخْ لَا يَتَجَاوَزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامًا صَدَرَ مِنْ لِسَانِهِ لَا جَدْوَى لَهُ فِيهِ، أَيْ لَا يُسْتَجَابُ طَلَبُهُ بِهِ. فَجُمْلَةُ هُوَ قائِلُها وَصْفٌ لِـ: كَلِمَةٌ، أَيْ هِيَ كَلِمَةٌ هَذَا وَصْفُهَا. وَإِذْ كَانَ مِنَ الْمُحَقَّقِ أَنَّهُ قَائِلُهَا لَمْ يَكُنْ فِي وَصْفِ كَلِمَةٌ بِهِ فَائِدَةٌ جَدِيدَةٌ فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ مُسْتَعْمَلًا فِي مَعْنَى أَنَّهُ لَا وَصْفَ لِكَلِمَتِهِ غَيْرُ كَوْنِهَا صَدَرَتْ مِنْ فِي صَاحِبِهَا. وَبِذَلِكَ يُعْلَمُ أَنَّ التَّأْكِيدَ بِحَرْفِ (إِنَّ) لِتَحْقِيقِ الْمَعْنَى الَّذِي اسْتُعْمِلَ لَهُ الْوَصْفُ))[2].

فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا: يفهم من كلام الشيخ الطاهر على هذا التعبير الوارد في قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (59)) [الفرقان59]، أنَّه يجد فيه ابتكارًا تركيبيًا ودلاليًا جديدًا متفرِّدًا غيرَ مسبوق، إذ تحدثَ عن تركيبه وربطه بما يؤدي إليه من دلالة يرى أنهما لم يجتمعا في كلام العرب قبل القرآن، قال:((وَتَنْكِيرُ خَبِيراً لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعُمُومِ، فَلَا يُظَنُّ خَبِيرًا مُعَيَّنًا، لِأَنَّ النَّكِرَةَ إِذَا تَعَلَّقَ بهَا فعل الْأَمر اقْتَضَتْ عُمُومًا بِدَلِيلِ أَيَّ خَبِيرٍ سَأَلْتَهُ أَعْلَمَكَ. وَهَذَا يَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ وَلَعَلَّهُ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن نَظِيرَ قَوْلِ الْعَرَبِ: «عَلَى

---

1 نفسه: 17/ 62.

2 نفسه: 18/ 123-124.

الْخَبِيرِ سَقَطْتَ» يَقُولُهَا الْعَارِفُ بِالشَّيْءِ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ)) [1]. ولم يكتفِ الشيخُ الطاهر بذلك بل أخذ يوازن بين التعبير القرآني والمثل المذكور، مبينا ما يمتاز به المثل القرآني من خصائص تركيبية تجعله لجمع للدلالة والبلاغة، قال:((وَالْمَثَلَانِ وَإِنْ تَسَاوَيَا فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ الْمَنْطُوقِ بِهَا فَالْمَثَلُ القرآنيُّ أَفْصَحُ لِسَلَامَتِهِ مِنْ ثِقَلِ تَلَاقِي الْقَافِ وَالطَّاءِ وَالتَّاءِ فِي (سَقَطْتَ) . وَهُوَ أَيْضًا أَشْرَفُ لِسَلَامَتِهِ مِنْ مَعْنَى السُّقُوطِ، وَهُوَ أَبْلَغُ مَعْنًى لِمَا فِيهِ مِنْ عُمُومِ كُلِّ خَبِيرٍ، بِخِلَافِ قَوْلِهِمْ: عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ [2]، لِأَنَّهَا إِنَّمَا يَقُولُهَا الْوَاحِدُ الْمُعَيَّنُ،...، وَالْبَاءُ فِي بِهِ بِمَعْنَى (عَنْ) أَيْ فَاسْأَلْ عَنْهُ ،.....، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ مُتَعَلِّقَةً بِـ (خَبِيراً) وَتَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ لِلرَّعْيِ عَلَى الْفَاصِلَةِ وَلِلِاهْتِمَامِ، فَلَهُ سببان)) [3].

كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا: ومن ابتكارات القرآن البلاغية عند الشيخ الطاهر التمثيل القرآنيّ الوارد في قوله تعالى:(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت41] فهو يرى أن هذا التشبيه جديد وغير مسبوق وأنَّ القرآن الكريم ابتكره، قال:((وَجُمْلَةُ اتَّخَذَتْ بَيْتاً حَالٌ مِنَ الْعَنْكَبُوتِ وَهِيَ قَيْدٌ فِي التَّشْبِيهِ. وَهَذِهِ الْهَيْئَةُ الْمُشَبَّهُ بِهَا مَعَ الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهَةِ قَابِلَةٌ لِتَفْرِيقِ التَّشْبِيهِ عَلَى أَجْزَائِهَا فَالْمُشْرِكُونَ أَشْبَهُوا الْعَنْكَبُوتَ فِي الْغُرُورِ بِمَا أَعَدُّوهُ، وَأَوْلِيَاؤُهُمْ أَشْبَهُوا بَيْتَ الْعَنْكَبُوتِ فِي عَدَمِ الْغَنَاءِ عَمَّنِ اتَّخَذُوهَا وَقْتَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَتَزُولُ بِأَقَلِّ تَحْرِيكٍ، وَأَقْصَى مَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ مِنْهَا نَفْعٌ ضَعِيفٌ وَهُوَ السُّكْنَى فِيهَا وَتَوَهُّمُ أَنْ تَدْفَعَ عَنْهُمْ كَمَا يَنْتَفِعُ الْمُشْرِكُونَ بِأَوْهَامِهِمْ فِي أَصْنَامِهِمْ. وَهُوَ تَمْثِيلٌ بَدِيعٌ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن كَمَا سَيَأْتِي قَرِيبًا عِنْدَ قَوْلِهِ وَتِلْكَ الْأَمْثالُ

---

1 نفسه: 19/ 61.

2 ينظر تخريجه في: الأمثال لابن سلام: 206، وجمهرة الأمثال: 2/ 46، والأمثال للهاشمي: 1/ 169، والعقد الفريد: 3 / 6، ومجمع الأمثال: 2/ 24.

3 التحرير والتنوير: 19/ 61.

نضْرِبُها لِلنَّاسِ فِي هَـذِهِ السُّـورَةِ [1] [43]،.....ـ، وَجُمْلَـةُ: وَإِنَّ أَوْهَـنَ الْبُيُـوتِ لَبَيْـتُ الْعَنْكَبُوتِ، مُعْتَرِضَةٌ مُبَيِّنَةٌ وَجْهَ الشَّبَهِ. وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ فَيُضْـرَبُ لِقِلَّـةِ جَدْوَى شَيْءٍ)) [2].

كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ: ومن الابتكـار التركـيبي والـدلالي القـرآن مـا جـاء في قولـه تعالى:(كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الشورى 3]، إذ يـرى الشيخ الطاهر أنَّ قوله :(كذلك يوحي) تعبيرٌ غيرُ مستعمل قبـل القـرآن الكـريم لأنَّـه لم يقف عليه في ما قرأه، قال: ((وَجُمْلَةُ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ إِلَى آخِرِهَـا ابْتِدَائِيَّـةٌ، وَتَقْـدِيمُ الْمَجْرُورِ مِنْ قَوْلِهِ كَذَلِكَ عَلَى يُـوحِي: إِلَيْـكَ لِلِاهْتِمَـامِ بِالْمُشَـارِ إِلَيْـهِ وَالتَّشْـوِيقِ بِتَنْبِيـهِ الْأَذْهَانِ إِلَيْهِ، وَإِذْ لَمْ يَتَقَدَّمْ فِي الْكَلَامِ مَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُشَارًا إِلَيْهِ بِ كَـذَلِكَ عُلِـمَ أَنَّ الْمُشَارَ إِلَيْهِ مُقَدَّرٌ مَعْلُومٌ مِنَ الْفِعْلِ الَّذِي بَعْدَ اسْمِ الْإِشَارَةِ وَهُـوَ الْمَصْـدَرُ الْمَـأْخُوذُ مِـنَ الْفِعْلِ، أَيْ كَذَلِكَ الْإِيحَاءِ يُوحِي إِلَيْكَ اللَّهُ. وَهَذَا اسْتِعْمَالٌ مُتَّبَعٌ فِي نَظَائِرِ هَـذَا التَّرْكِيـبِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّـةً وَسَـطاً) فِـي سُـورَةِ الْبَقَـرَةِ [143] . وَأَحْسَبُ أَنَّهُ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن إِذْ لَمْ أَقِفْ عَلَى مِثْلِهِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ قَبْلَ القـرآن)) [3]. وعندما يجد الشيخ أنَّ الشهاب الخفاجي قد استشهد بشاهد من شعر زهير فيـه التركيـب نفسه، فانه حاكم هذا البيت وانتهى إلى انه لا يماثـل التركيـب القرآنـي، لان بيـت زهـير

1 قال الشيخ الطاهر في موضع آخر:((وَالتَّمْثِيلُ مَنْزَعٌ جَلِيلٌ بَدِيعٌ مِنْ مَنَازِعِ الْبُلَغَاءِ لَا يَبْلُغُ إِلَى مَحَاسِنِهِ غَيْرُ خَاصَّتِهِمْ وَقَدِ اخْتَصَّ لَفْظُ الْمَثَلِ (بِفَتْحَتَيْنِ) بِإِطْلَاقِهِ عَلَى الْحَالِ الْغَرِيبَةِ الشَّأْنِ لِأَنَّهَا بِحَيْثُ تُمَثَّلُ لِلنَّاسِ وَتُوَضَّحُ وَتُشَبَّهُ،.....، فَالظَّاهِرُ أَنَّ إِطْلَاقَ الْمَثَلِ عَلَى الْقَوْلِ الْبَدِيعِ السَّائِرِ بَيْنَ النَّاسِ الصَّادِرِ مِنْ قَائِلِهِ فِي حَالَةٍ عَجِيبَةٍ هُوَ إِطْلَاقٌ مُرَتَّبٌ عَلَى إِطْلَاقِ اسْمِ الْمَثَلِ عَلَى الْحَالِ الْعَجِيبَةِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَكَادُونَ يَضْرِبُونَ مَثَلًا وَلَا يَرَوْنَهُ أَهْلًا لِلتَّسْيِيرِ وَجَدِيرًا بِالتَّدَاوُلِ إِلَّا قَوْلًا فِيهِ بَلَاغَةٌ وَخُصُوصِيَّةٌ فِي فَصَاحَةِ لَفْظٍ وَإِيجَازِهِ وَوَفْرَةِ مَعْنًى، فَالْمَثَلُ قَولٌ عَزِيزٌ غَرِيبٌ لَيْسَ من مُتَعَارَفِ الْأَقْوَالِ الْعَامَّةِ بَلْ هُوَ مِنْ أَقْوَالِ فُحُولِ الْبَلَاغَةِ فَلِذَلِكَ وُصِفَ بِالْغَرَابَةِ)). التحرير والتنوير: 1/ 302-303.

2 التحرير والتنوير: 20/ 253.

3 نفسه: 25/ 28.

مسبوق بمشار إليه، قال:((وَمَا ذَكَرَهُ الْخَفَاجِيُّ [1] فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ تَنْظِيرِهِ بِقَوْلِ زُهَيْرٍ [2]:

كَذَلِكَ خَيْمُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ　　　إِذَا مَسَّتْهُمُ الضَّرَّاءُ خَيْمُ

لَا يَصِحُّ لِأَنَّ بَيْتَ زُهَيْرٍ مَسْبُوقٌ بِمَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مُشَارًا إِلَيْهِ، وَقَدْ فَاتَنِي التَّنْبِيهُ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْآيَاتِ فَعَلَيْكَ بِضَمِّ مَا هُنَا إِلَى مَا هُنَالِكَ. وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ صِفَةٌ لِمَفْعُولٍ مُطْلَقٍ مَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ يُوحِي أَيْ إِيحَاءً كَذَلِكَ الْإِيحَاءِ الْعَجِيبِ)). [3]

حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها: وقد عدّ الشيخُ الطاهر هذا التعبير القرآني الذي جاء في قوله تعالى: (فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتَّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِداءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها ذلِكَ وَلَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ (4)) [محمد: 4] ، مما ابتكره القرآن الكريم، لأنه تمثيل جديد لم يسبق إليه، قال: ((وَالْغَايَةُ الْمُسْتَفَادَةُ مِنْ حَتَّى فِي قَوْلِهِ: حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها لِلتَّعْلِيلِ لَا لِلتَّقْيِيدِ، أَيْ لِأَجْلِ أَنْ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، أَيْ لِيَكُفَّ الْمُشْرِكُونَ عَنْهَا فَتَأْمَنُوا مِنَ الْحَرْبِ عَلَيْكُمْ وَلَيْسَتْ غَايَةً لِحُكْمِ الْقِتَالِ،...، وَالْأَوْزَارُ: الْأَثْقَالُ، وَوَضْعُ الْأَوْزَارِ تَمْثِيلٌ لِانْتِهَاءِ الْعَمَلِ فَشُبِّهَتْ حَالَةُ انْتِهَاءِ الْقِتَالِ بِحَالَةِ وَضْعِ الْحَمَّالِ أَوِ الْمُسَافِرِ أَثْقَالَهُ، وَهَذَا مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن)) [4].

1 ذكره الشهاب في: حاشيته: 2/ 250، ثم قال: ((فعليك بالعض على هذا بالنواجذ فإنه من بدائع هذا الكتاب وروائعه)).

2 ديوان زهير بن أبي سلمى: 162.

3 التحرير والتنوير: 25/ 28.

4 نفسه: 26/ 82.

حسوم: ومن الابتكار القرآني الناتج من الدلالة الجديدة للفظ -عند الشيخ الطاهر- استعمال كلمة(حسوم) في قوله تعالى: (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7))[الحاقة5-7]، وذلك في إحدى الدلالات التي يحتملها هذا اللفظ، وهو ان يكون مشتقا من حسم الداء بتتابع الكي أياما ثم نقل بالاستعارة من هذا المعنى إلى المعنى القرآني الوارد في الآية الكريمة، قال: ((و(حسوم) يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ حَاسِمٍ مِثْلُ قُعُودٍ جَمْعُ قَاعِدٍ، وَشُهُودٍ جَمْعُ شَاهِدٍ، غُلِّبَ فِيهِ الْأَيَّامُ عَلَى اللَّيَالِي لِأَنَّهَا أَكْثَرُ عَدَدًا إِذْ هِيَ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ وَهَذَا لَهُ مَعَانٍ: أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: يُتَابِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، أَيْ لَا فَصْلَ بَيْنَهَا كَمَا يُقَالُ: صِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، ،... قِيلَ: وَالْحُسُومُ مُشْتَقٌّ مِنْ حَسْمِ الدَّاءِ بِالْمِكْوَاةِ إِذْ يُكْوَى وَيُتَابِعُ الْكَيُّ أَيَّامًا، فَيَكُونُ إِطْلَاقُهُ اسْتِعَارَةً، وَلَعَلَّهَا مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن، وَبَيْتُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْكِلَابِيِّ مِنَ الشِّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ فَهُوَ مُتَابِعٌ لِاسْتِعْمَالِ القرآن. الْمَعْنَى الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مِنَ الْحَسْمِ وَهُوَ الْقَطْعُ، أَيْ حَاسِمَةً مُسْتَأْصِلَةً. وَمِنْهُ سُمِّيَ السَّيْفُ حُسَامًا لِأَنَّهُ يَقْطَعُ، أَيْ حَسَمَتْهُمْ فَلَمْ تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَعَلَى هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ فَهُوَ صِفَةٌ ل سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ أَوْ حَالٌ مِنْهَا. الْمَعْنَى الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ حُسُومٌ مَصْدَرًا كَالشُّكُورِ وَالدُّخُول فَيَنْتَصِبُ عَلَى الْمَفْعُول لِأَجْلِهِ وَعَامِلُهُ سَخَّرَها، أَيْ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ لِاسْتِئْصَالِهِمْ وَقَطْعِ دَابِرِهِمْ. وَكُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي صَالِحٌ لِأَنْ يُذْكَرَ مَعَ هَذِهِ الْأَيَّامِ، فَإِيثَارُ هَذَا اللَّفْظِ مِنْ تَمَامِ بَلَاغَةِ القرآن وَإِعْجَازِهِ))[1].

وهذا التعدد في معنى اللفظ واحتمال النص الكريم لها من غير تكلف من مظاهر إعجاز القرآن الكريم

الوتين: ويرى الشيخ الطاهر أن استعمال كلمة (الوتين) في قوله تعالى:(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا

1 نفسه: 29/ 117.

مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47)) [الحاقة44-47]؛ من المبتكر اللغوي اللفظي الذي جاء به القرآن الكريم؛ لأنه تشبيه جديد غير مسبوق، فقد شبّه حال خاتمة من يتقول على الله تعالى بجزور نحر وتينها، قال:((والْوَتِينَ: عِرْقٌ مُعَلَّقٌ بِهِ الْقَلْبُ وَيُسَمَّى النِّيَاطُ، وَهُوَ الَّذِي يَسْقِي الْجَسَدَ بِالدَّمِ وَلِذَلِكَ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْجَسَدِ، وَهُوَ إِذَا قُطِعَ مَاتَ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُقْطَعُ عِنْدَ نَحْرِ الْجَزُورِ. فَقَطْعُ الْوَتِينِ مِنْ أَحْوَالِ الْجَزُورِ وَنَحْرِهَا، فَشَبَّهَ عِقَابَ مَنْ يُفْرَضُ تَقَوُّلُهُ عَلَى اللَّهِ بِجَزُورٍ تُنْحَرُ فَيُقْطَعُ وَتِينُهَا. وَلَمْ أَقِفْ عَلَى أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يُكَنُّونَ عَنِ الْإِهْلَاكِ بِقَطْعِ الْوَتِينِ، فَهَذَا مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرآنِ. ومِنْهُ صِفَةٌ لِلْوَتِينِ، أَوْ مُتَعَلِّقٌ بِـ (قَطَعْنَا) ، أَيْ أَزَلْنَاهُ مِنْهُ. وَبَيْنَ مِنْهُ الْأُولَى ومِنْهُ الثَّانِيَةِ مُحَسِّنُ الْجِنَاسِ)) [1] .

يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا :

يرى الشيخُ الطاهر أنَّ في هذا التعبير القرآني الذي جاء في قوله تعالى: (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (17) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (18)) [المزمل 17-18]، مبالغةً عجيبة، ويرى أنَّ هذا الاستعمال ورد أولَ مرة في هذا الموضع ولم يرد في شعر العرب قبل ذلك، قال:((وَوَصْفُ الْيَوْمِ بِأَنَّهُ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً وَصْفٌ لَهُ بِاعْتِبَارِ مَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْأَحْزَانِ، لِأَنَّهُ شَاعَ أَنَّ الْهَمَّ مِمَّا يُسْرِعُ بِهِ الشَّيْبُ فَلَمَّا أُرِيدَ وَصْفُ هَمِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِالشِّدَّةِ الْبَالِغَةِ أَقْوَاهَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ يَشِيبُ الْوِلْدَانُ الَّذِينَ شَعْرُهُمْ فِي أَوَّلِ سَوَادِهِ. وَهَذِهِ مُبَالَغَةٌ عَجِيبَةٌ وَهِيَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرآنِ فِيمَا أَحْسَبُ، لِأَنِّي لَمْ أَرَ هَذَا الْمَعْنَى فِي كَلَامِ الْعَرَبِ)) [2] . ولما كان الشيخُ يرى أسبقية الاستعمال القرآني فقد دفع بنسبة الشاهد النحوي الذي يحتوي على تعبير قريب منه وَهُوَ [3]:

---

1 نفسه: 29/ 146.

2 نفسه: 29/ 275.

3 لحسان بن ثابت، في ملحق ديوانه:371، ينظر المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: 1/ 500.

إذن واللهِ نَرْمِيهِمْ بِحَرْبٍ   تُشِيبُ الطِّفْلَ مِنْ قَبْلِ الْمَشِيبِ

قال:((وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي يُذْكَرُ فِي شَوَاهِدِ النَّحْوِ،...، فَلَا ثُبُوتَ لِنِسْبَتِهِ إِلَى مَنْ كَانُوا قَبْلَ نُزُولِ القرآن وَلَا يُعْرَفُ قَائِلُهُ، وَنَسَبَهُ بَعْضُ الْمُؤَلِّفِينَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ،...، وَإِسْنَادُ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً إِلَى الْيَوْمِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ بِمَرْتَبَتَيْنِ لِأَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ زَمَنُ الْأَهْوَالِ الَّتِي تَشِيبُ لِمِثْلِهَا الْأَطْفَالُ، وَالْأَهْوَالُ سَبَبٌ لِلشَّيْبِ عُرْفًا. وَالشَّيْبُ كِنَايَةٌ عَنْ هَذَا الْهَوْلِ فَاجْتَمَعَ فِي الْآيَةِ مَجَازَانِ عَقْلِيَّانِ وَكِنَايَةٌ وَمُبَالَغَةٌ فِي قَوْلِهِ:(يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً))) [1].

وقد وردت في تفسير محاسن التأويل إشارة تقترب من هذا التوصيف البلاغي الذي ذكره الشيخ الطاهر، إذ جاء فيه:((يقال في اليوم الشديد: إنه ليشيب نواصي الأطفال، كلام جار مجرى المثل. وليس ذلك على حقيقته، لأن الأمة مجمعة على أن الأطفال لا تتغير حلاهم في الآخرة إلى الشيب. والأصل في هذا أن الهموم والأحزان إذا توالت على الإنسان شاب سريعا)) [2].

سلسبيل: ولفظ (سلسبيل) [3] من الابتكار اللغوي للقرآن الكريم، وقد ورد في قوله تعالى: (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (17) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (18)) [الانسان17-18]، قال: ((وَ(سَلْسَبِيلَ): وَصْفٌ قِيلَ مُشْتَقٌّ مِنَ السَّلَاسَةِ وَهِيَ السُّهُولَةُ وَاللِّينُ فَيُقَالُ: مَاءٌ سَلْسَلٌ، أَيْ عَذْبٌ بَارِدٌ. قِيلَ: زِيدَتْ فِيهِ الْبَاءُ وَالْيَاءُ (أَيْ زِيدَتَا فِي أَصْلِ الْوَضْعِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ) ،...، وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ رُكِّبَ مِنْ مَادَّتَي السَّلَاسَةِ وَالسَّبَالَةِ، يُقَالُ: سَبَلَتِ السَّمَاءُ، إِذَا أَمْطَرَتْ، فَسَبِيلٌ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، رُكِّبَ مِنْ كَلِمَتَي السَّلَاسَةِ وَالسَّيْلِ لِإِرَادَةِ سُهُولَةِ شُرْبِهِ وَوَفْرَةِ جَرْيِهِ. وَهَذَا مِنَ الِاشْتِقَاقِ الْأَكْبَرِ

1 التحرير والتنوير: 29/ 275.

2 محاسن التأويل: 9/ 343.

3 ينظر البحث في هذه الكلمة: العين: 2/ 331، والزاهر في معاني كلمات الناس: 2/ 196، والنهاية في غريب الحديث والأثر: 2/ 389، ولسان العرب: 11/ 344، وتاج العروس: 29/ 221.

وَلَيْسَ باشْتِقَاقٍ تَصْرِيفِيٍّ. فَهَذَا وَصْفٌ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ عِنْدَ مُحَقِّقِي أَهْلِ اللُّغَةِ. وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ [1]: لَمْ أَسْمَعْ هَذِهِ اللَّفْظَةَ إِلَّا فِي القرآن، فَهُوَ عِنْدَهُ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن الْجَارِيَةِ عَلَى أَسَالِيبِ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ، ....، وَمَعْنَى تُسَمَّى عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، أَنَّهَا تُوصَفُ بِهَذَا الْوَصْفِ حَتَّى صَارَ كَالْعَلَمِ لَهَا ،....، فَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ عَلَمٌ. وَمِنَ الْمُفَسِّرِينَ مَنْ جَعَلَ التَّسْمِيَةَ عَلَى ظَاهِرِهَا وَجَعَلَ سَلْسَبِيلًا عَلَمًا عَلَى هَذِهِ الْعَيْنِ، وَهُوَ أَنْسَبُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: تُسَمَّى)) [2].

جنات الفافا: ويرى الشيخ أن استعمال(جنات الفافا) في قوله تعالى:(وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16)) [النبأ14-16]، مما ابتكره القرآن الكريم؛ إذ بيَّن أن (ألفافا) اسم جمع لا واحد له من لفظه، وأنَّ وصفَ (جنات) بها مجاز عقلي لأنَّ الجنات لا تلتف حقيقة وإنما الذي يلتف شجرها ، وهو يرى ان هذا الاستعمال لم تعهده العرب قبل القرآن الكريم، قال:((وَأَلْفَافُ: اسْمُ جَمْعٍ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ وَهُوَ مِثْلُ أَوْزَاعٍ وَأَخْيَافٍ، أَيْ كُلُّ جَنَّةٍ مُلْتَفَّةٌ، أَيْ مُلْتَفَّةُ الشَّجَرِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ. فوصف الجنات بِأَلْفَافٍ مَبْنِيٌّ عَلَى الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ لِأَنَّ الِالْتِفَافَ فِي أَشْجَارِهَا وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتِ الْأَشْجَارُ لَا يَلْتَفُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْغَالِبِ إِلَّا إِذَا جَمَعَتْهَا جَنَّةٌ أُسْنِدَ أَلْفَافٌ إِلَى جَنَّاتٍ بِطَرِيقِ الْوَصْفِ. وَلَعَلَّهُ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن إِذْ لَمْ أَرَ شَاهِدًا عَلَيْهِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ قَبْلَ القرآن. وَقِيلَ: أَلْفَافٌ جَمْعُ لِفٌّ بِكَسْرِ اللَّامِ بِوَزْنِ جِذْعٍ، أَيْ كُلُّ جَنَّةٍ مِنْهَا لِفٌّ بِكَسْرِ اللَّامِ وَلَمْ يَأْتُوا بِشَاهِدٍ عَلَيْهِ)) [3].

---

1 ينظر قوله في: تهذيب اللغة: 13/ 108، ولسان العرب: 11/ 344، وتاج العروس: 29/ 221.

2 التحرير والتنوير: 29/ 396.

3 نفسه: 30/ 27.

ويبدو أنَّ علماء العربية مختلفون في مفرد هذه الكلمة، إذ تذكر المعاجم أنَّ بعض العلماء يرى أنَّ مفردها: لفة ، وانه غير مسموع، مما دعاهم إلى القول ان مفرده لفاء التي جُمعت على لف ثم جمعت لف على الفاف [1]. وينقل صاحب المخصص عن الفارسي قد يكون جمع لفيف [2]. وذكر الاخفش أن واحدها اللف [3]. وقال الطبري في تفسيرها:((وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا، قال: هي الملتفة، بعضها فوق بعض. واختلف أهل العربية في واحد الألفاف، فكان بعض نحويي البصرة يقول: واحدها: لَفٌّ. وقال بعض نحويِّي الكوفة: واحدها: لف ولفيف، قال: وإن شئت كان الألفاف جمعا واحده جمع أيضا، فتقول: جنة لفَّاء، وجنات لفّ، ثم يجمع اللُّفّ ألفافا. وقال آخر منهم: لم نسمع شجرة لفة، ولكن واحدها لفاء، وجمعها لفّ، وجمع لفّ: ألفاف، فهو جمع الجمع. والصواب من القول في ذلك أن الألفاف جمع لفّ أو لفيف، وذلك أن أهل التأويل مجمعون على أن معناه: ملتفة)) [4].

فأين تذهبون: والابتكار في هذه العبارة التي جاءت في قوله تعالى: (وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (23) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (24) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (25) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (26) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (27) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (29)) [سورة التكوير23-29]، مما يمكن أنْ نصفه بالابتكار التركيبي الدلالي، لأنَّ تركيبها أدى إلى دلالة جديدة غير مستعملة في كلام العرب سابقًا، ذلك أنَّ استعمالها جاء على شكل مثل، يشبه حالهم في سلوك طرق الباطل بحال من ضل الطريق ، قال الشيخ الطاهر: ((وَ (أَيْنَ) اسْمُ اسْتِفْهَامٍ عَنِ

1 ينظر: تهذيب اللغة: 15/ 240.

2 ينظر: المخصص: 3/ 122، ولسان العرب: 9/ 318.

3 معاني القرآن للأخفش: 2/ 564.

4 جامع البيان: 24/ 156-157. وينظر: إعراب القرآن للنحاس: 5/ 81، والمفردات في غريب القرآن: 743، ومعالم التنزيل: 5/ 200، والكشاف: 4/ 687، ومفاتيح الغيب: 31/ 12، والتبيان في إعراب القرآن: 2/ 1266، ومدارك التنزيل: 3/ 590، والبحر المحيط: 10/ 382، وبصائر ذوي التمييز: 4/ 436.

الْمَكَان. وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ عَنْ مَكَانِ ذَهَابِهِمْ، أَيْ طَرِيقِ ضَلَالِهِمْ، تَمْثِيلًا لِحَالِهِمْ فِي سُلُوكِ طُرُقِ الْبَاطِلِ بِحَالِ مَنْ ضَلَّ الطَّرِيقَ الْجَادَّةَ فَيَسْأَلُهُ السَّائِلُ مُنْكِرًا عَلَيْهِ سُلُوكَهُ، أَيِ اعْدِلْ عَنْ هَذَا الطَّرِيقِ فَإِنَّهُ مَضِلَّةٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الِاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلًا فِي التَّعْجِيزِ عَنْ طَلَبِ طَرِيقٍ يَسْلُكُونَهُ إِلَى مَقْصِدِهِمْ مِنَ الطَّعْنِ فِي القرآن. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ قَدْ سُدَّتْ عَلَيْكُمْ طُرُقُ بُهْتَانِكُمْ إِذِ اتَّضَحَ بِالْحُجَّةِ الدَّامِغَةِ بُطْلَانُ ادِّعَائِكُمْ أَنَّ القرآن كَلَامُ مَجْنُونٍ أَوْ كَلَامُ كَاهِنٍ، فَمَاذَا تَدَّعُونَ بَعْدَ ذَلِكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ جُمْلَةَ «أَيْنَ تَذْهَبُونَ» قَدْ أُرْسِلَتْ مَثَلًا، وَلَعَلَّهُ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن وَكُنْتُ رَأَيْتُ فِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ: أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ، لِمَنْ كَانَ فِي خطأ وعماية)) [1]. وقال الزجاج في بيان معنى هذا التعبير:((معناه فأيَّ طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينتُ لَكُمْ)) [2]. ولفت الزمخشري الأنظار إلى التمثيل الذي يتضمنه التعبير؛ قال:((أين تذهب، مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل)) [3].

النَّجْمُ الثَّاقِبُ: ووجه الابتكار في عبارة (النجم الثاقب) في قوله تعالى: (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4) وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ) فِي سُورَةِ الشُّورَى [17] ، ناتج من جدّة الدلالة الناتجة من استعمالها، ذلك أنَّ استعمال الثقب هنا استعارة للدلالة على البروز والظهور، وهذا الاستعمال لم يعهده العرب قبل القرآن الكريم، قال:((وَالثَّقْبُ: خَرْقُ شَيْءٍ مُلْتَئِمٍ، وَهُوَ هُنَا مُسْتَعَارٌ لِظُهُورِ النُّورِ فِي خِلَالِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ. شَبَّهَ النَّجْمَ

---

1 التحرير والتنوير: 30/ 164–165. وينظر: جامع البيان: 24/ 262.

2 معاني القرآن وإعرابه: 5/ 293، ومعالم التنزيل: 5/ 218، ومدارك التنزيل: 3/ 608، والجامع لأحكام القرآن: 19/ 243.

3 الكشاف: 4/ 713. وينظر: مفاتيح الغيب: 31/ 71، وأنوار التنزيل: 5/ 291، والبحر المحيط: 10/ 419، والدر المصون: 10/ 707، واللباب في علوم الكتاب: 20/ 191، ومعترك الأقران: 1/ 331، وإرشاد العقل السليم: 9/ 119، وروح البيان: 10/ 354، وروح المعاني: 15/ 265، وفي ظلال القرآن: 6/ 3843.

بِمِسْمَارٍ أَوْ نَحْوِهِ، وَظُهُورَ ضَوْئِهِ بِظُهُورِ مَا يَبْدُو مِنَ الْمِسْمَارِ مِنْ خِلَالِ الْجِسْمِ الَّذِي يَثْقُبُهُ مِثْلَ لَوْحٍ أَوْ ثَوْبٍ. وَأَحْسَبُ أَنَّ اسْتِعَارَةَ الثَّقْبِ لِبُرُوزِ شُعَاعِ النَّجْمِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن وَلَمْ يَرِدْ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ قَبْلَ القرآن. وَقَدْ سَبَقَ قَوْلُهُ تَعَالَى:(فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ [10])) [1]، ثم نقل عن القرطبي ان العرب تستعمل اثقب نارك بمعنى أضئها، قال:((وَوَقَعَ فِي «تفسير القرطبي» : وَالْعَرَبُ تَقُولُ اثْقُبْ نَارَكَ، أَيْ أَضِئْهَا، وَسَاقَ بَيْتًا شَاهِدًا عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَعْزُهُ إِلَى قَائِلٍ)) [2]. وهذا التفسير سبق أن ذكره بعض القدماء قبل القرطبي، فقد قال الفراء:((والثاقب: المضيء، والعرب تَقُولُ: أثقب نارك- للموقِد، وَيُقَال: إن الثاقب: هُوَ النجم الَّذِي يُقال لَهُ: زحل)) [3]. وقال أبو عبيدة:(((النَّجْمُ الثَّاقِبُ) المضيء، أثقب نارك أضئها)) [4]. وهم يذكرون أنها بمعنى أضئها أو أشعلها أو ذكها، ويذكرون ان المراد به زحل أو الثريا [5]. وقال ان عطية:((واختلف المتأولون في النَّجْمُ الثَّاقِبُ، فقال الحسن بن أبي الحسن ما معناه: إنه اسم للجنس، لأنها كلها ثاقبة، أي ظاهرة الضوء، يقال ثقب النجم إذا أضاء، وثقبت النار، كذلك، وثقبت الرائحة إذا سطعت، ويقال للموقد اثقب نارك، أي أضئها، وقال ابن زيد: أراد نجما مخصوصا: وهو زحل، ووصفه بالثقوب، لأنه مبرز على الكواكب في ذلك، وقال ابن عباس: أراد الجدي، وقال بعض هؤلاء يقال: ثقب النجم، إذا ارتفع

---

1 التحرير والتنوير: 30/ 260.

2 نفسه: 30/ 260.

3 معاني القرآن للفراء: 3/ 254.

4 مجاز القرآن: 2/ 294.

5 ينظر: معاني القرآن للفراء: 3/ 254، ومجاز القرآن: 2/ 294، وجامع البيان: 24/ 352، ومعاني القرآن وإعرابه: 5/ 311، وإعراب القرآن للنحاس: 5/ 123، والتفسير الوسيط: 4/ 464، والنكت في القرآن الكريم: 548، والمفردات في غريب القرآن: 173، ومعالم التنزيل: 5/ 239، والكشاف: 4/ 734، والمحرر الوجيز: 5/ 464، وزاد المسير: 4/ 428، وأنوار التنزيل: 5/ 303، ومدارك التنزيل: 3/ 627، والجامع لأحكام القرآن: 20/ 1-2، والبحر المحيط: 10/ 450، واللباب في علوم الكتاب: 20/ 260، وروح المعاني: 12/ 103.

فإنما وصف زحلا بالثقوب لأنه أرفع الكواكب مكانا. وقال ابن زيد وغيره: النَّجْمُ الثَّاقِبُ: الثريا، وهو الذي يطلق عليه اسم النجم معرفا))[1]. وقال الرازي:((قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ:(النَّجْمُ الثَّاقِبُ) [الطَّارِق: 3] قَالَ إِنَّهُ زحَل سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَثْقُبُ بِنُورِهِ سَمْكَ سَبْعِ سموات والله أعلم))[2]. أما البيت الذي استشهد به القرطبي، فهو:

أَذاعَ به في النَّاسِ حَتَّى كَأَنَّه　　　بِعَلياء نَارٍ أُوقِدت بِثُقوبِ

وقد نسبه بعض القدماء إلى أبي الأسود الدؤلي[3]. وبذلك يكون أبو الأسود تأثر بالاستعمال القرآني واحتذى به.

تأكلون التراث: ووجه الابتكار في هذه العبارة في قوله تعالى: (كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (20)) [الفجر17-20]، على الرغم من أنها تتألف من فعل وفاعل ومفعول هو الدلالة التي تخرج إليها؛ لأنها استعارة جديدة عبَّر بها عن الانتفاع بالشيء على نحو لا يُبْقِي منه شيئًا، وهو استعمال غير معروف عند العرب، قال: ((والتُّراثُ: الْمَالُ الْمَوْرُوثُ، أي الَّذِي يُخْلِفُهُ الرَّجُلُ بَعْدَ مَوْتِهِ لِوَارِثِهِ وَأَصْلُهُ: وُرَاثٌ بِوَاوٍ فِي أَوَّلِهِ بِوَزْنِ فُعَالٍ مِنْ مَادَّةِ وَرِثَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ،...، وَالْأَكْلُ: مُسْتَعَارٌ لِلِانْتِفَاعِ بِالشَّيْءِ انْتِفَاعًا لَا يُبْقِي مِنْهُ شَيْئًا. وَأَحْسِبُ أَنَّ هَذِهِ الِاسْتِعَارَةَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن إِذْ لَمْ أَقِفْ عَلَى مِثْلِهَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ))[4].

1 المحرر الوجيز: 5/ 464-465.

2 مفاتيح الغيب: 26/ 321.

3 في: مجاز القرآن: 1/ 133، والحيوان: 5/ 318، وجامع البيان: 8/ 568، والمحرر الوجيز: 2/ 84، والبحر المحيط: 3/ 723، والدر المصون: 4/ 51، واللباب في علوم الكتاب: 6/ 521.

4 التحرير والتنوير: 30/ 334.

فألهمها فجورها وتقواها: ومرجع الابتكار في هذا التعبير الوارد في قوله تعالى: (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)) [الشمس 1-8]، هو استعمال(ألهم) للدلالة على المعاني النفسية، وهو أمر لم تعرفه العرب؛ فقد بيّن الشيخ الطاهر أنَّ الإلهام هو حصول المعنى في النفس من غير تعليم أو تجربة سابقة [1]، ومن ثمَّ فان استعماله بمعنى إيقاع الشيء في روْع الإنسان من الله سبحانه من ابتكار القرآن؛ لأنَّ هذا الأمر لم تعرفه العرب لقلّة عنايتها بالمعاني النفسية بخلاف عنايتها بالمعاني الحسية التي تفرضها طبيعة حياتهم، قال:((وَيُطْلَقُ الْإِلْهَامُ إِطْلَاقًا خَاصًّا عَلَى حُدُوثِ عِلْمٍ فِي النَّفْسِ بِدُونِ تَعْلِيمٍ وَلَا تَجْرِبَةٍ وَلَا تَفْكِيرٍ فَهُوَ عِلْمٌ يَحْصُلُ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ سَوَاءٌ مَا كَانَ مِنْهُ وِجْدَانِيًّا كَالِانْسِيَاقِ إِلَى الْمَعْلُومَاتِ الضَّرُورِيَّةِ وَالْوِجْدَانِيَّةِ، وَمَا كَانَ مِنْهُ عَن دَلِيل كالتجريبيات وَالْأُمُور الْفِكْرِيَّةِ والنظرية. وإيثار هَذَا الْفِعْلِ هُنَا لِيَشْمَلَ جَمِيعَ عُلُومِ الْإِنْسَانِ، قَالَ الرَّاغِبُ: الْإِلْهَامُ: إِيقَاعُ الشَّيْءِ فِي الرُّوعِ وَيَخْتَصُّ ذَلِكَ بِمَا كَانَ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَجِهَةِ الْمَلَإِ الْأَعْلَى اهـ. وَلِذَلِكَ فَهَذَا اللَّفْظُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ القرآن يَكُنْ مِمَّا أَحْيَاهُ القرآن لِأَنَّهُ اسْمٌ دَقِيقُ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعَانِي النَّفْسِيَّةِ وَقَلِيلٌ رَوَاجُ أَمْثَالِ ذَلِكَ فِي اللُّغَةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ لِقِلَّةِ خُطُورِ مِثْلِ تِلْكَ الْمَعَانِي فِي مُخَاطَبَاتِ عَامَّةِ الْعَرَبِ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ اللَّهْمِ وَهُوَ الْبَلْعُ دَفْعَةً، يُقَالُ: لَهِمَ كَفَرِحَ، وَأَمَّا إِطْلَاقُ الْإِلْهَامِ عَلَى عِلْمٍ يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ بِدُونِ مُسْتَنَدٍ فَهُوَ إِطْلَاقٌ

---

1 ورد هذا المعنى في: العين: 4/ 57، وتهذيب اللغة: 6/ 169، والصحاح: 5/ 2037، والمفردات في غريب القرآن: 748، وزاد المسير: 4/ 451، ومفاتيح الغيب: 21/ 404، والجامع لأحكام القرآن: 20/ 75، والبحر المحيط: 10/ 489، واللباب في علوم الكتاب: 20/ 361، وإرشاد العقل السليم: 9/ 164، ومحاسن التأويل: 9/ 481.

اصْطِلَاحِيٌّ لِلصُّوفِيَّةِ. وَالْمَعْنَى هُنَا: أَنَّ مِنْ آثَارِ تَسْوِيَةِ النَّفْسِ إِدْرَاكَ الْعُلُومِ الْأَوَّلِيَّةِ وَالْإِدْرَاكُ الضَّرُورِيُّ الْمُدَرَّجُ ابْتِدَاءً مِنَ الِانْسِيَاقِ الْجِبِلِّيِّ نَحْوَ الْأُمُورِ النَّافِعَةِ)) [1].

الخاتمة والنتائج:

كان الهدف الأساسي من هذه الدراسة هو تكوين صورة متكاملة عن مفهوم الابتكار اللغوي في الخطاب القرآنيّ كما تبدّى في فكر الشيخ الطاهر بن عاشور، وأراد البحث أيضًا أن يبيِّنَ أهم صور الابتكار اللغوي ومظاهره في القرآن الكريم كما تجلت في تفسيره (التحرير والتنوير)، وبغية الوصول إلى هذا الهدف انقسم البحث إلى محورين، يسعى المحور الأول إلى تحديد مفهوم الابتكار اللغوي عند الشيخ الطاهر، وقد توصل البحث إلى أنَّ مفهوم الابتكار اللغوي يرتبط عند الطاهر بن عاشور بما لم يسبق استعماله قبلَ النصِّ القرآنيِّ، وهذا الفهم مستمد من المعنى اللغوي لمادة (بكر) الذي يحيل على أول الشيء، ويبدو أنَّ هذه الفكرة انبثقت في ذهن الشيخ الطاهر نتيجة بحثه عن الاختلاف والتمايز بين القرآن الكريم وكلام العرب: شعره ونثره، ومن ثمَّ، كانت هذه الفكرة تمظهرًا وتجليًا لبحثه عن إضافة جديدة في ميدان الإعجاز القرآني. ولابدَّ من الإشارة إلى أنَّ الابتكار من مصطلحات النقد الأدبي، وهو يحيل- في الفكر النقدي- على ما لا يمكن تقليده غالبًا، فهو نقيض التقليد، ومن ثمّ فإن النص الذي يتصف بالابتكار أو الاختراع يمتاز بالأصالة التي تنتج من توافر عنصرين هما: عمق الإحساس، واستقلال التعبير وتميزه. أما المحور الثاني من البحث فقد تتبع ما وصفه الشيخ الطاهر بالابتكار سعيا إلى الوصول إلى الهدف الثاني من البحث وهو الكشف عن مرجعيات فكرة الابتكار عنده عن طريق الموازنة بين أقواله وأقوال العلماء السابقين. وقد توصل البحث هنا إلى أنَّ المبتكرات اللغوية القرآنية تنقسم عنده على قسمين: أحدهما عام يمثل أساليب شاملة يتصف بها النص القرآني ببنيته الكلية ؛ فَتَسِمُهُ بِسِمَةِ التميز والاختلاف؛

1 التحرير والتنوير: 30/ 396- 370.

ومن ثمّ، الإعجاز. والقسم الثاني تتبدى صوره في مجموعة من المبتكرات اللغوية المتفرقة المبثوثة في تفسيره؛ فهي ليست عامة، وإنما هي مواضع مختلفة عالجها الشيخ في أثناء تفسيره، فصرح- في أثناء تفسيره للآية التي يتناولها بالتفسير- بأن فيها مبتكرا لغويًا قرآنيًا. وقد استقصاها البحث، وقد توصل البحث إلى أن ما طرحه الشيخ الطاهر في فكرة الابتكار في اللغة القرآنية هو معيار لغوي تقويمي جديد من حيث المصطلح والمفهوم والمعالجة وآلية التوصيف، على الرغم من أننا وجدنا عند القدماء إشارات تقترب مما قدمه الطاهر من حيث المضمون؛ وإن لم تُسَمِّه بالمصطلح عينه، وهي في رأينا المتواضع تمثل المرجعيات المعرفية التي كانت تؤثر في المنظومة الفكرية للشيخ الطاهر سواء أكان ذلك على مستوى الوعي أم اللاوعي. ولعل هذه الإشارات كانت دافعا للشيخ الطاهر لكي يتبنى هذه الفكرة وهذا المصطلح ليبلور نظرية جديدة يفسر من خلالها الإعجاز اللغوي القرآني، مفيدا مما قدمه العلماء السابقون، ومقدما إياه في ثوب جديد وطرْحٍ جديد يُسَمّي الأشياء بأسمائها، لأننا نتفق والشيخ الطاهر في أنَّ ما هو معجزٌ لا بدَّ له من أن يكون مبتكرا. وقد كان بحث الشيخ الطاهر عن الابتكار – الذي يستند إلى السَّبْق والأولية- يؤدي به في كثير من الأحيان إلى البحث في تاريخية استعمال بعض الألفاظ أو التراكيب ليتمكن من وَسْمها بالابتكار، فيعالج، نتيجةً لذلك، توثيقَ بعض الأبيات الشعرية التي تتعارض-أحيانا- ورؤيته، مما يؤدي به أحيانا إلى أن يبحث في حقيقتها وحقيقة نسبتها إلى عصر ما قبل الإسلام، لينتهي بأنها من شعر العصر الإسلامي أو أنها مصنوعة وليست جاهليةَ القائلِ حقيقة. وقد اتضح من البحث أن المبتكرات اللغوية القرآنية مختلفةٌ من حيث النوع ومن حيث السبب الذي يجعل منها مبتكرة، فبعضها لفظ مبتكر وبعضها الآخر تركيب مبتكر، وفي الحالين فمسوغ الوصف بالابتكار هو الأولية، وهذه الأولية اما أن تكون أولية استعمال اللفظ بدلالة جديدة غير واردة في شعر العرب أو نثرهم، واما أن تكون أولية استعمال التركيب من حيث هو بنية جديدة في تركيبها، أو من حيث هو بنية تركيبية جديدة في دلالتها، أو بلاغتها.

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم.

-الابتكار في الأدب والفنون، ترجمة: عادل العامل، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية، ط 1986،1م.

-ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، د. عبد العزيز الاهواني، دار الشؤون الثقافية- بغداد، ط2، 1986م.

-الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة: 1974م.

-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم =تفسير أبي السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

-أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998م.

-أسباب النزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، (ت 468هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة الثانية، 1992م.

-أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت 911هـ)، دار الفضيلة، د.ط، د. ت.

-إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف- القاهرة، د.ط، د. ت.

-الإعجاز والإيجاز، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ)، مكتبة القرآن – القاهرة، د.ط، د.ت.

-إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت 338هـ)، عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ.

- إعراب القرآن المنسوب خطأً للزجاج، أبو الحسن نور الدين علي بن الحسين بن علي، جامع العلوم الأصْفهاني الباقولي (ت 543هـ)، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري - القاهرة ودار الكتب اللبنانية - بيروت، الطبعة الرابعة - 1420 هـ.

- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت 1396هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة ، 2002م.

- الأمثال، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت 224هـ)،تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، 1400 هـ- 1980.

- الأمثال من الكتاب والسنة، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت نحو 320هـ)، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار ابن زيدون و دار أسامة - بيروت - دمشق،د.ط، د.ت.

- الأمثال، زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الهاشمي (ت بعد 400هـ)، دار سعد الدين- دمشق، الطبعة الأولى، 1423 هـ.

- الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت 403هـ)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى 1422 هـ - 2001م .

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل =تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ.

- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جيل، دار الفكر- بيروت، الطبعة 1420هـ.

- البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1376 هـ - 1957م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

-تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت 1356هـ)، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت.

-تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت 571هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1415 هـ - 1995م.

-التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت 616هـ)، تحقيق : علي محمد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه- مصر.

-التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م.

-التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت 562هـ)، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ .

-التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، عودة خليل عودة،

-تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية.د.ط، د.ت.

-تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

-تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت ، د.ط، د.ت.

-تلوين الخطاب، أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين (ت 940هـ)، عبد الخالق بن مساعد الزهراني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، طبعة السنة 33 - العدد (113) 1421هـ.

-تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.

-التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د. احمد سعد محمد، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الرابعة، 143هـ-2009م.

-جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (ت 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2000م.

-الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964م.

-جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو 395هـ)، دار الفكر – بيروت، د.ط، د.ت.

-جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية بيروت-لبنان، د.ط، د.ت.

-جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ)تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الأولى، 1987م.

-حاشِيةُ الشِّهابِ عَلَى تفسيرِ البَيضَاوي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت 1069هـ)، دار صادر – بيروت.

-حماسة الخالديين المعروفة بالأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، (ت نحو 380هـ) ، و أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (ت 371هـ)، تحقيق: الدكتور محمد علي دقة، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، 1995م.

-الحماسة البصرية، علي بن أبي الفرج بن الحسن، صدر الدين، أبو الحسن البصري (ت 659هـ)، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب – بيروت،د.ط، د.ت.

-الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، الجاحظ (ت 255هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، 1424 هـ.

-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1418 هـ - 1997م.

-خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت 1429هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1992م.

-دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق، السيد احمد عمارة، مكتبة المتنبي، د.ط، د.ت.

-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق.

-ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، تح: د. حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي - بيروت، 2004م.

-روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت 1127هـ)، دار الفكر - بيروت.

-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني= تفسير الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي (ت1270هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

-زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ.

-الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت 328هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ -1992.

-الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ)، والحاشية: لأحمد بن محمد بن محمد الشمني (ت 873هـ)، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، 1409 هـ - 1988م.

-الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، يوسف خليف، دار المعارف، الطبعة الرابعة، د.ط، د. ت.

-الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987م.

-الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو 395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت، 1419 هـ.

-العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1404 هـ.

-عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، 1418 هـ.

-غريب الحديث، الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت 388هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، طبعة سنة: 1402هـ - 1982م.

-غريب الحديث، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1405 – 1985.

-الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تح: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – لبنان، الطبعة الثانية، د.ت.

-الفن ومذاهبه في النثر العربي ، شوقي ضيف، (ت 1426هـ)، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية عشرة، د.ط، د.ت.

-فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت 764هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى الجزء: 1 سنة:1973م، و الأجزاء: 2، 3، 4 سنة:1974م.

-في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، مكتبة دار التراث، طبعة دار التراث الأول، 1412هـ – 1991م.

-القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة الثامنة، 1426 هـ- 2005م.

-كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م.

-كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - 1407 هـ .

-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

-اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ -1998م.

-لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت 711هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة - 1414 هـ.

-مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت 209هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي – القاهرة، طبعة سنة: 1381 هـ.

-مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت 518هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، د.ط، د.ت.

-المجموع اللفيف، أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطرابلسي (ت بعد 515هـ)، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى، 1425 هـ.

-محاسن التأويل=تفسير القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ .

-محاضرات الأدباء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ.

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ .

-المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ -1996م.

-مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب- بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998م.

-مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001م.

-مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت 437هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، 1405.

-معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 510هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، 1420 هـ.

-معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت 215هـ)،تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1990 م.

-معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت 207هـ)،تحقيق: أحمد يوسف النجاتي و محمد علي النجار و عبد الفتاح إسماعيل الشلبي،الدار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى.

-معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت 311هـ)، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م.

-معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988م.

-المعجزة الكبرى القرآن ، محمد احمد أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت 1394هـ)، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.

-معجم الأدباء، = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى، 1414 هـ - 1993م.

-المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، إعداد: أعضاء ملتقى أهل الحديث، أعده للمكتبة الشاملة: أسامة بن الزهراء عضو في ملتقى أهل الحديث، http://www.ahlalhdeeth.com

-معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- دمشق، 1399هـ - 1979م.

-المغرب في ترتيب المعرب، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (ت 610هـ)، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت.

-مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - 1420 هـ .

-المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى - 1412 هـ .

-المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، نشر:الجفان والجابي – قبرص، الطبعة الأولى، 1407 – 1987م.

-الموشّى = الظرف والظرفاء، محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب، المعروف بالوشاء (ت 325هـ)، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر - مطبعة الاعتماد، الطبعة الثانية، 1371 هـ - 1953م.

-النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (ت 1377هـ)، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة سنة 1426هـ- 2005م.

-النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م

-الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ- 2000م.

-الوفيات والأحداث، إعداد: ملتقى أهل الحديث : على المكتبة الشاملة.

جَمَالِيَّاتُ التَّحِيَّةِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ
فِي ضَوءِ جُهُودِ المُفَسِّرِين

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، وسبباً للمزيد من فضله، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين و صحبه الغر الميامين..

يتناول هذا البحث جماليات اللغة القرآنية في آيات التحية، وقد انقسم البحث على ثلاثة محاور، قدمت في المحور الأول توطئة في التحية الإسلامية، والألفاظ المستعملة فيها وتاريخ ظهورها في الواقع اللغوي على ألسنة متكلمي اللغة العربية وكيفية أدائها كما حددها الإسلام، وعالجت في المحور الثاني علة اختيار هذه الألفاظ في التحية الإسلامية لغويا وبلاغيا واجتماعيا ونفسيا، ودرست في المحو الثالث صور التَّحية في القُرآن الكَرِيم وجماليات كل منها في سياقها الذي وردت فيه، كل ذلك في ضوء جهود المفسرين ودراساتهم التي كشفت عن كثير من اللطائف والنكت البلاغية الدقيقة. وختمت البحث بخاتمة أجملت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

توطئة في التحية الإسلامية :

لما كانت التحية في القرآن الكريم تعتمد على استعمال عبارة:(السلام عليكم)، فلا بد لنا من الوقوف على معاني السلام والتحية في اللغة أولا. والسلام في اللغة من الفعل (سلم)، وتبين المعجمات المعاني التي تستعمل فيها هذه المادة، فقد بين الخليل المعاني التي يدل عليه هذا الأصل، وبدأ بالمعاني المادية أو الحسية، وهي: السلم بمعنى دلو مستطيل له عروة، وجمعه سِلام، وبمعنى: لدغ الحية؛ ومنه السليم بمعنى الملدوغ، ومنها

السلام بمعنى الحِجارة؛ ولعل منه الاستِلام للحَجَر: تَناوُلُه باليَد، وبالقُبْلَة، ومَسْحُهُ بالكَفّ، والسلم بمعنى ضَرْبٌ من دِقيق الشّجر، والسُّلَّم، بمعنى: السَّبَبُ والمِرْقاةُ. كما كشف الخليل عن الدلالات المعنوية وهي: انه يأتي بمعنى السلامة، وجعل منه تحية الإسلام: السلام عليكم، أي السلامة عليكم، وقيل إنه اسم من أسماء الله فمعنى السلام عليكم: الله فوقكم. ومنه الإسلام بمعنى الاستسلامُ لأمر اللهِ تَعالَى، وهو الانقيادُ لطاعتِهِ، والقَبُولُ لأمره. ومنه أيضا السَّلْمُ: ضِدُّ الحَرْب [1].

وحدد أبو بكر الانباري أربعة معان للسلام، هي: السلام بمعنى التسليم أي التحية المعروفة، والسلام اسم من أسماء الله تعالى، ويكون جمع سلامة، وبمعنى الحجر، وبمعنى الشجر العظام [2].

وجعل ابن فارس معاني هذه الكلمة تعود إلى أصل واحد هو الصحة والعافية وما شذ عنه قليل، قال:((السِّينُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ مُعْظَمُ بَابِهِ مِنَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ ؛ وَيَكُونُ فِيهِ مَا يَشِذُّ، وَالشَّاذُّ عَنْهُ قَلِيلٌ، فَالسَّلَامَةُ: أَنْ يَسْلَمَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْعَاهَةِ وَالْأَذَى. قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هُوَ السَّلَامُ ؛ لِسَلَامَتِهِ مِمَّا يَلْحَقُ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصِ وَالْفَنَاءِ ،...، وَمِنَ الْبَابِ أَيْضًا الْإِسْلَامُ، وَهُوَ الِانْقِيَادُ ؛ لِأَنَّهُ يَسْلَمُ مِنَ الْإِبَاءِ وَالِامْتِنَاعِ. وَالسِّلَامُ: الْمُسَالَمَةُ ،...، وَمِنْ بَابِ الْإِصْحَابِ وَالِانْقِيَادِ: السَّلَمُ الَّذِي يُسَمَّى السَّلَفَ، كَأَنَّهُ مَالٌ أَسْلَمَ وَلَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ إِعْطَائِهِ. وَمُمْكِنٌ أَنْ تَكُونَ الْحِجَارَةُ سُمِّيَتْ سِلَامًا لِأَنَّهَا أَبْعَدُ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَنَاءِ وَالذَّهَابِ؛ لِشِدَّتِهَا وَصَلَابَتِهَا. فَأَمَّا السَّلِيمُ وَهُوَ اللَّدِيغُ فَفِي تَسْمِيَتِهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أُسْلِمَ لِمَا بِهِ. وَالْقَوْلُ الْآخَرُ أَنَّهُمْ تَفَاءَلُوا بِالسَّلَامَةِ. وَقَدْ يُسَمُّونَ الشَّيْءَ بِأَسْمَاءٍ فِي التَّفَاؤُلِ وَالتَّطَيُّرِ. وَالسُّلَّمُ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ مِنَ السَّلَامَةِ أَيْضًا ؛

---

1 ينظر: العين: 7/ 265- 266. وينظر: تهذيب اللغة: 12/ 309، والصحاح: 5/ 1950-1952، والقاموس المحيط: 1122، وبصائر ذوي التمييز: 3/ 252، وتاج العروس: 32/ 370-409، والمعجم الوسيط: 1/ 446.

2 ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: 1/ 65.

لِأَنَّ النَّازِلَ عَلَيْهِ يُرْجَى لَهُ السَّلَامَةُ. وَالسَّلَامَةُ: شَجَرٌ، وَجَمْعُهَا سَلَامٌ. وَالَّذِي شَذَّ عَنِ الْبَابِ السَّلْمُ: الدَّلْوُ الَّتِي لَهَا عُرْوَةٌ وَاحِدَةٌ. وَالسَّلَمُ: شَجَرٌ، وَاحِدَتُهُ سَلَمَةٌ. وَالسَّلَامَانُ: شَجَرٌ. وَمِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ السَّلْمُ وَهُوَ الصُّلْحُ، وَقَدْ يُؤَنَّثُ وَيُذَكَّرُ)) [1] . ونقل الزجاج عن المبرد انه جعل معاني هذه المادة أربعة أشياء؛ قال:((سمعت أَبَا العَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ يَذْكُرُ أَنَّ السَّلامَ فِي اللُّغَةِ أربعة أشياء: فَمِنْهَا سَلَّمْتُ سَلاما مَصْدَرُ سَلَّمْتُ، وَمِنْهَا السَّلامُ جَمْعُ سَلامة، وَمِنْهَا السَّلامُ اسْمٌ مِنْ أسماء اللَّه تَعَالَى، وَمِنْهَا السلامُ شَجَرٌ)) [2].

وقد توقف ابن القيم على معنى السلام في خطاب المستعملين له على أنه تحيتهم، قال:((فيه قولان مشهوران: أحدهما: أن المعنى اسم السلام عليكم والسلام هنا هو الله عز وجل ومعنى الكلام نزلت بركة اسمه عليكم وحلت عليكم ونحو هذا،...،القول الثاني: أن السلام مصدر بمعنى السلامة وهم المطلوب المدعو به عند التحية ،...،وفصل الخطاب في هذه المسألة: أن يقال الحق في مجموع القولين،...،فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم ما عند الرجل أتى في لفظها بصيغة اسم من أسماء الله وهو السلام الذي يطلب منه السلامة فتضمن لفظ السلام معنيين أحدهما: ذكر الله،...،والثاني: طلب السلامة وهو مقصود المسلم فقد تضمن سلام عليكم اسما من أسماء الله وطلب السلامة منه فتأمل هذه الفائدة)) [3].

ويبدو أنَّ السلام والتحية عند اللغويين مترادفان، كما يظهر من تفسير معنى التحية، قال الزجاج:((وقيل في التفسير: التحية هنا، السلام، وهي تفعله – من

1 مقاييس اللغة: 3/ 90-91. وينظر: مجمل اللغة: 469، وأساس البلاغة: 1/ 471، والمصباح المنير: 1/ 286، وبصائر ذوي التمييز: 3/ 252.

2 معاني القرآن وإعرابه: 2/ 252. وينظر: تهذيب اللغة: 12/ 309، ولسان العرب: 12/ 291.

3 بدائع الفوائد 2/ 143. وينظر: أحكام أهل الذمة، له أيضا: 1/ 413.

حيِـيت)) [1]. وذكـر أبـو بكـر الانبـاري: في تفسـير التحيـات في قـولهم:(التحيـاتُ للهِ والصلواتُ والطيباتُ) ثلاثة أقـوال، الأول: بمعنـى السـلام، كمـا في قولـه تعـالى: (وإذا حُيِّيتم بتحيةٍ فحيُّوا) معناه: وإذا سُلِّم عليكم. والثاني أنها بمعنى المَلِك، وذلـك أن الملـك كان يُحَيَّا، فيقال له: انْعَمْ صباحاً، أَبَيْتَ اللعنَ. والثالث أنها بمعنـى: البقـاء لله [2]. وقـال الراغب الأصفهاني:((التحية: من قولهم حيَّا الله فلانًا، أي جعل له حياة، وذلك إخبار، ثم يُجعل دعاء، ثم يقال: وحيَّا فلان فلانًـا إذا قـال لـه ذلـك، وحكـم بـه، كمـا يقـال: أضللت فلانًا وأرشدته إذا حكمت له بذلك، وأصل التحية مـن الحيـاة، ثـم يقـال لكـل دعاء تحية، لكون جميعه غير خارج عن كونه حياة، أو سبب حياة)) [3]. وقال ابن عطية:((و «التحية» مأخوذة من تمني الحياة للإنسان والدعاء بها، يقال حياه يحييه)) [4]. وقـال ابـن منظور في تأصيل معنى التحية:((والتَّحِيَّة: السَّلَامُ، ... والتَّحِيَّة: البقاءُ. والتَّحِيَّـة: المُلْـك ؛...، والتَّحِيَّة: تَفْعِلَةٌ مِنَ الْحَيَاةِ،...، وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ: إِنَّمَا قِيلَ التَّحِيَّات لِلَّهِ لَا عَلَـى الجَمْـع لأنه كَانَ فِـي الأَرض مُلُـوكٌ يُحَيَّـوْنَ بتَحِيَّـات مُخْتَلِفَـةٍ، يقـال لبعضـهم: أَبَيْـتَ اللَّعْـنَ، وَلِبَعْضِهِمْ: اسْلَمْ وانْعَمْ وعِشْ أَلْفَ سَنَةٍ، وَلِبَعْضِـهِمْ: انْعِـمْ صَـباحاً، فَقِيـلَ لَنَـا: قُولُـوا التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ أي الأَلفاظُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْمُلْكِ وَالْبَقَاءِ وَيُكَنَّى بِهَا عَنِ الْمُلْكِ فَهِيَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) [5]. وجاء فيه:((وَقَالَ أَبـو الْهَيْـثَمِ: السَّـلامُ وَالتَّحِيَّـةُ مَعْنَاهُمَـا وَاحِـدٌ، وَمَعْنَاهُمَـا السَّلامَةُ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ)) [6]. وفي التـاج:((والتَّحِيَّـةُ: السَّـلامُ؛ ... وقـالَ أَبـو الهَيْـثَم:

1 معاني القرآن وإعرابه: 2/ 86. وينظر: المحرر الوجيز: 2/ 87، ومفاتيح الغيب: 10/ 161، وأنوار التنزيل: 2/ 88، والجامع لأحكام القرآن: 5/ 297، والبحر المحيط: 3/ 733، واللباب في علوم الكتاب: 6/ 535، وبصائر ذوي التمييز: 3/ 252، وتفسير المنار: 5/ 253.

2 ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس :1/ 60، والمخصص: 3/ 468، ولسان العرب: 14/ 216.

3 تفسير الراغب الأصفهاني: 3/ 1366. وينظر: المفردات في غريب القرآن: 270، واللباب في علوم الكتاب: 6/ 537، وبصائر ذوي التمييز: 2/ 514، ومحاسن التأويل: 3/ 243.

4 المحرر الوجيز: 3/ 107. وينظر: محاسن التأويل: 6/ 8.

5 لسان العرب: 14/ 216. وينظر: تهذيب اللغة: 5/ 188.

6 لسان العرب: 12/ 289- 290، و14/ 217، والمخصص: 3/ 468، وتاج العروس: 32/ 385.

التَّحِيَّةُ فِي كَلامِ العَرَبِ مَا يُحَيِّي بِهِ بعضُهم بَعْضاً إذا تَلاقَوْا، قال: وتَحِيَّةُ اللَّهِ الَّتِي جَعَلَها فِي الدُّنيا لمُؤْمِنِي عِبادِه إذا تَلاقَوْا ودَعا بعضُهم لبعضٍ فأَجْمع الدّعاء أن يَقُولُوا: السَّلامُ عَلَيْكم ورحْمةُ اللَّهِ وبركَاتُه. قالَ اللَّهُ، عزَّ وجلَّ: (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَه سَلامٌ)[الأحزاب 34]))[1] . وقال الطاهر بن عاشور:((وَالتَّحِيَّةُ: الْكَلَامُ الَّذِي يُخَاطَبُ بِهِ عِنْدَ ابْتِدَاءِ الْمُلَاقَاةِ إِعْرَابًا عَنِ السُّرُورِ بِاللِّقَاءِ مِنْ دُعَاءٍ وَنَحْوِهِ. وَهَذَا الِاسْمُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرُ حَيَّاهُ، إِذَا قَالَ لَهُ: أَحْيَاكَ اللَّهُ، أَيْ أَطَالَ حَيَاتَكَ. فَسُمِّيَ بِهِ الْكَلَامُ الْمُعْرِبُ عَنِ ابْتِغَاءِ الْخَيْرِ لِلْمُلَاقَى أَوِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ غَلَبَ أَنْ يَقُولُوا: أَحْيَاكَ اللَّهُ عِنْدَ ابْتِدَاءِ الْمُلَاقَاةِ فَأَطْلَقَ اسْمَهَا عَلَى كُلِّ دُعَاءٍ وَثَنَاءٍ يُقَالُ عِنْدَ الْمُلَاقَاةِ وَتَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ: سَلَامٌ عَلَيْكَ أَوِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، دُعَاءٌ بِالسَّلَامَةِ وَالْأَمْنِ، أَيْ مِنَ الْمَكْرُوهِ لِأَنَّ السَّلَامَةَ أَحْسَنُ مَا يُبْتَغَى فِي الْحَيَاةِ))[2] . وهذا ما أكده الشيخ محمد رشيد رضا، إذ قال:((التَّحِيَّةُ: مَصْدَرُ حَيَّاهُ إِذَا قَالَ لَهُ حَيَّاكَ اللهُ، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ، ثُمَّ صَارَتِ التَّحِيَّةُ اسْمًا لِكُلِّ مَا يَقُولُهُ الْمَرْءُ لِمَنْ يُلَاقِيهِ أَوْ يُقْبِلُ هُوَ عَلَيْهِ مِنْ نَحْوِ دُعَاءٍ أَوْ ثَنَاءٍ كَقَوْلِهِمْ: أَنْعِمْ صَبَاحًا وَأَنْعِمْ مَسَاءً، وَقَالُوا: عِمْ صَبَاحًا وَمَسَاءً، وَجُعِلَتْ تَحِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ السَّلَامَ لِلْإِشْعَارِ بِأَنَّ دِينَهُمْ دِينُ السَّلَامِ وَالْأَمَانِ، وَأَنَّهُمْ أَهْلُ السِّلْمِ وَمُحِبُّو السَّلَامَةِ، وَمِنَ التَّحِيَّاتِ الشَّائِعَةِ فِي بِلَادِنَا إِلَى هَذَا الْيَوْمِ: أَسْعَدَ اللهُ صَبَاحَكُمْ، أَسْعَدَ اللهُ مَسَاءَكُمْ – وَهَذَا بِمَعْنَى قَوْلِ الْعَرَبِ الْقُدَمَاءِ: أَنْعِمْ صَبَاحًا وَمَسَاءً - وَنَهَارُكَ سَعِيدٌ، وَلَيْلَتُكَ سَعِيدَةٌ، وَهَذَا مُتَرْجَمٌ عَنِ الْإِفْرِنْجِيَّةِ))[3] . وقد خصص ابن سيده بابا للتسليم عالج فيه بعض التحيات المستعملة عند العرب وتفسيرها[4] . وقد نقل أبو حيان عن المبرد انه فرق بين التحية والسلام قال :((وَفَرَّقَ

1 تاج العروس: 37/ 515.

2 التحرير والتنوير: 22/ 51.

3 تفسير المنار: 5/ 253.

4 ينظر: المخصص: 3/ 468.

الْمُبَرِّدُ بَيْنَ التَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ فَقَالَ: التَّحِيَّةُ يَكُونُ ذَلِكَ دُعَاءً، وَالسَّلَامُ مَخْصُوصٌ، وَمِنْهُ:(وَيُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَسَلاماً)[الفرقان75])) [1]

وحدد الدكتور محمد بن عبد الله الشباني، في مقال له دَرَسَ فيه مفهوم السلام الذي هو ضد الحرب في القرآن الكريم ، دلالةَ مشتقاتِ السلام بأربعة أشكال في الاستعمال القرآني، الأول: في مجال الحياة الأسرية: الذي يتعلق بحماية الطفولة وتحقيق الأمان عند انفصام الروابط التي تجمع بيْن الأب والأم في قوله تعالى: (وَإِنْ أَرَدْتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُم إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[البقرة 233]. والثاني: في مجال الحرب والسلم: وذلك عندما تحدث القرآن عن علاقة المجتمع المسلم مع بقية الجماعات الأخرى التي تدين بغير دين الإسلام، وأوضح الإطار الذي يحدد مظاهر علاقات السلم ونوعيته، والظروف التي يمكن فيها قبول المهادنة والصلح مع العدو. والثالث: ورد بمعنى الخضوع والاستسلام لله، الذي هو المفهوم الحقيقي لدين الإسلام، فقد ورد لفظ (السلام) ومشتقاته للدلالة على الإسلام، الذي يعني كمال الخضوع والذلة والاستسلام لله بما شرعه وأمر به. والرابع: ورد لفظ (السلام) في القرآن بما يفيد ضرورة استخدامه تحية يتخذها الأفراد، بقصد بثِّ الأمان النفسي والمادي في المجتمع المسلم [2]. في حين ذكر بعض الباحثين ان السلام جاء في القرآن على ستة معان، وهي: السلام بمعنى اسم من أسماء الله تعالى، وبمعنى التحية المعروفة، وبمعنى الثناء الجميل، وبمعنى السلامة من كل شر، وبمعنى الخير، ويزاد عليها دار السلام وهي الجنة [3].

1 البحر المحيط: 8/ 487.

2 ينظر: مقال: السلام كما جاء في القرآن الكريم، بقلم: د. محمد بن عبد الله الشباني، مجلة البيان شوال – 1416هـ- مارس – 1996م، (السنة: 10)، ع : 98، ص 52.

3 ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: 2/ 434-438.

كيفية التحية كما حددها الإسلام:

بيّن العلماء أن للتحية مراتب؛ فإذا قَال المُسْلِم: السلام علَيك، كان الردّ في جوابه بالرَّحْمَة، وإذا ذكر السلام والرَّحمة في الابتِدَاءِ، زيدَ في جَوابه البَركَة وإذا ذكر الثلاثة في الابتداء، أعادها في الجَوَاب [1]. كما نص قوله تعالى: (وَإذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنها، أوْ رُدُّوها، إنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً)[النساء 86]، فقد أوْجَبَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ نُجِيبَ مَنْ حَيَّانَا بِأَحْسَنَ مِنْ تَحِيَّتِهِ أَوْ بِمِثْلِهَا أَوْ عَيْنِهَا [2]، فَمَنْ قَالَ لَكَ: أَسْعَدَ اللهُ صَبَاحَكُمْ وَمَسَاءَكُمْ، فَقُلْتَ لَهُ: أَسْعَدَ اللهُ جَمِيعَ أَوْقَاتِكُمْ كَانَتْ تَحِيَّتُكَ أَحْسَنَ مِنْ تَحِيَّتِهِ، وَمَنْ قَالَ لَكَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ بِصَوْتٍ خَافِتٍ يُشْعِرُ بِقِلَّةِ الْعِنَايَةِ فَقُلْتَ لَهُ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ بِصَوْتٍ أَرْفَعَ وَإِقْبَالٍ يُشْعِرُ بِالْعِنَايَةِ وَزِيَادَةِ الْإِقْبَالِ وَالتَّكْرِيمِ، كُنْتَ قَدْ حَيَّيْتَهُ بِتَحِيَّةٍ أَحْسَنَ مِنْ تَحِيَّتِهِ فِي صِفَتِهَا، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَهَا فِي لَفْظِهَا، وَالنَّاسُ يُفَرِّقُونَ فِي الْقِيَامِ لِلزَّائِرِينَ بَيْنَ مَنْ يَقُومُ بِحَرَكَةٍ خَفِيفَةٍ وَهِمَّةٍ تُشْعِرُ بِزِيَادَةِ الْعِنَايَةِ وَمَنْ يَقُومُ مُتَثَاقِلًا، وقد عُلِمَ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ الْجَوَابَ عَنِ التَّحِيَّةِ لَهُ مَرْتَبَتَانِ: أَدْنَاهُمَا رَدُّهَا بِعِنَايَةٍ، وَأَعْلَاهُمَا الْجَوَابُ عَنْهَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا [3].

وقد جاء الإسلام بهذه التحية الخاصة، التي تُميِّز المجتمع المسلم وتجعل كلَّ سمةٍ فيه- حتى السمات اليومية المعتادة- متفردةً متميزةً لا تندغم ولا تضيع في سمات المجتمعات الأخرى ومعالمها، إذ يحرص المنهج الإسلامي على أن يطبعَ المجتمع المسلم بسمات متميزة بحيث تكون له ملامحه الخاصة، وتقاليده الخاصة- كما أنَّ له شرائعه الخاصة ونظامه الخاص- كما أن الجماعة المسلمة تميّزتْ بقبلتها، وعقيدتها [4].

---

1 ينظر: اللباب في علوم الكتاب: 6/ 538، وفي ظلال القرآن: 2/ 726.

2 ينظر: تفسير المنار: 5/ 253.

3 ينظر: نفسه: 5/ 254.

4 ينظر: في ظلال القرآن: 2/ 726.

علة اختيار لفظ السلام في التحية الإسلامية:

يبدو من كلام المفسرين، أن الإسلام قد أمات التحية التي كانت مستعملةً في الجاهلية؛ وهي قولهم: (حياك الله) بين العامة وقولهم: (انْعِم صباحا) في تحية الملوك، إذ استعمل تحية جديدة هي: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، قال الفخر الرازي(ت 606 ه) عن تحية العرب(حياك الله):((اعْلَمْ أَنَّ عَادَةَ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ إِذَا لَقِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَالُوا: حَيَّاكَ اللَّه وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْحَيَاةِ كَأَنَّهُ يَدْعُو لَهُ بِالْحَيَاةِ، فَكَانَتِ التَّحِيَّةُ عِنْدَهُمْ عِبَارَةً عَنْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ حَيَّاكَ اللَّه، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ أُبْدِلَ ذَلِكَ بِالسَّلَامِ، فَجَعَلُوا التَّحِيَّةَ اسْمًا لِلسَّلَامِ)) [1]. وقد أيد الطاهر بن عاشور هذه الفكرة، قال:((وَكَانَ هَذَا اللَّفْظُ تَحِيَّةَ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ تَحِيَّةَ الْعَامَّةِ ،...، وَكَانَتْ تَحِيَّةُ الْمُلُوكِ «عِمْ صَبَاحًا»، فَجَعَلَ الْإِسْلَامُ التَّحِيَّةَ كَلِمَةَ «السَّلَامُ عَلَيْكُم»،...،وسماها تَحِيَّةَ الْإِسْلَام)) [2]. وقال في موضع آخر:((وَالسَّلَامُ: الْأَمَانُ، كَلِمَةٌ قَالَتْهَا الْعَرَبُ عِنْدَ لِقَاءِ الْمَرْءِ بِغَيْرِهِ دَلَالَةً عَلَى أَنَّهُ مُسَالِمٌ لَا مُحَارِبٌ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ دِمَاءٌ وَتِرَاتٌ وَكَانُوا يَثْأَرُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَلَوْ بِغَيْرِ الْمُعْتَدِي مِنْ قَبِيلَتِهِ، فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا لَقِيَ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ لَا يَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَبِيلَتِهِ إِحَنٌ وَحَفَائِظُ فَيُؤَمِّنُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بِقَوْلِهِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَوْ سَلَامٌ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. وَقَدْ حَكَاهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- ثُمَّ شَاعَ هَذَا اللَّفْظُ فَصَارَ مُسْتَعْمَلًا فِي التَّكْرِمَةِ)) [3]. وقد ساعد على ذلك مجيء هذه التحية الجديدة في القرآن الكريم كما في قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) [يونس 10]. فقد ((ذَكَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ سَلَامٌ، أَيْ يُسَلِّمُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِذَلِكَ، وَيُسَلِّمُونَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَتُسَلِّمُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ بِذَلِكَ، وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَى هَذَا فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ، كَقَوْلِهِ:(تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ) الْآيَةَ [الاحزاب44] ، وَقَوْلِهِ:(وَالْمَلَائِكَةُ

---

1 مفاتيح الغيب: 10/ 161. وينظر: مدارك التنزيل: 1/ 380.

2 التحرير والتنوير: 18/ 304.

3 نفسه: 18/ 304-305.

يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ)الْآيَةَ[الرعد 23-24]، وَقَوْلِهِ: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا)) [1]. وفي الحديث الشريف الذي دفع المسلمين إلى استعمالها دون غيرها، وذلك لما لها من قيمة دينية؛ فقد جاء عن الرسول ان الله سبحانه وتعالى لَمَّا خَلَقَ (ادم)عليه السلام قَالَ له:((اذهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ)) [2]. كما وضع الإسلام أحكام السلام بين المسلمين فقد جاء عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ انه قَالَ: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، وَالمَارُّ عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ» [3]. كما كان من سنة الرسول الجهر والإفشاء والمصافحة، وأجاز الإسلام للرجل السلام على زوجته دون الأجنبية، والابتداء بالسلام سنة مؤكدة، ورده فريضة [4].

وفي تعليل اختيار الإسلام لفظَ (السلام) دون غيره من الألفاظ والتحيات، نجد أن المفسرين قد ذهبوا مذاهب اجتماعية وعقائدية تحاول أن تربط بين الجانب الديني الذي فضّل هذا اللفظ على غيره من جهة، وتربطه بالجانب الاجتماعي الذي يؤكد على الأمن والسلامة بين المتلاقيين من جهة أخرى؛ فقد ذهب الراغب الأصفهاني إلى أنَّ سبب اختيار لفظ السلام للتحية يعود إلى أنّه بمعنى السِّلْم فكأنَّ الرجل حين يُحَيي الآخر بهذه التحية فكأنه يقول له إني بذلت لك الأمن والسلام ويطلب منه مثل ذلك، قال: ((إنْ قيل: على أي وجه جعل قولهم: السلام تحية الملتقين؟ قيل: السلام والسِّلم واحد، بدلالة

---

1 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: 2/ 151.

2 صحيح البخاري: 8/ 50، وينظر: ومفاتيح الغيب: 10/ 164، والجامع لأحكام القرآن: 5/ 300، وغذاء الألباب: 1/ 280-284.

3 صحيح البخاري: 8/ 52، وتنظر أحكامه الأخرى في: صحيح البخاري: 8/ 52-45، وصحيح مسلم: 4/ 1704-1708، ومفاتيح الغيب: 10/ 164-165، ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: 2/ 434، وتفسير المنار: 5/ 258.

4 ينظر: مفاتيح الغيب: 10/ 164-165.

قوله: (فَقَالُواْ سَلَامًا قَالَ سِلْم)[هود69]، ولما كان الملتقيان من الأجانب قد حذر أحدهما الآخر استعملوا هذه اللفظة تنبيهًا من المخاطب، أي بذلت لك ذلك وطلبته منك. ونبّه المجيب إذا قال: وعليك السلام. على نحو ذلك، ثم صار ذلك مستعملًا في الأجانب والأقارب والأعادي والأحباب، تنبيهًا أني أسأل الله ذلك لك، وأكثر المفسرين حملوا الآية على التحية المجردة)) [1]. وقد ربط الفخر الرازي سبب اختيار الإسلام هذه التحية بما تفيده من دلالة تبعث على الأمان والطمأنينة، قال:((وَإِذَا وَصَلَ إِنْسَانٌ إِلَى إِنْسَانٍ كَانَ أَهَمُّ الْمُهِمَّاتِ أَنْ يُعَرِّفَهُ أَنَّهُ مِنْهُ فِي السَّلَامَةِ وَالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ وَقَعَ الِاصْطِلَاحُ عَلَى أَنْ يَقَعَ ابْتِدَاءُ الْكَلَامِ بِذِكْرِ السَّلَامِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ»)) [2]. ولم يكتف الفخر الرازي بذلك واتجه إلى الموازنة بين التحية الإسلامية والتحية التي كانت مستعملة من قبلُ، مبيناً ما في التحية الإسلامية من دلالات هامشية ناتجة من المفاضلة بين المعنيين اللغويين لـ(السلام) من جانب و(حياك)من جانب اخر، من خلال ربط التحية الإسلامية بامتداداتها الدينية والاجتماعية؛ قال:((وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ لِغَيْرِهِ: (السَّلَامُ عَلَيْكَ) أَتَمُّ وَأَكْمَلُ مِنْ قَوْلِهِ: حَيَّاكَ اللَّه، وَبَيَانُهُ مِنْ وُجُوهٍ: الْأَوَّلُ: أَنَّ الْحَيَّ إِذَا كَانَ سَلِيمًا كَانَ حَيًّا لَا مَحَالَةَ، وَلَيْسَ إِذَا كَانَ حَيًّا كَانَ سَلِيمًا، فَقَدْ تَكُونُ حَيَاتُهُ مَقْرُونَةً بِالْآفَاتِ وَالْبَلِيَّاتِ، فَثَبَتَ أَنَّ قَوْلَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَتَمُّ وَأَكْمَلُ مِنْ قَوْلِهِ: حَيَّاكَ اللَّه. الثَّانِي: أَنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّه تَعَالَى، فَالِابْتِدَاءُ بِذِكْرِ اللَّه أَوْ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ يُرِيدُ إِبْقَاءَ السَّلَامَةِ عَلَى عِبَادِهِ أَكْمَلُ مِنْ قَوْلِهِ: حَيَّاكَ اللَّه. الثَّالِثُ: أَنَّ قَوْلَ الْإِنْسَانِ لِغَيْرِهِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ فِيهِ بِشَارَةٌ بِالسَّلَامَةِ، وَقَوْلَهُ: حَيَّاكَ اللَّه لَا يُفِيدُ ذَلِكَ، فَكَانَ هَذَا أَكْمَلَ. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَضِيلَةِ السَّلَامِ الْقُرْآنُ وَالْأَحَادِيثُ وَالْمَعْقُول)) [3].

---

1 تفسير الراغب الأصفهاني: 3/ 1366- 1367.

2 مفاتيح الغيب: 16/ 138.

3 نفسه: 10/ 161. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 6/ 536، ومحاسن التأويل: 3/ 243، وتفسير الشعراوي: 4/ 2503.

وذهب بعض العلماء إلى ان سبب اختيار لفظ السلام تحيةً في الإسلام هو ارتباط معنى السلام بالله تعالى لأنه من أسمائه سبحانه. جاء في اللسان:((وَالتَّسْلِيمُ: مُشْتَقٌّ مِنَ السَّلام اسْمِ اللَّه تَعَالَى لِسَلَامَتِهِ مِنَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَن اللَّـه مُطَّلِعٌ عَلَيْكُمْ فَلَا تَغْفُلوا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ اسْمُ السَّلامِ عليكَ، إِذ كَانَ اسْمُ اللَّه تَعَالَى يُذْكَرُ عَلَى الأَعمال تُوَقُّعاً لِاجْتِمَاعِ مَعَانِي الْخَيْرَاتِ فِيهِ، وَانْتِفَاءِ عَوارِض الْفَسَادِ عَنْهُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ سَلِمْتَ مِنِّي فَاجْعَلْنِي أَسْلَمُ مِنْكَ مِنَ السَّلامة بِمَعْنَى السَّلام)) [1]. ولقي هذا الوجيه من تبناه من العلماء كما نجد عند ابن قيّم الجوزية(ت751 هـ)، الذي راح يربط إطلاق اسم السلام على الله تعالى لأنه سلم من العيوب والنقص المادي والمعنوي، قال:((إطلاق السلام على الله تعالى اسماً من أسمائه هو أولى من هذا كله وأحق بهذا الاسم من كل مسمى به لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص من كل وجه، فهو السلام الحق بكل اعتبار والمخلوق سلام بالإضافة فهو سبحانه سلام في ذاته عن كل عيب ونقص يتخيله وهم وسلام في صفاته من كل عيب ونقص وسلام في أفعاله من كل عيب ونقص وشر وظلم وفعل واقع على غير وجه الحكمة بل هو السلام الحق من كل وجه وبكل اعتبار فعلم أن استحقاقه تعالى لهذا الاسم أكمل من استحقاق كل ما يطلق عليه وهذا هو حقيقة التنزيه الذي نزه به نفسه ونزّهه به رسوله فهو السلام من الصاحبة والولد والسلام من النظير والكفء والسميّ والمماثل والسلام من الشريك، ولذلك إذا نظرت إلى أفراد صفات كماله وجدت كل صفة سلاما مما يضادّ كمالها)) [2]. ويبدو أنّ التعليل الذي توصّل إليه الفخر الرازي وجد قبولا عند بعض المفسرين، ومنهم أبو السعود، إذ

1 لسان العرب: 12/ 290. وينظر: المقصد الأسنى: 69. ولابد من التنبيه على أن السيد مرتضى الحسيني رفض القول بأن الله تعالى تسمى بالسلام لأنه سلم من الآفات وعدّه من شنيع القول، قال:((وَمَن زَعَم من الْمُفَسِّرين لِهَذَا الِاسْم أنه تَسمَّى بِهِ لسَلامته من العُيُوبِ والآفاتِ فقد أتى بشَنِيعٍ من القَوْل، إنّما السَّلام مَنْ سُلِم مِنْهُ، والسَّالم مَنْ سَلِم من غَيْره)). وقال الزجاج في تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص: 31: ((يُقَال السَّلَام هُوَ الَّذِي سلم من عَذَابه من لَا يسْتَحقّهُ)).

2 بدائع الفوائد: 2/ 135.

يقول:((أصلُ التحية الدعاءُ بالحياة وطولِها ثم استعملت في كل دعاءٍ وكانت العربُ إذا لقِيَ بعضُهم بعضاً يقول حياك الله ثم استعملها الشرعُ في السلام وهي تحيةُ الإسلام، قال تعالى:(تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سلام)[يونس 10]، وقال:(تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سلام)[الاحزاب44]، وقال:(فَسَلِّمُواْ على أنفسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ الله)[النور61]، قالوا في السلام مزيةٌ على التحية لما أنه دعاءٌ بالسلامة من الآفات الدينيةِ والدنيويةِ وهي مستلزمةٌ لطول الحياةِ وليس في الدعاء بطول الحياةِ ذلك ولأن السلامَ من أسمائه تعالى فالبَداءةُ بذكره مما لا ريب في فضله)) [1]. في حين نجد الطاهر بن عاشور أصل للفظ التحية وبحث عن جذور استعماله التاريخية التي لسبب اختيارها وشيجة دينية بلا شك من جهة، كما لاختيارها جوانب اجتماعية ونفسية تنطلق من حاجة الإنسان في ذلك الوقت إلى الإحساس بالأمن في بيئة تفتقر إليه. فقال:((جَعَلَ الْإِسْلَامُ التَّحِيَّةَ كَلِمَةَ «السَّلَامُ عَلَيْكُم» ، وَهِيَ جائية من الحنيفية(قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ) [هود: 69]وسماها تَحِيَّةَ الْإِسْلَام، وَهِيَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ التَّحِيَّةِ تَأْنِيسُ الدَّاخِلِ بِتَأْمِينِهِ إِنْ كَانَ لَا يَعْرِفُهُ وَبِاللُّطْفِ لَهُ إِنْ كَانَ مَعْرُوفًا. وَلَفْظُ «السَّلَامِ» يَجْمَعُ الْمَعْنَيَيْنِ لِأَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ السَّلَامَةِ فَهُوَ دُعَاءٌ بِالسَّلَامَةِ وَتَأْمِينٌ بِالسَّلَامِ لِأَنَّهُ إِذَا دَعَا لَهُ بالسلامة فَهُوَ مسالم لَهُ فَكَانَ الْخَبَرُ كِنَايَةً عَنِ التَّأْمِينِ، وَإِذَا تَحَقَّقَ الْأَمْرَانِ حَصَلَ خَيْرٌ كَثِيرٌ لِأَنَّ السَّلَامَةَ لَا تُجَامِعُ شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ فِي ذَاتِ السَّالِمِ، وَالْأَمَانُ لَا يُجَامِعُ شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ يَأْتِي مِنْ قِبَلِ الْمُعْتَدِي فَكَانَتْ دُعَاءً تُرْجَى إِجَابَتُهُ وَعَهْدًا بِالْأَمْنِ يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ. وَفِي كَلِمَةِ عَلَيْكُمْ مَعْنَى التَّمَكُّنِ، أَيِ السَّلَامَةُ مُسْتَقِرَّةٌ عَلَيْكُمْ. وَلِكَوْنِ كَلِمَةِ (السَّلَام) جَامِعَةً لِهَذَا الْمَعْنَى امْتَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِهَا بِأَنْ جَعَلَهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِذْ هُوَ الَّذِي عَلَّمَهَا رَسُولَهُ بِالْوَحْيِ،...، وَالْمَعْنَى أَنَّ كَلِمَةَ «السَّلَامِ عَلَيْكُمْ» تَحِيَّةٌ خَيْرٌ مِنْ تَحِيَّةِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ)) [2]. وأكد هذا الفهم الشيخ الشعراوي؛ قال:((ان كلمة التحية وهي «السلام عليكم» معناها أمان واطمئنان،

1 إرشاد العقل السليم: 2/ 211. وينظر: روح المعاني: 3/ 95.

2 التحرير والتنوير: 18/ 304-305.

والأمان والاطمئنان كلاهما يعطي الحياة بهجة، فالحياة بدون أمن أو اطمئنان ليس لها قيمة. فكأن إشاعة السلام بقولنا: «السلام عليكم» أو «السلام عليكم ورحمة الله» أو «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» تجعل المجتمع مجتمعا صفائياً، وما دام المجتمعُ كلُّه مجتمعاً صفائياً، فخير أي واحد يكون عند الآخر. ويتعدى ذلك إلى أن يطلب المؤمن خير الله لأخيه المؤمن)) [1].

ولابدَّ لنا من الوقوف على مجموعة من المسائل اللغوية الصرفية والنحوية التي عالجها العلماء القدماء في عبارة التحية الإسلامية: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) وعبارة الردِّ عليها:(وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته)، التي تكشف عن عناية العلماء واهتمامهم بدراسة مظهر لغوي اجتماعي شائع وهو التحية الإسلامية وبذلهم جهودا مهمة من اجل تحليلها على المستويات اللغوية كافة، وأولى هذه المسائل نوع الصيغة الصرفية لكلمة (السلام)؛ أ مصدر هي أم اسم مصدر؟ وقد تناول هذه المسألة بالدراسة ابن قيم الجوزية؛ قال:((ان السلام الذي هو التحية اسم مصدر من سلّم ومصدره الجاري عليه تسليم كعلّم تعليما وفهّم تفهيمًا وكلّم تكليمًا والسلام من سلّم كالكلام من كلّم)) [2]. ولم يكتف ابن القيم ببيان نوع لفظ(السلام)؛ فراح يميز بين الدلالة الصرفية لكلٍ من المصدر واسم المصدر، قال:((فإن قيل: وما الفرق بين المصدر والاسم؟ قلنا: بينهما فرقان لفظي ومعنوي، أما اللفظي: فإن المصدر هو الجاري على فعله الذي هو قياسه كالإفعال من أفعل والتفعيل من فعّل .... وأما السلام والكلام فليسا بجاريين على فعليهما ولو جريا عليه لقيل تسليم وتكليم، وأما الفرق المعنوي فهو أن المصدر دال على الحدث وفاعله فإذا قلت تكليم وتسليم وتعليم ونحو ذلك دل على الحدث ومن قام به فيدل التسليم على السلام والمسلم وكذلك التكليم والتعليم وأما اسم المصدر فإنما يدل

1 تفسير الشعراوي: 4/ 2503.

2 بدائع الفوائد: 2/ 137.

على الحدث وحده.... وهذه النكتة من أسرار العربية فهذا السلام الذي هو التحية)) [1].
لقد بلغ البحث في الاستعمال اللغوي الواقعي وعلاقته بالدلالة الصرفية في ضوء السياق في التحية الإسلامية عند ابن القيم ،هنا، مرحلة متطورة تدل على النضج في التفكير، فهو في بحثه عن فرق بين السلام والتسليم توصّل إلى علة اختيار السلام، الذي هو اسم مصدر وليس مصدرا، وهي أن في السلام حدثًا من غير صاحبه أو القائم به، في حين أن المصدر يحتوي عليهما كليهما. وفي رأيي فان اسم المصدر(السلام) هنا أكثر مناسبة للتحية،لان فيه ذوبانًا لشخصية المسلِّم في السلام أو اختفاءها وراءه، وهذا يوفر إيحاء بالأمان أكثر عند السامع، لان في هذه التحية يختفي الشخص أو الذات ويظهر فعل السلام فقط.

وعلّل ابن القيم سبب استعمال (السلام) دون (السلامة) بالتاء، بأن السلامة بالتاء تدل على الوحدة أو الإفراد، في حين يدل السلام من غير التاء على الحدث عامة من غير تحديد وإفراد، قال:((وأما السلام الذي هو بمعنى السلامة فهو مصدر نفسه وهو مثل الجلال والجلالة فإذا حذفت التاء كان المراد نفس المصدر وإذا أتيت بالتاء كان فيه إيذان بالتحديد بالمرة من المصدر كالحب والحبة فالسلام والجمال والجلال كالجنس العام من حيث لم يكن فيه تاء التحديد والسلامة والجلالة والملاحة والفصاحة كلها تدل على الخصلة الواحدة ،...، جاء السلام مجردا عن التاء إيذانا بحصول المسمى التام إذ لا يحصل المقصود إلا به فإنه لو سلم من آفة ووقع في آفة لم يكن قد حصل له السلام فوضح أن السلام لم يخرج عن المصدرية في جميع وجوهه)) [2]. فقد استعمل لفظ (السلام)مجردًا من الزيادة(التاء) للدلالة على الحدث فقط وهو ما يناسب موضوع التحية. أما العلة في اختيار اسم المصدر دون المصدر فتعود إلى أن اسم المصدر يدل على الحدث من غير فاعل، في حين أن المصدر يدل على الفعل وفاعله؛ قال ابن القيم:((إن

---

1 نفسه: 2/ 137-138.

2 نفسه: 2/ 138.

قيل: فما الحكمة في مجيئه اسم مصدر ولم يجيء على أصل المصدر؟ قيل: هذا السر بديع وهو أن المقصود حصول مسمى السلامة للمسلم عليه على الإطلاق من غير تقييد بفاعل فلما كان المراد مطلق السلامة من غير تعرض لفاعل أتوا باسم المصدر الدال على مجرد الفعل ولم يأتوا بالمصدر الدال على الفعل والفاعل معا فتأمله)) [1]. في حين ذكر الطاهر بن عاشور ان السلام قد يكون مصدرا أو اسم مصدر، قال:((وَالسَّلَامُ: مَصْدَرٌ أَوِ اسْمُ مَصْدَرٍ مَعْنَاهُ السَّلَامَةُ ،.....، وَيُطْلَقُ السَّلَامُ عَلَى التَّحِيَّةِ وَالْمِدْحَةِ)) [2]. ولكنه قرر في موضع آخر انه اسم مصدر وليس مصدرا، قال:((وَالسَّلَامُ: الْأَمَانُ، كَلِمَةٌ قَالَتْهَا الْعَرَبُ عِنْدَ لِقَاءِ الْمَرْءِ بِغَيْرِهِ دَلَالَةً عَلَى أَنَّهُ مُسَالِمٌ لَا مُحَارِبٌ، ....، وَمَصْدَرُ سَلَّمَ التَّسْلِيمُ. وَالسَّلَامُ اسْمُ مَصْدَرٍ)) [3].

كما عالج ابن قيم الجوزية موضوعًا آخر مهمًا في بنية التحية الإسلامية، وهو أن قولهم:(سلام عليكم) قد يدخل تحت جنس الإنشاء تارة والخبر تارة أخرى؛ وذلك لأن هذه العبارة من ألفاظ الدعاء وأنها تتضمن الإنشاء والخبر معا على أساس جهة النظر أو نسبته؛ فهي إنشاء من حيث نسبتها إلى قصد المُسلِّم وإرادته لثبوت مضمونها، وهي خبرية من حيث نسبتها إلى المتكلم فيه والإعلام بتحققها في الخارج وقد يجتمع فيها وصف الخبرية والإنشائية في مواضع وقد يفترقان في مواضع [4]. وقال مبينًا هذا التفسير:((ان هذا ونحوه من ألفاظ الدعاء متضمن للإنشاء والإخبار فجهة الخبرية فيه لا تناقض جهة الإنشائية وهذا موضع بديع يحتاج إلى كشف وإيضاح فنقول الكلام له نسبتان نسبة إلى المتكلم به نفسه ونسبة إلى المتكلم فيه إما طلبا وإما خبرا وله نسبة ثالثة إلى المخاطب لا يتعلق بها هذا الغرض وإنما يتعلق تحقيقه بالنسبتين الأوليين فباعتبار

1 نفسه: 2/ 139.

2 نفسه: 30/ 465.

3 نفسه: 7/ 257.

4 ينظر: بدائع الفوائد: 2/ 139.

تينك النسبتين نشأ التقسيم إلى الخبر والإنشاء ويعلم أين يجتمعان وأين يفترقان فله بنسبته إلى قصد المتكلم وإرادته لثبوت مضمونه وصف الإنشاء وله بنسبته إلى المتكلم فيه والإعلام بتحققه في الخارج وصف بالإخبار ثم تجتمع النسبتان في موضع وتفترقان في موضع فكل موضع كان المعنى فيه حاصلا بقصد المتكلم وإرادته فقط فإنه لا يجامع فيه الخبر الإنشاء نحو قوله: بعتك كذا ووهبتكه وأعتقت وطلقت فإن هذه المعاني لم يثبت لها وجود خارجي إلا بإرادة المتكلم وقصده فهي إنشاءات وخبريتها من جهة أخرى وهي تضمنها إخبار المتكلم عن ثبوت هذه النسبة في ذهنه لكن ليست هذه هي الخبرية التي وضع لها لفظ الخبر وكل موضع كان المعنى حاصلا فيه من غير جهة المتكلم وليس للمتكلم إلا دعاؤه بحصوله ومحبته فالخبر فيه لا يناقض الإنشاء وهذا نحو سلام عليكم فإن السلامة المطلوبة لم تحصل بفعل المسلم وليس للمسلم إلا الدعاء بها ومحبتها فإذا قال سلام عليكم تضمن الإخبار بحصول السلامة والإنشاء للدعاء بها وإرادتها وتمنيها وكذلك ويل له قال سيبويه: "هو دعاء وخبر" ولم يفهم كثير من الناس قول سيبويه على وجهه بل حرفوه عما أراده به وإنما أراد سيبويه هذا المعنى: "أنها تتضمن الإخبار بحصول الويل له مع الدعاء به" فتدبر هذه النكتة التي لا تجدها محررة في غير هذا الموضع هكذا بل تجدهم يطلقون تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء من غير تحرير وبيان لمواضع اجتماعهما وافتراقهما وقد عرفت بهذا أن قولهم سلام عليكم وويل له وما أشبه هذا أبلغ من إخراج الكلام في صورة الطلب المجرد نحو اللهم سلمه))[1] . وما عالجه ابن القيم هنا لفت الدارسين المحدثين؛ لأن فيه أصولا للدرس اللغوي التداولي الحديث ، كما هي الحال هنا في بحثه في ضم التحيات إلى رهط الدعاء، وجعلها متضمنة للإنشاء والإخبار استنادا إلى ما تشتمل عليه من نسبة إلى المتكلم ونسبة إلى مضمونها ومحتواها ما يتضح من كلامه. وهذا يقتضي الدلالة على الاستقبال من جهة الشرط القضوي في الأعمال

1 نفسه: 2/ 140.

اللغوية، كما يقتضي أن يدخلها معنى الطلب فكأنها مقولة تجمع الدعاء من جهة والتحية والشكر والترحيب من جهة ثانية [1].

ووقف الفخر الرازي على زاوية أخرى في البنية الكلية للتحية، تخص بناء التحية عند الطرفين المُسلِّم والمُسَلَّم عليه؛ وهي سبب وقوع السلام في أول كلام المسلِّم وفي نهاية جواب الراد، قال:((وَالَّذِي خَطَرَ بِبَالِي فِيهِ أَنَّهُ إِذَا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ كَانَ الِابْتِدَاءُ وَاقِعًا بِذِكْرِ اللَّه، فَإِذَا قَالَ الْمُجِيبُ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ كَانَ الِاخْتِتَامُ وَاقِعًا بِذِكْرِ اللَّه، وَهَذَا يُطَابِقُ قَوْلَهُ:(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ)[الْحَدِيدِ:3]، وَأَيْضًا لَمَّا وَقَعَ الِابْتِدَاءُ وَالِاخْتِتَامُ بِذِكْرِ اللَّه فَإِنَّهُ يُرْجَى أَنْ يَكُونَ مَا وَقَعَ بَيْنَهُمَا يَصِيرُ مَقْبُولًا ببركته)) [2]. وقد علّل بناء التحية لغويا على هذا النحو بعلة أخرى في موضع آخر؛ قال:((إِنَّهُ عِنْدَ الْجَوَابِ يُقْلَبُ هَذَا التَّرْتِيبُ فَيُقَالُ وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ، وَالسَّبَبُ فِيهِ مَا قَالَهُ سِيبَوَيْهِ إِنَّهُمْ يُقَدِّمُونَ الْأَهَمَّ وَالَّذِي هُمْ بِشَأْنِهِ أَعْنَى، فَلَمَّا قَالَ وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ دَلَّ عَلَى أَنَّ اهْتِمَامَ هَذَا الْمُجِيبِ بِشَأْنِ ذَلِكَ الْقَائِلِ شَدِيدٌ كَامِلٌ، وَأَيْضًا فَقَوْلُهُ: «وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ» يُفِيدُ الْحَصْرَ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ إِنْ كُنْتَ قَدْ أَوْصَلْتَ السَّلَامَ إِلَيَّ فَأَنَا أَزِيدُ عَلَيْهِ وَأَجْعَلُ السَّلَامَ مُخْتَصًّا بِكَ وَمَحْصُورًا فِيكَ)) [3].

كما تناول ابن القيم الأمر نفسه بطريقة أخرى، كشف فيها عن علة مجيء لفظ(السلام) متقدما على المُسلَّم عليه في تحية المُسلِّم ، في حين جاء المُسلَّم عليه(وهو لفظ: وعليكم) متقدما على السلام في تحية الرادّ، وذلك بأن في هذا التركيب فوائد عدة، الفائدة الأولى: الفرق بين الكلام في حالتي الابتداءِ والردِ خوفَ اللبس، ومن ثم فإنهم لمّا كانوا قد اعتمدوا الفرق بين سلام المبتدئ وسلام الراد خصوا المبتدئ بتقديم السلام؛

---

1 ينظر: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية:360، ودائرة الأعمال اللغوية؛ مراجعات ومقترحات:242.

2 مفاتيح الغيب: 10/ 163.

3 نفسه: 16/ 137.

لأنه هو المقصود وخصوا الراد بتقديم الجار والمجرور [1]. والفائدة الثانية: هي أن سلام الراد يجري مجرى الجواب ولهذا يكتفي فيه بالكلمة المفردة الدالة على أختها فلو قال: وعليك، لكان متضمنا للرد كما هو المشروع في الرد على أهل الكتاب ... فتأمل هذه الفائدة البديعة والمقصود أن الجواب يكفي فيه قولك: وعليك، وإنما كُمِّل تكميلا للعدل وقطعا للتوهم [2]. والفائدة الثالثة: هي أقوى مما تقدم وهي أن المُسلِّم لما تضمَّنَ سلامُه الدعاءَ للمُسَلَّم عليه بوقوع السلامة عليه وحلولها عليه وكان الرد متضمنا لطلب أن يحل عليه من ذلك مثل ما دعا به فإنه إذا قال وعليك السلام كان معناه وعليك من ذلك مثل ما طلبت لي .... لا أنفرد به عنك ولا أختص به دونك ولا ريب أن هذا المعنى يستدعي تقديم المشارك المساوي [3].

كما سأل ابن القيم عن الحكمة من اقتران الرحمة والبركة بالسلام في التحية الإسلامية، وأجاب عنه بأن التحية الإسلامية مُتضمنة لثلاثة أشياء لا سبيل للإنسان إلى الانتفاع بالحياة من غيرها، أحدها سلامته من الشر ومن كل ما يضاد حياته وعيشه، والثاني حصول الخير له والثالث دوامه وثباته له. فقوله: (سَلامٌ عَلَيْكُمْ) يتضمن السلامة من الشر، وقوله: (ورحمة الله) يتضمن حصول الخير وقوله: (وبركاته) يتضمن دوامه وثباته كما هو موضوع لفظ البركة وهو كثرة الخير واستمراره. وبهذا عُرف فَضْل هذه التحية وكمالها على سائر تحيات الأمم ولهذا اختارها اللهُ لعباده وجعلها تحيتهم بينهم في الدنيا وفي دار السلام [4]. ولعل مما يؤكد هذه الدلالة ما جاء في قول الفخر الرازي: إن لفظ التحية(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته):((صار كِنَايَةً عَنِ الْإِكْرَامِ، فَجَمِيعُ أَنْوَاعِ

1 ينظر: بدائع الفوائد: 2/ 153.

2 ينظر: نفسه: 2/ 153.

3 ينظر: نفسه: 2/ 153-154.

4 ينظر: نفسه: 2/ 178.

الْإِكْرَامِ يَدْخُلُ تَحْتَ لَفْظِ التَّحِيَّةِ)) [1] . ويلحظ على هذه الأنظار التحليلية عند ابن القيم مدى عمقها وتتبعها السياقات اللغوية الواقعية من اجل استنباط علة مقبولة للسلوك اللغوي في الواقع الاجتماعي.

وبحث ابن القيم في الحكمة من إضافة الرحمة والبركة إلى الله تعالى وتجريد السلام عن الإضافة؛ فبين أن السلام لمّا كان اسما من أسماء الله تعالى استُغني بذكره مطلقا عن الإضافة إلى المسمى وأما الرحمة والبركة فلو لم يضافا إلى الله لم يعلم رحمة من ولا بركة من تطلب [2] . واستنبط دلالة ثانية في هذه المسألة في ضوء الاستعمالات اللغوية في الواقع اللغوي وما توحيه تلك السياقات التي تأتي فيها من دلالات ثقافية تغني التحية وتفسر سبب تركيبها على هذا النحو وهو أن السلام مضاف إلى المسلِّم ويراد به حقيقة السلامة المطلوبة من الله سبحانه، كما يضاف إلى الله؛ أي انه يضاف إلى المسلِّم تارة وإلى المطلوب منه تارة. وأما الرحمة والبركة فلا يضافان إلا إلى الله تعالى وحده ولهذا لا يقال: رحمتي وبركتي عليكم، ويقال: سلام مني عليكم وسلام من فلان على فلان [3] . كما توصل بثاقب نظره إلى ما في الكلمات التي تؤلف التحية من تفاوت في الدلالة ثم وازن بينها وتوصل إلى جواب آخر، وهو أن الرحمة والبركة أتم من مجرد السلامة فإن السلامة تبعيد عن الشر وأما الرحمة والبركة فتحصيل للخير وإدامة له وتثبيت وتنمية وهذا أكمل فأُضيفَ إلى الله تعالى أكمل المعنيين وأتمهما لفظا وأُطلِق الآخر وفُهِمتْ إضافتُه إليه معنى من العطفِ وقرينةِ الحال، فجاء اللفظ على أتم نظام وأحسن سياق [4] .

والتفت ابن القيم إلى أنَّ في إفراد السلام والرحمة وجمع البركة حكمةً تتجلى في ((أنَّ السلام إما مصدر محض فهو شيء واحد فلا معنى لجمعه، وإما اسم من أسماء الله

1 مفاتيح الغيب: 10/ 166.

2 ينظر: بدائع الفوائد: 2/ 181.

3 ينظر: نفسه: 2/ 181.

4 ينظر: نفسه: 2/ 181.

تعالى فيستحيل أيضا جمعه ... وأما الرحمة فمصدر أيضا بمعنى العطف والحنان فلا تجمع أيضا والتاء فيها بمنزلتها في الخلة والمحبة والرقة ليست للتحديد ... لا يقال: رحمات، وهنا دخول الجمع يشعر بالتحديد والتقييد بعدَدٍ وإفراده يُشْعِر بالمُسَمَّى مُطْلَقا مِن غير تحديد، فالإفراد هنا أكملُ وأكثر معنى من الجمع وهذا بديع جدا أن يكون مدلول المفرد أكثر من مدلول الجمع ولهذا كان قوله تعالى: (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ)[الأنعام 149]، أعمَّ وأتمَّ مَعنى من أنْ يقال: فلله الحجج البوالغ،....، وأما البركة فإنها لمّا كان مُسَمّاها كثرة الخير واستمراره شيئًا بعد شيء كلمّا انقضى مِنه فردٌ خَلَفَه فَرْدٌ آخرُ؛ فهو خيرٌ مُسْتَمر يتعاقب الإفراد على الدوام شيئًا بعد شيءٍ كان لفظُ الجمع أولى بها لدلالته على المعنى المقصود بها ولهذا جاءتْ في القرآنِ كذلك في قوله تعالى: (رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ)[هود 73]، فأفردَ الرحمةَ وجَمَعَ البركةَ وكذلك في السلام في التشهد: السلامُ عليك أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه)) [1]. وأورد الفخر الرازي أن اشد الأوقات حاجة إلى السلامة ثلاثة أوقات مستدلا بما جاء في القرآن الكريم، قال:((مِنَ الدَّلَائِلِ الْقُرْآنِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى فَضِيلَةِ السَّلَامِ أَنَّ أَشَدَّ الْأَوْقَاتِ حَاجَةً إِلَى السَّلَامَةِ وَالْكَرَامَةِ ثَلَاثَةُ أَوْقَاتٍ: وَقْتُ الِابْتِدَاءِ، وَوَقْتُ الْمَوْتِ، وَوَقْتُ الْبَعْثِ، واللَّه تَعَالَى لَمَّا أَكْرَمَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّمَا أَكْرَمَهُ بِأَنْ وَعَدَهُ السَّلَامَ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الثَّلَاثَةِ فَقَالَ: (وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا)[مَرْيَمَ: 15]، وَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَ أَيْضًا ذَلِكَ فَقَالَ: (وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)[مَرْيَمَ: 33])) [2].

ولابد من الإشارة إلى أن التحية الإسلامية قد تأتي بصيغ مختلفة؛ فقد يأتي لفظ(السلام) مُعرَّفًا وقد يأتي منكَّرا، وعالج ابن القيم مسوِّغ مجيء (سلام) مبتدأ على الرغم من أنها نكرة كما في قوله تعالى: (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ

1 نفسه: 2/ 182.

2 مفاتيح الغيب: 10/ 162.

وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (54) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ [الأنعام53-55])، بان مسوغه ما فيه من دلالة على الدعاء ، وكأن المُسلِّم يدعو بالسلام للمُسلَّم عليه؛ قال:((الذي صحّح الابتداء بالنكرة في (سلام عليكم) إن المُسَلِّمَ لما كان داعيًا وكان الاسم المبتدأ النكرة هو المطلوب بالدعاء صار هو المقصود المهتم به وينزّل منزلة قولك اسأل الله سلامًا عليكم واطلب من الله سلاما عليك فالسلام نفس مطلوبك ومقصودك ألا ترى أنك لو قلت: اسأل الله عليك سلاما لم يجز وهذا في قوته ومعناه فتأمله فإنه بديع جدا)) [1].

صور التَّحية في القُرآن الكَرِيم:

ورد السلام بمعنى التحية في القرآن الكريم على صور عدة، وفي ما يأتي من البحث سنقف على المواضع التي ورد فيها السلام، مستعينين بأقوال المفسرين والعلماء في تفسيرها وبيان ما تحتمله من معان؛ تمهيدًا للكشف عمًا فيها من أسرار تعبيرية انماز بها الخطاب القرآني الكريم، ويمكن تجريد صور التحية في القرآن على النحو الآتي:

أولا: السلام في سياق التشريع:

ورد السلام في سياق تشريع ما يخص التعامل مع من يلقي السلام على المسلمين، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [النساء: 94]). ذكر المفسرون في تفسيرها أن سبب نزولها رَجُلا سلم على سرية من سرايا المسلمين الخارجة في إحدى غزواتها، فظنوا أنه عائذ بالإسلام وليس بمُسْلِم فقتله أحدهم [2]. وقد اختلف

1 بدائع الفوائد: 2/ 152.

2 تفسير المنار: 5/ 258.

المفسرون في القاتل والمقتول في الحادثة [1] ،وبيَّن ابنُ النحاس دلالة القراءات في الآية الكريمة، قال: ((فمن قرأ السلم فمعناه عنده الانقياد والاستسلام ومن قرأ السلام فتحتمل قراءته معنيين: أحدهما أن يكون بمعنى السلم، والآخر أن يكون من التسليم)) [2]. وفصّل الفخر الرازي في دلالات النص في ضوء القراءات المروية في الآية الكريمة، قال:((وَمَنْ قَرَأَ السَّلامَ بِالْأَلِفِ فَلَهُ مَعْنَيَانِ: أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ السَّلَامَ الَّذِي يَكُونُ هُوَ تَحِيَّةَ الْمُسْلِمِينَ، أَيْ لَا تَقُولُوا لِمَنْ حَيَّاكُمْ بِهَذِهِ التَّحِيَّةِ إِنَّهُ إِنَّمَا قَالَهَا تَعَوُّذًا فَتَقْدِمُوا عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ لِتَأْخُذُوا مَالَهُ وَلَكِنْ كُفُّوا وَاقْبَلُوا مِنْهُ مَا أَظْهَرَهُ. وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَا تَقُولُوا لِمَنِ اعْتَزَلَكُمْ وَلَمْ يُقَاتِلْكُمْ لَسْتَ مُؤْمِنًا، وَأَصْلُ هَذَا مِنَ السَّلَامَةِ لِأَنَّ الْمُعْتَزِلَ طَالِبٌ لِلسَّلَامَةِ)) [3]. وقال الطاهر بن عاشور:((قَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحَمْزَةُ، وَخَلَفٌ «السَّلَمَ» - بِدُونِ أَلِفٍ بَعْدَ اللَّامِ- وَهُوَ ضِدُّ الْحَرْبِ، وَمَعْنَى أَلْقَى السَّلَمَ أَظْهَرَهُ بَيْنَكُمْ كَأَنَّهُ رَمَاهُ بَيْنَهُمْ، وَقَرَأَ الْبَقِيَّةُ «السَّلَامَ» - بِالْأَلِفِ- وَهُوَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ مَعْنَى السَّلَمِ ضِدَّ الْحَرْبِ، وَمَعْنَى تَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ قَوْلُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَيْ مَنْ

---

1 ينظر: جامع البيان: 9/ 73، ومعاني القرآن وإعرابه: 2/ 92، ومعاني القرآن للنحاس: 2/ 167، والتفسير الوسيط: 2/ 101، وأسباب النزول: 171، ومعالم التنزيل: 1/ 680، وتفسير الراغب الأصفهاني: 3/ 1403، والمفردات في غريب القرآن: 423، والكشاف: 1/ 552، والمحرر الوجيز: 2/ 96، وزاد المسير: 1/ 453، ومفاتيح الغيب: 11/ 190، وأنوار التنزيل: 2/ 91، ومدارك التنزيل: 1/ 386، والجامع لأحكام القرآن: 5/ 338، والبحر المحيط: 4/ 32، ومحاسن التأويل: 3/ 282، وفي ظلال القرآن: 2/ 737، والتحرير والتنوير: 5/ 167.

2 معاني القرآن للنحاس: 2/ 167، وينظر: معاني القرآن وإعرابه: 2/ 92، وتفسير الراغب الأصفهاني: 3/ 1403، والمفردات في غريب القرآن: 423، والكشاف 1/ 552، والمحرر الوجيز: 2/ 96، وتفسير مجمع البيان: 3/ 143، وزاد المسير: 1/ 453، ومفاتيح الغيب 11/ 189، وأنوار التنزيل: 2/ 91، ومدارك التنزيل: 1/ 386، والجامع لأحكام القرآن: 5/ 338،والبحر المحيط: 4/ 32، ومحاسن التأويل: 3/ 282، وتفسير المنار: 5/ 254، وفي ظلال القرآن: 2/ 737، والتحرير والتنوير: 5/ 167، وتفسير الشعراوي: 4/ 2561.

3 مفاتيح الغيب: 11/ 189. وينظر: مجمع البيان: 3/ 143.

خَاطَبَكُمْ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ عَلَامَةً عَلَى أَنَّهُ مُسْلِمٌ)) [1]. وهكذا يكون لفظ السلام هنا محتملا لمعنى السلم ضد الحرب ولمعنى التحية.

ومما ورد في سياق التشريع أيضا قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[النور22– 27])، فسر بعض المفسرين السلام هنا بالتحية، ولذلك جعلوا الاستئناس فيها بمعنى: الاستئذان [2]. و من خلال تفسير الرسول(ص) العملي لهذه الآية تبيّن للمسلمين طريقة الاستئذان؛ فقد نقل الطبري ((أن رجلا استأذن على النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: ألج أو أنلج؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لأمة له يقال لها روضة: قُومِي إِلى هَذَا فَكَلِّمِيهِ، فإنَّهُ لا يُحسِنُ يَسْتَأذِنُ، فَقُولِي لَهُ يَقُولُ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلُ؟ 'فسمعها الرجل، فقالها، فقال: أُدْخُلْ)) [3]. وتحدث الزمخشري عن أهمية التشريع الذي تضمنته الآية، ووجوب التحية هنا، قال: ((تستأنسوا فيه وجهان، أحدهما: أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لأن الذي يطرق باب غيره لا يدرى أيؤذن له أم لا؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له استأنس، فالمعنى: حتى يؤذن لكم .... فوضع موضع الإذن. والثاني أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف: استفعال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهرا مكشوفا. والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال، هل يراد دخولكم أم لا. ومنه قولهم: استأنس هل

1 التحرير والتنوير: 5/ 167.

2 ينظر: جامع البيان: 19/ 146، ومعاني القرآن وإعرابه: 4/ 39، ومعاني القرآن للنحاس 4/ 517، والتفسير الوسيط: 3/ 315، وأسباب النزول: 324، ومعالم التنزيل: 3/ 398-399، والكشاف: 3/ 226-227، والمحرر الوجيز: 4/ 175، وزاد المسير: 3/ 288، ومفاتيح الغيب: 23/ 356-360، وانوار التنزيل: 4/ 103، ومدارك التنزيل: 2/ 498، والجامع لأحكام القرآن: 12/ 212، والبحر المحيط: 8/ 31، واللباب في علوم الكتاب: 14/ 343، وإرشاد العقل السليم: 6/ 168، وروح المعاني: 9/ 329، ومحاسن التأويل: 7/ 368، والتحرير والتنوير: 18/ 196.

3 جامع البيان: 19/ 146.

ترى أحدا، واستأنست فلم أر أحدا، أي: تعرفت واستعلمت ....وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيتًا غير بيته: حييتم صباحا، وحييتم مساء، ثم يدخل، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد، فصدّ الله عن ذلك، وعلم الأحسن والأجمل. وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به، وباب الاستئذان من ذلك: بينا أنت في بيتك، إذا رعف عليك الباب. بواحد، من غير استئذان ولا تحية من تحايا إسلام ولا جاهلية، وهو ممن سمع ما أنزل الله فيه، وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أين الأذن الواعية؟))[1]. وبيّن الطاهر بن عاشور أنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْأَغْرَاضِ فِي سياق سورَةِ النور، محل البحث هنا، هو((تَشْرِيعُ نِظَامِ الْمُعَاشَرَةِ وَالْمُخَالَطَةِ الْعَائِلِيَّةِ فِي التَّجَاوُرِ.... وَمِنَ الْمَعْنَى فَإِنَّ فَائِدَةَ الِاسْتِئْذَانِ دَفْعُ مَا يُكْرَهُ عَنِ الْمَطْرُوقِ الْمَزُورِ وَقَطْعُ أَسْبَابِ الْإِنْكَارِ أَوِ الشَّتْمِ أَوِ الْإِغْلَاظِ فِي الْقَوْلِ مَعَ سَدِّ ذَرَائِعِ الرِّيَبِ وَكُلُّهَا أَوْ مَجْمُوعُهَا يَقْتَضِي وُجُوبَ الِاسْتِئْذَانِ. وَأَمَّا فَائِدَةُ السَّلَامِ مَعَ الِاسْتِئْذَانِ فَهِيَ تَقْوِيَةُ الْأُلْفَةِ الْمُتَقَرِّرَةِ فَلَا تَقْتَضِي أَكْثَرَ مِنْ تَأَكُّدِ الِاسْتِحْبَابِ. فَالْقُرْآنُ أَمَرَ بِالْحَالَةِ الْكَامِلَةِ وَأَحَالَ تَفْصِيلَ أَجْزَائِهَا عَلَى تَبْيِينِ السُّنَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:(لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ [النَّحْل: 44]) . وَقَدْ أُجْمِلَتْ حِكْمَةُ الِاسْتِئْذَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ أَيْ ذَلِكُمُ الِاسْتِئْذَانُ خَيْرٌ لَكُمْ، أَيْ فِيهِ خَيْرٌ لَكُمْ وَنَفْعٌ فَإِذَا تَدَبَّرْتُمْ عَلِمْتُمْ مَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ لَكُمْ كَمَا هُوَ الْمَرْجُوُّ مِنْكُمْ))[2]. وهكذا يكون السلام وسيلة للاستئذان من دواعي الألفة بين الناس لأنه يدفع عن المزور ما يكره فهو علامة لغوية لها وظيفة لغوية خاصة في مثل هذه الحال تكتسبها من سياق الحال.

ومن الآيات التي ورد فيها السلام في سياق التشريع، مما يرتبط بالآية السابقة ويقترب منها، قوله تعالى:(لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ

1 الكشاف: 3/ 226. وينظر: مفاتيح الغيب: 23/ 356.

2 التحرير والتنوير: 18/197- 198.

أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [النور: 61-60])، وعلى الرغم من وضوح الألفاظ والتراكيب التي تؤلف الآية الكريمة فإنّ المفسرين اختلفوا في تحديد معنى التسليم على الأنفس، فقد فهم الفراء منها ان يسلم المرء إذا دخل بيته على أهله، قال: ((وقوله (فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) إِذَا دخلَ عَلَى أهله فليُسَلِّم. فإن لَمْ يكن فى بيته أحد فليقل السّلام علينا من ربنا، وإذا دخل المسجد قَالَ: السلامُ عَلَى رسول الله، السلامُ علينا وَعَلَى خيار عباد الله الصالِحين، ثُمَّ قَالَ: (تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) أي من أمر الله أمركم بها تفعلون تَحيَّة منه وطاعةً لَهُ)) [1]. ونقل الطبري اختلاف المفسرين في المقصود من هذا التسليم، فمنهم من قال ان المعنى: سلموا على أهاليكم إذا دخلتم بيوتكم، وعلى غير أهاليكم، فسلموا إذا دخلتم بيوتهم. ومنهم من قال: بل معناه: فإذا دخلتم المساجد فسلموا على أهلها؛ تقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وقال آخرون: معناه: فإذا دخلتم بيوتا ليس فيها أحد، فسلموا على أنفسكم [2]. وقيل إنَّ على المُسْلِم إنْ لَم يَكُن فِي البَيْت أحَدٌ أنْ يقول: السَّلَام عَلَى النَّبِيِّ وَرَحْمَة اللَّه وَبَرَكَاتُه السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل بيت وَرَحْمَة اللَّه وبَرَكَاتُه [3]. وقد اعترض الشيخ الطاهر بن عاشور على هذا الفهم والتفسير وبيّن أنَّ المراد بالتسليم

---

1 معاني القرآن للفراء: 2/ 261-262.

2 جامع البيان: 19/ 224-226. وينظر: معاني القرآن للنحاس: 4/ 562، والتفسير الوسيط: 3/ 330، ومعالم التنزيل: 3/ 432، والكشاف: 3/ 258، والمحرر الوجيز: 4/ 197، وزاد المسير: 3/ 309، ومفاتيح الغيب: 24/ 423، ومدارك التنزيل: 2/ 521، والجامع لأحكام القرآن: 12/ 318، والبحر المحيط: 8/ 73، واللباب في علوم الكتاب: 6/ 540، وإرشاد العقل السليم: 2/ 210، وروح المعاني: 3/ 95، ومحاسن التأويل: 7/ 410.

3 الشفا بتعريف حقوق المصطفى: 2/ 67.

على أنفسهم ان يسلم بعضهم على بعض حفظا لأدب الدخول مع اقرب الناس؛ لأنه لا يؤمر احد بالتسليم على نفسه، قال إنَّ الآية :((تَفْرِيعٌ عَلَى الْإِذْنِ لَهُمْ فِي الْأَكْلِ مِنْ هَذِهِ الْبُيُوتِ بِأَنْ ذَكَّرَهُمْ بِأَدَبِ الدُّخُولِ الْمُتَقَدِّمِ فِي قَوْلِهِ:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا [النُّور: 27]) لِئَلَّا يَجْعَلُوا الْقَرَابَةَ وَالصَّدَاقَةَ وَالْمُخَالَطَةَ مُبِيحَةً لِإِسْقَاطِ الْآدَابِ فَإِنَّ وَاجِبَ الْمَرْءِ أَنْ يُلَازِمَ الْآدَابَ مَعَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَلَا يَغُرَّنَّهُ قَوْلُ النَّاسِ: إِذَا اسْتَوَى الْحُبُّ سَقَطَ الْأَدَبُ. وَمَعْنَى فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَلْيُسَلِّمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، كَقَوْلِهِ:(وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) [النِّسَاء: 29]. وَلَقَدْ عَكَفَ قَوْمٌ عَلَى ظَاهِرِ هَذَا اللَّفْظِ وَأَهْمَلُوا دَقِيقَتَهُ فَظَنُّوا أَنَّ الدَّاخِلَ يُسَلِّمُ عَلَى نَفْسِهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ أَحَدًا وَهَذَا بَعِيدٌ مِنْ أَغْرَاضِ التَّكْلِيفِ وَالْآدَابِ ،....، وَأَمَّا السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَهُوَ التَّحِيَّةُ كَمَا فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً وَلَا يُؤْمَرُ أَحَدٌ بِأَنْ يُسَلِّمَ عَلَى نَفْسِهِ)) [1]. وقد التفت المفسرون إلى جوانب تركيبية دلالية تنطلق من بناء الآية الكريمة في ضوء تعالقها مع التسليم على النفس المذكور وارتباط بعضها ببعض، ومن ذلك التفاتهم إلى ما في قوله تعالى:(تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)، من توكيد وأمر واجب الطاعة؛ فحكم التسليم هنا ثابت بأمره، لان التحية مُشَرَّعة من لدنه. او لأنَّ التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلَّم عليه والمحيا من عند الله. وقد وصف النص الكريم هذه التحية بأنها مباركة وطيبة؛ لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق تحية من عند الله [2].

ثانيا : سلام الله سبحانه على الأنبياء :

وقد ورد السلام منه سبحانه على أنبيائه في مواضع عدة من القرآن الكريم، ومن ذلك سلامه سبحانه على نبيه نوح عليه السلام في قوله تعالى:(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ

---

1 التحرير والتنوير: 18/ 304.

2 ينظر: الكشاف: 3/ 258، والمحرر الوجيز: 4/ 197، ومفاتيح الغيب: 24/ 423، ومدارك التنزيل: 2/ 521، والجامع لأحكام القرآن: 12/ 319، والبحر المحيط: 8/ 73، وإرشاد العقل السليم: 6/ 197.

(78) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81)) [الصافات 78-81]،وقد وقف الفراء على مجيء (سلام) في الآية بحالة الرفع فذهب إلى أنها جاءت هنا مرفوعة لأنها محكية، قال:((أي تركنا عَلَيْهِ هَذِه الكلمة كما تَقُولُ: قرأتُ من القرآن (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ) فيكون فِي الجملة فِي معنى نصبٍ ترفعها بالكلام، كذلك (سَلامٌ عَلى نُوحٍ) ترفعه بِعَلَى، وهو فِي تأويل نَصْبٍ. ولو كَانَ: تركنا عَلَيْهِ سَلامًا كَانَ صوابًا)) [1] . ومعنى السلام هنا الأَمَنة من أن يذكره أحد بسوء [2]، أو أن يُصَلَّى عليه إلى يوم القيامة [3]، وفسّره الزمخشري بمعنى التحية، قال:((وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ من الأمم هذه الكلمة، وهي: سَلامٌ عَلى نُوحٍ يعنى يسلمون عليه تسليمًا، ويدعون له، وهو من الكلام المحكي، كقولك: قرأت سورة أنزلناها. فإنْ قلت: فما معنى قوله فِي الْعالَمِينَ؟ قلت: معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا، وأن لا يخلو أحد منهم منها، كأنّه قيل: ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم. علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره، وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر بأنه كان محسنا، ثم علّل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا، ليريك جلالة محل الإيمان، وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم، ويرغبك في تحصيله والازدياد منه)) [4]. وعالج السمين الحلبي الجانب النحوي في الآية الكريمة، تؤدي إلى معان مختلفة، قال:((قوله: (سَلَامٌ على نُوحٍ) : مبتدأٌ وخبرٌ،

1 معاني القرآن للفراء: 2/ 387-388. ونقله الطبري في: جامع البيان: 21/ 60. والقراءة لعبد الله بن مسعود في المحرر الوجيز: 4/ 477.

2 ينظر: جامع البيان: 21/60، ومعاني القرآن للنحاس: 6/ 38، والتفسير الوسيط: 3/ 527، والمفردات في غريب القرآن: 422، والمحرر الوجيز: 4/ 477، وزاد المسير: 3/ 544.

3 ينظر: معاني القرآن وإعرابه: 4/ 308، والمفردات في غريب القرآن: 422، والجامع لأحكام القرآن: 15/ 90.

4 الكشاف: 4/ 48. وينظر: مفاتيح الغيب: 26/ 339، وأنوار التنزيل: 5/ 13، ومدارك التنزيل: 3/ 127، والبحر المحيط: 9/ 108، وإرشاد العقل السليم: 7/ 196، وروح المعاني: 12/ 96، ومحاسن التأويل: 8/ 214، وفي ظلال القرآن: 5/ 2991، والتحرير والتنوير: 23/ 135.

وفيه أوجهٌ، أحدها: أنّه مُفَسِّرٌ لـ «تَرَكْنا» . والثاني: أنه مُفَسِّرٌ لمفعولِه أي: تَرَكْنا عليه ثناءً وهو هذا الكلامُ. وقيل: ثَمَّ قولٌ مقدَّرٌ أي: فقُلْنا سلامٌ. وقيل: ضَمَّن معنى تركْنا معنى قلنا. وقيل: سَلَّط «تَرَكْنا» على ما بعده. ،...، وقرأ عبد الله «سَلاماً» وهو مفعولٌ به ب «تَرَكْنا»)) [1] . ووقف الشيخ الطاهر بن عاشور على تعدية النصِّ الكريم الفعلَ (ترك) بحرف الجر:(على)، وكان حقه-في غير القرآن الكريم- أن يتعدى باللام؛ فذهب إلى أن سبب هذا الاستعمال هو أنَّ الفعل (ترك) ، هنا، تضمَّن معنى الفعل (أنعم) وهو ما يناسب سياق التكريم، قال: ((وَمُتَعَلَّقُ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ: وَتَرَكْنا عَلَيْهِ لَمْ يَحُمْ أَحَدٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ حَوْلَهُ فِيمَا اطَّلَعْتُ، وَالْوَجْهُ أَنْ يَتَعَلَّقَ عَلَيْهِ بِفِعْلِ تَرَكْنا بِتَضْمِينِ هَذَا الْفِعْلِ مَعْنَى (أَنْعَمْنَا) فَكَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُعَدَّى هَذَا الْفِعْلُ بِاللَّامِ، فَلَمَّا ضُمِّنَ مَعْنَى أَنْعَمْنَا أَفَادَ بِمَادَّتِهِ مَعْنَى الْإِبْقَاءِ لَهُ، أَيْ إِعْطَاءِ شَيْءٍ مِنَ الْفَضَائِلِ الْمُدَّخَرَةِ الَّتِي يُشْبِهُ إِعْطَاؤُهَا تَرْكَ أَحَدٍ مَتَاعًا نَفِيسًا لِمَنْ يُخَلِّيهِ هُوَ لَهُ وَيَخْلُفُهُ فِيهِ. وَأَفَادَ بِتَعْلِيقِ حَرْفِ (عَلَى) بِهِ أَنَّ هَذَا التَّرْكَ مِنْ قَبِيلِ الْإِنْعَامِ وَالتَّفْضِيلِ، وَكَذَلِكَ شَأْنُ التَّضْمِينِ أَنْ يُفِيدَ الْمُضَمَّنُ مُفَادَ كَلِمَتَيْنِ فَهُوَ مِنْ أَلْطَفِ الْإِيجَازِ. ثُمَّ إِنَّ مَفْعُولَ تَرَكْنا لَمَّا كَانَ مَحْذُوفًا وَكَانَ فِعْلُ (أَنْعَمْنَا) الَّذِي ضُمِّنَهُ فِعْلُ تَرَكْنا مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى مُتَعَلِّقٍ مَعْنَى الْمَفْعُول، كَانَ مَحْذُوفًا أَيْضًا مَعَ عَامِلِهِ فَكَانَ التَّقْدِيرُ: وَتَركنَا لَهُ ثَنَاء وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِ، فَحَصَلَ فِي قَوْلِهِ: تَرَكْنا عَلَيْهِ حَذْفُ خَمْسِ كَلِمَاتٍ وَهُوَ إِيجَازٌ بَدِيعٌ. وَلِذَلِكَ قَدَّرَ جُمْهُورُ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَتَرَكْنا ثَنَاء حَسَنًا عَلَيْهِ)) [2]. ثم ينتقل إلى الكلام على بنية قوله تعالى: (سلام على نوح في العالمين) موضحًا ما فيها من دلالة الإنشاء ومبينًا أن تنوين (سلام) هنا للتعظيم، قال:((وَجُمْلَةُ سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ إِنْشَاءُ ثَنَاءِ اللَّهِ عَلَى نُوحٍ وَتَحِيَّةٌ لَهُ وَمَعْنَاهُ لَازِمُ التَّحِيَّةِ وَهُوَ الرِّضَى وَالتَّقْرِيبُ، وَهُوَ نِعْمَةٌ ... وَتَنْوِينُ سَلامٌ لِلتَّعْظِيمِ وَلِذَلِكَ شَاعَ الِابْتِدَاءُ

---

1 الدر المصون9: /317. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 16/ 319، وروح المعاني: 12/ 96، ومحاسن التأويل: 8/ 214.

2 التحرير والتنوير: 23/ 133.

بِالنَّكِرَةِ لِأَنَّهَا كَالْمَوْصُوفِ)) [1]. ووازن الطاهر بن عاشور بين هذا السلام على نوح عليه السلام والسلام على الأنبياء، قال:((وَالْمُرَادُ بِالْعَالَمِينَ: الْأُمَمُ وَالْقُرُونُ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ دَوَامِ السَّلَامِ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:(وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) [مَرْيَم: 15]فِي حَقِّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَقَوْلِهِ: (سَلامٌ عَلى إِلْ ياسِينَ) [الصافات: 130](سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ) [الصافات: 109] . وَفِي الْعالَمِينَ حَالٌ فَهُوَ ظَرْفٌ مُسْتَقِرٌّ أَوْ خَبَرٌ ثَانٍ عَنْ سَلامٌ. ،...، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَالُوا فِي نَظَائِرِهَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُتَعَاقِبَةِ. وَزِيدَ فِي سَلَامِ نُوحٍ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ فِي الْعَالَمِينَ دُونَ السَّلَامِ عَلَى غَيْرِهِ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَإِلْيَاسَ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ التَّنْوِيهَ بِنُوحٍ كَانَ سَائِرًا فِي جَمِيعِ الْأُمَمِ لِأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ يَنْتَمُونَ إِلَيْهِ وَيَذْكُرُونَهُ ذِكْرَ صِدْقٍ ،...، وَجُمْلَةُ إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ تَذْيِيلٌ لِمَا سَبَقَ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ نُوحًا)) [2].

ومما ورد فيه سلامه سبحانه على نبيه إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111))[الصافات108-111]، فقد قيل إن المعنى: وتركنا عليه في الآخرين أن يقال: سلام على إبراهيم. وقوله (سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) يقول تعالى ذكره: أَمَنَة من الله في الأرض لإبراهيم أن لا يذكر من بعده إلا بالجميل من الذكر [3]. والاختلاف بين السلام على سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم عليهما السلام يتمثل في حذف (إنّا) من السلام على النبي إبراهيم عليه السلام، قال البيضاوي:((كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ لعله طرح عنه إنا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة)) [4]. ووقف

---

1 نفسه: 23/ 133.

2 نفسه: 23/ 135.

3 جامع البيان: 21/ 91، وإعراب القرآن للباقولي المنسوب خطأ للزجاج: 1/ 208-209، ومفاتيح الغيب: 21/ 518، وروح البيان: 7/ 478، ومحاسن التأويل: 8/ 219، وفي ظلال القرآن: 5/ 2997.

4 أنوار التنزيل: 5/ 16، ومدارك التنزيل: 3/ 133، واللباب في علوم الكتاب: 3/ 28، والبرهان في علوم القرآن: 3/ 134، وبصائر ذوي التمييز: 1/ 396.

الالوسي عند الاستغناء عن ذكر (إنا) من السلام على سيدنا إبراهيم، قال: ((وطَرَحَ هنا(إِنَّا) قيل مبالغةً في دفع توهّم اتحاده مع ما سبق ،....، وقيل لعل ذلك اكتفاءً بذكر (إِنَّا) مرة في هذه القصة، وقال بعض الأجلّة: إنه للإشارة إلى أن قصة إبراهيم عليه السلام لم تتم فإنّ ما بعد من قوله تعالى وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ إلخ من تكملة ما يتعلق به عليه السلام بخلاف سائر القصص التي جعل (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) مقطعًا لها فإن ما بعدُ ليس مما يتعلق بما قبلُ ومع هذا لم تخلُ القصة من مثل تلك الجملة بجميع كلماتها وسلك فيها هذا المسلك اعتناءً بها فتأمل، ،....، وكذا قوله تعالى مِنَ الصَّالِحِينَ وفي ذلك تعظيم شأن الصلاح، وفي تأخيره إيماء إلى أنه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل والمقصود منهما الإتيان بالأفعال الحسنة السديدة وهو في الاستعمال يختص بها)) [1] . وقد التفت الشيخ الطاهر إلى أنَّ التسليم بالغيبة في القرآن الكريم جاء مقصورًا على الأنبياء والملائكة، وأنَّ ذلك لم يشركهم فيه غيرهم، قال:((وَأَمَّا التَّسْلِيمُ فِي الْغَيْبَةِ فَمَقْصُورٌ عَلَيْهِ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ لَا يُشْرِكُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:(سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ)الصافات: 79 ، وَقَوْلِهِ: (سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ)[الصافات: 130]، (سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ)[الصافات: 1]20 ،(سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ)[الصافات: 109])) [2].

وورد السلام على موسى وهارون عليهما السلام منه سبحانه في قوله تعالى: (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (114) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (115) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (116) وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (117) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (118) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (119) سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (120) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (121) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (122) الصافات)، فسّر أبو عبيدة قوله تعالى تركنا على انه حكاية بمعنى قلنا، قال: ((حكاية

1 روح المعاني: 12/ 127.

2 التحرير والتنوير: 22/ 103

أي تركناهم يقال لهم في الآخرين.. «سَلامٌ عَلى مُوسى وَهارُونَ» (120) أي يقال لهم هذا)) [1]. وقيل إن معناها: فقد تركنا عليهما في الآخرين بعدهم الثناء الحسن عليهما [2]؛ على ان معنى السلام هنا ليس التحية وإنما الذكر الجميل. واستبعد الطاهر بن عاشور احتمال أن تكون جملة السلام في هذه الآية مفعولا به للفعل (تركنا)، قال:((وَالْقَوْلُ فِي تَفْسِيرِ وَتَرَكْنا عَلَيْهِما فِي الْآخِرِينَ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ الْأَرْبَعِ كَالْقَوْلِ فِي نَظَائِرِهِ عِنْدَ ذِكْرِ نُوحٍ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، إِلَّا أَنَّ احْتِمَالَ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةُ سَلامٌ عَلى مُوسى وَهارُونَ مَفْعُولًا لِفِعْلِ تَرَكْنا عَلَيْهِما عَلَى إِرَادَةِ حِكَايَةِ اللَّفْظِ هُنَا أَضْعَفُ مِنْهُ فِيمَا تَقَدَّمَ إِذْ لَيْسَ يَطَّرِدُ أَنْ يَكُونَ تَسْلِيمُ الْآخِرِينَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ مَعًا لِأَنَّ الَّذِي ذَكَرَ مُوسَى يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَى مُوسَى وَالَّذِي يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ ذِكْرُ هَارُونَ يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَى هَارُونَ وَلَا يَجْمَعُ اسْمَيْهِمَا فِي السَّلَامِ إِلَّا الَّذِي يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ ذِكْرُهُمَا مَعًا)) [3].

ومنه سلامه سبحانه على إل ياسين في قوله تعالى: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (129) سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (130) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (131) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (132)) [الصافات 129-132]، وما قيل في السلام على الأنبياء قيل أيضا في هذه الآية الكريمة إلا أنهم مختلفون في الياسين، فقيل إنه النبي إدريس أو انه سلام على إل ياسين على أن ياسين اسم أبي الياس أضيف إليه الآل [4].

ومما يدخل في هذا الباب (السلام) على سيدنا يحيى عليه السلام في قوله تعالى: (يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) وَحَناناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكاةً وَكانَ تَقِيًّا (13) وَبَرًّا بِوالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيًّا (14) وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ

---

1 مجاز القرآن: 2/ 172.

2 ينظر: جامع البيان: 21/ 95، ومفاتيح الغيب: 26/ 352، وإرشاد العقل السليم: 7/ 203.

3 التحرير والتنوير: 23/ 165.

4 ينظر: الكشاف: 4/ 60، والمحرر الوجيز: 4/ 484، ومفاتيح الغيب: 26/ 353-354، وأنوار التنزيل: 5/ 17.

يُبْعَثُ حَيًّا (15))[مريم12-15]، والسلام هنا أمان عليه يوم ولد من أن يناله سوء ويوم يموت ويوم يبعث حيًا من عذاب الله يوم القيامة وذلك تكريمًا له لأنه لم يذنب أبدًا، فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((مَا مِنْ أحَدٍ يَلْقَى اللهَ يَوْمَ القِيامَةِ، إلا ذَا ذَنْبٍ، إلا يَحْيَى بنَ زَكَرِيًّا)) [1]. وقد خُصَّت هذه الأوقات دونَ غيرها لأنها أثقلُ الأوقات على ابنِ آدمَ؛ جاء في تفسير الطبري:((أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجًا مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن عاينهم، ويوم يُبعث فيرى نفسه في محشر عظيم، قال: فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا، فخصّه بالسلام عليه؛ فقال (وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا))) [2]. وقد رأى المفسّرون في هذا السلام على النبي يحيى دلالة على تفضيله على النبي عيسى بأن الله تعالى سلّم عليه في حين أنّ النبي عيسى سلّم على نفسه، يروي المفسرون: ((أن عيسى ويحيى التقيا فقال له عيسى: استغفر لي، أنت خير مني، فقال له الآخر: استغفر لي، أنت خير مني، فقال له عيسى: أنت خير مني، سَلَّمت على نفسي، وسلَّم الله عليك، فعرف والله فضلها)) [3]. وذهب ابن عطية إلى أن السلام هنا بمعنى التحية المتعارفة وليست بمعنى الأمان لأنها أشرف وأنبه واهم، قال: ((والأظهر عندي أنها التحية المتعارفة فهي أشرف وأنبه من الأمان؛ لأن الأمان متحصل له بنفي العصيان وهي أقل درجاته وإنما الشرف في أن سلم الله عليه وحياه في المواطن التي الإنسان فيها في غاية

1 ينظر: جامع البيان: 18/ 160.

2 جامع البيان: 18/ 160. وينظر: معاني القرآن للنحاس: 4/ 317، والتفسير الوسيط: 3/ 179، ومعالم التنزيل: 3/ 228، والكشاف: 3/ 9، والمحرر الوجيز: 4/ 8، وزاد المسير: 3/ 122، وأنوار التنزيل: 4/ 7، ومدارك التنزيل: 2/ 329، والجامع لأحكام القرآن: 10/ 220، والبحر المحيط: 7/ 246، والدر المصون: 6/ 253.

3 جامع البيان: 18/ 161.

الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر إلى الله وعظيم الهول)) [1]. وقد استنبط الفخر الرازي مجموعة من الدلالات التي يخرج إليها السلام في هذا السياق، أولاها: احتمال ان يَكُونَ هذا السَّلَامُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَدَلَالَةُ شَرَفِهِ وَفَضْلِهِ لَا تَخْتَلِفُ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يُسَلِّمُونَ إِلَّا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى. والدلالة الثَّانِية: ما في هذا السلام من مَزِيَّة لِيَحْيَى عَلَى مَا لِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لأنه قال وَيَوْمَ وُلِدَ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. والدلالة الثَّالِثَة: رفضه ما ذهب إليه بعض المفسرين من تفضيل يحيى عليه السلام على عيسى عليه السلام بدلالة السلام فيهما، بان هذا الأمر ليس يقوى لِأَنَّ سَلَامَ عِيسَى عَلَى نَفْسِهِ يَجْرِي مَجْرَى سَلَامِ اللَّهِ عَلَى يَحْيَى لِأَنَّ عِيسَى مَعْصُومٌ لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ. والدلالة الرَّابِعَة: ان في سلَام الله تعالى عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ تَفَضُّلًا مِنه سبحانه لِأَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْ مِنْ النبي يحيى مَا يَكُونُ ذَلِكَ السلام من الله تعالى جَزَاءً لَهُ، وَأَمَّا السَّلَامُ عَلَيْهِ يَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ فِي الْمَحْشَرِ، فَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ثَوَابًا كَالْمَدْحِ وَالتَّعْظِيمِ [2]. ووازن بعض المفسرين بين السلام على يحيى وعلى عيسى عليهما السلام ، فبينوا أنَّ السلام على يحيى جاء مُنَكَّرًا وعلى عيسى جاء مُعَرَّفًا؛ وذلك((لأنَّ الأوَّل من الله تعالى، والقليل منه ،...، والثاني من عيسى، والألف واللام لاستغراق الجنس، ولو أدخل عليه السّبعة والعشرين والفروع المستحسنة والمستقبحة، لم يبلغ عُشر معشار سلام الله. ويجوز أن يكون ذلك بوحي من الله عزَّ وجلّ، فيقرُبَ من سلام يحيى. وقيل: إنما أدخل الألِف واللام لأنَّ النكرة إذا تكرّرت تعرَّفت. وقيل: نكرة الجنس ومعرفته سواء: تقول: لا أشرب ماءً، ولا أشرب الماءَ، فهما سواء)) [3]. أما استعمال حرف الجر(على) مع (السلام) في هذه الآية؛ فهو للدلالة على التمكن

1 المحرر الوجيز: 4/ 8. وينظر: زاد المسير: 3/ 122، والجامع لأحكام القرآن: 11/ 88، والبحر المحيط: 7/ 246، واللباب في علوم الكتاب: 13/ 28، والتحرير والتنوير: 16/ 77، وتفسير الشعراوي: 9/ 5500.

2 ينظر: مفاتيح الغيب: 21/ 518، ومحاسن التأويل: 7/ 88

3 بصائر ذوي التمييز: 1/ 307.

والتلبس بالأمان الذي يريد النص إشاعته وتثبيته، قال الطاهر بن عاشور:((وَكَلِمَةُ (عَلَى) فِي الْحَالَتَيْنِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَمَكُّنِ التَّلَبُّسِ بِالْأَمَانِ، أَيِ الْأَمَانُ مُسْتَقِرٌّ مِنْكُمْ مُتَلَبِّسٌ بِكُمْ، أَيْ لَا تَخَفْ)) [1] . وبيّن الطاهر سبب اختيار الأوقات المذكورة، قال: ((وَهَذِهِ الْأَحْوَالُ الثَّلَاثَةُ الْمَذْكُورَةُ هُنَا أَحْوَالُ ابْتِدَاءِ أَطْوَارٍ: طَوْرِ الْوُرُودِ عَلَى الدُّنْيَا، وَطَوْرِ الِارْتِحَالِ عَنْهَا، وَطَوْرِ الْوُرُودِ عَلَى الْآخِرَةِ. وَهَذَا كِنَايَةٌ عَلَى أَنَّهُ بِمَحَلِّ الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ. وَالْمُرَادُ بِالْيَوْمِ مُطْلَقُ الزَّمَانِ الْوَاقِعِ فِيهِ تِلْكَ الْأَحْوَالُ. وَجِيءَ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ فِي وَيَوْمَ يَمُوتُ لِاسْتِحْضَارِ الْحَالَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، وَلَمْ تُذْكَرْ قِصَّةُ قَتْلِهِ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا إِجْمَالا)) [2].

ثالثا: سلام الله سبحانه على عباده من غير الأنبياء:

ومما ورد من هذا النوع من التحية في القرآن الكريم قوله تعالى: (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (55) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (56) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (57) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ [يس])، وقد جاء في تفسيرها أن لأصحاب الجنة ما يدّعونَ مُسَلَّما خالصا، أي هُوَ لهم خالص [3]. وقيل معناه ان الله تعالى يسلم عليهم عند الموت [4]. أو ان الله تعالى يسلم على أهل الجنة [5]، وَقِيلَ: تُسَلِّمُ عَلَيْهِمِ الْمَلَائِكَةُ من ربهم. وقيل: تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ كُلِّ

1 التحرير والتنوير: 7/ 258.

2 نفسه: 16/ 78.

3 ينظر: معاني القرآن للفراء: 2/ 380، ومجاز القرآن: 2/ 164، ومعاني القرآن للأخفش: 2/ 489، وجامع البيان: 20/ 539، ومعاني القرآن وإعرابه: 4/ 292، والتفسير الوسيط: 3/ 516، ومعالم التنزيل: 4/ 17، والمحرر الوجيز: 4/ 459، وزاد المسير: 2/ 77، ومفاتيح الغيب: 8/ 267.

4 ينظر: جامع البيان: 17/ 199.

5 ينظر: التفسير الوسيط: 3/ 516.

بَابٍ يَقُولُونَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ رَبِّكُمُ الرَّحِيمِ [1]. فَالْمَعْنَى على ذلك: أَنَّ اللَّهَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ بِوَاسِطَةِ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ، مُبَالَغَةً فِي تَعْظِيمِهِمْ، وَذَلِكَ مُتَمَنَّاهُمْ، وَلَهُمْ ذَلِكَ لَا يُمْنَعُونَهُ [2]. وقد توقف الطاهر على الدلالة النحوية لتنوين السلام من جهة، ودلالة حذف الخبر ووصف السلام بأنه من رب رحيم، فجعل التنوين والتنكير دالا على التعظيم، كما لمس في مجيئه مرفوعا دلالة على الدوام والتحقق وهو ما لا توفره حالة النصب؛ قال:((وسَلَامٌ مَرْفُوعٌ فِي جَمِيعِ الْقِرَاءَاتِ الْمَشْهُورَةِ. وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَتَنْكِيرُهُ لِلتَّعْظِيمِ وَرَفْعُهُ لِلدَّلَالَةِ على الدَّوَام والتحقق، فَإِنَّ أَصْلَهُ النَّصْبُ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ نِيَابَةً عَنِ الْفِعْلِ ،....، فَلَمَّا أُرِيدَتِ الدَّلَالَةُ عَلَى الدَّوَامِ جِيءَ بِهِ مَرْفُوعًا ،....، وَحَذْفُ خَبَرِ سَلَامٌ لِنِيَابَةِ الْمَفْعُولِ الْمُطلق وَهُوَ قَوْله قَوْلًا عَنِ الْخَبَرِ لِأَنَّ تَقْدِيرَهُ: سَلَامٌ يُقَالُ لَهُمْ قَوْلًا مِنَ اللَّهِ، وَالَّذِي اقْتَضَى حَذْفَ الْفِعْلِ وَنِيَابَةَ الْمَصْدَرِ عَنْهُ هُوَ اسْتِعْدَادُ الْمَصْدَرِ لِقَبُولِ التَّنْوِينِ الدَّالِّ عَلَى التَّعْظِيمِ، وَالَّذِي اقْتَضَى أَنْ يَكُونَ الْمَصْدَرُ مَنْصُوبًا دُونَ أَنْ يُؤْتَى بِهِ مَرْفُوعًا هُوَ مَا يُشْعِرُ بِهِ النَّصْبُ مِنْ كَوْنِ الْمَصْدَرِ جَاءَ بَدَلًا عَنِ الْفِعْلِ. ومِنْ ابْتِدَائِيَّةٌ. وَتَنْوِينُ رَبٍّ لِلتَّعْظِيمِ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ عُدِلَ عَنْ إِضَافَةِ رَبٍّ إِلَى ضَمِيرِهِمْ، وَاخْتِيرَ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ بِوَصْفِ الرَّبِّ لِشِدَّةِ مُنَاسَبَتِهِ لِلْإِكْرَامِ وَالرِّضَى عَنْهُمْ بِذِكْرِ أَنَّهُمْ عَبَدُوهُ فِي الدُّنْيَا فَاعْتَرَفُوا بربوبيته)) [3].

ومن سلامه سبحانه على عباده ما جاء في قوله تعالى: (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59)أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60))[النمل 59-60]، وقد تعددت أقوال المفسرين في

---

1 ينظر: معالم التنزيل: 4/ 18، وأنوار التنزيل: 4/ 271، ومدارك التنزيل: 3/ 108، والبحر المحيط: 9/ 76، واللباب في علوم الكتاب: 14/ 578.

2 ينظر: البحر المحيط: 9/ 76 .

3 التحرير والتنوير: 23/ 44.

معنى قوله: (عباده الذين اصطفى)، فقيل هم الأنبياء الذين اختارهم الله لرسالته. وقيل: هم أصحاب محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقيل: هم الذين وحّدوه، وآمنوا به. وقيل هم أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اصطفاهم الله لمعرفته وطاعته. ومعنى السلام عليهم: أنهم سَلِموا مما عذب به الكفار [1]. وبيّن الشيخ الطاهر أنّ السلام، هنا، مراده الدعاء، كما فهم من عباده المصطفين انه لفظ شامل للأنبياء والرسل والصالحين، قال:((مَعْنَى وَسَلَامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى إِنْشَاءُ طَلَبٍ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَى أَحَدِ الْمُصْطَفَيْنَ، أَيْ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ ذِكْرًا حَسَنًا فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى. فَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ: السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٌ غَائِبٌ أَوْ فِي حُكْمِ الْغَائِبِ كَانَ ذَلِكَ قَرِينَةً عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ الدُّعَاءُ لَهُ بِسَلَامٍ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ. فَقَدْ أُزِيلَ مِنْهُ مَعْنَى التَّحِيَّةِ لَا مَحَالَةَ وَتَعَيَّنَ لِلدُّعَاءِ،...، فَلَمَّا أَمَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ سَلَامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى فَقَدْ عَيَّنَ لَهُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ لِيَقُولَهَا يَسْأَلُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُكْرِمَ عِبَادَهُ الَّذِينَ اصْطَفَى بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَحُسْنِ الذِّكْرِ، إِذْ قُصَارَى مَا يَسْتَطِيعُهُ الْحَاضِرُ مِنْ جَزَاءِ الْغَائِبِ عَلَى حُسْنِ صَنِيعِهِ أَنْ يَبْتَهِلَ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَنْفَحَهُ بِالْكَرَامَةِ. وَالْعِبَادُ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ فِي مُقَدِّمَتِهِمُ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَيَشْمَلُ ذَلِكَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ كَمَا فِي صِيغَةِ التَّشَهُّدِ: «السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ»)) [2]. وقد تناول ابن القيم أمرًا آخر في الآية الكريمة وهو حكم السلام فيها أمعطوف هو على الحمد فيكون داخلا في الأمر بالقول أم انه غير معطوف على الحمد فيكون غير داخل في العطف، قال:((فالجواب عنه أن الكلام يحتمل الأمرين،...، وفصل الخطاب: في ذلك أن يقال الآية تتضمن الأمرين جميعا وتنتظمهما انتظاما واحدا فإن الرسول هو المبلغ عن الله كلامه وليس فيه إلا البلاغ والكلام كلام الرب تبارك وتعالى فهو الذي حمد نفسه وسلم على عباده وأمر رسوله بتبليغ ذلك فإذا قال الرسول الحمد لله وسلام على عباده

1 ينظر: التفسير الوسيط: 3/ 382، ومعالم التنزيل: 3/ 510.

2 التحرير والتنوير: 20/ 8.

الذين اصطفى كان قد حمد الله وسلم على عباده بما حمد به نفسه وسلم به هو على عباده فهو سلام من الله ابتداء ومن المبلغ بلاغا ومن العباد اقتداء وطاعة)) [1] ، وفي ضوء هذا التوجيه النحوي نجد أن المعنى يتسع ليشمل الدلالتين المحتملتين، وفي هذا الاستعمال إعجاز لغوي وبلاغي دقيق، إذ لا يمكن لكاتب مهما كانت قدرته أن يصوغ نصًا يجمع بنيةً تركيبيةً قويةً ومتماسكةً من جهة وينفتح على دلالات ومعان مرادة ومطلوبة في نفسها ولا يرفضها النص، ليكون بذلك قد جمع بين هذه الدلالات في بنيةٍ لغويةٍ موجزةٍ ومحكمةٍ.

رابعا : سلام العباد بعضهم على بعض(الأنبياء والملائكة والبشر):

أ. **سلام الأنبياء على أنفسهم:** ومما يدخل في هذا الباب سلام عيسى عليه السلام على نفسه في قوله تعالى: (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) [مريم: 30 – 34])، والسلام هنا بمعنى الأَمَنَة من الله عليّ من الشيطان وجنده يوم ولدتُ أن ينالوا مني ما ينالون ممن يولد عند الولادة، من الطعن فيه، ويوم أموت، من هول المطلع، ويوم أبعث حيا يوم القيامة أن ينالني الفزع الذي ينال الناس بمعاينتهم أهوال ذلك اليوم [2]. أو هو بمعنى عموم العافية والسلامة، إلا أنه لمّا جَرَى ذكر (سلام) قبل هذا الموضع بغير ألف ولام ،كان الأحسن أن يُرَدَّ ثانيةً بالألف واللام، أو أن السلام وسلام لغتان لا فرق بينهما دلاليًا [3]. وذهب الزمخشري إلى أنَّ سببَ تعريفِه، هنا، هو التعريضُ بمُتَّهِمِي السيدة

1 بدائع الفوائد: 2/ 172.

2 جامع البيان: 18/ 193، ومعالم التنزيل: 3/ 233، وإعراب القرآن للباقولي المنسوب خطأ للزجاج: 1/ 209، وزاد المسير: 3/ 130، ومفاتيح الغيب: 16/ 137.

3 معاني القرآن وإعرابه: 3/ 329.

مريم، بقوله: السلام علي فيكون ضده عليكم، قال:((قيل: أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله، كقولك: جاءنا رجل، فكان من فعل الرجل كذا. والمعنى: ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إليّ. والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود. وتحقيقه أن اللام للجنس، فإذا قال: وجنس السلام عليّ خاصة فقد عرض بأن ضدّه عليكم. ونظيره قوله تعالى وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى يعنى أنّ العذاب على من كذب وتولى، وكان المقام مقام منا كرة وعناد، فهو مئنة لنحو هذا من التعريض)) [1]. ووجد الطاهر بن عاشور في هذا السلام تنويها بعيسى ومنزلته عليه السلام، كما وجد في تعريف لفظ السلام على عيسى عليه السلام دلالة على المبالغة، فكأنه قد جمع عن طريق تعريفها بالألف واللام جِنْسَ السلام كله، قال : ((وَقَوْلُهُ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ إِلَى آخِرِهِ، تَنْوِيهٌ بِكَرَامَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ، أَجْرَاهُ عَلَى لِسَانِهِ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ بِمَحَلِّ الْعِنَايَةِ مِنْ رَبِّهِ ،...، وَجِيءَ بِالسَّلَامِ هُنَا معرّفا بِاللَّامِ الدَّالَّةِ عَلَى الْجِنْسِ مُبَالَغَةً فِي تَعَلُّقِ السَّلَامِ بِهِ حَتَّى كَانَ جِنْسُ السَّلَامِ بِأَجْمَعِهِ عَلَيْهِ. وَهَذَا مُؤْذِنٌ بِتَفْضِيلِهِ عَلَى يَحْيَى إِذْ قِيلَ فِي شَأْنِهِ (وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ)[مَرْيَم: 15]، وَذَلِكَ هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُعَرَّفِ بِلَامِ الْجِنْسِ وَبَيْنَ النَّكِرَةِ. وَيَجُوزُ جَعْلُ اللَّامِ لِلْعَهْدِ، أَيْ سَلَامٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ عَبْدَهُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَبِالْأَمْرِ بِكَرَامَتِهِ)) [2]. والشيخ الطاهر يشير هنا إلى فرق دلالي بين سلام يحيى وسلام عيسى عليهما السلام اللذين سبق ذكرهما، يتجلى هذا الفرق في أنَّ السلام على عيسى جاء معرَّفًا بال في حين جاء مُنكَّرًا مع يحيى عليه السلام مما يدل على تفضيل عيسى على يحيى عليهما السلام؛ لان سلام الأول منهما أتم واجمع واشمل من سلام الثاني.

---

1 الكشاف: 3/ 16. وينظر: مفاتيح الغيب: 21/ 536، وأنوار التنزيل: 4/ 10، ومدارك التنزيل: 2/ 334، والجامع لأحكام القرآن: 11/ 105، والبحر المحيط: 7/ 259، وإرشاد العقل السليم: 5/ 264، وروح المعاني: 8/ 408 – 409.

2 التحرير والتنوير: 16/100– 101.

ب. سلام الأنبياء على البشر: ومما جاء في القرآن الكريم من هذا النوع سلام نبينا عليه السلام على المؤمنين في قوله تعالى: (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (54) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (55)[الأنعام 54- 55])، فالسلام في هذه الآية يحتمل ان يكون أمرًا للرسول بالتبليغ أو أن يكون أمرًا له عليه السلام بإلقاء التحية على المؤمنين إكرامًا لهم، قال الزمخشري: ((فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ إما أن يكون أمراً بتبليغ سلام الله إليهم. وإما أن يكون أمراً بأن يبدأهم بالسلام إكراماً لهم وتطييبا لقلوبهم)) [1]. وقد نقل ابن عطية أقوال المفسرين في تفسير معنى السلام والمقصود به فيها ، قال:((قال جمهور المفسرين: الَّذِينَ يراد بهم القوم الذين كان عرض طردهم فنهى الله عز وجل عن طردهم، وشفع ذلك بأن أمر بأن يسلم النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ويؤنسهم، وقال عكرمة وعبد الرحمن بن زيد الَّذِينَ يراد بهم القوم من المؤمنين الذين صوّبوا رأي أبي طالب في طرْد الضَّعَفَة فأمَرَ اللهُ نبيَه أنْ يسلّمَ عليهم ويعلمَهم أنَّ اللهَ يغفرُ لهم مع توبتهم من ذلك السوء وغيره، وأسند الطبريُّ عن ماهان أنه قال نزلت الآيةُ في قومٍ من المؤمنين استفتوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم في ذنوبٍ سلفتْ منهم فنزلت الآيةُ بسببهم)) [2]. وذكر ابنُ الجوزي وجهين في معنى السلام في هذه الآية الكريمة، ((أحدهما: أنه أمر بالسلام عليهم تشريفا لهم ....

1 الكشاف: 2/ 29. وينظر: جامع البيان: 11/ 376، ومعاني القرآن وإعرابه: 2/ 252، ومعاني القرآن للنحاس: 2/ 431، ومعالم التنزيل: 2/ 128، وأنوار التنزيل: 2/ 164، ومدارك التنزيل: 1/ 507، والجامع لأحكام القرآن: 6/ 435، والبحر المحيط: 4/ 526، وإرشاد العقل السليم: 3/ 140، وروح المعاني: 4/ 155.

2 المحرر الوجيز: 2/ 296. وينظر: زاد المسير: 2/ 34.

والثاني: أنه أُمر بإبلاغ السلام إليهم عن الله تعالى)) [1]. فجعلهما كليهما بمعنى التحيـة. وهو ما ذهب إليه الشيخ الطاهرُ بنُ عاشور أيضا، قال:((وَقَوْلُهُ: فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ قِيلَ: مَعْنَاهُ حَيِّهِمْ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ كَلِمَةُ (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) ، وَقِيلَ: أَبْلِغْهُـمُ السَّـلَامَ مِـنَ اللَّـهِ تَعَالَى تَكْرِمَةً لَهُمْ لِمُضَادَّةِ طَلَبِ الْمُشْرِكِينَ طَرْدَهُمْ)) [2].

ومما يقع تحت هذا الباب ما جـاء في قولـه تعـالى: (وَلَـئِنْ سَـأَلْتَهُمْ مَـنْ خَلَقَهُـمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (87) وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَـاءِ قَـوْمٌ لَـا يُؤْمِنُـونَ (88) فَاصْـفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُـونَ (89) الزخـرف[87 – 89])، ومعنـى السـلام، هنـا، المتاركة، قال البغوي:((وَقُلْ سَلامٌ، مَعْنَـاهُ: الْمُتَارَكَـةُ)) [3]. وبـيّن الزمخشـري انـه سـلام متاركة وقد جاء في سياق وعيد، قال :((وَقُلْ لهم سَلامٌ أي تسلّم منكم ومتاركة فَسَـوْفَ يَعْلَمُونَ وعيد من الله لهم وتسلية لرسـوله صـلى الله عليـه وسـلم. والضـمير في وَقِيلِـهِ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإقسام الله بقيله رفع منـه وتعظـيم لدعائـه والتجائـه إليه)) [4].

ومنه قوله تعالى: (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَـمْ تَنْتَـهِ لَأَرْجُمَنَّـكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) مـريم)، والسلام، هنا، سلام توديع ومتاركة أيضًا، قال الطبري:((يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لأبيه حين توعَّده على نصيحته إياه ودعائه إلى الله بالقول السيئ والعقوبة: سلام عليـك

1 زاد المسير: 2/ 35.

2 التحرير والتنوير: 7/ 257.

3 معالم التنزيل: 4/ 171، والكشاف: 4/ 268، وزاد المسير: 4/ 86، ومفاتيح الغيب: 27/ 650، وأنوار التنزيل: 5/ 98، ومدارك التنزيل: 3/ 285، ومحاسن التأويل: 8/ 404، والتحرير والتنوير: 25/ 274.

4 الكشاف: 4/ 268.

يا أبت، يقول: أمنة مني لك أن أعاودك فيما كرهت، ولدعائك إليّ ما توعدتني عليه بالعقوبة)) [1] ، وهذا يؤيده قول الواحدي أيضا، قال:((قال إبراهيم لأبيه: سلام عليك أي: سلمت مني لا أصيبك بمكروه، وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره)) [2]. واستدل الزمخشري بسياق الآية الكريمة على جواز متاركة المنصوح لغرض الاستمالة، قال:((قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سلام توديع ومتاركة ،...، وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه. ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له)) [3].

ج. سلام الملائكة على الأنبياء وغيرهم: ورد سلام الملائكة على الأنبياء والمؤمنين في مواضع من القرآن الكريم منها قوله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (70) [هود69-70])، ومثلها ما جاء في قوله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (25)الذاريات)، وقد ذكر المفسرون ان السلام هنا يحتمل ان يكون من السلامة أو المسالمة كما يحتمل ان يكون من التسليم بمعنى التحية وهما متقاربان عندهم [4]، وبيَّن الزجاج توجيه الرفع والنصب والدلالة التي تؤدي إليها كل حالة منهما ، قال: ((فأما قوله (سَلاماً) فمنصوبٌ على سَلَّمْنا سَلاَماً، وأما سَلاَمٌ فمرفوع على معنى أمري سَلاَمٌ (وَمَنْ قَرَا سَلَامٌ) فمرفُوعٌ عَلَى أمري

1 جامع البيان: 18/ 207، ومعاني القرآن وإعرابه: 3/ 333.

2 التفسير الوسيط: 3/ 185. وينظر: معالم التنزيل: 3/ 236، والمحرر الوجيز: 4/ 19، وزاد المسير: 3/ 134.

3 الكشاف: 3/ 21. وينظر: مفاتيح الغيب: 21/ 546، وانوار التنزيل: 4/ 12، ومدارك التنزيل: 2/ 339،والجامع لأحكام القرآن: 11/ 111، والبحر المحيط: 7/ 271- 272، ومحاسن التأويل: 7/ 101، والتحرير والتنوير: 16/ 121.

4 جامع البيان: 15/ 383.

سلام. أي لَسْتُ مُرِيداً غير السلامة والصفح)) [1]، وفسّر الزمخشري دلالة الرفع والنصب بأنَّ النبيَّ إبراهيم ردَّ السلام على نحو أحسن من سلام الملائكة ، قال:((رفع السلام الثاني للدلالة على أنّ إبراهيم عليه السلام حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لأن الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدّده وحدوثه)) [2]. ويفهم من كلام الرازي أنّه يرى أنَّ سلام الملائكة سلام تحية وسلام النبي عليه السلام هو طلب أَمَنَةٍ وسَلَامَة، وكأنه ناتج من إحساسٍ بالخوف من طروق الغرباء في ذلك الوقت، قال :((قَالُوا سَلَامًا تَقْدِيرُهُ: سَلَّمْنَا عَلَيْكَ سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ تَقْدِيرُهُ: أَمْرِي سَلَامٌ، أَيْ لَسْتُ مُرِيدًا غَيْرَ السَّلَامَةِ وَالصُّلْحِ)) [3]. وذكر الرازي أنَّ السلام هنا يحتمل أنْ يكون بمعنى التحية أو نوعًا من أَنْوَاعِ الْكَلَامِ وَهُوَ كَلَامٌ سَلِمَ بِهِ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ أَنْ يَلْغُوَ أَوْ يَأْثَمَ [4]. وأشار الرازي إلى خصيصة أسلوبية في هذا السلام وهي أنَّ استعمال سلام نكرة للدلالة على الدعاء، قال:((أَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِغَيْرِ أَلِفٍ وَلَامٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الدُّعَاءِ، فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ: خَيْرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ،...، فَالتَّنْكِيرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ يَدُلُّ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: سَلَامٌ كَامِلٌ تَامٌّ عَلَيْكُمْ، ...، وَأَقُولُ: قَوْلُهُ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ أَكْمَلُ مِنْ قَوْلِهِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، لِأَنَّ التَّنْكِيرَ في قوله: سَلامٌ عَلَيْكُمْ يُفِيدُ الْكَمَالَ وَالْمُبَالَغَةَ وَالتَّمَامَ. وَأَمَّا

1 معاني القرآن وإعرابه: 3/ 60-61. وينظر: معاني القرآن للفراء: 2/ 21، ومجاز القرآن: 1/ 291، وجامع البيان: 15/ 382، ومعاني القرآن للنحاس: 3/ 361،والتفسير الوسيط: 2/ 581، ومعالم التنزيل: 2/ 456، وإعراب القرآن للباقولي المنسوب خطأ للزجاج: 1/ 208، وزاد المسير: 2/ 385.

2 الكشاف: 1/ 9. وينظر: المحرر الوجيز: 3/ 188، ومفاتيح الغيب: 28/ 175، وأنوار التنزيل:3/ 141، ومدارك التنزيل: 2/ 72، والجامع لأحكام القرآن: 9/ 62- 63، والبحر المحيط: 6/ 179، وبصائر ذوي التمييز: 3/ 253، واللباب في علوم الكتاب:10/ 519،-521.

3 مفاتيح الغيب: 18/ 372.

4 ينظر: نفسه: 28/ 175.

لَفظُ السَّلَامِ: فَإِنَّهُ لَا يُفِيدُ إِلَّا الْمَاهِيَّةَ)) [1] . كما وقف على جانب تركيبي آخرَ مهم في هـذا السلام وهي دلالة الجملة الاسمية على الثبوت؛ وهذه الدلالة تناسب ردَّ إبراهيم التحية على الملائكة على نحوٍ أحسن من سلامهم عليه، قال:((لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِالْأَحْسَنِ، فَأَتَى بِالْجُمْلَـةِ الِاسْمِيَّةِ فَإِنَّهَـا أَدَلُّ عَلَـى الـدَّوَامِ وَالِاسْتِمْرَارِ)) [2] . وتناول الزركشي البنية التركيبية لسلام النبي من جهة وسلام الملائكة مـن جهـة لـتلمس الفروق الدلالية بينهما، قال:((مُضْمَرُ الْفِعْلِ كَمُظْهَـرِهِ فِـي إِفَـادَةِ الْحُـدُوثِ وَمِـنْ هَـذِهِ الْقَاعِدَةِ قَالُوا إِنَّ سَلَامَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبْلَغُ مِنْ سَـلَامِ الْمَلَائِكَـةِ حَيْـثُ قَـالَ: (قـالوا سلاما قال سلام) فَإِنَّ نَصْبَ سَلَامًا إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى إِرَادَةِ الْفِعْلِ أَيْ سَلَّمْنَا سَـلَامًا وَهَـذِهِ الْعِبَارَةُ مُؤْذِنَةٌ بِحُدُوثِ التَّسْلِيمِ مِنْهُمْ إِذِ الْفِعْلُ تَأَخَّرَ عَـنْ وُجُـودِ الْفَاعِـلِ بِخِلَـافِ سَـلَامِ إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ مُرْتَفِعٌ بِالِابْتِدَاءِ فَاقْتَضَى الثُّبُوتَ عَلَى الْإِطْلَـاقِ وَهُـوَ أَوْلَـى بِمَـا يَعْـرِضُ لَـهُ الثُّبُوتُ فَكَأَنَّهُ قَصَدَ أَنْ يُحَيِّيَهُمْ بِأَحْسَنَ مِمَّا حَيَّوْهُ بِهِ)) [3] . وتحدث أبو السعود عن الفرق بين السلامين ولكنه جعل مصدر الفرق بينهما هو الحالة الإعرابية، قال : ((إيثار الرفـعِ على النصب الذي هو الأصلُ للإيذان بأن ثبوتَ الحمد له تعالى لذاته لا لإثبـات مُثبـت وأن ذلك أمرٌ دائمٌ مستمرٌ لا حادثٌ متجددٌ كما تفيده قراءةُ النصب وهو السـر في كـون تحية الخليل للملائكة عليهم التحيةُ والسَّلامُ أحسنَ منْ تحيتهم لـه في قولِـه تعـالَى قَـالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ وتعريفُه للجنس ومعناه الإشارةُ إلى الحقيقة من حيـث هـي حاضـرةٌ في

---

1 نفسه: 18/ 372.

2 نفسه: 28/ 175.

3 البرهان في علوم القرآن: 4/ 71. وينظر: الإتقان في علوم القرآن: 2/ 378، ومعترك الأقران: 3/ 496، وإرشاد العقل السليم: 1/ 13، ومحاسن التأويل: 3/ 245، وتفسير المنار: 12/ 106.

ذهن السامع)) [1]. وقال الطاهر بن عاشور عمّا سماه المخالفة بين السلامين: ((وَالسَّلَامُ: التَّحِيَّةُ،....، وَرَفْعُ الْمَصْدَرِ أَبْلَغُ مِنْ نَصْبِهِ، لِأَنَّ الرّفع فِيهِ تناسي مَعْنَى الْفِعْلِ فَهُوَ أَدَلُّ عَلَى الدَّوَامِ وَالثَّبَاتِ. وَلِذَلِكَ خَالَفَ بَيْنَهُمَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- رَدَّ السَّلَامَ بِعِبَارَةٍ أَحْسَنَ مِنْ عِبَارَةِ الرُّسُلِ زِيَادَةً فِي الْإِكْرَامِ، فَحُكِيَ ذَلِكَ بِأَوْجَزِ لَفْظٍ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَدَاءً لِمَعْنَى كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي الْكَلْدَانِيَّةِ)) [2]. وقريب منه سلام الملائكة على النبي إبراهيم قوله تعالى: (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (52) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (53)[الحجر53-54])، قال الزمخشري عنه :((سَلاماً أي نسلم عليك سلاماً، أو سلمت سلاماً وَجِلُونَ خائفون، وكان خوفه لامتناعهم من الأكل. وقيل: لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت)) [3]. وتابعه ابن عطية، قال:((وقوله سَلاماً مصدر منصوب بفعل مضمر تقديره سلمنا أو نسلم سلاما، والسلام هنا التحية، وقوله سَلاماً حكاية قولهم فلا يعمل القول فيه)) [4].

ومن هذا النوع من السلام تحية الملائكة للمؤمنين وهم يدخلون الجنة في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23)

---

1 إرشاد العقل السليم: 1/ 13.

2 التحرير والتنوير: 12/ 116-117. وينظر: تفسير الشعراوي: 12/ 7300.

3 الكشاف: 2/ 580. وينظر: جامع البيان: 17/ 112، ومعاني القرآن وإعرابه: 3/ 180، ومعالم التنزيل: 3/ 61، والمحرر الوجيز: 3/ 365، وأنوار التنزيل: 3/ 213، ومدارك التنزيل: 2/ 192، والجامع لأحكام القرآن: 10/ 35، والبحر المحيط: 6/ 484، وبصائر ذوي التمييز: 1/ 275، والتحرير والتنوير: 14/ 58.

4 المحرر الوجيز: 3/ 365.

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24))[الرعد21-24]، وفسرها علماء التفسير بأنَّ الملائكة يقولون لهم سلام عليكم تكرمة من الله لأهل الجنة [1]، أي: سلَّمكم الله من أهوال القيامة وشرِّها بصبركم في الدنيا على طاعته، فالْمَلَائِكَةَ مَعَ جَلَالَةِ مَرَاتِبِهِمْ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِ التَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ عِنْدَ الدخول عليهم يكرمونهم بالتحية والسلام ويبشرونهم [2]، ويرى الشيخُ الطاهر أنَّ لفظ (سلام) هو تحيتهم في الآخرة دون لفظ (السلام) بأل التعريف؛ لأن النص، هنا، حكى الأول باللفظ ولو أراد معنى السلام عامة دون اللفظ لعبَّر عن بالسلام المعرف بأل التعريف لإفادة عموم السلام دون اللفظ؛ قال:((وَالظَّاهِرُ أَنَّ التَّحِيَّةَ بَيْنَهُمْ هِيَ كَلِمَةُ (سَلَامٍ)، وَأَنَّهَا مَحْكِيَّةٌ هُنَا بِلَفْظِهَا دُونَ لَفْظِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَوْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، لِأَنَّهُ لَوْ أُرِيدَ ذَلِكَ لَقِيلَ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا السَّلَامُ بِالتَّعْرِيفِ لِيَتَبَادَرَ مِنَ التَّعْرِيفِ أَنَّهُ السَّلَامُ الْمَعْرُوفُ فِي الْإِسْلَامِ، وَهُوَ كَلِمَةُ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. وَكَذَلِكَ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِهَذَا اللَّفْظِ قَالَ تَعَالَى:(سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ)[يس 58]، وَأَمَّا قَوْلُهُ: (وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ)[الرَّعْد23-24]، فَهُوَ تَلَطُّفٌ مَعَهُمْ بِتَحِيَّتِهِمُ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا الْإِسْلَامُ)) [3].

وقريب منه قوله تعالى: (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [النحل 32])، فهذا السلام سلام بشارة للمتقين، قال الطبري:((وقوله (يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ) يعني جلّ ثناؤه أن الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين، وهي تقول لهم: سلام عليكم صيروا إلى الجنة بشارة من الله تبشرهم بها

---

1 ينظر: معاني القرآن للأخفش: 2/ 404، وجامع البيان: 6/ 126، ومعاني القرآن وإعرابه: 3/ 147، والتفسير الوسيط: 3/ 14، والكشاف: 2/ 527، والمحرر الوجيز: 3/ 310، وإعراب القرآن للباقولي المنسوب خطأ للزجاج: 1/ 15، وأنوار التنزيل: 3/ 186، ومدارك التنزيل: 2/ 153، والجامع لأحكام القرآن: 9/ 312، والبحر المحيط: 6/ 527، وبصائر ذوي التمييز: 3/ 252، وروح المعاني: 7/ 138.

2 ينظر: مفاتيح الغيب: 19/ 37.

3 روح المعاني: 7/ 138.

الملائكة)) [1]. وذكر القرطبي في معنى السلام، هنا، احتمالين: أحدهما انه إنذار لهم بالوفاة، والآخر انه بشارة بالجنة لان السلام أمان [2]. في حين اكتفى الشيخُ الطاهر بأن جعله سلامَ إكرامٍ، قال:((وَجُمْلَةُ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ حَالٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ وَهِيَ حَالٌ مُقَارَنَةٍ لِ تَتَوَفَّاهُمُ، أَيْ يَتَوَفَّوْنَهُمْ مُسَلِّمِينَ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ سَلَامُ تَأْنِيسٍ وَإِكْرَامٍ حِينَ مَجِيئِهِمْ لِيَتَوَفَّوْهُمْ، لِأَنَّ فعل تَتَوَفَّاهُمُ يبتدئ مِنْ وَقْتِ حُلُولِ الْمَلَائِكَةِ إِلَى أَنْ تُنْتَزَعَ الْأَرْوَاحُ وَهِيَ حِصَّةٌ قَصِيرَةٌ)) [3].

ومن سلام الملائكة على الأنبياء ما جاء في قوله تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)[الزمر 73]، فالمتبادر من ظاهر الآية الكريمة انه سلام يستقبل به خزنة الجنة من الملائكة المؤمنين، وقد يكون السلام فيها من الأمن كما فهم ذلك الطبري، قال:((وعنى بقوله (سَلامٌ عَلَيْكُمْ) : أمنة من الله لكم أن ينالكم بعدُ مكروه أو أذى)) [4]. في حين جعلها ابن عطية من باب التحية وتحتمل أن تكون من الأمن، قال:((وسَلامٌ عَلَيْكُمْ تحية. ويحتمل أن يريد أنهم قالوا لهم سلام عليكم وأمنة لكم)) [5].

ومما جاء فيه لفظ (السلام)محتملا معنى التحية من الملائكة على العباد قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ

---

1 جامع البيان: 17/ 198. وينظر: معالم التنزيل: 3/ 78، والكشاف: 2/ 603، والمحرر الوجيز: 3/ 390، وزاد المسير: 2/ 558، ومفاتيح الغيب: 20/ 203، وأنوار التنزيل: 3/ 225، ومدارك التنزيل: 2/ 211، والجامع لأحكام القرآن: 10/ 101، واللباب في علوم الكتاب: 17/ 363، ومحاسن التأويل: 6/ 366، والتحرير والتنوير: 14/ 144.

2 ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 10/ 101.

3 التحرير والتنوير: 14/ 144.

4 جامع البيان: 21/ 341. وينظر: معالم التنزيل: 4/ 102، وزاد المسير: 4/ 27، ومفاتيح الغيب: 27/ 480، والتحرير والتنوير: 24/ 72.

5 المحرر الوجيز 4/ 543، وينظر: التحرير والتنوير: 24/ 72.

شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5))[القدر1-5]، فقد ذكر المفسرون في معنى (سلام) هنا أنها مُسَلَّمَة من الشرِّ كله، أو أنها خيرٌ كلها، أو أنها لا يحدث فيها أمر [1]، أو لا داء فيها ولا يستطيع الشيطانُ أن يعمل فيها شيئًا، ولا يجوز فيها السحر؛ فالسلام في هذه المعاني ليس بمعنى التحية. في حين جعله بعض المفسرين بمعنى التحية، فقيل إنَّ ((السلام في ليلة القدر سلام الملائكة بعضهم على بعض، وقيل: نزولهم بالسلامة والخير والبركة، وقيل: سلام هي من الشر، وهو قول قتادة)) [2]. كما قيل إنَّه: سَلَامٌ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَهْلِ طاعته، أو هو تَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَى أَهْلِ الْمَسَاجِدِ مِنْ حين تَغِيبُ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الفجر [3]. وذكر الفخر الرازي سبعة وجوه للسلام في هذه الآية المباركة أحدها بمعنى التحية، قال:((وُصِفَتِ اللَّيْلَةُ بِأَنَّهَا سَلَامٌ، ثُمَّ يَجِبُ أَنْ لَا يُسْتَحْقَرَ هَذَا السَّلَامُ لِأَنَّ سَبْعَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ سَلَّمُوا عَلَى الْخَلِيلِ فِي قِصَّةِ الْعِجْلِ الْحَنِيذِ، فَازْدَادَ فَرَحُهُ بِذَلِكَ عَلَى فَرَحِهِ بِمُلْكِ الدُّنْيَا، بَلِ الْخَلِيلُ لَمَّا سَلَّمَ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِ صَارَ نَارُ نُمْرُودَ عَلَيْهِ بردا وسلاما أَفَلَا تَصِيرُ نَارُهُ تَعَالَى بِبَرَكَةِ تَسْلِيمِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْنَا بَرْدًا وَسَلَامًا لَكِنَّ ضِيَافَةَ الْخَلِيلِ لَهُمْ كَانَتْ عِجْلًا مَشْوِيًّا وَهُمْ يُرِيدُونَ مِنَّا قَلْبًا مَشْوِيًّا، بَلْ فِيهِ دَقِيقَةٌ، وَهِيَ إِظْهَارُ فَضْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِنَّ هُنَاكَ الْمَلَائِكَةَ، نَزَلُوا عَلَى الخليل، وهاهنا نَزَلُوا عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) [4]. وبحث القاسمي في علة الإخبار بالمصدر(سلام) عن المبتدأ (هي) في الآية دون غيره من الأبنية الصرفية؛ قال:((والإخبار عنها بالسلام نفسه- وهو الأمن

1 ينظر: معاني القرآن للأخفش: 2/ 581، وجامع البيان: 24/ 535، ومعاني القرآن وإعرابه: 5/ 348، وإعراب القرآن للنحاس: 5/ 166- 167، وزاد المسير: 4/ 473، وأنوار التنزيل: 5/ 327، ومدارك التنزيل: 3/ 666، والجامع لأحكام القرآن: 20/ 134، والبحر المحيط: 10/ 515، ومحاسن التأويل: 9/ 517، والتحرير والتنوير: 30/ 465.

2 النكت في القرآن الكريم: 565.

3 ينظر: معالم التنزيل: 5/ 289، والمحرر الوجيز: 5/ 505.

4 مفاتيح الغيب: 32/ 236.

والسلامة- للمبالغة في أنه لا يشوبها كدر، بل فرَّج الله فيها عن نبيه كل كربة، وفتَح له فيها سُبُلَ الهداية، فأنالَهُ بذلك ما كان يتطلَّعُ إليها)) [1]. وجعل الطاهر بن عاشور السلام هنا جامعا للمعنيين؛ السلام بمعنى السلامة والخير وبمعنى التحية، قال:((وَفُسِّرَ السَّلَامُ بِالْخَيْرِ، وَالْمَعْنَيَانِ حَاصِلَانِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَالسَّلَامَةُ تَشْمَلُ كُلَّ خَيْرٍ لِأَنَّ الْخَيْرَ سَلَامَةٌ مِنَ الشَّرِّ وَمِنَ الْأَذَى، فَيَشْمَلُ السَّلَامُ الْغُفْرَانَ وَإِجْزَالَ الثَّوَابِ وَاسْتِجَابَةَ الدُّعَاءِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَالسَّلَامُ بِمَعْنَى التَّحِيَّةِ وَالْقَوْلِ الْحَسَنِ مُرَادٌ بِهِ ثَنَاءُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى أَهْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ كَدَأْبِهِمْ مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا حَكَاهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:(وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) [الرَّعْد 23، 24])) [2]. وقد عالج الشيخ الطاهر البنية الصرفية والنحوية للآية الكريمة مُبَيِّنًا ما فيها من دلالات بلاغية منها دلالة التنكير على التعظيم، ودلالة الإخبار بالمصدر على المبالغة والتفخيم، ودلالة تقديم الخبر على الاختصاص والقصر، قال:((وَتَنْكِيرُ سَلامٌ لِلتَّعْظِيمِ. وَأَخْبَرَ عَنِ اللَّيْلَةِ بِأَنَّهَا سَلَامٌ لِلْمُبَالِغَةِ لِأَنَّهُ إِخْبَارٌ بِالْمَصْدَرِ. وَتَقْدِيمُ الْمُسْنَدِ وَهُوَ سَلامٌ عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ لِإِفَادَةِ الِاخْتِصَاصِ، أَيْ مَا هِيَ إِلَّا سَلَامٌ. وَالْقَصْرُ ادِّعَائِيٌّ لِعَدَمِ الِاعْتِدَادِ بِمَا يَحْصُلُ فِيهَا لِغَيْرِ الصَّائِمِينَ الْقَائِمِينَ، ثُمَّ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سَلامٌ هِيَ مُرَادًا بِهِ الْإِخْبَارُ فَقَطْ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْمَصْدَرِ الْأَمْرُ، وَالتَّقْدِيرُ: سَلِمُوا سَلَامًا، فَالْمَصْدَرُ بَدَلٌ مِنَ الْفِعْلِ وَعَدَلَ عَنْ نَصْبِهِ إِلَى الرَّفْعِ لِيُفِيدَ ،...، وَالْمَعْنَى: اجْعَلُوهَا سَلَامًا بَيْنَكُمْ، أَيْ لَا نِزَاعَ وَلَا خِصَامَ)) [3].

د. سلام العباد بعضهم على بعض: ورد السلام على العباد من العباد في مواضع من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ

---

1 محاسن التأويل: 9/ 518.

2 التحرير والتنوير: 30/ 465.

3 نفسه: 30/ 465.

كَافِرُونَ (45) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (46) [الأعراف44-46]). فالسلام هنا صادر ممن يقف على الأعراف وموجه لأهل الجنة، وفي ندائهم استغاثة وأمل في دخولها كما دخلها أصحاب الجنة، قال الطبري:((وعلى الأعراف رجال يعرفون أهل الجنة بسيماهم، وذلك بياض وجوههم، ونضرةُ النعيم عليها ويعرفون أهل النار كذلك بسيماهم، وذلك سواد وجوههم، وزرقة أعينهم، فإذا رأوا أهل الجنة نادوهم:سلام عليكم)) [1]. وذكر القرطبي في معنى السلام هنا انه يحتمل ان يكون تحية، ويحتمل ان يكون من السلامة، قال:((أَيْ نَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ. أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَيْ قَالُوا لَهُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى سَلِمْتُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ)) [2]. واحتمل أبو السعود أن يكون من باب التحية وان يكون من باب الإخبار بنجاتهم من المكاره، وهو ما عبر عنه القرطبي بالسلام من العقوبة، قال:((وَنَادَوْاْ، أي رجالُ الأعراف أصحاب الجنة حين رأوهم أن سلام عَلَيْكُمْ بطريق الدعاءِ والتحية أو بطريق الإخبار بنجاتهم من المكاره)) [3]. واستنتج الطاهر بن عاشور من هذا النداء المتضمن للسلام أن أصحاب الأعراف يدخلون الجنة أيضا، قال:((وَنِدَاؤُهُمْ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِالسَّلَامِ يُؤْذِنُ بِأَنَّهُمْ فِي اتِّصَالٍ بَعِيدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ أَمَارَةً لَهُمْ بِحُسْنِ عَاقِبَتِهِمْ تَرْتَاحُ لَهَا نُفُوسُهُمْ. وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى الْجَنَّةِ...، وسَلامٌ عَلَيْكُمْ دُعَاءُ تَحِيَّةٍ وَإِكْرَامٍ)) [4].

ومما يدخل تحت هذا الصنف من السلام ما ورد في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ

---

1 جامع البيان: 12/ 461. وينظر: مفاتيح الغيب: 14/ 250، وأنوار التنزيل: 3/ 14، ومدارك التنزيل: 1/ 570، والبحر المحيط: 5/ 57.

2 الجامع لأحكام القرآن: 7/ 213.

3 إرشاد العقل السليم: 3/ 230.

4 التحرير والتنوير: 8-ب/ 143.

(9) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (10)[يونس9-10])، والسلام هنا أيضا يحتمل معنيين احدهما التحية والآخر ان الله يحييهم فيه الجنة بالسلام، قال الزجاج:((معنى (دعواهم) دعاؤهم، يعني إن دعاء أهلِ الجنة تنزيه الله وتعظيمه. (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) . جائز أن يكون ما يُحَيّي به بعضهم بعضاً سلام، وجائز أن يكون اللَّه يحييهم منها بالسلام)) [1]. وجعل الزمخشري هذا السلام بمعنى ان المؤمنين في الجنة يحيي بعضهم بعضا، أو أن الملائكة تحييهم بها، قال:((ومعنى وَتَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ أنّ بعضهم يحيى بعضا بالسلام. وقيل: هي تحية الملائكة إياهم، إضافة للمصدر إلى المفعول. وقيل: تحية الله لهم)) [2]. وجمع ابن الجوزي في معنى السلام ثلاثة أقوال،((أحدها: أنها تحية بعضهم لبعض وتحيَّة الملائكة لهم، قاله ابن عباس. والثاني: أن الله تعالى يُحَيِّيهم بالسلام. والثالث: أن التحية: المُلْك، فالمعنى: مُلكهم فيها سالم)) [3]. واستنبط الرازي دلالة جديدة من قوله : تحيتهم فيها سلام، وهو استنباط ناتج من الموازنة بين الحياة الدنيا والآخرة، فيرى أن الحياة الآخرة هي حياة سلام على خلاف الحياة الدنيا فلذلك يواظبون على ذكره وترديدها، قال:((وَعِنْدِي فِيهِ وَجْهٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنَّ مُوَاظَبَتَهُمْ عَلَى ذِكْرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، مُشْعِرَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا فِي مَنْزِلِ الْآفَاتِ وَفِي مَعْرِضِ الْمَخَافَاتِ، فَإِذَا أُخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَوَصَلُوا إِلَى كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ صَارُوا سَالِمِينَ مِنَ الْآفَاتِ، آمِنِينَ مِنَ الْمَخَافَاتِ وَالنُّقْصَانَاتِ وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ:(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا

---

1 معاني القرآن وإعرابه: 3/ 8. وينظر: جامع البيان: 15/ 30، والتفسير الوسيط: 2/ 540، ومعاني القرآن للنحاس: 3/ 279، ومعالم التنزيل: 2/ 412، والمحرر الوجيز: 3/ 108، ومفاتيح الغيب: 17/ 216، وأنوار التنزيل: 3/ 106، ومدارك التنزيل: 2/ 9، والجامع: لأحكام القرآن: 8/ 313، واللباب في علوم الكتاب: 11/ 378، ومعترك الأقران: 2/ 130، ومحاسن التأويل: 6/ 8.

2 الكشاف: 2/ 331.

3 زاد المسير: 2/ 318.

الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ) [فَاطِرٍ: 34، 35])) [1].

وقريب منه ما ورد من السلام في قوله تعالى: (وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (23) [إبراهيم22– 24])، فتحية أهل الجنة سلام، وقد عالج الزمخشري بناء الآية نحويا، فذهب إلى ان الجار والمجرور يتعلقان بالجملة الاسمية التي بعدها والتقدير: تحيتهم فيها سلام بإذن ربهم، وفي هذا التوجيه التفاتة جميلة، مفادها أن سلام الملائكة عليهم بإذن ربهم وفي هذا دلالة على التفخيم والعناية والاهتمام، قال :((قلت: الوجه في هذه القراءة أن يتعلق قوله: بِإِذْنِ رَبِّهِمْ بما بعده، أي تَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ بإذن ربهم، يعنى: أن الملائكة يحيونهم بإذن ربهم)) [2]. ونقل الالوسي معنى التحية ومعنى السلامة من الآفات، قال:((السَّلامِ بمعنى السلامة أي دار السلامة من الآفات والبلايا وسائر المكاره التي يلقاها أهل النار. وقيل: هو بمعنى التسليم أي دار تحيتهم فيها سلام عِنْدَ رَبِّهِمْ أي في ضمانه وتكفله التفضلي أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنه ذلك غيره)) [3].

ومما يندرج تحت هذا الباب قوله تعالى: (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (54) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (55) إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56))[القصص54–56]، فُسّر السلام هنا بالأمنة، قال الطبري:((أمنة لكم منا أن نُسابّكم،

1 مفاتيح الغيب: 17/ 217.

2 الكشاف: 2/ 552. وينظر: المحرر الوجيز: 3/ 334، وأنوار التنزيل: 3/ 198، ومدارك التنزيل: 2/ 171، والبحر المحيط: 6/ 430، واللباب في علوم الكتاب: 11/ 378، وإرشاد العقل السليم: 2/ 211.

3 روح المعاني: 4/ 267.

أو تسمعوا منا ما لا تحبون))[1]. وهذا ما وضحه الزجاج بقوله:((ليس يريدون بقولهم ههنا سلام عليكم التحيَّة. المعنى فيه أعرضوا عنه وقالوا سلام عليكم، أي بيننا وبينكم المتاركةُ والتسلمُ. وهذا قبل أن يؤمَرَ المُسْلِمُون بالقِتَال))[2].

ومما ورد فيه السلام قوله تعالى: (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (44) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46))[الأحزاب44-46]. وقد استند الطبري إلى هذه الآية للاستدلال على أن تحية أهل الجنة السلام وان اختيارها جاء لان السلام من الأمن، قال :((يقول جل ثناؤه: تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيامة في الجنة سلام، يقول بعضهم لبعض: أمنة لنا ولكم بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذبنا بالنار أبدا))[3]. وقد أورد الزمخشري أن غاية هذا السلام تعظيم أهل الجنة من الله، قال:((أي: يحيون يوم لقائه بسلام، فيجوز أن يعظمهم الله بسلامه عليهم، كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم، وأن يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا. وقيل: هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة. وقيل: سلام الملائكة عند الخروج من القبور. وقيل: عند دخول الجنة))[4]. وعلل الرازي سبب ذكر السلام في تلك الحال، ورأى انه مناسب لحالهم هناك لأنه دليل الخيرات، قال :((تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ لَمَّا بَيَّنَ اللَّهُ عِنَايَتَهُ فِي الْأُولَى بَيَّنَ عِنَايَتَهُ فِي

1 جامع البيان: 19/ 598.

2 معاني القرآن وإعرابه: 4/ 149، والكشاف: 3/ 21،و3/ 27، وزاد المسير: 3/ 388، ومفاتيح الغيب: 24/ 608، وأنوار التنزيل: 4/ 181، ومدارك التنزيل: 2/ 649، والجامع لأحكام القرآن: 13/ 299، واللباب في علوم الكتاب: 13/ 79.

3 جامع البيان: 20/ 280. وينظر: معاني القرآن وإعرابه: 4/ 231، ومعاني القرآن للنحاس: 5/ 357، والتفسير الوسيط: 3/ 476، وتفسير الراغب الأصفهاني: 1/ 373، وزاد المسير: 3/ 471، وأنوار التنزيل: 4/ 234، واللباب في علوم الكتاب: 15/ 561، وإرشاد العقل السليم: 7/ 107، وروح المعاني: 11/ 222، ومحاسن التأويل: 8/ 91، وفي ظلال القرآن: 5/ 2872.

4 الكشاف: 3/ 546. وينظر: المحرر الوجيز: 4/ 389.

الْآخِرَةِ وَذَكَرَ السَّلَامَ لِأَنَّهُ هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرَاتِ فَإِنَّ مَنْ لَقِيَ غَيْرَهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ دَلَّ عَلَى الْمُصَافَاةِ بَيْنَهُمَا وَإِنْ لَمْ يُسَلِّمْ دَلَّ عَلَى الْمُنَافَاةِ وَقَوْلُهُ: يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ أَيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي دُنْيَاهُ غَيْرُ مُقْبِلٍ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى اللَّهِ وَكَيْفَ وَهُوَ حَالَةَ نَوْمِهِ غَافِلٌ عَنْهُ وَفِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ مَشْغُولٌ بِتَحْصِيلِ رِزْقِهِ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَلَا شُغْلَ لِأَحَدٍ يُلْهِيهِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَهُوَ حَقِيقَةُ اللِّقَاءِ،.....، وَقَوْلُهُ: تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ مُنَاسِبٌ لِحَالِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَمَّا ذَكَرُوا اللَّهَ فِي دُنْيَاهُمْ حَصَلَ لَهُمْ مَعْرِفَةٌ وَلَمَّا سَبَّحُوهُ تَأَكَّدَتِ الْمَعْرِفَةُ حَيْثُ عَرَفُوهُ كَمَا يَنْبَغِي بِصِفَاتِ الْجَلَالِ وَنُعُوتِ الْكَمَالِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ حَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ))[1]. وبيّن النسفي أن السلام هنا من تحية الله تعالى للمؤمنين، لانّ المصدر تحية أضيف هنا إلى المفعول أي تحية الله لهم سلام[2]. وربط الطاهر بن عاشور بين المكان والتحية من اجل وضع منزلة التحية في موضعها من الصورة التي ترسمها الآيات الكريمة لذلك اليوم المشهود، قال:((كَانَتْ تَحِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ السَّلَامَ بِشَارَةً بِالسَّلَامَةِ مِمَّا يُشَاهِدُهُ النَّاسُ مِنَ الْأَهْوَالِ الْمُنْتَظَرَةِ. وَكَذَلِكَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ تَلَذُّذًا بِاسْمِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ السَّلَامَةِ مِنْ أَهْوَالِ أَهْلِ النَّارِ، ،....، وَإِضَافَةُ التَّحِيَّةِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِضَافَةِ اسْمِ الْمَصْدَرِ إِلَى مَفْعُولِهِ، أَيْ تَحِيَّةٌ يُحَيَّوْنَ بِهَا))[3].

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً (74) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَسَلاماً (75) خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً (76)﴾ [الفرقان74-76]، فقد فرّق الزمخشري بين التحية والسلام هنا تفريقا دقيقا مستنبطا من الأصل اللغوي لكلٍّ منهما، فجعل التحية دعاء بالتعمير في تفسيرها:((والتحية: دعاء بالتعمير. والسلام: دعاء بالسلامة، يعنى أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم. أو يحيى بعضهم بعضا

1 مفاتيح الغيب: 25/ 172-173. وينظر: الجامع لأحكام القرآن: 14/ 199.

2 مدارك التنزيل: 3/ 35.

3 التحرير والتنوير: 22/ 51.

ويسلم عليه أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة عن كل آفة)) [1]. وقد أفاد الرازي مما كلام الزمخشري السابق، ووظفه توظيفا لطيفا ارجع فيه التعبير بان أصحاب الجنة يلقون تحية وسلاما إلى أن معنى التحية الدعاء بالتعمير وهذا يناسب أن الجنة نعيم دائم غير منقطع والى معنى السلام من السلامة والصحة وهذا يناسب سياق الثناء والإثابة لان الجنة نعيم خالص من الشوائب، قال:((وَالتَّحِيَّةُ الدُّعَاءُ بِالتَّعْمِيرِ وَالسَّلَامُ الدُّعَاءُ بِالسَّلَامَةِ، فَيَرْجِعُ حَاصِلُ التَّحِيَّةِ إِلَى كَوْنِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ بَاقِيًا غَيْرَ مُنْقَطِعٍ، وَيَرْجِعُ السَّلَامُ إِلَى كَوْنِ ذَلِكَ النَّعِيمِ خَالِصًا عَنْ شَوَائِبِ الضَّرَرِ، ثُمَّ هَذِهِ التَّحِيَّةُ وَالسَّلَامُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ،...، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ،...، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ)) [2]. وقد عالج الطاهر بن عاشور الدلالات البلاغية التي تضمنها التعبير في قوله تعالى :يلقون فيها تحية وسلاما، قال:((وَقَدِ اسْتُعِيرَ اللُّقِيُّ لِسَمَاعِ التَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ، أَيْ أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ ذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى بَأْسٍ أَوْ يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ بَأْسٌ بَلْ هُمْ مُصَادِفُونَ تَحِيَّةَ إِكْرَامٍ وَثَنَاءٍ مِثْلَ تَحِيَّاتِ الْعُظَمَاءِ وَالْمُلُوكِ الَّتِي يُرَتِّلُهَا الشُّعَرَاءُ وَالْمُنْشِدُونَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِطْلَاقُ اللُّقِيِّ لِسَمَاعِ أَلْفَاظِ التَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ لِأَجْلِ الْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ التَّحِيَّةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَلْقَوْنَهُمْ بِهَا، فَهُوَ مَجَازٌ بِالْحَذْفِ قَالَ تَعَالَى:(وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ 103)) [3].

ومنه السلام على من اتبع الهدى في قوله تعالى: (اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي (42) اذهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى (43) فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ

1 الكشاف: 3/ 297. وينظر: جامع البيان: 19/ 321، ومعالم التنزيل: 3/ 460، والمحرر الوجيز: 4/ 223، وزاد المسير: 3/ 332، وانوار التنزيل: 4/ 132، ومدارك التنزيل: 2/ 552، والجامع لأحكام القرآن: 13/ 84، والبحر المحيط: 8/ 487، وروح المعاني: 10/ 53، ومحاسن التاويل: 7/ 446، وتفسير الشعراوي: 17/ 10527.

2 مفاتيح الغيب: 24/ 488.

3 التحرير والتنوير: 19/ 85.

يَخْشى (44)قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطْغى (45) قالَ لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى (46) فَأْتِياهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنا أَنَّ الْعَذابَ عَلى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48))[طه42-48]،التي تحتمل من ظاهر لفظها التحية والسلامة، ودليل ذلك أن الفراء فسّر السلام هنا بمعنى السلامة، قال:((يريد: والسلامة عَلَى من اتَّبع الهدى)) [1]. واستدل الزجاج على أن السلام هنا ليس بمعنى التحية بأنه لم يأت ابتداء وإنما جاء ضمنًا، قال:((ليس يعنى به التحية، وإنما معناه أن من اتبع الهدى سلم من عذاب اللّه وسخطه والدليل على أنه ليس بسلام أنه ليس ابتداء لقاء وخطاب)) [2]. في حين ذهب ابن عطية إلى أنها تحتمل معنى التحية، قال:((وقوله عليه السلام مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى يحتمل أن يكون آخر كلام وفصله فيقوى أن يكون السلام بمعنى التحية كأنهما رغبا بها عنه وجريا على العرف في التسليم عند الفراغ من القول فسلما على متبع الهدى وفي هذا توبيخ له، وعلى هذه الجهة استعمل الناس هذه الآية في مخاطبتهم ومحاوراتهم ويحتمل أن يكون في درج القول متصلا بقوله إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنا فيقوى على هذا أن يكون خبرًا بأن السلامة للمهتدين، وهذان المعنيان قالت كل واحد منهما فرقة، لكن دون هذا التلخيص، وقالوا السَّلامُ بمعنى السلامة وعلى بمعنى اللام أي: (السلام ل مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى) ولما فرغا من المقالة التي أمر بها عن قوله وَتَوَلَّى خاطبهما)) [3]. وتبنى الطاهر بن عاشور انه بمعنى السلامة لأنه موجها إلى شخص

---

1 معاني القرآن للفراء: 2/ 180. وينظر: جامع البيان: 18/ 315.

2 معاني القرآن وإعرابه: 3/ 358، وينظر: التفسير الوسيط: 3/ 209، ومعالم التنزيل: 3/ 263، وزاد المسير: 3/ 161، ومفاتيح الغيب: 22/ 55، ومدارك التنزيل: 2/ 367، والجامع لأحكام القرآن: 11/ 203، والبحر المحيط: 7/ 339، والدر المصون: 8/ 45، واللباب في علوم الكتاب: 13/ 260، وروح المعاني: 8/ 512.

3 المحرر الوجيز: 4/ 46. وينظر: أنوار التنزيل: 4/ 29، والبحر المحيط: 7/ 339، واللباب في علوم الكتاب: 13/ 260، وتفسير الشعراوي: 15/ 9283.

مقصود بالتحية، قال:((وَالسَّلَامُ: السَّلَامَةُ وَالْإِكْرَامُ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ هُنَا التَّحِيَّةُ، إِذْ لَيْسَ ثَمَّ مُعَيَّنٌ يُقْصَدُ بِالتَّحِيَّةِ. وَلَا يُرَادُ تَحِيَّةُ فِرْعَوْنَ لِأَنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي ابْتِدَاءِ الْمُوَاجَهَةِ لَا فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ،...، وَ (عَلَى) لِلتَّمَكُّنِ، أَيْ سَلَامَةُ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ثَابِتَةٌ لَهُمْ دُونَ رَيْبٍ)) [1].

وجاء السلام على لسان عباد الرحمن في ردهم على ما يخاطبهم به الجاهلون في قوله تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63)) [الفرقان63]، وتفسيره أن المؤمنين قوم ذُلُلٌ، ذلّت منهم لله الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مرضى، وهم أصحاء القلوب، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا، أي قالوا: سدادا [2].ورأى الرازي أنّ السلام أقيم هنا مقام التسليم، وقد وجد في قولهم: (قالوا سلاما) دلالات عدة محتملة، منها ان يكون مرادهم طلب السلامة أو التنبيه على سوء خلقهم، أو أراد الموازنة بين الحالين، قال:((مَعْنَاهُ لَا نُجَاهِلُكُمْ وَلَا خَيْرَ بَيْنَنَا وَلَا شَرَّ أَيْ نُسَلِّمُ مِنْكُمْ تَسْلِيمًا، فَأُقِيمَ السَّلَامُ مَقَامَ التَّسْلِيمِ، ثُمَّ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُمْ طَلَبَ السَّلَامَةِ وَالسُّكُوتِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ التَّنْبِيهَ عَلَى سُوءِ طَرِيقَتِهِمْ لِكَيْ يَمْتَنِعُوا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُمُ الْعُدُولَ عَنْ طَرِيقِ الْمُعَامَلَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ إِظْهَارَ الْحِلْمِ فِي مُقَابَلَةِ الْجَهْلِ)) [3]. وحمل القاسمي السلام في الآية على أنه تحية يستعملها عباد الله المتواضعين في الردّ على الجهّال لأنها من لطيف الكلام، قال :((أي إذا خاطبهم السفهاء بالقول السيئ لم يقابلوهم بمثله، بل قالوا كلاما فيه سلام من الإيذاء والإثم. سواء كان بصيغة السلام كقولهم

---

1 التحرير والتنوير: 16/ 23 ، وينظر: تفسير الشعراوي: 15/ 9283.

2 ينظر: جامع البيان: 19/ 295، ومعاني القرآن وإعرابه: 4/ 74، ومعاني القرآن للنحاس: 5/ 46، والتفسير الوسيط: 3/ 345، والنكت في القرآن الكريم: 364، ومعالم التنزيل: 3/ 455، والكشاف: 3/ 291، والمحرر الوجيز: 4/ 218، وأنوار التنزيل: 4/ 130، ومدارك التنزيل: 2/ 548، والجامع لأحكام القرآن: 13/ 69، والبحر المحيط: 8/ 127، واللباب في علوم الكتاب: 14/ 564، وبصائر ذوي التمييز: 3/ 253.

3 مفاتيح الغيب: 24/ 481.

(سلام عليكم) ، أو غيرها مما فيه لطف في القول أو عفو أو صفح. كظم للغيظ)) [1].

وأفاد الطاهر بن عاشور مما يتيحه السياق من دلالات فأجاز ان يكون سلام تحية أو بمعنى السلامة، وبيَّن معنى الآية في الحالين وما تؤدي إليه من معان؛ يتسع معها فضاء النص الكريم من غير قسر أو إقحام، قال:((والسَّلَامُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا بِمَعْنَى السَّلَامَةِ، أَيْ لَا خَيْرَ بَيْنَنَا وَلَا شَرَّ فَنَحْنُ مُسَلَّمُونَ مِنْكُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ لَفْظُ التَّحِيَّةِ فَيَكُونَ مُسْتَعْمَلًا فِي لَازِمِهِ وَهُوَ الْمُتَارَكَةُ لِأَنَّ أَصْلَ اسْتِعْمَالِ لَفْظِ السَّلَامِ فِي التَّحِيَّةِ أَنَّهُ يُؤْذِنُ بِالتَّأْمِينِ، أي عدم الإهاجة، وَالتَّأْمِينُ: أَوَّلُ مَا يَلْقَى بِهِ الْمَرْءُ مَنْ يُرِيدُ إِكْرَامَهُ، فَتَكُونُ الْآيَةُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ (وَإِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقالُوا لَنا أَعْمالُنا وَلَكُمْ أَعْمالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجاهِلِينَ) [الْقَصَص55])) [2].

وقد وقع السلام مستثنى من اللغو في قوله تعالى: (جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (61) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (62))[مريم61-62] ، وقد وجّه الفراء استثناء السلام من اللغو، هنا، على أنّه من الاستثناء المنقطع، ونصبه على البدلية من المبدل منه، قال: ((فهذا كالاستثناء الذي ليس من أول الكلام. وهذا على البدل إن شئت كأنه "لا يَسْمَعُونَ فيهَا إلاّ سَلاَماً")) [3]. ورأى الزجاج ان معنى الاستثناء في الآية الكريمة أنهم لا يسمعون إلا السلام،قال :((اللغو ما يلغى من الكلام ويؤثم فيه، و (سلاماً) اسم جامع للخير مُتَضَمِّنٌ للسلامة، فالمعنى أن أهل الجنة لا يسمعون إلا ما يُسَلِّمُهُمْ)) [4]. في حين ذكر البغوي معاني للسلام ، قال:((وَالسَّلَامُ اسْمٌ جَامِعٌ لِلْخَيْرِ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ السَّلَامَةَ، مَعْنَاهُ أَنَّ

---

1 محاسن التأويل: 7/ 436.

2 التحرير والتنوير: 19/ 69.

3 معاني القرآن للأخفش: 2/ 439. وينظر: جامع البيان: 7/ 115.

4 معاني القرآن وإعرابه: 3/ 337، وينظر: معاني القرآن للنحاس: 4/ 342، والتفسير الوسيط: 3/ 189، ومعالم التنزيل: 3/ 240، وزاد المسير: 3/ 139، والجامع لأحكام القرآن: 11/ 126.

أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا يَسْمَعُونَ مَا يُؤَثِّمُهُمْ، إِنَّمَا يَسْمَعُونَ مَا يُسَلِّمُهُمْ. وَقِيلَ: هُوَ تَسْلِيمُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَتَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ. وَقِيلَ: هُوَ تَسْلِيمُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)) [1]. واحتمل الزمخشري للاستثناء السلام من اللغو احتمالات دلالية يقبلها التركيب ولا يوجد دليل على رفض بعضها، قال:((اللغو: فضول الكلام وما لا طائل تحته. ،...، أي: إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوا، فلا يسمعون لغوا إلا ذلك،...، أو لا يسمعون فيها إلا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة، على الاستثناء المنقطع. أو لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة. ودار السلام: هي دار السلامة، وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء، فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث، لولا ما فيه من فائدة الإكرام)) [2]. وبيّن الزركشي، وتابعه الالوسي، أن الغرض من هذا الاستثناء هو التوكيد [3]. ورجح الشيخ محمد رشيد رضا ان المراد بالسلام في الآية سلام أهل الجنة بعضهم على بعض، قال:((فَإِنَّ اللَّغْوَ وَالتَّأْثِيمَ مِنْ شَأْنِ كَلَامِ الْبَشَرِ، فَلَمَّا نَفَى وُقُوعَهُمَا مِنْهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَاسْتَدْرَكَ عَلَى نَفْيِهِ بِاسْتِثْنَاءِ كَلِمَةِ سَلَامٍ مُنْقَطِعًا، تَرَجَّحَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ سَلَامَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ أَوْ عَامًّا يَشْمَلُهُ)) [4]. وقرأ الطاهر بن عاشور في هذا الاستثناء استعمالا مجازيا لتوكيد الشيء بضده أو ما يشبهه، قال: ((وَاللَّغْوُ: فُضُولُ الْكَلَامِ وَمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ. وَإِنْفَاؤُهُ كِنَايَةٌ عَنِ انْتِفَاءِ أَقَلِّ الْمُكَدِّرَاتِ فِي الْجَنَّةِ، ... ، وَكِنَايَةٌ عَنْ جَعْلِ مُجَازَاةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ بِضِدِّ

---

1 معالم التنزيل: 3/ 241.

2 الكشاف: 3/ 27. وينظر: مفاتيح الغيب: 21/ 553، وأنوار التنزيل: 4/ 15، ومدارك التنزيل: 2/ 344، والبحر المحيط: 7/ 280، والبرهان في علوم القرآن: 3/ 48، وإرشاد العقل السليم: 8/ 192، ومحاسن التأويل: 7/ 106.

3 البرهان في علوم القرآن: 3/ 48، وروح المعاني: 14/ 139.

4 تفسير المنار: 11/ 253، وينظر: في ظلال القرآن: 4/ 2315.

مَا كَانُوا يُلَاقُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَلَغْوِهِمْ. وَقَوْلُهُ إِلَّا سَلاماً اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ وَهُوَ مَجَازٌ مِنْ تَأْكِيدِ الشَّيْءِ بِمَا يُشْبِهُ ضِدَّهُ ،...، أَيْ لَكِنْ تَسْمَعُونَ سَلَامًا)) [1].

وورد السلام مستثنى من اللغو والتأثيم في موضع آخر أيضا في قوله تعالى: (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (25) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (26)) [الواقعة24-26]، ولكن التركيب الذي جاء فيه السلام هنا يختلف عن تركيب الآية السابقة، وقد انفتح هذا البناء النحوي عند الزجاج إلى دلالتين نحويتين؛ الأولى: ان يكون السلام هنا نعتا للقيل السابق، والثانية: ان يكون السلام مفعولا مطلق، قال: ((لا يسمعون إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا، مَنصوبٌ من جهتين إحداهما أن يكون من نعت لـ (قِيلًا) ، فيكون المعنى لا يَسْمَعون إلا قيلاً يسلم فيه من اللغو والإثم. والوجه الثاني أن يكونَ (سَلاَماً) منصوباً على المصدر، فيكون المعنى لا يسمعون فيها إلا أن يَقولَ بعضهُم لبعض سَلَامًا سَلَامًا. ودليل هذا قوله تعالى: (تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ))) [2]. وزاد الرازي عليه وجها نحويًا آخر مما ينبني عليه معنى جديد، فذكر فِي توجيهه ثَلَاثَة أَوْجُهٍ فِي الْمَسْأَلَة السَّادِسَة التي خصصها لتوجيه لفظ (سَلَامًا) في الآية؛ ((أَحَدُهَا: أَنَّهُ صِفَةٌ وَصَفَ اللَّه تَعَالَى بِهَا قِيلًا كَمَا يُوصَفُ الشَّيْءُ بِالْمَصْدَرِ حَيْثُ يُقَالُ: رَجُلٌ عَدْلٌ، وَقَوْمٌ صَوْمٌ، وَمَعْنَاهُ إِلَّا قِيلًا سَالِمًا عَنِ الْعُيُوبِ، وَثَانِيهَا: هُوَ مَصْدَرٌ تَقْدِيرُهُ، إِلَّا أَنْ يَقُولُوا سَلَامًا وَثَالِثُهَا: هُوَ بَدَلٌ مِنْ قِيلًا، تَقْدِيرُهُ: إِلَّا سَلَامًا)) [3]. وعالج أمرا لطيفا في بناء الآية الكريمة أيضا؛ وهو تكرار السلام فيها، وهو ما اختلفت به هذه الآية عن سابقتها، وقد خصص الْمَسْأَلَة السَّابِعَة لبيان دلالة تَكْرِيره، وهي أنَّ فِي هذا التكرير((إِشَارَة إِلَى تَمَامِ النِّعْمَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ أَثَرَ السَّلَامِ فِي الدُّنْيَا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالتَّسْلِيمِ وَرَدِّ السَّلَامِ، فَكَمَا أَنَّ أَحَدَ الْمُتَلَاقِيَيْنِ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ لِلْآخَرِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ، فَيَقُولُ الْآخَرُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، فَكَذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ

1 التحرير والتنوير: 16/ 138.

2 معاني القرآن وإعرابه: 5/ 112.

3 مفاتيح الغيب: 29/ 403.

يَقُولُونَ:(سَلاماً سلاماً ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا قَالَ: سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ[يس: 58]) لَمْ يَكُنْ لَهُ رَدٌّ لِأَنَّ تَسْلِيمَ اللَّه عَلَى عَبْدِهِ مُؤَمِّنٌ لَهُ، فَأَمَّا اللَّه تَعَالَى فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يُؤَمِّنَهُ أَحَدٌ، بَلِ الرَّدُّ إِنْ كَانَ فَهُوَ قَوْلُ الْمُؤَمَّنِ: سَلَامٌ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّه الصَّالِحِينَ)) [1]. ثم وازن الرازي في الْمَسْأَلَة الثَّامِنَة بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى:(سَلاماً سلاماً) بِنَصْبِهِمَا، وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى:(قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ [هود: 69])، فبيّن ((أَنَّ قَوْلَهُ: سَلامٌ عَلَيْكَ أَتَمُّ وَأَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِمْ سَلَامًا عَلَيْكَ، فَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِالذِّكْرِ وَيُجِيبَهُمْ بِأَحْسَنَ مَا حَيَّوْا، وَأَمَّا هُنَا فَلَا يَتَفَضَّلُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى الْآخَرِ مِثْلَ التَّفَضُّلِ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ إِذْ هُمْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَلَا يَنْسُبُ أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ تَقْصِيرًا)) [2]. وعالج سبب مجيء سلام هنا بحالة النصب في حين أنّ الابلغ في السلام أنْ يكون مرفوعا، فارجع ذلك إلى الاختلاف بينهما من حيث اللفظ والمعنى، ((أَمَّا اللَّفْظُ فَلِأَنَّهُ يُسْتَثْنَى مِنَ الْمَسْمُوعِ وَهُوَ مَفْعُولٌ مَنْصُوبٌ، فَالنَّصْبُ بِقَوْلِهِ: لَا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَأَمَّا الْمَعْنَى فَلِأَنَّا بَيَّنَّا أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ مُتَّصِلٌ، وَقَوْلُهُمْ: سَلَامٌ أَبْعَدُ مِنَ اللَّغْوِ مِنْ قَوْلِهِمْ: سَلاماً فَقَالَ: إِلَّا قِيلًا سَلاماً لِيَكُونَ أَقْرَبَ إِلَى اللَّغْوِ مِنْ غَيْرِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي نفسه بعيدا عنه)) [3]. وقد أدلى الشيخُ الطاهر بن عاشور بدلوه في تحليل طريقة بناء هذه الآية وربطه بما يحيل عليه هذا البناء من دلالات، قال :((وسَلاماً الْأَوَّلُ مَقُولُ قِيلًا أَيْ هَذَا اللَّفْظِ الَّذِي تَقْدِيرُهُ: سَلَّمْنَا سَلَامًا، فَهُوَ جُمْلَةٌ مَحْكِيَّةٌ بِالْقَوْلِ. وسَلاماً الثَّانِي تَكْرِيرٌ لِـ(سَلاماً) الْأَوَّل تكريرًا لَيْسَ لِلتَّأْكِيدِ بَلْ لِإِفَادَةِ التَّعَاقُبِ، أَيْ سَلَامًا إِثْرَ سَلَامٍ، ....، أَوْ مُشَارًا بِهِ إِلَى كَثْرَةِ الْمُسَلِّمِينَ فَهُوَ مُؤْذِنٌ مَعَ الْكَرَامَةِ بِأَنَّهُمْ مُعَظَّمُونَ مُبَجَّلُونَ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْوَجْهَيْنِ أَنَّ الْأَوَّلَ يُفِيدُ التَّكْرِيرَ بِتَكْرِيرِ الْأَزْمِنَةِ، وَالثَّانِي يُفِيد التَّكْرَار بتكرار الْمُسْلِمِينَ. وَهَذَا الْقِيلُ يَتَلَقَّوْنَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِالْجَنَّةِ، ...،وَيَتَلَقَّاهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، ...، وَإِنَّمَا جِيءَ

---

1 نفسه: 29/ 403.

2 نفسه: 29/ 403

3 نفسه: 29/ 403.

بِلَفْظِ: سَلاماً مَنْصُوبًا دُونَ الرَّفْعِ مَعَ كَوْنِ الرَّفْعِ أَدَلَّ عَلَى الْمُبَالَغَةِ ،...، لِأَنَّهُ أُرِيدَ جَعْلُهُ بَدَلًا من قِيلًا)) [1].

وورد السلام في القرآن الكريم على المؤمنين من أصحاب اليمين في قوله تعالى: (فَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (89) وَأَمَّا إِنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ (90) فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ)[الواقعة88-91]، وقد فسره الفراء بأن معناه أنّك مسلم لك أنّك من أصحاب اليمين، قال:((أي: فذلك مسلّم لكَ أنك من أصحاب اليمين)) [2]. وذكر الطبري أنَّ فيه اختلافًا ففُسِّر على معنى انه: سلام من عند الله، وسلمت عليه ملائكة الله، أو بمعنى : سلم مما يكره [3]. وجعله الزجاج بمعنى السلامة في أصحاب اليمين، قال:((انك ترى فيهم ما تحب من السَّلاَمةِ وقد علمت ما أُعِدَّ لهم من الجزاء)) [4]. في حين ذهب الزمخشري إلى أنّه من باب التحية، قال:((فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ أي: فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين، أي: يسلمون عليك، كقوله تعالى إِلَّا قِيلًا سَلاماً سلاماً)) [5]. وقد لمس ابن عطية في هذا السلام مدحًا ودلالة على حصولهم على أعلى المراتب، كما توقف على اختلاف المفسرين في عائد الضمير(الكاف) من (لك)، قال: ((عبارة تقتضي جملة مدح وصفة تخلص وحصول في عال من المراتب ليس في أمرهم إلا السلام والنجاة من العذاب، وهذا كما تقول في مدح رجل: أما فلان فناهيك به، أو فحسبك أمره، فهذا يقتضي جملة غير مفصلة من مدحه، وقد اضطربت عبارات المتأولين في قوله تعالى:

1 التحرير والتنوير: 27/ 297.

2 معاني القرآن للفراء: 3/ 131.

3 جامع البيان: 23/ 162 .

4 معاني القرآن وإعرابه: 5/ 118. وينظر: النكت في القرآن الكريم: 482، ومعالم التنزيل: 5/ 23، وأنوار التنزيل: 5/ 184، ومدارك التنزيل: 3/ 431، واللباب في علوم الكتاب: 18/ 447، ومعترك الأقران: 3/ 110، وإرشاد العقل السليم: 8/ 202، وروح المعاني: 14/ 159.

5 الكشاف: 4/ 470.

فَسَلامٌ لَكَ فقال قوم: المعنى: فيقال له مسلم لك إنك من أصحاب اليمين،...، وقيل المعنى فَسَلامٌ لَكَ يا محمد، أي لا ترى فيهم إلا المسالمة من العذاب، فهذه الكاف في ذلك إما أن تكون للنبي عليه السلام وهو الأظهر، ثم لكل معشر فيها من أمته وإما أن تكون لمن يخاطب من أصحاب اليمين، وغير هذا مما قيل تكلف)) [1]. وذكر الرازي في تفسير السلام في الآية ثلاثة أوجه أوَّلُهَا:انه يُسَلِّمُ بِهِ صَاحِبُ الْيَمِينِ عَلَى صَاحِبِ الْيَمِين. وثانِيهَا: فَسَلامٌ لَكَ معناه هنا سَلَامَةٌ لَكَ مِنْ أَمْرٍ خَافَ قَلْبُكَ مِنْهُ فَإِنَّهُ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ.وثالِثُهَا: أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ تُفِيدُ عَظْمَةَ حَالِهِمْ كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ نَاهِيكَ بِهِ، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ فُلَانٌ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ مَمْدُوحٌ فَوْقَ الْفَضْلِ [2]. واحتمل أنْ يكون الخطاب في سلام لك مُوجَّهًا إلى الرسول من أصحاب اليمين [3]. وقرأ الشيخُ الطاهر بن عاشور السلام في الآية الكريمة فجعلها جملة جارية مجرى المثل، ثم استنبط من الاحتمالات التي أوردها المفسرون في الضمير: الكاف من (لك) معان استشرف منها دلالة السلام فيها على الرفعة والتكريم، قال: ((وَالسَّلَامُ: اسْمٌ لِلسَّلَامَةِ مِنَ الْمَكْرُوهِ، وَيُطْلَقُ عَلَى التَّحِيَّةِ، وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: لَكَ لِلِاخْتِصَاصِ. وَالْكَلَامُ إِجْمَالٌ لِلتَّنْوِيهِ بِهِمْ وَعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِمْ وَخَلَاصِهِمْ مِنَ الْمُكَدِّرَاتِ لِتَذْهَبَ نَفْسُ السَّامِعِ كُلَّ مَذْهَبٍ. وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ: فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ فَقِيلَ: كَافُ الْخِطَابِ مُوَجَّهَةٌ لِغَيْرِ مُعَيَّنٍ، أَيْ لِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُ هَذَا الْخَبَرَ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ السَّلَامَةَ الْحَاصِلَةَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ تَسُرُّ مَنْ يَبْلُغُهُ أَمْرُهَا. ،...، وَاللَّفْظُ جَرَى مَجْرَى الْمَثَلِ فَطُوِيَ مِنْهُ بَعْضُهُ، وَأَصْلُهُ: فَلَهُمُ السَّلَامَةُ سَلَامَةٌ تَسُرُّ مَنْ بَلَغَهُ حَدِيثُهَا. وَقِيلَ: الْخِطَابُ لِلنَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقْرِيرُ الْمَعْنَى كَمَا تَقَدَّمَ لِأَنَّ النَّبِيءَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَرُّ بِمَا يَنَالُهُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْكَرَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَهُمْ مِمَّنْ

---

1 المحرر الوجيز: 5/ 254. وينظر: زاد المسير: 4/ 231، والجامع لأحكام القرآن: 17/ 233، والبحر المحيط: 10/ 91.

2 ينظر: مفاتيح الغيب: 29/ 438.

3 ينظر: نفسه: 29/ 438-439، وروح المعاني: 14/ 160، ومحاسن التأويل: 9/ 134-135.

شَمَلَهُمْ لَفْظُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَقِيلَ: الْكَلَامُ عَلَى تَقْدِيرِ الْقَوْلِ، أَيْ فَيُقَالُ لَهُ: سَلَامٌ لَكَ، أَيْ تَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ ،...، فَهِيَ بِشَارَةٌ لِلْمُخَاطَبِ عِنْدَ الْبَعْثِ،...، وَقِيلَ: الْكَافُ خِطَابٌ لِمَنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ عَلَى طَرِيقَةِ الِالْتِفَاتِ. وَمُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُقَالَ: فَسَلَامٌ لَهُ، فَعَدَلَ إِلَى الْخِطَابِ لِاسْتِحْضَارِ تِلْكَ الْحَالَةِ الشَّرِيفَةِ، أَيْ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْيَمِينِ ،...، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنْ كَوْنِهِ مِنْ أَهْلِ مَنْزِلَتِهِمْ، ،...، فَهَذِهِ مَحَامِلُ لِهَذِهِ الْآيَةِ يُسْتَخْلَصُ مِنْ مَجْمُوعِهَا مَعْنَى الرِّفْعَةِ وَالْكَرَامَةِ)) [1].

هـ . **سلام المؤمنين على الأنبياء:** ورد التسليم على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)[الأحزاب 56]، فقد جعل الطبري السلام في الآية من باب التحية، وغايته الدعاء للرسول،قال:((يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبي الله محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم (وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) يقول: وحيوه تحية الإسلام)) [2]. وقد أكد الواحدي هذا الفهم للسلام، هنا، قال:((ادعوا له بالمغفرة واستغفروا له، وسلموا تسليما قولوا: السلام عليك أيها النبي)) [3]. وقد بيّن الرازي دلالة الصَّلَاةُ عَلَى الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وانه لَيْسَ به حَاجَة إِلَيْهَا؛ إذ لَا حَاجَةَ إِلَى صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ مَعَ صَلَاةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِإِظْهَارِ تَعْظِيمِهِ، كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ عَلَيْنَا ذِكْرَ نَفْسِهِ وَلَا حَاجَةَ لَهُ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِإِظْهَارِ تَعْظِيمِهِ مِنَّا شَفَقَةً عَلَيْنَا لِيُثِيبَنَا عَلَيْهِ [4]. وتوقف ابن القيم على أمر آخر في هذه الآية الكريمة وهو دلالة تأكيد السلام على الرسول دون الصلاة في قوله:(صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) والحكمة فيه، وأجاب عن ذلك بأن السلامين هنا مؤكدان بطريقتين مختلفتين، قال: ((التأكيد واقع على الصلاة والسلام وإن اختلفت

1 التحرير والتنوير: 27/ 349.

2 جامع البيان: 20/ 320.

3 التفسير الوسيط: 3/ 481.

4 ينظر: مفاتيح الغيب: 25/ 182.

جهة التأكيد فإنه سبحانه أخبر في أول الآية بصلاته عليه وصلاة ملائكته عليه مؤكدا لهذا الإخبار بحرف(إن)مخبرا عن الملائكة بصيغة الجمع المضاف إليه وهذا يفيد العموم والاستغراق فإذا استشعرت النفوس أن شأنه صلى الله عليه وسلم عند الله وعند ملائكته هذا الشأن بادرت إلى الصلاة عليه وإن لم تؤمر بها ،...، فلم يحتج إلى تأكيد الفعل بالمصدر. ولما خلا السلام عن هذا المعنى وجاء في حيز الأمر المجرد دون الخبر حسن تأكيده بالمصدر؛ ليدل على تحقيق المعنى وتثبيته ويقوم تأكيد الفعل مقام تكريره كما حصل التكرير في الصلاة خبرا وطلبا فكذلك حصل التكريم في السلام فعلا ومصدرا فتأمله فإنه بديع جدا)) [1].

الخاتمة والنتائج:

كان الهدف الأساسي من هذا البحث رسم صورة متكاملة تكشف عن معاني السلام وجماليات استعماله في النص القرآني، بوصفه التحية الإسلامية، وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج؛منها نتائج عامة، وأهمها أن البحث قدّم دراسة تحليلية عن السلام في القرآن الكريم مفيدًا من جهود المفسرين وقراءاتهم للنص الكريم، وقد توصل البحث -في أثناء سعيه من أجل تحقيق هذا الهدف الرئيس- إلى نتائج فرعية أخرى؛ منها ان العبارة المستعملة في التحية الآن وهي:(السلام عليكم) هي تحية إسلامية دفع النص الديني : القرآني والحديثي باتجاه بثّها والتشجيع على استعمالها دون غيرها؛ لتكون إحدى الخصائص المميزة للدين الإسلامي والجماعة الإسلامية، وهو أمرٌ يحتاج إليه الإسلام والمسلمون آنذاك، ومن ثمَّ فقد أماتت هذه التحية الإسلامية الجديدة ما كان موجودًا من تحايا في ذلك الوقت وحلّت محلها. وقد تبين من البحث ان المفسرين وازنوا لغويًا بين التحية الإسلامية وغيرها من التحايا؛ كما وازنوا بين لفظ السلام

1 بدائع الفوائد: 2/ 188.

والتحية فبينوا أنَّ في السلام مزية على التحية؛ لأنَّه دعاءٌ بالسلامة من الآفات الدينيةِ والدنيويةِ فهو يستلزم طول الحياةِ وليس في التحية التي معناها الدعاء بطول الحياةِ هذا الأمر. ولذلك ارجعوا اختيار الإسلام إياها لما تفيده من دلالة تبعث على الأمان والطمأنينة. وكشف البحث كذلك عن الخصائص اللغوية للتحية الإسلامية من خلال موازنات المفسرين وتحليلاتهم العميقة ولاسيما ما وجدناه عند ابن القيم والفخر الرازي ووقفاتهم الدلالية الدقيقة والمعللة في اختيار لفظ السلام تحية للمسلمين، وتفضيل اسم المصدر(السلام) على المصدر وغيره من الصيغ، وقد تتبع البحث كثيرا من الملامح الدلالية التي اكتنهها علماء العربية للسلام القرآني في سياقاته التي حددها البحث كالسلام الصادر منه سبحانه على أنبيائه أو على عباده الصاحين وغير ذلك مما عالجته الدراسة. غير أننا نريد الإشارة هنا إلى أنَّ من أهم النتائج نتيجة تجمعت ملامحها من جزئيات البحث واستوت في ذهني من النظر الكلي إلى السلام وتجلياته وتمثلاته في القرآن كما عرض لها هذا البحث، وهي أنَّ عبارة التحية الإسلامية: السلام عليكم تتسم بسمات لغوية من حيث معاني ألفاظها المعجمية(السلام، والرحمة، والبركة)، ومن حيث بنيتها الصرفية، ومن حيث طريقة بناء تركيبها بين الابتداء والرد، وقابلية تعريفها وتنكيرها، وخبريتها التي تفيد الإنشائية بحسب القرائن، مما يتيح تنوعا ومرونة في الاستعمال فيضفي على تلك التحية دلالات تتناسب والسياق الذي ترد فيه من غير جمود أو ثبات على قالب لغوي واحد. وقد ألَّف البحثُ عن هذه السمات اللغوية والتنويعات التعبيرية في الاستعمال على النمط الأساسي، من آية إلى آية أخرى، جمالياتِ التحية الإسلامية مما تكفل البحث بتقييدها كل في موضعه. ومن ثمَّ فقد أُتيح للتحية- لما فيها من سمات لغوية- أنْ تُستَعمل في سياقات متعددة لتؤدي إلى معان محتملة؛ وهو ما

ظهر عند المفسرين، فتارة يكون السلام سلام تحية، وتـارة يكـون سـلام متاركـة، وحينًـا يكون سلام تكريم وإثابة، وحينًا يكون بمعنى السـلامة مـن العقوبـة، وحينـا يكـون مـن الأعلى على الأدنى ومرة يكون من الأدنى على الأعلى كما يكون من المتساويين، وغـير ذلك مما يتضح في أثناء الدراسة. وهذا الأمر إنما نتج من أن التحية القرآنية هي جزء مـن النص القرآني المعجز، ومن ثم ، كان من الطبيعي ان تتسم التحية فيه بالإعجاز والبلاغة في أعلى مراتبها.

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم.

- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة: 1974م.
- احكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري،نشر: رمادى للنشر – الدمام، الطبعة الأولى، 1418 – 1997م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم =تفسير أبي السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1998م.
- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة الثانية، 1412 هـ – 1992م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (ت 1393هـ)، دار– بيروت، 1415 هـ – 1995م.
- إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت 338هـ)، عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ.
- إعراب القرآن المنسوب خطأً للزجاج، أبو الحسن نور الدين علي بن الحسين بن علي، جامع العلوم الأصفهاني الباقولي (ت 543هـ)، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري – القاهرة ودار الكتب اللبنانية – بيروت، الطبعة الرابعة – 1420 هـ.
- الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، د. خالد ميلاد، جامعة منوبة، المؤسسة العربي– تونس،الطبعة الأولى، 2001.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل =تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر– بيروت، الطبعة 1420هـ.
- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، د.ط، د.ت.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1376 هـ - 1957م.
- بصائر ذوي التمييز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، جـ: 1، 2، 3 سنة: 1416 هـ - 1996 م،وجـ: 4، 5: 1412 هـ - 1992 م، و جـ 6: 1393 هـ - 1973 م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت 616هـ)، تحقيق : علي محمد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه- مصر.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م.
- تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، د. ط، د. ت.
- تفسير الراغب الأصفهاني بو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502هـ)، جـ 1: تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، نشر كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999 م،جـ: 2، 3: تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي، نشر: دار الوطن – الرياض،الطبعة الأولى: 1424 هـ - 2003 م، جـ: 4، 5،تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، نشر: كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: 1422 هـ - 2001م

تفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي (ت 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، مصر، 1997م.

تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

التفسير الوسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1415 هـ – 1994م.

تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.

جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (ت 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2000م.

الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964م.

حاشية الشِّهابِ عَلَى تفسيرِ البَيضَاوي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت 1069هـ)، دار صادر – بيروت.

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1418 هـ - 1997م.

دائرة الأعمال اللغوية؛ مراجعات ومقترحات، د. شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد المتحدة- بيروت، الطبعة الأولى، 2010.

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني= تفسير الالوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي (ت1270هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975م.
- صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، 1422هـ.
- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط، د.ت.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408 هـ - 1988م.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - 1407 هـ .
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ -1998م.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت 711هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة - 1414 هـ.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت 209هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي – القاهرة، طبعة سنة: 1381 هـ.
- مجمع البيان، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المجمع العالمي لأهل البيت.
- مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية - 1406 هـ - 1986م.
- محاسن التأويل=تفسير القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ .
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ 1996م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب- بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت 437هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، 1405.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو 770هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، د.ط، د.ت.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 510هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، 1420 هـ.
- معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت 215هـ)،تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1990 م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت 207هـ)،تحقيق: أحمد يوسف النجاتي و محمد علي النجار و عبد الفتاح إسماعيل الشلبي،الدار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت 311هـ)، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- دمشق، 1399هـ - 1979م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، تأليف: (إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار)، الناشر: دار الدعوة .
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – 1420 هـ .
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى - 1412 هـ .
- مقال: السلام كما جاء في القرآن الكريم، بقلم: د. محمد بن عبد الله الشباني، مجلة البيان شوال - 1416هـ- مارس - 1996م، (السنة: 10)، ع : 98، ص 52.

- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، نشر: الجفان والجابي – قبرص، الطبعة الأولى، 1407 – 1987م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي–بيروت، الطبعة الرابعة،2007م.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، تأليف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع– جدة، الطبعة الرابعة، د.ط، د.ت.
- النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، علي بن فَضّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني، أبو الحسن (ت 479هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م

إِصْلَاحُ اللَّفظِ وَتَزْيِينُهُ فِي العَرَبِيَّةِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ الطَّيبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَصَحْبِهِ الْمُنْتَجَبِينَ.

يَدْرُسُ هَذَا البَحْثُ نَظَرِيةَ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ فِي الفِكْرِ اللُّغَوِيِّ العَرَبِيِّ، وَقَد انقَسَمَ البَحْثُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَحَاوِرَ، تَنَاولْتُ فِي المحوَرِ الأَوَّلِ أَصلَ القَوْلِ بِإصلَاحِ اللَّفظِ وَتَزيينِهِ فِي العَرَبِيَّةِ، فَبَيَّنتُ المصطَلَحَاتِ المستَعملَةَ لِهَذَا الغَرَضِ عِنْدَ اللُّغَوِيينَ العَرَبِ، وَالمرجِعِيَّاتِ الفِكْرِيَّة الَّتِي صَدَرَتْ عَنهَا، وَخَصَصْتُ المحورَ الثَّانِي لِلمَسَائِلِ الصَّوتِيَّةِ وَالصَّرفِيَّةِ الَّتِي وَجَّهَهَا اللُّغَوِيُّونَ عَلَى أَنَّهَا مِن بَابِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ أَو تَزْيِينِهِ، ثُمَّ خَصَصْتُ المحورَ الثَّالِثَ لِلمَسَائِلِ النَّحوِيَّةِ الَّتِي عَالَجَهَا اللُّغَوِيُّونَ عَلَى أَنَّهَا مِن هَذَا البَابِ أَيضًا، وَخَتَمْتُ البَحْثَ بِخَاتِمَةٍ أَجْمَلْتُ فِيهَا أَهَمَّ النَّتَائِجِ.

أَصْلُ القَوْلِ بِإِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ فِي الفِكْرِ اللُّغَوِيِّ:

تَستَمِدُّ فِكْرَةُ إِصْلَاحِ اللَّفظِ وَتَزْيِينِهِ مَلَامِحَهَا فِي أَذْهَانِ النَّحوِيِّينَ العَرَبِ مِن الدَّلَالَةِ اللُّغَوِيَّةِ لِكلٍّ مِنهُمَا؛ إِذْ يَدُلُّ الإِصْلَاحُ عَلَى خِلَافِ الإِفْسَادِ وَعَلَى إِقَامَةِ الشَّيْءِ بَعْدَ فَسَادِهِ، أَوْ عَلَى سَلَامَتِهِ مِن الْعَيْبِ [1]. كَمَا أَنَّ التَّزْيِينَ يَدُلُّ عَلَى تَحْسِينِ الشَّيْءِ بِالزِّينَةِ؛ وَهِيَ كلُّ مَا يُتزيَّنُ بِه [2]، وَذَلِكَ أَنَّ مَفْهُومَ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ، يَصُبُّ فِي نِهَايَةِ

---

1 ينظر: العين: 3/ 117، وجمهرة اللغة: 1/ 542، وتهذيب اللغة: 4/ 142، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 1/ 383، ومجمل اللغة: 539، ومقاييس اللغة: 3/ 303، والمحكم والمحيط الأعظم: 3/ 152، وأساس البلاغة: 1/ 554، ولسان العرب: 2/ 517، والقاموس المحيط: 229، تاج العروس: 6/ 547-548، والمعجم الوسيط: 1/ 520. مادة (صلح).

2 ينظر: العين: 7/ 387، وتهذيب اللغة: 13/ 174- 175، ومجمل اللغة: 446، ومقاييس اللغة: 3/ 41، وأساس البلاغة: 1/ 429، ولسان العرب: 13/ 201- 202، والقاموس المحيط: 1204، وتاج العروس: 35/ 161- 162، وفي: المفردات في غريب القرآن للراغب: 390: ((وتَزْيِينُ اللّهِ للأشْياءِ قد يكونُ بإبْداعِها مُزَيَّنَة وإيجادِها كذلِكَ، وتَزْيِينُ الناسِ للشَّيْءِ بتَزْوِيقِهم أو بقَوْلِهم، وَهُوَ أَنْ يَمْدَحُوه ويَذْكُروه بمَا يرفع مِنْهُ)). مادة (زين).

النَّظَرِ إِلَيْهِ، فِي مَيدَانِ الظَّوَاهِرِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي تَسلُكُهَا اللُّغَةُ لِغَرَضِ تَحقِيقِ الانسِجَامِ اللُّغَوِيِّ فِي نَسِيجِ اللُّغَةِ بِمُستَوَيَاتِهَا المختَلِفَةِ مِن صَوْتٍ وَصَرْفٍ وَنَحْوٍ وَدَلَالَةٍ، مِمَّا يُسْهِمُ فِي تَحسِينِ الكَلَامِ وَتَزْيِينِهِ وَإِضفَاءِ طَابَعِ الجَمَالِ اللُّغَوِيِّ عَلَيْهِ؛ وَمِنْ ثَمَّ تَنْبَغِي الإِشَارَةُ هُنَا إِلَى أَنَّ مَفْهُومَ إِصْلَاحِ اللَّفظِ وَتَزْيِينِهِ لا يَعْنِي وُجُودَ خَطَإٍ أَوْ عَيْبٍ فِي اللَّفظِ الَّذِي قَالَ النُّحَاةُ بِوُقُوعِ ظَاهِرَةِ إِصْلَاحِ اللَّفظِ أَوْ التَّزْيِينِ فِيهِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي إِجْرَاءَ تَغْيِيرٍ مَا عَلَى اللَّفظِ أَوْ التَّرْكِيبِ بِمَا يُؤَدِّي إِلَى تَحسِينِ الكَلَامِ وَتَجْمِيلِهِ وَتَمَاسُكِهِ. وَمِن تِلْكَ الظَّوَاهِرِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي تُحَقِّقُ هذا الانسِجَامَ اللُّغَوِيَّ المنْشُودَ فِي الكَلَامِ: الإِعْلَال وَالإِبْدَال وَالإِدْغَام والقَلْب المكَانِي والإِعْرَاب التَّقْدِيرِيّ والإِعْرَاب بِالحُرُوفِ بَدَلًا عَنِ الحَرَكَاتِ وَإِبْدَال الحَرَكَاتِ الإِعْرَابِيَّةِ كَمَا فِي الممْنُوعِ مِنَ الصَّرْفِ، وَبَعْض ظَوَاهِر التَّوَافُقِ الحَرَكِيِّ عَلَى المسْتَوَى النَّحْوِيِّ [1]. وَمِنْ ثَمَّ تَنْبَغِي الإِشَارَةُ هُنَا إِلَى أَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ بِاللَّفْظِ عِنْدَ اسْتِعْمَالِهِم مُصْطَلَحَ إِصْلَاحِ اللَّفظِ: الكَلِمَةَ المفْرَدَةَ، وَإِنَّمَا مُرَادُهُم، هُنَا، هُوَ الكَلَامُ الملْفُوظُ سَوَاءٌ أَكَانَ كَلِمَةً أَمْ جُمْلَةً.

وَقَبْلَ البَدْءِ بِتَتَبُّعِ هَذَا الموضُوعِ فِي التَّفْكِيرِ النَّحْوِيِّ وَعَرْضِ صُوَرِهِ وَمَظَاهِرِهِ، لا بُدَّ مِنَ الإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الفِكْرَةَ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا هَذِهِ المقُولَةُ اللُّغَوِيَّةُ تَتَبَدَّى ***بِمُصْطَلَحَاتٍ ثَلَاثَةٍ، هِيَ: إِصْلَاحُ اللَّفظِ، وَتَزْيِينُ اللَّفظِ، وَتَحْسِينُ اللَّفظِ***. وَهَذِهِ المصْطَلَحَاتُ -كَمَا يَبْدُو- مُتَقَارِبَةٌ مِن حَيثُ الدَّلَالَةُ؛ فَهِيَ تَنْتَهِي إِلَى الأَمْرِ نَفسِهِ، وَمِنْ ثَمَّ قَدْ تُستَعْمَلُ مُقْتَرِنَةً بِبَعْضِهَا؛ فَيُقَالُ: إِصْلَاحُ اللَّفظِ وَتَحْسِينُهُ، أَوْ تَحْسِينُ اللَّفظِ وَتَزْيِينُهُ، فَهِيَ تَتَضَافَرُ مُجْتَمِعَةً، فِي الوَقْتِ نَفسِهِ، مِن أَجْلِ خَلْقِ صُورَةٍ لِهَذِهِ المقُولَةِ وَبَيَانِ وَظِيفَتِهَا فِي الفِكْرِ النَّحْوِيِّ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ اللُّغَةِ، عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا تَتَّصِفُ بِهِ هَذِهِ المصْطَلَحَاتِ مِن جِهَةٍ أُخْرَى مِن سَعَةٍ فِي الدَّلَالَةِ قَدْ تَنسَحِبُ عَلَى مَيَادِينَ لُغَوِيَّةٍ وَأَدَبِيَّةٍ أُخْرَى، وَمِنْهَا مَيدَانُ البَلَاغَةِ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ فِيهِ مُصْطَلَحُ: تَحْسِينُ اللَّفظِ أَوْ تَحْسِينُ الكَلَامِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ

1 تُنظر هذه الظواهر اللغوية التي تؤدي إلى الانسجام اللغوي في: أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، د. فدوى محمد حسان: 85- 392.

أَبُو هِلَالٍ العَسْكَرِيِّ (395 هـ) مِن أَنَّ مَدارَ البَلَاغَةِ عَلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ، قَالَ: ((وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَدارَ البَلَاغَةِ عَلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ أَنَّ الخُطَبَ الرَّائِعَةَ، وَالأَشْعَارَ الرَّائِقَةَ مَا عُمِلَتْ لِإِفْهَامِ المعَانِي فَقَط؛ لِأَنَّ الرَّدِيْءَ مِنَ الأَلْفَاظِ يَقُومُ مَقَامَ الجَيِّدَةِ مِنْهَا فِي الإِفْهَامِ، وَإِنَّمَا يَدُلُّ حُسْنُ الكَلَامِ، وَإِحْكَامُ صَنْعَتِهِ، وَرَوْنَقُ أَلْفَاظِهِ، وَجَوْدَةُ مَطَالِعِهِ، وَحُسْنُ مَقَاطِعِهِ، وَبَدِيعُ مَبَادِيْهِ، وَغَرِيْبُ مَبَانِيْهِ عَلَى فَضْلِ قَائِلِهِ، وَفَهْمِ مُنْشِئِهِ)) [1]. وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِعْمَالُ (تَحْسِينِ اللَّفْظِ) فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الكِنَايَةِ، قَالَ ابْنُ فَارِس (ت 395 هـ) فِي بَابِ الكِنَايَةِ: ((الْكِنَايَةُ لَهَا بَابَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يُكْنَى عَنِ الشَّيْءِ فَيُذْكَرَ بِغَيْرِ اسْمِهِ تَحْسِينًا لِلَّفْظِ أَوْ إِكْرَامًا لِلْمَذْكُورِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا) [2]، قَالُوا: إِنَّ الجُلُودَ فِي هَذَا المَوْضِعِ كِنَايَةٌ عَنْ آرَابِ الإِنْسَانِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: (وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا) [3] إِنَّهُ النِّكَاحُ. كَذَلِكَ: (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ) [4]، وَالْغَائِطُ: مُطْمَئِنٌّ مِنَ الأَرْضِ. كُلُّ هَذَا تَحْسِينُ اللَّفْظِ ...)) [5]. وَمِن ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي كَلَامِ العَلَوِيِّ عَلَى الشَّرَائِطِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى حُسْنِ السَّجعِ؛ فَذَكَرَ أَنَّ مِن هَذِهِ الشَّرَائِطِ مَا يَرْجِعُ إِلَى التَّرْكِيبِ، قَالَ: ((وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا تَصَوَّرْتَ فِي نَفْسِكَ مَعْنًى مِن المَعَانِي، فَإِنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصُوغَهُ بِلَفْظٍ مَسْجُوعٍ وَلَمْ يُوَاتِكَ ذَلِكَ، وَلَا سَمَحَتْ قَرِيحَتُكَ بِهِ إِلَّا بِزِيَادَةٍ فِي ذَلِكَ اللَّفْظِ أَوْ نُقصَانٍ مِنْهُ مِن غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى ذَلِكَ النُّقْصَانِ وَتِلْكَ الزِّيَادَةِ، وَإِنَّمَا تَأْتِي بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ مِن أَجْلِ تَسْوِيَةِ السَّجعِ وَإِظْهَارِ جَوْهَرِهِ لا مِن أَجْلِ المعْنَى، فَمَا هَذَا حَالُهُ هُوَ الَّذِي يُذَمُّ مِن التَّسْجِيعِ وَيَقْبُحُ، لِمَا فِيهِ مِن إِصْلَاحِ اللَّفْظِ دُوْنَ المعنَى، وَلِمَا فِيهِ مِن التَّكَلُّفِ وَالتَّعَسُّفِ المسْتَغْنَى عَنْهُ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ مِن غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَإِنَّهُ يَأْتِي فِي غَايَةِ

---

1 الصناعتين: الكتابة والشعر: 58. وينظر فيه: 69، 195، 391 أيضًا.

2 سورة فصلت، الآية: 21.

3 سورة البقرة، الآية: 235.

4 سورة النساء، الآية: 43.

5 الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: 200-201. ومن استعمال تحسين اللفظ بمعنى الكناية ما ورد في: البرهان في علوم القرآن: 2/ 307.

الحُسنِ)) [1]. كَمَا ذَكَرَ العَلَوِيُّ أَنَّ عِلْمَ البَدِيْعِ يَنقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ يَكُوْن الضَّرْبُ الثَّالِثُ مِنهَا بِمَعْزِلٍ عَن الفَصَاحَةِ اللَّفْظِيَّةِ وَالفَصَاحَةِ المعْنَوِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ يَقُومُ بِوَظِيفَةِ تَحْسِينِ الكَلَامِ وَتَزْيِينِهِ نَحْوَ الكَمَال وَحُسْنِ البَيَانِ، وَقَدْ جَعَلَ مِن صُوَرِهِ التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ فِي عَنَاصِرِ الجُمْلَةِ لِأَغْراضٍ بَلَاغِيَّةٍ لِتَحْسِينِ الكَلَامِ وَتَزْيِينِهِ؛ قَالَ عَنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنْ عِلْمِ البَدِيْعِ: ((الضَّرْبُ الثَّالِثُ مَا يَكُونُ بِمَعزِلٍ عَن الفَصَاحَةِ اللَّفْظِيَّةِ وَالفَصَاحَةِ المعْنَوِيَّةِ عَلَى الخُصُوصِ، وَلَكِنَّهُ يُنَزَّلُ مَنزِلَةَ التَّتِمَةِ وَالتَّكْمِلَةِ لَهُمَا، وَيَكُونُ تَحْسِينًا لَهُمَا وَتَزْيِينًا لِمَوَاقِعِهِمَا، وَهَذَا نَحْوَ الكَمَال، وَالإِيْضَاحِ، وَحُسْنِ البَيَان، وَنَحْو التَّتْمِيم، وَالاسْتِيعَابِ، وَالتَّذْييلِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِن الأَوْصَافِ الَّتِي لا تَسْتَقِلُّ بِنَفسِهَا، وَإِنَّمَا يَكُونُ حُصُولُهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِن مُرَاعَاةِ الإِكْمَال وَتَحْسِينِ الهَيْئَةِ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ فِي الأَصْنَافِ السَّابِقَةِ، وَنَظِيرُهُ مِن عِلْمِ الإِعْرَابِ قَوْلُكَ: ضَرَبَ زَيْدًا عَمْرٌو، بِتَقْدِيمِ المفْعُول عَلَى الفَاعِلِ، فَإِنَّ مَا هَذَا حَالُهُ قَدْ أَفَادَ كَلَامًا مُطَابِقًا لِقَوَانِيْنِ العَرَبِيَّةِ، خَلَا أَنَّهُ لَمْ يُفِدْ مِنْهُ إِلَّا تَحْسِينَ الكَلَامِ وَتَزْيِينَهُ، حَيْثُ لَمْ يَكُنِ الفَاعِلُ لَاصِقًا بِالفِعْلِ، وَالمفْعُولُ مُتَأَخِّرًا عَنِ الفَاعِلِ، فَهَذَا يَجْرِي مَجْرَى التَّحْسِينِ وَالإِكْمَال لِلجُمْلَةِ لا غَيْر)) [2]. وَمِنْ ذَلِكَ وَصفُ السَّمِينِ الحَلَبِيِّ (ت 756هـ) اسْتِعْمَالَ القُرْآنِ الكَرِيمِ الوَصفَ المشْتَقَّ (المغْضُوبِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)، بِأَنَّه جِيءَ بِهِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُول تَحْسِينًا لِلَّفْظِ، قَالَ: ((فَإِنْ قِيلَ: لِمَ أَتَى بِصِلَةِ الَّذِينَ فِعْلاً مَاضِياً؟ قِيلَ: لِيَدُلَّ ذَلِكَ عَلَى ثُبُوتِ إِنْعَامِ اللهِ عَلَيْهِم وَتَحْقِيقِهِ لَهُمْ، وَأَتَى بِصِلَةِ أَل اسْمًا لِيَشْمَلَ سَائِرَ الأَزْمَان، وَجَاءَ بِهِ مَبْنِيًا لِلْمَفْعُول تَحْسيناً لِلَّفْظِ، لِأَنَّ مَنْ طُلِبَتْ مِنْهُ الهِدَايَةُ وَنُسِبَ الإِنْعَامُ إِلَيْهِ لَا يُنَاسِبُهُ نِسْبَةُ الغَضَبِ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ مَقَامُ تَلَطُّفٍ وَتَرَفُّقٍ لِطَلَبِ الإِحْسَانِ فَلَا يَحْسُنُ مواجَهَتُهُ بِصِفَةِ الانْتِقَامِ)) [3]. كَمَا وَرَدَ اسْتِعْمَالُ تَحْسِينِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ عَلَى نَحْوٍ غَيْرِ اصْطِلَاحِيٍّ، أَيْ

---

1 الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: 3/ 14.

2 المصدر نفسه: 3/ 117.

3 الدر المصون: 1/ 76. وينظر فيه أيضا: 5/ 301، واللباب في علوم الكتاب: 1/ 224.

بالمعْنَى اللُّغَوِيِّ المتَعَارَفِ عَلَيْهِ، عِنْدَ مُحَمَّد عَلِيّ الصَّدِيقِيِّ الشَّافِعِيِّ (ت 1057هـ) ، في سِيَاقٍ آخَرَ، وَذَلِكَ فِي شَرْحِ كَلَام ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ قِرَاءَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ) [1] بِتَرْخِيمِ مَالِك، أَيْ: يَا مَال [2]، إِذْ قَالَ: ((أَنْكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ قِرَاءَةَ يَا مَال بِحَذْفِ الكَافِ تَرْخِيماً وَقَالَ: مَا أَشْغَلَ أَهْلَ النَّارِ عَنِ التَّرْخِيمِ. أَيْ: أَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ لِتَحْسِينِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَنْشَأُ عَنِ الفَرَاغِ وَالسُّرُور، وَهُمْ بِخِلَافِهِ، ...، وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّهُ تَرْخِيمٌ مِن شِدَّةِ العَذَابِ وَإِنَّهَا مَنَعَتْهُمْ مِنْ إِتْمَامِ حُرُوفِ الكَلِمَةِ)) [3].

وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ، هُنَا، أَنَّ بَعْضَ النَّحْوِيِّينَ يَرْبِطُ بَيْنَ الزِّيَادَةِ النَّحْوِيَّةِ مِن جِهَةٍ وَتَحْسِينِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ مِن جِهَةٍ أخرَى، فَكَأَنَّهُ عِندَمَا يَقُولُ بِالزِّيَادَةِ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنَّ الغَرَضَ مِن هَذِهِ الزِّيَادَةِ هُوَ تَحسِينُ الكَلَامِ وَتَزْيِينُهُ، وَيَبدُو هَذَا وَاضِحًا في كَلَامِ الشَّيْخِ خَالِد الأَزهَرِيِّ (ت905ه) في تَوجِيهِ قَولِ النَّحوِيِّينَ بِالزِّيَادَةِ في قَولِهِ تَعَالَى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) [4]، إِذْ قَالَ: ((وَكَثِيرٌ مِن النُّحَاةِ الْمُتَقَدِّمِينَ يُسَمُّونَ الزَّائِدَ صِلَةً لِكَونِهِ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى نَيلِ غَرَضٍ صَحِيحٍ كَتَحْسِينِ الْكَلَامِ وَتَزيِينِهِ وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيه مُؤَكِّدًا لِأَنَّهُ يُعطِي الْكَلَامَ مَعْنَى التَّأْكِيدِ وَالتَّقْوِيَة)) [5]. وَمِنْ صُوَرِ الرَّبْطِ بَيْنَ القَوْلِ بِالزِّيَادَةِ وَتَحْسِينِ الكَلَامِ وَتَزْيِينِهِ مَا وَرَدَ في تَوْجِيهِ الوَاوِ في قَولِ الشَّاعِرِ [6]:

وبَلْـــدَةٍ لَـــيْسَ بِهَـــا أَنـــيسُ　　　إِلَّـــا اليَعَـــافِيرُ وإِلَّـــا العِـــيسُ

---

1 سورة الزخرف، الآية: 77.

2 تنسب هذه القراءة إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وابن مسعود ويحيى والأعمش، ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج 4/ 420، والمحتسب: 2/ 257، والكشاف: 4/ 264، والمحرر الوجيز: 5/ 64، وزاد المسير: 4/ 84، ومفاتيح الغيب: 27/ 644، والبحر المحيط: 9/ 389، والدر المصون: 9/ 607، واللباب في علوم الكتاب 17/ 294.

3 دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: 8/ 744.

4 سورة آل عمران، الآية: 159.

5 موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: 172.

6 لجران العود، في ديوانه: 97، ينظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. اميل بديع يعقوب 10/ 284.

إِذْ ذَكَرَ أَبُو البَقَاءِ الكَفَوِيُّ (ت1094هـ) أَنَّ أَهْلَ اللُّغَةِ وَجَّهُوا هَذِهِ الوَاوَ بِأَقْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ مِنْهَا أَنَّهَا لِتَحْسِينِ الكَلَامِ وَتَزْيِينِهِ، قَالَ: ((وَمَا يَذْكُرُهُ أَهْلُ اللُّغَةِ مِنْ أَنَّ الْوَاوَ قَدْ تَكُونُ لِلابْتِدَاءِ وَالاسْتِئْنَافِ فَمُرَادُهُم أَنْ يُبْتَدَأَ الْكَلَامُ بَعْدَ تَقَدُّمِ جُمْلَةٍ مُفِيدَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ تُشَارِكُ الأُولَى. وَأَمَّا وُقُوعُهَا فِي الِابْتِدَاءِ مِن غَيْرِ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَيْهَا شَيْءٌ فَعَلَى الابْتِدَائِيَّةِ الْمُجَرَّدَةِ أَوْ لِتَحْسِينِ الْكَلَامِ وَتَزْيِينِهِ أَوْ لِلزِّيَادَةِ الْمُطْلَقَةِ)) [1]. فَقَدْ أَوْرَدَ أَنَّ هَذِهِ الوَاوَ قَدْ تَكُونُ ابْتِدَائِيَّةً، وَقَدْ تَكُونُ زَائِدَةً زِيَادَةً مُطْلَقَةً لا لِلتَّوْكِيدِ، وَيَكُونُ الغَرَضُ مِنْ زِيَادَتِهَا هُنَا هُوَ تَحْسِينَ الكَلَامِ وَتَزْيِينَهُ. وَيَتَجَلَّى هَذَا الفَهْمُ لِلعَلَاقَةِ بَيْنَ الزِّيَادَةِ وَالتَّزْيِينِ وَالتَّحْسِينِ وَالكَمَال عِنْدَ الكَفَوِيِّ وَاضِحًا فِي كَلَامِهِ عَلَى فَوَائِدِ الزِّيَادَةِ أَوْ وَظَائِفِهَا فِي العَرَبِيَّةِ، قَالَ: ((وَالزِّيَادَةُ كَمَا تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الزَّائِدِ الْمُسْتَدْرَكِ وَهُوَ الْمَعْنَى الْمَشْهُورُ كَذَلِكَ تُسْتَعْمَلُ فِيمَا بِهِ [يَقُومُ] الشَّيْءُ وَيَكْمُلُ بِهِ فِي عَيْنِ الْكَمَالِ، وَالزَّائِدُ فِي كَلَامِهِم لَا بُدَّ أَنْ يُفِيدَ فَائِدَةً مَعْنَوِيَّةً أَوْ لَفْظِيَّةً وَإِلَّا كَانَ عَبَثًا وَلَغْوًا؛ فَالمَعْنَوِيَّةُ تَأْكِيدٌ لِلْمَعْنَى كَمَا فِي (مِن) الاسْتِغْرَاقِيَّةِ، وَالْبَاءِ فِي خَبَرِ (مَا) وَ (لَيسَ)، وَاللَّفْظِيَّةُ تَزْيِينُ اللَّفْظِ وَكَونُهُ بِزِيَادَتِهَا أَفْصَحَ، أَوْ مُهَيَّأً لِاسْتِقَامَةِ وَزْنٍ أَوْ لِحُسْنِ سَجْعٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. وَقَدْ تَجْتَمِعُ الفَائِدَتَانِ فِي حَرْفٍ، وَقَدْ تَنْفَرِدُ إِحْدَاهُمَا عَنِ الْأُخْرَى)) [2].

وَتَظْهَرُ، عِنْدَ أَبِي مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِي (ت429هـ) وَقْفَةٌ لُغَوِيَّةٌ مُهِمَّةٌ يَقْتَرِبُ فِيهَا، عَلَى نحوٍ كَبِيرٍ، مِن فِكْرَةِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِه، وَذَلِكَ فِي الفَصْلِ السَّادِسِ وَالعِشْرِينَ مِن أسرارِ العَرَبِيَّةِ فِي مَجَارِي كَلَامِ العَرَبِ وَسنَنِهَا، الَّذِي جَعَلَه بِعُنْوَانِ (حِفْظِ التَّوَازُنِ)، قَالَ فِيه: ((العَرَبُ تَزِيدُ وَتَحْذِفُ حِفْظًا لِلتَّوَازُنِ وَإِيثاراً لَه، أَمَّا الزِّيَادَةُ فَكَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) [3]، وَكَمَا قَالَ: (فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا) [1]. وأَمَّا الحَذْفُ، فَكَمَا قَالَ جَلَّ

1 الكليات: 921.

2 الكليات: 487-488.

3 سورة الأحزاب، الآية: 10.

اسْمُهُ: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) [2]، وقَالَ: (الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ) [3])) [4]. فَهُو يَرَى أَنَّ مِن سُنَنِ العَرَبِ فِي كَلامِهَا أن تَزِيدَ في اللَّفْظِ أو تَحْذفَ مِنه لِغَرَضِ التَّوَازُنِ في الكَلَامِ. وعَلَى الرَّغْمِ مِن أنَّه حَصرَ الغَايَةَ مِن مِثْلِ هَذِهِ التَّغْيِيرَاتِ: الحَذْف أو الزِّيَادَة، في تَحْقِيق التَّوَازُنِ المُوسِيقِيِّ في الفَوَاصِلِ، إلَّا أنَّ في هَذَا إشَارَةً، مِن جِهَةٍ أُخرَى، إلَى فِكْرَةِ التَّغْيِيرِ في اللَّفظِ وإِصْلَاحِه أوْ تَزْيِينِهِ. ومِمّا يؤكِّدُ هَذَا أنَّ الرَّاغِبَ الأَصْفَهَانِيَّ فَهِمَ أَنَّ المُرَادَ مِن حِفْظِ التَّوَازُنِ، هُنَا، هُو إِصْلاحُ اللَّفظِ، وَمِنْ ثَمَّ فَسَّرَ هَذِهِ الشَّوَاهِدَ نَفْسَهَا عَلَى أَسَاسِهِ؛ فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ الأَلِفَ قَدْ تُزَادُ فِي أَوَاخِرِ الكَلِمَاتِ الَّتِي تَقَعُ فَوَاصِلَ فَتَجْرِي مَجْرَى أَوَاخِرِ الأَبْيَاتِ وتُعَامَلُ مُعَامَلَتَهَا، نَحْو: الظُّنُونا وَالسَّبِيلَا، فَقَدْ زِيدَتِ الأَلِفُ فِيهَا، لَيْسَ لِغَرَضِ تَحْقِيقِ مَعْنًى جَدِيدٍ وَإِنَّمَا لِإِصْلَاحِ اللَّفْظِ، قَالَ عَنْ أَحَدِ مَوَاضِعِ زِيَادَةِ الأَلِفِ: ((وَالَّذِي فِي أَوَاخِرِ الآيَاتِ الجَارِيَةِ مَجْرَى أَوَاخِرِ الأَبْيَاتِ، نَحْو: (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) [5]، (فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا) [6]، لَكِنَّ هَذِهِ الأَلِفَ لا تُثْبِتُ مَعْنًى، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِإِصْلَاحِ اللَّفْظِ)) [7].

وَقَدْ دَرَسَ ابْنُ جِنِّي مَوْضُوعَ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ فِي بَابٍ خَصَّصَهُ لَه: (بَابٌ فِي إِصْلَاحِ اللَّفْظِ)، بَيَّنَ فِيهِ أَنَّ فَلْسَفَةَ العَرَبِ فِي عِنَايَتِهَا بِالأَلْفَاظِ تَعُودُ إِلَى اهْتِمَامِهَا أَوَّلًا بِمَعَانِي هَذِهِ الأَلْفَاظِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الأَلْفَاظَ إِنَّمَا هِيَ أَوْعِيَةٌ لِلْمَعَانِي وَأَدِلَّةٌ عَلَيْهَا وَمُوصِلَةٌ إِلَيْهَا، قَالَ: ((اعْلَمْ أَنَّهُ لما كَانَتِ الأَلْفَاظُ لِلْمَعَانِي أَزِمَّةً وَعَلَيْهَا أَدِلَّة وَإِلَيْهَا مُوصِلَةً، وَعَلَى المُرَادِ مِنْهَا مُحَصِّلَةً عُنِيتِ العَرَبُ بِهَا فَأَوْلَتْهَا صَدْرًا صَالِحًا مِنْ تَثْقِيفِهَا وَإِصْلَاحِهَا)) [8]. وَقَدْ أَكَّدَ

---

1 سورة الأحزاب، الآية: 67.

2 سورة الفجر، الآية: 4.

3 سورة الرعد، الآية: 9.

4 فقه اللغة وسر العربية: 231.

5 سورة الأحزاب، الآية: 10.

6 سورة الأحزاب، الآية: 67.

7 المفردات في غريب القرآن: 105.

8 الخصائص: 1/ 313.

هَذِهِ الفِكْرَةَ الَّتِي تُؤَسِّسُ مُنْطَلَقًا لِهَذِهِ المقُولَةِ اللُّغَوِيَّةِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، قَالَ: ((أنَّ العَرَبَ كَمَا تُعْنَى بِالمعَانِي فَتُحَقِّقُهَا، فَكَذَلِكَ أَيْضًا تُعْنَى بِالألْفَاظِ فَتُصْلِحُهَا)) [1].

وَقَدْ وَصَفَ ابْنُ جِنِّي بَابَ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ بِأَنَّهُ كَثِيرٌ وَاسِعٌ، قَالَ: ((وَطَرِيقُ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ كَثِيرٌ وَاسِعٌ فَتَفَطَّنْ لَهُ)) [2]. وَالمسَائِلُ الَّتِي عَدَّهَا اللُّغَوِيُّونَ وَالنَّحْوِيُّونَ العَرَبُ مِن هَذَا البَابِ تَتَوَزَّعُ عَلَى مُسْتَوَيَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ مِنْهَا مَا هُوَ صَوْتِيٌّ، وَمِنْهَا مَا هُوَ صَرْفِيٌّ، وَمِنْهَا مَا هُوَ نَحْوِيٌّ.

وَمِن أَهَمِّ مَسَائِلِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ فِي المسْتَوَيَيْنِ **الصَّوْتِيِّ وَالصَّرْفِيِّ**- وَهُمَا مُتَدَاخِلَانِ تَأْثِيرًا- بِنَاءُ الفِعْلِ الماضِي عَلَى السُّكُونِ عِنْدَ إِسْنَادِهِ إِلَى ضَمَائِرِ الرَّفْعِ، طَلَبًا لِلتَّجَانُسِ الصَّوْتِي سَعْيًا إِلَى التَّخْفِيفِ عَلَى اللِّسَانِ عِنْدَ النُّطْقِ بِهِ، كَمَا فِي: كَتَبْتُ، وَكَتَبْتَ، وَكَتَبْتِ، قَالَ ابْنُ جِنِّي: ((وَمِنْ ذَلِكَ تَسْكِينُهُمْ لَامَ الفِعْلِ إِذَا اتَّصَلَ بِهَا عَلَمُ الضَّمِيرِ المرْفُوعِ نَحْو: ضَرَبْتُ وَضَرَبْنَ وَضَرَبْنَا. وَذَلِكَ أَنَّهُم أَجْرَوْا الفَاعِلَ هُنَا مُجْرَى جُزْءٍ مِن الفِعْلِ فَكُرِهَ اجْتِمَاعُ الحَرَكَاتِ الَّذِي لا يُوجَدُ فِي الوَاحِدِ. فَأَسْكَنُوا اللَّامَ، إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ فَقَالُوا: ضَرَبْتُ وَدَخَلْنَا وَخَرَجْتُمْ. نَعَم وَقَدْ كَانَ يَجْتَمِعُ فِيهِ أَيْضًا خَمْسُ مُتَحَرِّكَاتٍ، نَحْو: خَرَجْتُمَا فَالإِسْكَانُ إِذًا أَشَدُّ وُجُوبًا)) [3]. وَيَبْدُو أَنَّ ابْنَ جِنِّي اسْتَنَدَ فِي تَعْلِيلِهِ بِنَاءَ الفِعْلِ، فِي مِثْلِ هَذِهِ الحَالَةِ، عَلَى السُّكُونِ، وَمِن ثَمَّ جَعْلِهِ إِيَّاهُ مِنْ بَابِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ، إِلَى الحُكْمِ اللُّغَوِيِّ العَامِّ الَّذِي قَرَّرَهُ سِيبَوَيهِ، وَهُوَ أَنَّه: ((لَيْسَ حَرْفٌ فِي الكَلَامِ تَتَوَالَى فِيهِ أَرْبَعُ مُتَحَرِّكَاتٍ)) [4]. وَقَدْ طَبَّقَهُ الرَّضِيُّ الاسْتَرَابَاذِي عَلَى الفِعْلِ عِنْدَ إِسْنَادِهِ إِلَى ضَمَائِرِ الرَّفْعِ، قَالَ: ((لَا يَتَوَالَى فِي كَلَامِهِم أَرْبَعُ مُتَحَرِّكَاتٍ فِي كَلِمَةٍ، أَلَا تَرَى إِلَى تَسْكِينِ لَامِ

1 سر صناعة الإعراب: 1/ 277.

2 الخصائص: 1/ 322.

3 الخصائص: 1/ 322.

4 الكتاب لسيبويه 4/ 289.

نَحْوِ: ضَرَبْتُ لما كَانَ التَّاءُ كَجُزْءِ الكَلِمَةِ)) [1]. وكَأَنَّ العَرَبَ يَنْظُرُونَ إِلَى الفِعْلِ، عِنْدَ اتِّصَالِهِ بِالضَّمَائِرِ، عَلَى أَنَّهُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ؛ مِمَّا يَقْتَضِي أَنْ تَنْطَبِقَ عَلَيْهِ تِلْكَ القَاعِدَةُ العَامَّةُ: أَعْنِي: عَدَمَ تَوَالِي أَرْبَعِ حَرَكَاتٍ.

وَمِن مَسَائِلِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وتَزْيِينِهِ، مِمَّا دَرَسَهُ المُحْدَثُونَ تَحْتَ عُنْوَانِ: الانْسِجَامِ الصَّوْتِيِّ، مِمَّا أَشَرْنَا إِلَيْهِ قَبْلًا، بَابُ الإدغَامِ وَبَابُ الإِبْدَالِ، الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ ابْنُ جِنِّي بِاسْمِ بَابِ التَّقْرِيبِ، قَالَ: ((وَمِن ذَلِكَ[أَيْ: مِن مَسَائِلِ بَابِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ] بَابُ الادِّغَامِ فِي المتَقَارِبِ نَحْوَ: ود في وتد، وَمِنَ النَّاسِ "مَيَّقُول" في: "مَنْ يَقُول"، وَمِنْهُ جَمِيعُ بَابِ التَّقْرِيبِ؛ نَحْوَ: اصْطَبَرَ، وَازْدَانَ، وَجمعِ بَابِ المضَارَعَةِ، نَحْوَ: مَصْدَر وَبابه)) [2]. وَفِي اسْتِعْمَالِهِ التَّقْرِيبَ هُنَا دَلَالَةٌ مِن جِهَةٍ مَا عَلَى أَنَّ الغَرَضَ مِن هَذَا التَّغْيِيرِ وَأَمْثَالِهِ هُوَ تَحْقِيقُ التَّقَارُبِ الصَّوْتِي مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى التَّجَانُسِ وَالائْتِلَافِ اللَّفْظِيِّ وَالتَّخْفِيفِ عَلَى اللِّسَانِ عِنْدَ النُّطْقِ. وَقَدْ أَشَارَ المطَرِّزِيُّ (ت 610هـ) إِلَى أَنَّ الغَايَةَ مِنْ مِثْلِ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الإِبْدَالِ هِيَ تَحْسِينُ اللَّفْظِ، قَالَ: (((وَالزَّايُ) تُبْدَلُ مِنْ الصَّادِ إِذَا وَقَعَتْ قَبْلَ الدَّالِ سَاكِنَةً تَقُولُ: يَزْدُرُ فِي يَصْدُرُ، وَلَمْ يُحَرَّمْ مَنْ فُزِدَ لَهُ فِي فُصِدَ مِنْ الْفَصِيدِ، وَلَمْ يَعُدَّ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ الصَّادَ، وَالزَّايَ فِي حُرُوفِ الْبَدَلِ، وَقَالَ: إِنَّمَا أَبْدَلْنَا فِي هَذِهِ الْكَلِمِ تَحْسِينًا لِلَّفْظِ)) [3].

وَمِنْ صُوَرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ أَنَّ العَرَبَ امْتَنَعَتْ عَنِ الإِلْحَاقِ بِالأَلِفِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي آخِرِ الكَلِمَةِ نَحْوَ: أَرْطًى وَمِعْزًى، وَلَم يُوقِعُوهَا فِي حَشْوِ الكَلِمَةِ، وَذَلِكَ مِنْ بَابِ الاحْتِيَاطِ لِلَّفْظِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَقْوَى لِلكَلِمَةِ وَأَدَلَّ عَلَى إِعْرَابِهَا وَانْصِرَافِهَا، وَلِيَكُونَ تَنْوِينُهَا دَلِيلًا عَلَى الأَصْلِ الَّذِي أُلْحِقَتْ بِهِ، قَالَ ابْنُ جِنِّي فِي بَابِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ: ((وَمِن

---

1 شرح شافية ابن الحاجب: 1/ 49، وفي: المفتاح في الصرف: 34-35: ((ولا يتوالى في كلام العرب أربعة أحرف متحركات، إلاّ أنْ يكونَ محذوفاً منه شيء)).

2 الخصائص: 1/ 321.

3 المغرب في ترتيب المعرب: 543.

ذَلِكَ امْتِنَاعُهُمْ مِن الإِلْحَاقِ بالأَلِفِ إِلَّا أَنْ تَقَعَ آخِرًا نَحْو أَرْطَى، وَمِعْزَى، وَحَبَنْطَى، وَسَرَنْدَى، وَزِبَعْرَى، وَصَلَخْدَى، وَذَلِكَ أَنَّهَا إِذَا وَقَعَتْ طَرَفًا وَقَعَتْ مَوْقِعَ حَرْفٍ مُتَحَرِّكٍ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى قُوَّتِهَا عِنْدَهُم وَإِذَا وَقَعَتْ حَشْوًا وَقَعَتْ مَوْقِعَ السَّاكِنِ فَضَعُفَتْ لِذَلِكَ فَلَمْ تَقْوَ فَيُعْلَمَ بِذَلِكَ إِلْحَاقُهَا بِمَا هِيَ عَلَى سَمْتِ مُتَحَرِّكِهِ؛ أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ أَلْحَقْتَ بِهَا ثَانِيَةً فَقُلْتَ: خَاتَم مُلْحَقٌ بِجَعْفَر لَكَانَتْ مُقَابِلَةً لِعَيْنِهِ وَهِيَ سَاكِنَةٌ فَاحْتَاطُوا لِلَّفْظِ بِأَنْ قَابَلُوا بِالأَلِفِ فِيهِ الحَرْفَ المتَحَرِّكَ لِيَكُونَ أَقْوَى لهَا وَأَدَلَّ عَلَى شِدَّةِ تَمَكُّنِهَا وَلِيُعْلَمَ بِتَنْوِينِهَا أَيْضًا وَكَوْنِ مَا هِيَ فيه عَلَى وَزْنِ أَصْلٍ مِن الأُصُولِ لَهُ أَنَّهَا لِلإِلْحَاقِ بِهِ. وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ أَلِفُ قَبَعْثَرَى، وضَبَغْطَرَى؛ لِأَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ طَرَفًا وَمُنَوَّنَةً فَإِنَّ المثَالَ الَّذِي فِيهِ لا مصعد لِلأُصُولِ إِلَيْهِ فيلْحق هَذَا بِهِ لِأَنَّهُ لا أَصْلَ لَهَا سُدَاسِيًا، فَإِنَّمَا أَلِفُ قبعثرى قِسْمٌ مِن الأَلِفَاتِ الزَّوَائِدِ فِي أَوَاخِرِ الكَلِمِ ثَالِث لا لِلتَّأْنِيثِ وَلا لِلإِلْحَاقِ. فَاعْرِفْ ذَلِكَ)) [1].

وَقَدْ ذَكَرَ عُلَمَاءُ العَرَبِيَّةِ أَنَّ الأَلِفَ لا تُلْحَقُ إِلَّا آخِرًا، فَلَا تَقَعُ مُلْحَقَةً فِي أَوَّلِ الكَلِمَةِ أَوْ فِي حَشْوِهَا، قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ (ت316ه): ((وَلَا تَكُونُ الأَلِفُ مُلْحَقَةً أَبَدًا إلا أَنْ تكونَ آخرًا نحو: عَلقَى، وَتُعرفُ أَنَّها مُلْحَقَةٌ إذا رَأَيْتَها مُنَوَّنَةً)) [2]. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت 538ه): ((وَلا تَقَعُ للإلحاقِ إِلَّا آخِراً فِي نَحْو مِعْزَى)) [3]. وَقَالَ ابنُ الحَاجِبِ (ت646ه) مُبَيِّنًا السَّبَبَ فِي هَذَا الحُكْمِ اللُّغَوِيِّ: ((وَلَا تقعُ الْألفُ للإلحاقِ فِي الِاسْمِ حَشْوًا لما يَلْزَمُ مِن تَحْرِيكِهَا)) [4]. وَقَد شَرَحَ رُكْنُ الدِّينِ الاسترَاباذيّ (ت 715ه) هَذَا الكَلامَ، قَالَ: ((اِعْلَمْ أَنَّ الأَلِفَ لا تَقَعُ للإِلحاقِ فِي أَوَّلِ الكَلمةِ وَهُوَ ظَاهِرٌ، وَلا فِي وَسَطِهَا؛ لأَنَّهُ لَو وَقَعَ حَشْوًا لِلإِلحاقِ لَزِم تَحْرِيكُهَا؛ لأَنَّها إِنْ كانتْ ثَانِيةً وَجَبَ تَحْرِيكُها فِي التَّصْغِيرِ، وَإِنْ كَانَتْ ثَالِثةً وَجَبَ تَحْرِيكهَا بَعدَ ياءِ التَّصْغِيرِ، وَإِنْ كَانَت رَابِعَةً كَانت

1 الخصائص: 1/ 320-321.

2 الأصول في النحو: 3/ 353. وينظر: الكتاب لسيبويه 2/ 260، والمنصف لابن جني: 35 -36، والمخصص: 4/ 421، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي الأستراباذي: 2/ 330-323.

3 المفصل في صنعة الإعراب: 502.

4 الشافية في علم التصريف: 1/ 70.

آخِرًا في التَّصْغِيرِ وَالجَمْعِ؛ لأنَّها إذَا كَانتْ رَابِعَةً حَشْوًا، وَهِيَ للإلحاقِ، فَلا تَكُونُ إلَّا للإلحاقِ بِالخُماسِيِ، فَيَجبُ حَذْفُ الآخرِ لِيُمكنَ جَمْعُه وَتَصْغِيرُه كَمَا مَرَّ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لم يَقَعْ الألِفُ لِلإلحاقِ إلَّا آخِرًا لإمْكَانِ بَقَائِهَا غَيْرَ مُحَرَّكَة، هَذَا تَقْرِيرُ ما ذَكَرَ المصَنِّفُ)) [1].

وَمِمَّا يَدخلُ في مَسَائِلِ إصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَحْسِينِهِ أنَّ العَرَبَ خَصَّتِ الألِفَ بِالزِّيَادَةِ في آخِرِ بَنَاتِ الخَمسةِ لِخِفَّتِهَا دُونَ أُخْتَيْهَا: الواو والياء، قَالَ ابْنُ جِنِّي: ((وَمِن ذَلِكَ أنَّهم لما أجْمَعُوا الزِّيَادَةَ في آخِرِ بَنَاتِ الخَمسةِ -كَمَا زَادُوا في آخِرِ بَنَاتِ الأَرْبَعَةِ- خَصُّوا بِالزِّيَادَةِ فيه الألف استخفافًا لَهَا وَرَغْبَةً فيها هُنَاكَ دُونَ أُخْتَيهَا: الياء والواو. وَذَلِكَ أنَّ بَنَاتِ الخَمسةِ لِطُولِهَا لا يَنْتَهِي إِلَى آخِرِهَا إلَّا وَقَد ملت، فَلَمَّا تَحَمَّلُوا الزِّيَادَةَ في آخِرِهَا طَلَبُوا أخَفَّ الثَّلاثِ -وهي الألفُ- فَخَصُّوهَا بها، وَجَعَلُوا الوَاوَ واليَاءَ حَشْوًا في نَحْوِ عَضْرَفُوط وَجَعْفَلِيق لأنَّهم لَو جَاءوا بهما طَرَفًا وَسُدَاسِيينِ مَعَ ثِقْلِهِمَا لَظَهَرت الكُلْفَةُ في تَجَشُّمِهِمَا وَكَدَّت في احْتِمَالِ النُّطْقِ بهما كُلَّ ذلك ***لإصلاح اللفظ***)) [2].

وَمِن مَظَاهِرِ إصْلاحِ اللَّفْظِ وَتَزيينِهِ حَذْفُ تَاءِ التَّأنِيثِ مِن الأَسْمَاءِ المؤَنَّثَةِ عِنْدَ جَمْعِهَا جَمْعَ مُؤَنَّثٍ سَالما، كَمَا في جَمْعِ ثَمْرَة عَلَى ثمرات، كَرَاهَةَ اجْتِمَاعِ عَلامَتَي تَأنيثٍ: (تاءين) في لَفْظٍ وَاحد، قَالَ ابْنُ جِنِّي: ((إِذَا جَمَعْتَ الِاسْمَ الْمُؤَنَّثَ زِدتَ فِي آخِرِهِ أَلفًا وَتَاءً، ...، فَإِن كَانَ فِي الِاسْمِ الْمُؤَنَّثِ هَاء التَّأْنِيثِ حَذَفْتَهَا فِي الْجَمْعِ تَقولُ فِي جَمْعِ مُسلِمَةٌ مُسلِماتٌ وَفِي جَمْعِ قَائِمَة قائماتٌ وَكَانَ الأَصْل مُسْلِمتات وَقَائِمتات فَحُذِفَتِ التَّاءُ الأُوْلَى لِئَلَّا تَجْتَمِعَ فِي الِاسْمِ الْوَاحِدِ عَلَامَتَا تَأْنِيث)) [3]. وَقد زَادَ أَبُو البَرَكَاتِ الأَنْبَارِيّ (ت577ه) في إيضاحِ هذا التَّعْلِيل، إِذْ قَالَ: ((أَلَا تَرَى أَنَّهُم لا يَجمعُونَ بَينَ

1 شرح شافية ابن الحاجب لركن الدين الاستراباذي: 2/ 577.

2 الخصائص: 1/ 321. وفي: الكتاب: 4/ 303: ((وتلحق الألف سادسة لغير التأنيث فيكون الحرف على مثال فعللى، وهو قليل)).

3 اللمع في العربية لابن جني: 21

عَلَامَتي تأنيثٍ في كَلِمةٍ وَاحدةٍ نَحْو مُسلمات وَصَالحات، وَإِنْ كَانَ الأصلُ فيه مُسلمتات وَصَالحتات؛ لأَنَّ كُلَّ واحدةٍ من التَّاءينِ تَدُلُّ عَلَى ما تَدُلُّ عليه الأخرى من التَّأنيث، وتَقوم مَقَامَهَا، فَلَم يَجْمَعُوا بَيْنَهما؛ فكَذَلِكَ هَهنا)) [1]. وَقَد عَدَّ ابْنُ جِنِّي هذا المسلَكَ اللُّغَوِيَّ الَّذي تَتَّبِعه العَرَبِيَّةُ، هنا، من باب إِصْلَاحِ اللَّفْظِ، قَالَ: ((وَمِن ذَلِكَ قَوْلُهم في جَمْعِ تَمْرَة وَبُسْرَة وَنَحو ذَلِكَ: تَمْرات وَبُسْرات، فَكَرِهُوا إِقْرَارَ التَّاء تَنَاكرًا لاجتماعِ عَلَامَتي تأنيثٍ في لَفْظِ اسمٍ وَاحِدٍ، فَحُذِفت وَهِيَ في النِّيَّةِ -مُرَادَة البتَّة- لا لِشَيْءٍ إِلَّا **لإِصْلَاحِ اللَّفْظِ**؛ لأنَّها في المعنى مُقَدَّرَة مَنْوِيَّةٌ لا غَيْرَ، أَلَا تراك إِذَا قُلْتَ: (تمرات) لم يَعْتَرِضْ شَكٌّ في أَنَّ الوَاحِدَةَ منها تَمْرَة، وَهَذا وَاضِحٌ. وَالعِنَايَةُ، إِذًا، في الحَذْفِ إِنَّما هِيَ بإِصْلَاحِ اللَّفْظِ؛ إِذ المعنى نَاطِقٌ بِالتَّاءِ مُقْتَضٍ لَهَا حَاكِمٌ بِمَوضِعِهَا)) [2].

وَمِن مَظَاهِرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ (أل) الدَّاخِلَةُ عَلَى الأَسْمَاءِ المَوْصُولَةِ؛ فَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ إِلَى أَنَّ (أل) فِيهَا لا تُفِيدُ التَّعْرِيفَ لأَنَّ هَذِهِ الأَسْمَاءَ تَكْتَسِبُ التَّعريفَ مِن صِلَتِهَا، وَمن ثَمَّ فَإِنَّ وَظِيفَةَ (أل) الَّتِي دَخَلَتْ عَلَيْهَا هِيَ إِصْلاحُ اللَّفْظِ وَلَيْسَ التَّعْرِيف. قَالَ ابْنُ يَعِيش: ((إِذَا ثَبَتَ أَنَّ الألف واللام لا تُفِيدَانِ هُنَا -في بَابِ اسْمِ الموصُول- التَّعْرِيفَ كَانَ زِيَادَتُهُمَا لِضَرْبٍ مِن **إِصْلَاحِ اللَّفْظِ**، وَذَلِكَ أَنَّ (الَّذِي) وَأَخَوَاتِهِ مِمَّا فِيهِ لامٌ إِنَّما دَخَلَ تَوَصُّلًا إِلَى وَصفِ المَعَارِفِ بِالجُمَلِ، وَذَلِكَ أَنَّ الجُمَلَ نَكِرَاتٌ، أَلَا تَرَى أَنَّهَا تَجْرِي أَوْصَافًا عَلَى النَّكِرَاتِ، نَحْو قَوْلِكَ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ أَبُوهُ زَيْدٌ، وَنَظَرْتُ إِلَى غُلَامٍ قَامَ أَخُوهُ، وَصِفَةُ النَّكِرَةِ نَكِرَةٌ، ...، فَلَمَّا كَانَتْ تَجْرِي أَوْصَافًا عَلَى النَّكِرَاتِ لِتَنَكُّرِهَا أَرَادُوا أَنْ تَكُونَ في المَعَارِفِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمْ يَسُغْ أَنْ تَقُولَ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ أَخُوهُ كَرِيمٌ، وَأَنْتَ تُرِيدُ النَّعْتَ لِزَيْدٍ؛ لأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ الجُمَلَ نَكِرَاتٌ، وَالنَّكِرَةُ لا تَكُونُ وَصْفًا لِلمَعْرِفَةِ. وَلَم يُمْكِنْ إِدْخَالُ لامِ التَّعْرِيفِ عَلَى الجُمْلَةِ؛ لأَنَّ هَذِهِ اللَّامَ مِن خَوَاصِّ

1 الإنصاف في مسائل الخلاف: 1/ 19، وينظر: أسرار العربية: 68، 258، والمخصص: 5/ 183، وشرح شذور الذهب للجوجري 1/ 184- 185، وشرح التصريح على التوضيح: 2/ 513.

2 الخصائص: 1/ 314-315.

الأَسْمَاءِ، وَالجُمْلَةُ لا تَخْتَصُّ بِالأَسْمَاءِ، ...، إِلَّا أَنَّ لَفْظَ (الَّذِي) قَبْلَ دُخُولِ الأَلِفِ وَاللَّامِ لَمْ يَكُنْ عَلَى لَفْظِ أَوْصَافِ المعَارِفِ فَزَادُوا فِي أَوَّلِهَا الأَلِفَ وَاللَّامَ لِيَحْصُلَ لَهُمْ بِذَلِكَ لَفْظُ المعْرِفَةِ الَّذِي قَصَدُوه، فَيَتَطَابَقُ اللَّفْظُ وَالمعْنَى)) [1]. وَقَد عَلَّقَ الأُسْتَاذُ عَبَّاس حَسَن عَلَى هَذَا التَّحْلِيلِ بِأَنَّهُ خَيَالِيٌّ وَأَنَّ العَرَبِيَّ كَانَ يَتَكَلَّمُ عَلَى السَّلِيقَةِ لا يَعْرِفُ بِهَذَا الأَمْرِ، قَالَ: ((وَكُلُّ مَا تَقَدَّمَ خَيَالِيٌّ مَحْضٌ يَحْسُنُ إِهْمَالُهُ، إِذْ لا يَعْرِفُ العَرَبِيُّ الأَصْلِ عَنْهُ شَيْئًا. أَمَّا التَّعْلِيلُ الحَقُّ فَهُوَ كَلَامُ العَرَبِ وَحْدَهُ)) [2].

وَيَلْحَقُ بِهَذِهِ المسْأَلَةِ (أل) الموصُولَةُ الدَّاخِلَةُ عَلَى صِفَةٍ صَرِيحَةٍ لِغَيْرِ تَفْضِيلٍ وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: اسْمُ الفَاعِلِ كَالضَّارِبِ وَاسم المفْعُول كَالمضْرُوبِ وَالصِّفَة المشَبَّهَة كَالحَسَنِ، فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَى اسْمٍ جَامِدٍ كَالرَّجُلِ أَوْ عَلَى وَصْفٍ يُشْبِهُ الأَسْمَاءَ الجَامِدَةَ كَالصَّاحِبِ أَوْ عَلَى وَصْفِ التَّفْضِيلِ كَالأَفْضَلِ وَالأَعْلَى فَهِيَ حَرْفُ تَعْرِيف [3]، فَقَد دَفَعَ التَّفْكِيرُ النَّحْوِيُّ فِي وَظِيفَتِهَا وَدَلَالَتِهَا بَعْضَ النَّحْوِيينَ إِلَى الذَّهَابِ إِلَى أَنَّهَا اسْتُعْمِلَتْ لِضَرْبٍ مِن إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ، قَالَ الأُسْتَاذُ عَبَّاس حَسَن: ((لَيْسَتْ (أل) هَذِهِ هُنَا لِلتَّعرِيفِ، فِي الأَشْهَرِ، وَإِنَّمَا هِيَ لِضَرْبٍ مِن إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ؛ لأَنَّ اسْمَ الموصُول يَتَعَرَّفُ بِصِلَتِهِ. وَكَثِيرٌ مِن أَسْمَاءِ الموصُول مُجَرَّدٌ مِن (أل) مَعَ أَنَّه مَعْرِفَةٌ، فَتَعْرِيفُهُ جَاءَ مِن صِلَتِهِ، لا مِن (أل). وَلَو كَانَتْ لِلتَّعْرِيفِ لَمُنِعَتْ مِن إِعْمَال اسْمَي الفَاعِلِ وَالمفْعُول إِذَا كَانَا بِمَعْنَى الحَالِ أَوْ الاسْتِقْبَال، إِذْ تُبْعِدُهُمَا -كَمَا يَقُولُونَ- عَن شَبَهِ الفِعْلِ، وَتُقَرِّبُهُمَا مِن الجَوَامِدِ؛

---

1 شرح المفصل: 3/ 254- 255، وينظر: النحو الوافي: 1/ 347، (الهامش).

2 النحو الوافي 1/ 347.

3 ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى: 102، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك: 1/ 150، وحاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك 1/ 239. وفي: النحو الوافي: 1/ 356، ((والمراد هنا بالمشقات الصريحة ،أي: الصفات الصريحة: اسم الفاعل، واسم المفعول، اتفاقا وفي الصفة المشبهة خلاف ... لأنهما يدلان على الحدث والتجدد كالفعل. أما الصفة المشبهة وباقي المشتقات فتدل على الثبوت، فهي بعيدة من الفعل، قريبة من الأسماء الجامدة. ومن ثم كانت (أل) الداخلة على (أفعل التفضيل) للعهد، وليست موصولة..)).

لأنَّهَا مِن خَصَائِصِ الأَسْمَاءِ، وَالأَصْلُ في الأَسْمَاءِ الجُمُودُ، بِسَبَبِ وَضْعِهَا لِلذَّوَاتِ، وَالجَامِدُ لا يَعْمَلُ، بِخِلَافِ الفِعْلِ وَمَا يُشْبِهُهُ)) [1].

وَإِذَا انتقَلْنَا إِلَى المستَوَى النَّحوِيِّ فَسَنجِدُ مَجْمُوعَةً مِن المسائِلِ الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّحْوِيُّونَ بِأَنَّها مِن إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ، مِن إِهمِّهَا تَغْيِيرُ مَوقِعِ الفَاءِ الوَاقِعَةِ في جَوابِ الشَّرْطِ بَعْدَ الأَدَاةِ (أَمَّا) وَنَقْلِهَا مِن مَحلِّهَا إِلَى مَوضعٍ آخَرَ لِيَكُونَ التَّركِيبُ أَخفَّ عَلَى اللِّسَانِ كَمَا في نحْوِ: أَمَّا زَيدٌ فَمُنْطَلِقٌ، إِذْ يَرَى النَّحْوِيُّونَ أَنَّ أَصلَ التَّركِيبِ: أَمَّا فَزَيْدٌ مُنطَلِقٌ، لأَنَّ أَصلَ (أَمَّا) وَمَعنَاهَا عِندَهُم هُوَ: مَهمَا يَكُنْ مِن شَيْءٍ فَزَيْدٌ مُنطَلِقٌ [2]. وَقَد بَيَّنَ النَّحْوِيُّونَ مَعنَى (أَمَّا) وَدَلَالَةَ التَّركِيبِ الَّذِي تَأْتِي فِيهِ فِي ضَوءِ الأَصلِ الَّذِي قَدَّرُوه لَـهَا، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: ((أَمَّا: حَرْفٌ فِيهِ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَلِذَلِكَ يُجَابُ بِالفَاءِ. وَفَائِدَتُهُ فِي الكَلَامِ أَنْ يُعْطِيَهُ فَضْلَ تَوكِيدٍ. تَقُولُ: زَيْدٌ ذَاهِبٌ. فَإِذَا قَصَدْتَ تَوكِيدَ ذَاكَ وَأَنَّهُ لا مَحَالَةَ ذَاهِبٌ وَأَنَّهُ بِصَدَدِ الذَّهَابِ وَأَنَّهُ مِنْهُ عَزِيمَةٌ، قُلْتَ: أَمَّا زَيدٌ فَذَاهِبٌ. وَلِذَلِكَ قَالَ سِيبَوَيهِ فِي تَفْسِيرِهِ: مَهمَا يَكُنْ مِن شَيْءٍ فَزَيْدٌ ذَاهِبٌ. وَهَذَا التَّفْسِيرُ مُدِلٌّ لِفَائِدَتَيْن: بَيَان كَوْنِهِ تَوكِيدًا، وَأَنَّهُ فِي مَعْنَى الشَّرْطِ)) [3]. وَقَد بَيَّنَ ابنُ جِنِّي أَصلَ هَذَا التَّركِيبِ وَمَا أَصَابَهُ مِن تَغْيِيرٍ لِغَرَضِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ، قَالَ: ((فَمِن ذَلِكَ قَولُهُم: أَمَّا زَيْدٌ فَمُنْطَلِقٌ أَلَا تَرَى أَنَّ تَحْرِيرَ هَذَا القَولِ إِذَا صَرَّحْتَ بِلَفْظِ الشَّرْطِ فِيهِ صِرتَ إِلَى أَنَّكَ كَأَنَّكَ قُلْتَ: مَهمَا يَكُنْ مِن شَيْءٍ فَزَيْدٌ مُنْطَلِقٌ فَتَجِدُ الفَاءَ فِي جَوَابِ الشَّرطِ فِي صَدْرِ الجُزْأَينِ مُقَدَّمَةً عَلَيْهِمَا. وَأَنتَ فِي قَولِكَ: أَمَّا زَيدٌ فَمُنْطَلِقٌ إِنَّمَا تَجِدُ الفَاءَ وَاسِطَةً بَيْنَ الجُزْأَينِ وَلَا تَقُولُ: أَمَّا فَزَيدٌ مُنطَلِقٌ كَمَا تَقُولُ فِيمَا هُوَ فِي مَعْنَاهُ: مَهْمَا يَكُن مِن شَيْءٍ فَزَيدٌ مُنْطَلِقٌ. وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ ***لِإِصْلَاحِ اللَّفْظِ***. وَوَجْهُ ***إِصْلَاحِهِ*** أَنَّ هَذِهِ الفَاءَ وَإِنْ كَانَتْ جَوَابًا وَلَمْ تَكُنْ عَاطِفَةً فَإِنَّهَا عَلَى مَذْهَبِ

---

1 النحو الوافي: 1/ 356.

2 جاء في: الكتاب: 3/ 137: ((مهما يكن من شيء فإنّك ذاهبٌ)).

3 المفصل في صنعة الإعراب: 443، وينظر: الكشاف: 1/ 117، وأنوار التنزيل: 1/ 63، ومدارك التنزيل: 1/ 73، والبحر المحيط: 1/ 192، ومغني اللبيب: 82، والبرهان في علوم القرآن: 4/ 242، والإتقان في علوم القرآن: 2/ 197، ومعترك الأقران: 2/ 64، وهمع الهوامع: 2/ 580، والكليات: 183.

لَفظِ العَاطِفَةِ وبِصُورَتِهَا فَلَوْ قَالُوا: أَمَّا فَزَيْدٌ مُنطَلِقٌ كَمَا يَقُولُونَ: مَهْمَا يَكُنْ مِن شَيْءٍ فَزَيْدٌ مُنْطَلِقٌ لَوَقَعَتِ الفَاءُ الجَارِيَةُ مَجْرَى فَاءِ العَطْفِ بَعْدَهَا اسْمٌ وَلَيسَ قَبْلَهَا اسْمٌ، إِنَّمَا قَبْلَهَا في اللَّفْظِ حَرْفٌ، وَهُوَ أَمَّا. فَتَنَكَّبُوا ذَلِكَ لما ذَكَرْنَا، وَوَسَّطُوهَا بَيْنَ الحَرْفَينِ لِيَكُونَ قَبْلَهَا اسْمٌ وَبَعْدَهَا آخَرُ فَتَأْتِي عَلَى صُورَةِ العَاطِفَةِ؛ فَقَالُوا: أَمَّا زَيْدٌ فَمُنْطَلِقٌ كَمَا تَأْتِي عَاطِفَةً بَينَ الاسْمَينِ في نَحْو قَامَ زَيدٌ فَعَمْرٌو. وَهَذَا تَفْسِيرُ أَبِي عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. وَهُوَ الصَّوَابُ)) [1]. وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ المرَادِيُّ (ت749هـ)، إِذْ قَالَ: ((أَمَّا بِفَتحِ الهَمْزَةِ: حَرْفٌ بَسِيطٌ، فِيهِ مَعْنَى الشَّرْطِ، مُؤَوَّل بِمَهْمَا يَكُن مِن شَيْءٍ، لأَنَّهُ قَائِمٌ مَقَامَ أَدَاةِ الشَّرْطِ وَفِعْلِ الشَّرْطِ. وَلِذَلِكَ يُجَابُ بِالفَاءِ، ....، وَالجُمْهُورُ يُقَدِّرُونَ أَمَّا بِمَهْمَا يَكُنْ مِن شَيْءٍ، كَمَا تَقَدَّمَ. فَإِذَا قُلْتَ: أَمَّا زَيْدٌ فَمُنْطَلِقٌ، فَالتَّقْدِيرُ: مَهْمَا يَكُنْ مِن شَيْءٍ فَزَيْدٌ مُنْطَلِقٌ. فَحُذِفَ فِعْلُ الشَّرْطِ وَأَدَاتُهُ، وَأُقِيمَتْ أَمَّا مَقَامَهُمَا، فَصَارَ التَّقْدِيرُ: أَمَّا فَزَيْدٌ مُنطَلِقٌ. فَأُخِّرَتِ الفَاءُ إِلَى الجُزْءِ الثَّانِي، لِضَرْبٍ مِن ***إِصْلَاحِ اللَّفظِ***)) [2]. وَقَد بَيَّنَ الشَّيْخُ خَالِدُ الأَزهَرِيُّ أَنَّ العَرَبِيَّةَ خَالَفَتِ الأَصْلَ المقَدَّرَ في اسْتِعْمَالِ أَمَّا وَتَرْكِيبِهَا هَرَبًا مِن قُبحِ التَّرْكِيبِ لأَنَّهُ في صُورَةِ مَعطُوفٍ بِلَا مَعطُوفٍ عَلَيْهِ، فَاستَعْمَلَتْهَا عَلَى النَّحْوِ المعْهُودِ في لُغَةِ العَرَبِ اليَوْمَ، بِأَنْ فُصِلَ بَيْنَ (أَمَّا) وَالفَاءِ بِجُزْءٍ مِن الجَوَابِ، قَالَ: ((وَكَونُ (أَمَّا) تُقَدَّرُ بِهِمَا هُوَ قَولُ الجُمْهُورِ،...، وَلا بُدَّ لَهَا مِن فَاء تَالِيَةٍ لِتَالِيهَا، نَحْو: أَمَّا زَيْدٌ فَمُنْطَلِقٌ، وَالأَصْلُ أَنْ يُقَالَ: أَمَّا فَزَيْدٌ مُنطَلِقٌ، فَتُجْعَل الفَاءُ في صَدرِ الجَوَابِ كَمَا هِيَ مَعَ غَيرِ (أَمَّا) مِن أَدَوَاتِ الشَّرْطِ. وَلَكِن خُولِفَ هَذَا الأَصْلُ مَعَ (أَمَّا) فِرَارًا مِن قُبْحِهِ لِكَوْنِهِ في صُورَةِ مَعطُوفٍ بِلَا مَعْطُوفٍ عَلَيْهِ. فَفَصَلُوا بَيْنَ (أَمَّا) وَالفَاءِ بِجُزْءٍ مِن الجَوَابِ)) [3].

---

1 الخصائص: 1/ 313- 314. وفي: سر صناعة الإعراب: 1/ 277، ذكر التوجية نفسه منسوبًا إلى أبي علي الفارسي.

2 الجنى الداني في حروف المعاني: 522. وينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: 3/ 1305، والبرهان في علوم القرآن: 2/ 370.

3 شرح التصريح على التوضيح: 2/ 429.

وَمِن مَظَاهِرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ طَرِيقَةُ استِعْمَالِ لامِ الابْتِدَاءِ عِنْدَ دُخُولِ (إِنَّ)، إِذْ تُزَحْلَقُ مِنَ المبْتَدَأ إِلَى الخَبَرِ، كَمَا فِي: إِنَّ زَيْدًا لَقَائِمٌ؛ لأَنَّ الأَصْلَ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ هُوَ: لَئِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ، ثُمَّ نُقِلَتْ مِن مَحَلِّهَا قَبْلَ (إِنَّ) إِلَى الخَبَرِ، قَالَ المبرِّدُ (ت285هـ): ((لَا تَقُولُ: لَئِن زَيْدًا مُنطَلِقٌ؛ لِأَنَّ اللَّامَ فِي مَعْنَى إِنَّ فَإِنْ فَصَلْتَ بَيْنَهُمَا بِشَيْءٍ حَسُنَ وَاستَقَامَ فَقُلْتَ: إِنَّ فِي الدَّارِ لَزَيْدًا)) [1]. وَقَد بَيَّنَ النَّحْوِيُّونَ أَنَّ سَبَبَ هَذَا المسْلَكِ اللُّغَوِيِّ هُوَ كَرَاهَةُ اجْتِمَاعِ حَرْفَينِ يُؤَدِّيَانِ وَظِيفَةً دَلَالِيَّةً وَاحِدَةً -وهِيَ التَّوكِيدُ- فِي مَوضِعٍ وَاحِدٍ، قَالَ الأُشْمُونِيُّ (ت900هـ): ((وَكَانَ حَقُّ هَذِهِ اللَّامِ أَنْ تَدْخُلَ عَلَى أَوَّلِ الكَلَامِ؛ لأَنَّ لَهَا الصَّدْرَ، لَكِنْ لما كَانَتْ لِلتَّأْكِيدِ وَ(إِنَّ) لِلتَّأْكِيدِ كَرِهُوا الجَمْعَ بَيْنَ حَرْفَينِ لمعْنَى وَاحِدٍ، فَزَحْلَقُوا اللَّامَ إِلَى الخَبَرِ)) [2]. وَقَد عَدَّ ابنُ جِنِّي هَذَا التَّغْيِيرَ فِي مَوضِعِ اللَّامِ بِنَقْلِهَا مِن أَوَّلِ الجُمْلَةِ إِلَى آخِرِهَا مِن بَابِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ هَرَبًا مِنَ الجفَاءِ الَّذِي يَترُكُهُ اجْتِمَاعُ مُؤَكِّدَيْنِ: (اللَّامِ وإِنَّ) فِي مَوضِعٍ وَاحِدٍ، قَالَ: ((وَمِن ذَلِكَ قَولُهُم: إِنَّ زَيْدًا لِقَائِمٌ فَهَذِهِ لامُ الابْتِدَاءِ وَمَوضِعُهَا أَوَّلُ الجُمْلَةِ وَصَدْرُهَا لا آخِرُهَا وَعَجزُهَا فَتَقْدِيرُهَا أَوَّل: لَئِنَّ زَيْدًا مُنطَلِقٌ، فَلمَّا كُرِهَ تَلَاقِي حَرْفَينِ لمعْنَى وَاحِدٍ -وَهُوَ التَّوكِيدُ- أُخِّرَتِ اللَّامُ إِلَى الخَبَرِ فَصَارَ إِنَّ زَيْدًا لمنطَلِقٌ، ...، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَوضِعَ اللَّامِ فِي خَبَرِ (إِنَّ) أَوَّلُ الجُمْلَةِ قَبلَ (إِنَّ) أَنَّ العَرَبَ لما جَفَا عَلَيْهَا اجْتِمَاعُ هَذَينِ الحَرْفَينِ قَلَبُوا الهَمْزَةَ هَاءً لِيَزُولَ لَفْظُ (إِنَّ) فَيَزُولَ أَيْضًا مَا كَانَ مُستَكْرَهًا مِن ذَلِكَ فَقَالُوا (لَهِنَّكَ قَائِمٌ)؛ أَيْ لَئِنَّكَ قَائِمٌ، ...، فَأَمَّا قَولُ مَنْ قَالَ: إِنَّ قَولَهُم (لَهِنَّكَ) إِنَّ أَصْلَهُ: (للهِ إِنَّكَ)، فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا ذَلِكَ مَعَ مَا عَلَيْهِ فِيهِ فِي

---

1 المقتضب: 2/ 343.

2 شرح الأشموني: 1/ 305، وينظر: الكتاب: 3/ 150، ومعاني القرآن للفراء: 1/ 466، ومعاني القرآن للأخفش: 1/ 107، وتفسير الطبري: 12/ 42، والأصول في النحو 1/ 259، وإعراب القرآن المنسوب خطأ للزجاج: 3/ 940، الإنصاف في مسائل الخلاف: 1/ 173، والدر المصون: 1/ 25، واللباب في علوم الكتاب: 1/ 138، والصحاح: 6/ 2197، ولسان العرب: 13/ 393، وهمع الهوامع: 1/ 509، وخزانة الأدب:10/ 338،وتاج العروس: 36/ 133-134، وحاشية الصبان: 1/ 412.

مَوضِعٍ آخَرَ، وَعَلَى أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ قَدْ كَانَ قَوَّاهُ بِأَخرةٍ، وَفِيهِ تَعَسُّف)) [1]. وَقَد تَنَاوَلَ ابْنُ جِنِّي هَذِهِ المسْأَلَةَ فِي مَوضِعٍ آخَرَ؛ فَبَحَثَ فِي سَبَبِ عَدَمِ الجَمْعِ بَيْنَ (إِنَّ) وَاللَّامِ، مِن جِهَةٍ، وَعِلَّةُ تَأخِيرِ اللَّامِ دُونَ (إِنَّ)، مِن جِهَةٍ أُخرَى، قَالَ: ((تَدْخُلُ هَذِهِ اللَّامُ عَلَى الجُمْلَةِ الَّتِي فِي أَوَّلِهَا إِنَّ المثَقَّلَةَ المحَقَّقَةَ؛ فَيَلْزَمُ تَأخِيرُ اللَّامِ إِلَى الخَبَرِ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: إِنَّ زَيْدًا لمنطَلِقٌ، فَأَصْلُ هَذَا: إِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ، ثُمَّ جَاءَتِ اللَّامَ؛ فَصَارَ التَّقْدِيرُ: لَئِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ؛ فَلَمَّا اجْتَمَعَ حَرْفَانِ لمعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ التَّحقِيقُ وَالتَّوكِيدُ، كُرِهَ اجْتِمَاعُهُمَا، فَأُخِّرَتِ اللَّامُ إِلَى الخَبَرِ، فَصَارَ الكَلَامُ: إِنَّ زَيْدًا لمنطَلِقٌ، ...، فَإِنْ قِيلَ: فَقَد ثَبَتَ أَنَّ اللَّامَ كَانَ سَبِيلُهَا أَنْ تَكُونَ فِي أَوَّلِ الكَلَامِ، وَصَحَّ بِمَا قَدمته؛ فَهَلَّا جُمِعَ بَيْنَها وَبَيْنَ (إِنَّ) فَكَانَ ذَلِكَ يَكُونُ أَوكَدَ، وَلِمَ فُصِلَ بَيْنَهُمَا؟ فَالجَوَابُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الكَلَامِ حَرْفَانِ لمعْنًى وَاحِدٍ مُجْتَمِعَانِ، وَالعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الغَرَضَ فِي هَذِهِ الحُرُوفِ الدَّوَالِّ عَلَى المعَانِي؛ إِنَّمَا هُوَ التَّخْفِيفُ وَالاخْتِصَارُ، أَلَا تَرَى أَنَّ (هَلْ) تَنُوبُ عَن أَستَفْهِمُ وَ(مَا) تنوبُ عَن أَنْفِي، ...، فَإِذَا كَانَ الغَرَضُ فِيهَا إِنَّمَا هُوَ الاخْتِصَارُ وَالاسْتِغْنَاءُ بِالقَلِيلِ عَن الكَثِيرِ؛ فَلَا وَجْهَ لِلجَمْعِ بَيْنَ حَرْفَينِ لمعْنًى وَاحِدٍ، إِذْ فِي الوَاحِدِ كِفَايَةٌ مِن الآخَرَ وَغَنَاءٌ عَنْهُ، وَلَوْ جُمِعَ مَعَهُ لَانْتَقَضَ الغَرَضُ بِتَكْرِيرِهِ وَالإِكْثَارِ بِإِعَادَتِهِ؛ فَإِذَا تَبَاعَدَ عَنْهُ؛ لَمْ يَجْتَمِعْ فِي اللَّفْظِ مَعَهُ استُجِيزَ اجْتِمَاعُهمَا فِي الجُمْلَةِ الوَاحِدَةِ)) [2].

وَمِن مَظَاهِرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ تَركِيبُ الأَدَاةِ (كَأَنَّ)؛ إِذْ يَرَى جُمْهُورُ النَّحْوِيِّينَ أَنَّهَا تَتَرَكَّبُ مِن كَافِ التَّشْبِيهِ وَالحَرْفِ المشَبَّهِ بِالفِعْلِ: (إِنَّ) ، أَيْ انَّ الأَصْلَ هُوَ: زَيْدٌ كَعَمْرٍو، ثُمَّ جِيْءَ بـ(إِنَّ) لِتَوْكِيدِ التَشبِيهِ، فَصَارَتِ الجُمْلَةُ: إِنَّ زَيْدًا كَعَمْرٍو، ثُمَّ رُكِّبَتِ الأَدَاتَان (إِنَّ وَكَافُ التَّشْبِيهِ)، فَصَارَتَا: كَأَنَّ، فَقَالُوا: كَأَنَّ زَيْدًا عَمْرٌو؛ قَالَ سِيبَوَيْهِ: ((وَسَأَلْتُ الخَلِيْلَ عَن كَأَنَّ، فَزَعَمَ أَنَّهَا إِنَّ، لَحِقَتْهَا الكَافُ لِلتَّشْبِيهِ، وَلَكِنَّهَا

1 الخصائص: 1/ 315-318،

2 سر صناعة الإعراب: 2/ 49-52.

صَارَتْ مَعَ إنَّ بِمَنْزِلَةِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ)) [1]. وَقَدْ أَرْجَعَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ هَذَا التَّغْيِيرَ بِتَرْكِيبِ الأَدَاةِ (كَأَنَّ) مِن الأَدَاتَيْنِ المَذْكُورَتَيْنِ (إنَّ وَكَاف التَّشْبِيهِ) إِلَى الاهْتِمَامِ بِالتَّشْبِيهِ وَالعِنَايَةِ بِهِ؛ فَقَدْ وَضَّحَ أَبو البَرَكَاتِ الأَنْبَارِي أَصْلَ (كَأَنَّ) وَالغَايَةَ مِن تَرْكِيبِهَا، وَبَيَّنَ أَنَّ مَا أَصَابَهَا مِن تَغْيِيرٍ عَن طَرِيقِ التَّرْكِيبِ شَبِيهٌ بِمَا جَرَى مِن نَقْلٍ لِمَحلِّ لَامِ الابْتِدَاءِ مِن أَوَّلِ الجُمْلَةِ إِلَى آخِرِهَا عِنْدَ دُخُولِ الحَرْفِ المشَبَّهِ بالفِعْلِ: (إنَّ) عَلَى الجُمْلَةِ، قَالَ: ((وَأَصْلُهَا إنَّ أُضِيفَ إِلَيْهَا الكَافُ لِلتَّشْبِيهِ، وَالأَصْلُ فِي الكَافِ أَنْ تَكُونَ مُؤَخَّرَةً؛ كَمَا أَنَّ الأَصْلَ فِي اللَّامِ أَنْ تَكُونَ مُقَدَّمَةً؛ فَإِذَا قُلْتَ: كَأَنَّ زَيْدًا الأَسَدُ، كَانَ الأَصْلُ فِيهِ: إنَّ زَيْدًا كَالأَسَدِ، كَمَا إِذَا قُلْتَ: إنَّ زَيْدًا لَقَائِمٌ، كَانَ الأَصلُ فِيهِ: لَئِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ، إِلَّا أَنَّهُ قُدِّمَتِ الكَافُ عَلَى (إنَّ) عِنَايَةً بِالتَّشْبِيهِ، وَأُخِّرَتِ اللَّامُ عَن (إنَّ) لِئَلَّا يَجْمَعُوا بَيْنَ حَرْفَي تَأْكِيدٍ، فَلَمَّا نُصِبَ بِهَا مَعَ التَّخْفِيفِ دَلَّ عَلَى أَنَّها بِمَنْزِلَةِ فِعْلٍ قَدْ حُذِفَ بَعْضُ حُرُوفِهِ)) [2]. وَهُوَ مَا أَخَذَ بِهِ ابْنُ هِشَامٍ، إِذْ قَالَ: ((وَالْأَصلُ فِي كَأَنَّ زَيْدًا أَسَدًا إِنَّ زَيْدًا كَأَسَدٍ ثُمَّ قُدِّمَ حَرْفُ التَّشْبِيهِ اهْتِمَامًا بِهِ)) [3]. فِي حِينِ عَالَجَ العُكْبَرِيُّ الغَايَةَ مِن هَذَا التَّرْكِيبِ مِن زَاوِيَةٍ أُخْرَى، نَاظِرًا فِيهَا إِلَى مَقَاصِدِ المتَكَلِّمِ وَمُوَازِنًا بَيْنَ مَعْنَى التَّشْبِيهِ الَّذِي تُفِيدُه (الكَافُ) وَمَعْنَى التَّحْقِيقِ الَّذِي تُفِيدُه (إنَّ)، مُنْتَهِيًا إِلَى أَنَّهم ابْتَدَءُوا بِحَرْفِ التَّشْبِيهِ لأَنَّهُ أَوْلَى مِن أَنْ يَبْتَدِئُوا بِحَرْفِ التَّحْقِيقِ ثُمَّ يَعُودُوا إِلَى التَّشْبِيهِ؛ لِيَدُلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَبْنَى الجُمْلَةِ -عِنْدَئِذٍ- قَائِمٌ عَلَى التَّشْبِيهِ، قَالَ: ((وَالْأَصلُ فِي (كَأَنَّ زَيدًا الأَسَدُ) إِنَّ زَيْدًا كَالأَسَدِ ثُمَّ قَدَّمُوا (الْكَافَ) فَأَدْخَلُوهَا عَلَى (أَنَّ) لِيَبْتَدِئُوا بِالمشَبَّهِ وَهُوَ أَوْلَى مِن أَنْ يَبْتَدِئُوا بِمَا لَفْظُه لَفْظُ التَّحْقِيقِ ثُمَّ يَعُودَ التَّشْبِيهُ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِك)) [4]. فِي حِينِ جَعَلَ ابْنُ جِنِّي الغَايَةَ مِن تَرْكِيبِ هَاتَيْنِ

---

1 الكتاب: 3/ 151. وينظر: الأصول في النحو 1/ 230، وتأويل مشكل القرآن: 281، والمحكم والمحيط الأعظم:10/ 475، وتهذيب اللغة: 10/ 206، ومغني اللبيب: 252، والجنى الداني: 568، وشرح الرضي: 1814، ولسان العرب: 13/ 33، وشرح التصريح: 1/ 294، وهمع الهوامع: 1/ 487.

2 الإنصاف في مسائل الخلاف: 1/ 160.

3 مغني اللبيب: 252.

4 اللباب في علل البناء والإعراب: 1/ 205.

الأَدَاتَيْنِ: (إِنَّ وَكَافِ التَّشْبِيهِ) عَلَى هَذَا النَّحْوِ هِيَ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ، وَهُوَ مَا يَصُبُّ بِدَوْرِهِ فِي دِقَّةِ المَعَانِي وَقُوَّتِهَا، قَالَ: ((وَمِن إِصْلَاحِ اللَّفْظِ قَوْلُهُم: كَأَنَّ زَيْدًا عَمْرٌو. اِعْلَمْ أَنَّ أَصْلَ هَذَا الكَلَامِ: زَيْدٌ كَعَمْرٍو، ثُمَّ أَرَادُوا تَوكِيدَ الخَبَرِ فَزَادُوا فِيهِ (إِنَّ) فَقَالُوا: إِنَّ زَيْدًا كَعَمْرٍو، ثُمَّ إِنَّهُم بَالَغُوا فِي تَوكِيدِ التَّشْبِيهِ فَقَدَّمُوا حَرْفَهُ إِلَى أَوَّلِ الكَلَامِ عِنَايَةً بِهِ وَإِعْلَامًا أَنَّ عَقْدَ الكَلَامِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا تَقَدَّمَتِ الكَافُ وَهِيَ جَارَّةٌ لَم يَجُزْ أَنْ تُبَاشِرَ (إِنَّ) لأَنَّهَا يَنْقَطِعُ عَنْهَا مَا قَبْلَهَا مِن العَوَامِلِ فَوَجَبَ لِذَلِكَ فَتْحُهَا فَقَالُوا: كَأَنَّ زَيْدًا عَمْرٌو)) [1].

وَمِن أَشْكَالِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ، فِي العَرَبِيَّةِ، تَأْخِيرُ المُبْتَدَإِ إِذَا كَانَ نَكِرَةً وَتَقْدِيمُ الخَبَرِ -الَّذِي غَالِبًا مَا يَكُونُ شِبْهَ جُمْلَةٍ- عَلَيْهِ؛ لأَنَّ المُبْتَدَأَ النَّكِرَةَ لا يَحْسُنُ الابْتِدَاءُ بِهِ، قَالَ سِيبَوَيهِ: ((إِنَّ الابْتِدَاءَ إِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ، وَأَحْسَنُهُ إِذَا اجْتَمَعَ نَكِرَةٌ وَمَعْرِفَةٌ أَنْ يَبْتَدِئَ بِالأَعْرَفِ؛ وَهُوَ أَصْلُ الكَلَامِ)) [2]. وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ عِنْدَهُم أَنَّ فِي الابْتِدَاءِ بِالنَّكِرَةِ جَفَاءً وَقُبْحًا مِن حَيْثُ المَعْنَى؛ ذَلِكَ أَنَّهُ لا يُفِيدُ مَعْنًى عِنْدَ السَّامِعِ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ الأَوْلَى أَنْ يَكُونَ المُبْتَدَأُ مَعْرِفَةً أَوْ نَكِرَةً مُخْتَصَّةً، قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ: ((وَحَقُّ المُبْتَدَإِ أَنْ يَكُونَ مَعْرِفَةً أَوْ مَا قَارَبَ المَعْرِفَةَ مِن النَّكِرَاتِ المَوْصُوفَةِ خَاصَّةً، ...، وَإِنَّمَا امْتَنَعَ الابْتِدَاءُ بِالنَّكِرَةِ المُفْرَدَةِ المَحْضَةِ لأَنَّهُ لا فَائِدَةَ فِيهِ، وَمَا لا فَائِدَةَ فِيهِ فَلَا مَعْنَى لِلتَّكَلُّمِ بِهِ، ...، فَإِذَا اجْتَمَعَ اسْمَانِ مَعْرِفَةٌ وَنَكِرَةٌ، فَحَقُّ المَعْرِفَةِ أَنْ تَكُونَ هِيَ المُبْتَدَأَ وَأَنْ تَكُونَ النَّكِرَةُ الخَبَرَ لأَنَّكَ إِذَا ابْتَدَأْتَ فَإِنَّمَا قَصْدُكَ تَنْبِيهُ السَّامِعِ بِذِكْرِ الاسْمِ الَّذِي تُحَدِّثُهُ عَنْهُ لِيَتَوَقَّعَ الخَبَرَ بَعْدَهُ، فَالخَبَرُ هُوَ الَّذِي يُنْكِرُهُ وَلا يَعْرِفُهُ وَيَسْتَفِيدُه)) [3]. وَمِن ثَمَّ فَقَد اتَّجَهُوا إِلَى إِصْلَاحِ اللَّفْظِ بِأَنْ أَخَّرُوا المُبْتَدَأَ وَقَدَّمُوا عَلَيْهِ الخَبَرَ، حَتَّى لا يَكُونَ اللَّفْظُ النَّكِرَةُ أَوَّلَ مَا يَقَعُ فِي سَمْعِ المُتَلَقِّي، قَالَ ابْنُ جِنِّي فِي بَابِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ: ((وَمِن ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُم: لَكَ مَالٌ وَعَلَيْكَ دَيْنٌ، فَالمَالُ وَالدَّيْنُ هُنَا مُبْتَدَآنِ، وَمَا قَبْلَهُمَا خَبَرٌ عَنْهُمَا إِلَّا أَنَّكَ لَوْ رُمْتَ تَقْدِيمَهُمَا إِلَى المَكَانِ المُقَدَّرِ

---

1 الخصائص: 1/ 318.

2 الكتاب: 1/ 328.

3 الأصول في النحو: 1/ 59.

لَهُمَا لَمْ يَجُزْ، لِقُبْحِ الابْتِدَاءِ بِالنَّكِرَةِ في الوَاجِبِ فَلَمَّا ***جَفَا ذَلِكَ في اللَّفْظِ*** أَخَّرُوا المُبْتَدَأَ وَقَدَّمُوا الخَبَرَ وَكَانَ ذَلِكَ سَهْلًا عَلَيْهِم ***وَمُصلِحًا لما فَسَدَ عِندَهم***. وَإِنَّمَا كَانَ تَأْخِيرُه مُسْتَحْسَنًا مِن قِبَلِ أَنَّه لما تَأَخَّرَ وَقَعَ مَوقِعَ الخَبَرِ وَمِن شَرْطِ الخَبَرِ أَنْ يَكُونَ نَكِرَةً، فَلِذَلِكَ ***صَلحَ بِهِ اللَّفْظُ*** وَإِنْ كُنَّا قَد أَحطْنَا عِلْمًا بِأَنَّهُ في المعْنَى مُبْتَدَأٌ. فَأَمَّا مَنْ رَفَعَ الاسْمَ في نَحْوِ هَذَا بِالظَّرْفِيَّةِ فَقَدْ كُفِيَ مَئونَةَ هَذَا الاعْتِذَارِ لأَنَّهُ لَيسَ مُبْتَدَأً عِنْدَه)) [1]. وَقَد وَقَفَ الأَشْمُونِيُّ عَلَى مُسَوِّغِ الابْتِدَاءِ بِالنَّكِرَةِ في مِثْلِ هَذِهِ الحَالَةِ عَن طَرِيقِ تَقْدِيمِ الخَبَرِ شِبْهِ الجُمْلَةِ عَلَيْهِ؛ فَبَيَّنَ أَنَّهُ لا دَخلَ لِتَقْدِيمِ الخَبَرِ في تَسْوِيغِ الابْتِدَاءِ بِالنَّكِرَةِ، وَإِنَّمَا الأَمْرُ يَعُودُ إِلَى تَوَهُّمِ الوَصْفِ النَّاتِجِ مِن تَأْخِيرِ المبْتَدَإِ؛ قَالَ: ((وَلا دَخلَ لِلتَّقْدِيمِ في التَّسْوِيغِ، وَإِنَّمَا هُوَ لما في التَّأْخِيرِ مِن تَوَهُّمِ الوَصْفِ)) [2].

وَمِن صُوَرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ اسْتِعْمَالُ الاسْمِ المَوْصُولِ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى وَصْفِ الاسْمِ المعَرَّفِ بِالجُمْلَةِ، لأَنَّهُم يَرَوْنَ أَنَّ الجُمْلَةَ نَكِرَةٌ فَلَا تُوصَفُ بِهَا المعْرِفَةُ إِلَّا عَن طَرِيقِ المِجيءِ بِالمَوْصُولِ الَّذِي يُحَسِّنُ الجُمْلَةَ وَيُهَيِّئُهَا لِوَصْفِ المعْرِفَةِ، قَالَ ابْنُ جِنِّي: ((وَمِن ذَلِكَ أَنَّهم لما أَرَادُوا أَنْ يَصِفُوا المعْرِفَةَ بِالجُمْلَةِ كَمَا وَصَفُوا بِهَا النَّكِرَةَ، وَلَمْ يَجُزْ أَنْ يُجْرُوهَا عَلَيْهَا لِكَونِهَا نَكِرَةً ***أَصْلَحُوا اللَّفْظَ*** بِإِدْخَالِ (الَّذِي) لِتُبَاشِرَ بِلَفْظِ حَرْفِ التَّعْرِيفِ المعْرِفَةَ فَقَالُوا: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ الَّذِي قَامَ أَخُوه، وَنَحْوِه)) [3]. وَقَدْ وَقَفَ الجُرْجَانِيُّ (ت471 ه) عَلَى هَذِهِ المسْأَلَةِ مُبَيِّنًا سَبَبَ اسْتِعْمَالِ الاسْمِ المَوْصُولِ وَدَلَالَاتِ هَذَا الاسْتِعْمَالِ؛ قَالَ: ((إِنَّ (الَّذِي) اجْتُلِبَ لِيَكُونَ وُصْلَةً إِلَى وَصْفِ المعَارِفِ بِالجُمَلِ، كَمَا اجْتُلِبَ (ذُو) لِيُتَوصَّلَ بِهِ إِلَى الوَصْفِ بِأَسْمَاءِ الأَجْنَاسِ، يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّكَ تَقُولُ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ الَّذِي أَبُوه مُنْطَلِقٌ وَالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ عِنْدَنَا أَمْسِ، فَتَجِدُكَ قَد تَوَصَّلْتَ بـ (الَّذِي) إِلَى أَنْ أَبَنْتَ زَيْدًا مِنْ غَيْرِهِ، ...، (الَّذِي) تُوصَلُ بِجُمْلَةٍ سَبَقَ مِن السَّامِعِ العِلْمُ بِهَا، ...،

---

1 الخصائص: 1/ 318.

2 شرح الأشموني: 1/ 192.

3 الخصائص: 1/ 322.

تَفْسِيرُ هَذَا أَنَّكَ لا تَصِلُ (الَّذِي) إِلَّا بِجُمْلَةٍ مِن الكَلامِ قَدْ سَبَقَ مِن السَّامِعِ عِلْمٌ بِهَا، وَأَمْرٌ قَدْ عَرَفَهُ لَهَ، نَحْوَ أَنْ تَرَى عِنْدَه رَجُلًا يُنْشِدُه شِعْرًا فَتَقُولُ لَهُ مِنْ غَدٍ: "مَا فَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِالأَمْسِ يُنْشِدُكَ الشِّعْرَ؟". هَذَا حُكْمُ الجُمْلَةِ بَعْدَ (الذي)، إِذَا أَنتَ وَصَفْتَ بِهِ شَيْئًا. فَكَانَ مَعْنَى قَوْلِهِم: إِنَّه اجْتُلِبَ لِيَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى وَصْفِ المعَارِفِ بِالجُمَلِ"، أَنَّهُ جِيءَ بِهِ لِيَفْصِلَ بَيْنَ أَنْ يُرادَ ذِكْرُ الشَّيْءِ بِجُمْلَةٍ قَدْ عَرَفَهَا السَّامِعُ لَهُ، وَبَيْنَ أَنْ لا يَكُون الأَمْرُ كَذَلِك))[1]. وَقَد أَوْجَزَ العُكْبَرِيُّ هَذَا الكَلامَ بِالقَول: ((وَالغَرَضُ مِن الإِتْيَانِ بِالَّذِي وَالَّتِي وَصْفُ المعَارِفِ بِالْجُمَلِ إِذْ كَانَتِ الْجُمَلُ تُفَسَّرُ بِالنَّكِرَاتِ وَيَنْبَغِي أَنْ يُتَوَصَّلَ إِلَى وَصْفِ الْمَعْرِفَةِ بِالْجُمْلَةِ لئلّا يَكُونَ لِلنَّكِرَةِ مَا لَيْسَ لِلمَعْرِفَة وَهَذَا كَجَعْلِهِم (ذُو) وُصْلَةً إِلَى الوَصْفِ بِالأَجْنَاسِ وَ(أي) وُصْلَةً إِلَى نِدَاءِ مَا فِيهِ الْأَلِفُ وَاللَّام))[2].

وَمِن إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيينهِ فِي العَرَبِيَّةِ تَرْكُ إِظْهَارِ الضَّمِيرِ فِي الاسْمِ الثَّانِي مِن المتَعَاطِفَيْنِ قَبْلَ اسْتِيفَاءِ المضَافِ إِلَيْهِ،كَمَا فِي: جَاءَ أَخُو وَغُلامُ عَلِيٍّ، الَّتِي أَصْلُهَا: جَاءَ أَخُو عَلِيٍّ وَغُلَامُهُ، فَلَمَّا حُذِفَ المضَافُ إِلَيهِ الأَوَّلُ جُعِلَ المضَافُ إِلَيهِ الثَّانِي اسْمًا ظَاهِرًا، فَيَكُون (غُلام) مُضَافًا، وَالمضَافُ إِلَيهِ مَحْذُوفًا تَقْدِيرُه (عَلِيّ)، ثُمَّ حُذِفَ الضَّمِيرُ مِن (غُلامه) إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ وَتَحْسِينًا لَه، لِئَلَّا يَبْقَى الاسمُ الجَرُورُ (عَلِي) مِن دُون جَار، وَمِثَالُه عِنْدَ القُدَمَاءِ: بَيْنَ ذِرَاعَي وَجَبْهَةِ الأَسَدِ[3]؛ قَالَ ابْنُ جِنِّي: ((قِيلَ: أَمَّا تَرْكُهُم إِظْهَارَ الضَّمِيرِ فِي الثَّانِي، وَأَنْ يَقُولُوا: بَيْنَ ذِرَاعَيْ وَجَبْهَتِهِ الأَسَد وَنَحْو ذلِك، فَإِنَّهُم لَوْ فَعَلُوه لَبَقِيَ المَجْرُورُ لَفظًا لا جَارَّ لَه فِي اللَّفْظِ يُجَاوِرُه، لَكِنَّهُم لما قَالُوا: بَيْنَ ذِرَاعَي وَجَبْهَةِ الأَسَدِ صَارَ كَأَنَّ (الأَسَد) فِي اللَّفْظِ مَجْرُورٌ بِنَفْسِ (الجَبْهَةِ)، وَإِنْ كَانَ فِي الحَقِيقَةِ مَجْرُورًا بِنَفْسِ

---

1 دلائل الإعجاز: 1/ 200.

2 اللباب في علل البناء والإعراب: 2/ 113.

3 ينظر: الكتاب: 1/ 180، ومعاني القرآن للفراء: 2/ 322، والمقتضب: 4/ 229، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: 4/ 177، وإعراب القرآن للنحاس: 3/ 179، وإعراب القرآن للباقولي المنسوب خطأ للزجاج: 2/ 681، والمفصل في صنعة الإعراب: 133، والتبيان في إعراب القرآن: 2/ 1036، وتوضيح المقاصد: 2/ 821، وشرح الأشموني: 2/ 178، وحاشية الصبان:2/ 414، وجامع الدروس العربية: 3/ 213.

الذِّرَاعَيْنِ. وَكَأَنَّهم في ذَلِكَ إِنَّما أَرَادُوا **إِصْلَاحَ اللَّفْظِ**. وَأَمَّا قُبْحُ حَذْفِ الضَّمِيرِ مَجْرُورًا لِضعفِهِ عَنِ الانفِصَالِ، فَسَاقِطٌ عَنَّا أَيْضًا، وَذَلِكَ أنَّه إِنَّما يَقْبُحُ فَصْلُ الضَّمِيرِ المجرورِ مَتَى خَرَجَ إِلَى اللَّفْظِ نَحْو: مَرَرْتُ بِزَيْدُوكَ، وَنَزَلْتُ عَلَى زَيْدُوه لِضعفِهِ أَنْ يُفَارِقَ مَا جَرَّه. فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَظْهَرْ إِلَى اللَّفْظِ وَكَانَ إِنَّمَا هُوَ مُقَدَّرٌ فِي النَّفْسِ غَيْرَ مُسْتَكْرَه عَلَيهِ اللَّفْظ فَإِنَّهُ لا يَقْبُحُ، أَلَا تَرَى أَنَّ هُنَا أَشْيَاءَ مُقَدَّرَةً لَوْ ظَهَرَتْ إِلَى اللَّفْظِ قَبُحَتْ، وَلأَنَّها غَيرُ خَارِجَةٍ إِلَيهِ مَا حَسُنَتْ، مِن ذَلِكَ قَولُهم: اخْتَصَمَ زَيْدٌ وَعَمْرٌو، أَلَا تَرَى أَنَّ العَامِلَ فِي المعْطُوفِ غَيْرُ العَامِلِ فِي المعْطُوفِ عَلَيهِ، فَلَا بُدَّ إِذًا مِن تَقْدِيرِهِ عَلَى: اخْتَصَمَ زَيْدٌ وَاخْتَصَمَ عَمْرٌو، وَأَنْتَ لَوْ قُلْتَ ذَلِكَ لَمْ يَجُزْ؛ لأَنَّ اخْتَصَمَ وَنَحْوه مِنَ الأَفْعَالِ -مِثْلِ اقْتَتَلَ وَاسْتَبَّ وَاصْطَرَعَ- لا يَكُونُ فَاعِلُهُ أَقَلَّ مِن اثْنَيْنِ، وَكَذَلِكَ قَولُهم: رُبَّ رَجُلٍ وَأَخِيهِ، وَلَوْ قُلْتَ: وَرُبَّ أَخِيهِ لَمْ يَجُزْ، وَإِنْ كَانَتْ رُبَّ مُرَادَةً هُنَاكَ وَمُقَدَّرَة)) [1].

وَمِن صُوَرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ، فِي العَرَبِيَّةِ، اسْتِعْمَالُ الفَاءِ فِي نَحْو: زَيْدًا فَأَكْرِمْ، إِذْ ذَهَبَ بَعضُ النَّحْوِيِّينَ إِلَى أَنَّ أَصْلَ الجُمْلَةِ هُوَ: تَنَبَّهْ فَأَكْرِمْ زَيْدًا، ثُمَّ حُذِفَ الفِعْلُ الأَوَّلُ: (تَنَبَّهْ)، فَبَقِيَتِ الجُمْلَةُ: فَأَكْرِمْ زَيْدًا، وَمِن ثَمَّ، وَقَعَتِ الفَاءُ أَوَّلًا مِن دُون أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَيهَا شَيْءٌ، فَقُدِّمَ المفْعُولُ بِهِ لِيَكُونَ مُسَوِّغًا لِوُجُودِ الفَاءِ، فَقَالُوا: زَيْدًا فَأَكْرِمْ، قَالَ أَبو حَيَّان الأَنْدَلسِيّ (ت745هـ): ((وَإِيَّايَ فَارْهَبُون. إِيَّايَ: مَنصُوبٌ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ مُقَدَّرًا بَعْدَهُ لِانْفِصَالِ الضَّمِيرِ، وَإِيَّايَ ارْهَبُوا، وَحُذِفَ لِدِلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَتَقْدِيرُهُ قَبْلَهُ، وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: فَارْهَبُون، دَخَلَتْ فِي جَوَابِ أَمْرٍ مُقَدَّر، وَالتَّقْدِيرُ: تَنَبَّهُوا فَارْهَبُون، ....، قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: الَّذِي ظَهَرَ فِيهَا بَعْدَ الْبَحْثِ أَنَّ الْأَصْلَ فِي: زَيْدًا فَاضْرِبْ، تَنَبَّهْ: فَاضْرِبْ زَيْدًا، ثُمَّ حُذِفَ تَنَبَّهْ فَصَارَ: فَاضْرِبْ زَيْدًا. فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفَاءُ صَدْرًا قَدَّمُوا الِاسْمَ **إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ**، وَإِنَّمَا دَخَلَتِ الْفَاءُ هُنَا لِتَرْبِطَ هَاتَيْنِ الْجُمْلَتَيْنِ، انْتَهَى مَا لُخِّصَ مِنْ كَلَامِهِ. وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا فَتَحْتَمِلُ الْآيَةُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ وَإِيَّايَ ارْهَبُوا، تَنَبَّهُوا فَارْهَبُونِ، فَتَكُونُ الْفَاءُ دَخَلَتْ فِي جَوَابِ الْأَمْرِ، وَلَيْسَتْ مُؤَخَّرَةً مِنْ تَقْدِيمٍ. وَالْوَجْهُ

1 الخصائص: 2/ 411.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ وَتُنَبَّهُوا فَارْهَبُونِ، ثُمَّ قُدِّمَ الْمَفْعُولُ فَانْفَصَلَ، وَأُخِّرَتِ الْفَاءُ حِينَ قُدِّمَ الْمَفْعُولُ وَفِعْلُ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ تَنَبَّهُوا مَحْذُوفٌ، فَالْتَقَى بَعْدَ حَذْفِهِ حَرْفَانِ: الْوَاوُ الْعَاطِفَةُ وَالْفَاءُ، الَّتِي هِيَ جَوَابُ أَمْرٍ، فَتَصَدَّرَتِ الْفَاءُ، فَقُدِّمَ الْمَفْعُولُ وَأُخِّرَتِ الْفَاءُ ***إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ***، ثُمَّ أُعِيدَ الْمَفْعُولُ عَلَى سَبِيلِ التَّأْكِيدِ وَلِتَكْمِيلِ الْفَاصِلَةِ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ الْأَخِيرِ لَا يَكُونُ إِيَّايَ مَعْمُولًا لِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ، بَلْ مَعْمُولًا لِهَذَا الْفِعْلِ الْمَلْفُوظِ بِهِ، وَلَا يَبْعُدُ تَأْكِيدُ الضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ بِالضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ، كَمَا أُكِّدَ الْمُتَّصِلُ بِالْمُنْفَصِلِ فِي نَحْوِ: ضَرَبْتُكَ إِيَّاكَ))[1]. وَقَد لَخَّصَ السَّمِينُ الحَلَبِيُّ (ت756هـ) هَذَا الكَلَامَ، آخِذًا بِفِكْرَةِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ؛ قَالَ: ((وَالفَاءُ فِي «فَارْهَبُونِ» فِيهَا قَوْلَانِ لِلنَّحْوِيِّينَ، أَحَدُهمَا: أَنَّهَا جَوَابُ أَمْرٍ مُقَدَّرٍ تَقْدِيرُه: تَنَبَّهُوا فَارْهَبُونِ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِم: (زَيْدًا فَاضْرِبْ) أَيْ: تَنَبَّهْ فَاضْرِبْ زَيْدًا، ثُمَّ حُذِفَ: تَنَبَّه فَصَارَ: فَاضْرِبْ زَيْدًا، ثُمَّ قُدِّمَ المَفْعُولُ ***إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ***، لِئَلَّا تَقَعَ الفَاءُ صَدْرًا، وَإِنَّمَا دَخَلَتِ الفَاءُ لِتَرْبِطَ هَاتَيْنِ الجُمْلَتَيْنِ. وَالقَوْلُ الثَّانِي فِي هَذِهِ الفَاءِ: أَنَّهَا زَائِدَةٌ))[2]. وَالْمُتَأَمِّلُ فِي مِثْلِ هَذَا التَّوْجِيهِ يَرَى فِيهِ تَكَلُّفًا وَتَعَسُّفًا، أَدَّى إِلَى القَولِ بِتَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ فِي الجُمْلَةِ وَلَا يَدُلُّ شَيْءٌ فِيهَا عَلَيْهِ، وَهُوَ: الفِعْلُ (تَنَبَّهْ)، ثُمَّ القَولِ بِتَقْدِيمِ المَفْعُولِ بِهِ، وَهُوَ فِي الجُمْلَةِ (زَيْدًا)، لِغَرَضٍ لَفْظِيٍّ، وَهُوَ أَنْ لا تَتَصَدَّرَ الجُمْلَةُ بِالفَاءِ، عَلَى الرَّغْمِ مِن أَنَّ التَّقْدِيمَ هُنَا هُوَ لِغَرَضٍ مَعْنَوِيٍّ دَلَالِيٍّ مَنْبَعُه الاهْتِمَامُ بِالاسْمِ لا بَالحَدَثِ.

وَلَابُدَّ مِن الإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ مِثْلَ هَذَا التَّقْدِيرِ قَدْ يُؤَدِّي، نَوْعًا مَا، إِلَى تَغْيِيرِ الدَّلَالَةِ، بِسَبَبِ الدَّلَالَةِ اللُّغَوِيَّةِ الْمُعْجَمِيَّةِ الَّتِي يُضْفِيهَا الفِعْلُ الْمُقَدَّرُ (تَنَبَّهْ) عَلَى الجُمْلَةِ.

وَقَرِيبٌ مِن هَذَا مَا وَرَدَ فِي قَولِ ابْنِ مَالِك:

وَمُفْرَدًا نَعْتًا لِمَبْنِيٍ يَلِي ... فَافْتَحْ، أَو انْصِبَنْ، أَو ارْفَع، تَعْدِلِ

1البحر المحيط: 1/ 283- 284.

2 الدر المصون:1/ 314، وينظر: مغني اللبيب:221، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري: 1/ 67، واللباب في علوم الكتاب: 2/ 12، وإعراب القرآن وبيانه: 1/ 91.

إذْ إنَّ الفَاءَ هُنَا أَيْضًا جِيءَ بِهَا لِلتَّزْيِين، قَالَ الأُسْتَاذُ عَبَّاس حَسَن: ((الفَاءُ فِي: (فَافْتَحْ) زَائِدَةٌ ***لِتَحْسِينِ اللَّفْظِ***، فَلَا تَمْنَعْ مِن تَقَدُّمِ مَعْمُولِ مَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، مِثْل كَلِمَة: (مُفْرَدًا) هُنَا)) [1].

وَقَدْ وَرَدَ حَرْفُ (الفَاء) مُسْتَعْمَلًا لِغَرَضِ إصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ أَوْ تَحْسِينِهِ، فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى مِن كَلَامِ العَرَبِ، حَدَّدَهَا عُلَمَاءُ العَرَبِيَّةِ، وَمِن تِلْكَ المَوَاضِعِ اسْتِعْمَالُ الفَاءِ مَعَ (قَدْ، وَقَطْ، وَحَسْب، وَصَاعِدًا، وَزَائِدًا). وَمِن صُوَرِ ذَلِكَ اسْتِعْمَالُ الفَاءِ مَعَ اسْمِ الفِعْلِ (قَدِ) بِمَعْنَى: حَسْب؛ فَقَالُوا: (فَقَد) تَزْيِينًا لِلَفْظِ وَإصْلَاحًا لَه، وَمِن ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي قَولِ الشَّاعِرِ [2]:

قَالَتْ أَلَا لَيْتَما هَذَا الحَمَامُ لَنَا ... إِلَى حَمَامَتِنَا وَنِصْفُهُ فَقَدِ

قَالَ ابْنُ المنير الاسْكَنْدَرِيّ (ت 683ه): ((وَقَد: اسْمٌ بِمَعْنَى حَسْب، أُضِيفَتْ إِلَى يَاءِ المُتَكَلِّمِ بِغَيْرِ نُونِ الوِقَايَةِ، كَمَا يُقَالُ: حَسْبِي: وَيَحْتَمِلُ أَنَّ اليَاءَ حَرْفُ إِطْلَاق، فَلَا إضَافَةَ وَلَكِنَّهَا مُتَعَيِّنَةٌ فِي كَلَامِ زَرْقَاء، وَالهَاءُ فِيهِ لِلسَّكْتِ، وَهُوَ يُرَجِّحُ الإِضَافَةَ فِي كَلَامِ النَّابِغَةِ، وَالفَاءُ فِيهِ زَائِدةٌ ***لِتَحْسِينِ اللَّفْظِ*** كَفَاءِ فَقَط، وَكِلَاهُمَا بِمَعْنَى: انْتَهِ، وَكَأَنَّهَا فَاءُ الجَوَابِ، أَيْ: إذَا بَلَغت هَذَا الحَدَّ فَانْتَهِ)) [3]. وَجَاءَ فِي تَاجِ العَرُوسِ: ((قَط: اسْمُ فِعْلٍ بِمَعْنَى انْتَهِ، وَيُصَدَّرُ كَثِيرًا بِالفَاءِ ***تَزْيِينًا لِلَفْظِ***، كَأَنَّهُ جَزَاءُ شَرْطٍ مَحْذُوفٍ، أَي إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَانْتَهِ عَنِ الآخَرِ)) [4]. وَقَالَ الخُضَرِيُّ عَن (فَقَط) فِي قَولِ ابْنِ مَالِك:

(أَلْ) حَرْفُ تَعْرِيفٍ، أَو(اللَّامُ) فَقَطْ ... فَنَمَطٌ عَرَّفْتَ، قُلْ فِيهِ: النَّمَطْ

---

1 النحو الوافي 1/ 704، وينظر: حاشية الصبان: 1/ 132، ومنحة الجليل بهامش شرح ابن عقيل: 1/ 66، وضياء السالك إلى أوضح المسالك: 1/ 77.

2 للنابغة الذبياني، في ديوانه: 24، ينظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. اميل بديع يعقوب: 2/ 421.

3 حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، بهامش تفسير: الكشاف: 3/ 7.

4 تاج العروس: 20/ 46، وينظر: مختصر مغني اللبيب: 72، والتطبيق النحوي: 421.

: ((الفَاءُ: زَائِدَةٌ **لِتَزْيِينِ اللَّفْظِ**، وَ(قَط) بِمَعْنَى حَسْب. وَهِيَ حَالٌ مِن اللَّامِ في بَيْتِ ابْنِ مَالِكٍ، أيْ: حَالَ كَونِهَا؛ حَسْبُكَ: أيْ: كَافِيْتُكَ عَن طَلَب غَيْرِهَا، وَقِيلَ (الفَاء) في جَوَابِ شَرْطٍ مُقَدَّر، وَ(قَط) خَبَرٌ لِمَحْذُوفٍ فَالتَّقْدِيرُ: إنْ عَرفْتَ هَذا فَقَط أيْ: فَهِيَ حَسْبُكَ، أوْ اسْمُ فِعْلٍ بِمَعْنَى: انْتَهِ، أيْ: إذَا عَرفْتَ لَكَ فَهِيَ حَسْبُكَ، أوْ: فَانْتَهِ عَلَى طَلَبِ غَيْرِهَا)) [1]. وَمِن ذَلِكَ الفَاءُ الدَّاخِلَةُ عَلَى (حَسب)، قَالَ الأَزْهَرِيُّ: ((وَدَخَلَتِ الفَاءُ في الأَخِيرِ **تَزْيِينًا لِلَّفْظِ** كَمَا تَدْخُلُ عَلَى (قَط) في قَولِكَ: قَبَضْتُ عَشْرَةً فَقَط)) [2]. وَهُوَ مَا أَكَّدَه الكَفَوِيُّ؛ إذْ قَالَ: ((وَ(حَسْب) بِالسُّكُون: أُجْرِيَ مَجْرَى الْجِهَاتِ السِّتِّ فِي حَذْفِ الْمُضَافِ إلَيْهِ وَالْبِنَاءِ عَلَى الضَّمِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِن الظُّرُوفِ، وَشُبِّهَ بِـ(غَيْر) فِي عَدَمِ التَّعْرِيفِ بِالْإِضَافَةِ، وَقَدْ تَدْخُلُ الْفَاءُ **لِتَحْسِينِ اللَّفْظِ**)) [3]. وَمِنْهُ الفَاءُ الدَّاخِلَةُ عَلَى (قَط)، قَالَ الأُسْتَاذُ سَعِيدُ الأَفغانِيُّ: ((وَ(الفَاء) لِلتَّرْتِيبِ مَعَ التَّعْقِيبِ وَلِرَبْطِ الجَوَابِ،...، وَتَجِيءُ زَائِدَةً **لِتَحْسِينِ اللَّفْظِ** نَحْو: خُذْ سَبْعَةً فَقَط)) [4]. وَمِن ذَلِكَ أَيْضًا الفَاءُ الدَّاخِلَةُ عَلَى (صَاعِدًا وَنَازِلًا)، قَالَ الأُسْتَاذُ عَبْدُ الغَنِيِّ الدَّقر (ت 1423هـ): ((فَصَاعِداً: تَقُولُ: أَخَذْتُ هذا بِدِرْهَمٍ فَصَاعِداً، التَّقدير: أَخَذْتُه بِدِرْهَم، ثُمَّ زِدْتُ صَاعِداً، وَدَخَلَتِ الفَاءُ لأنَّهَا للتَّرْتِيبِ والتَّعقِيبِ، وقِيلَ: الفَاءُ **لِتَزْيِينِ اللَّفْظِ**، وَلَوْ أَتَيْتَ بِـ(ثُمَّ) بَدَلَ الفَاءِ لَجَازَ، وَلَكِنَّ الفَاءَ أَجْوَدُ، لأَنَّ مَعْنَاهُ الاتِّصَالَ، وَشَرْحُه عَلَى الحَقِيقَةِ: أَخَذْتُه بِدِرْهَمٍ فَزَادَ الثَّمنُ صَاعِداً، فحُذِفَ العَامِلُ وَصاحِبُ العَامِلُ وَصاحِبُ الحَال تَخْفِيفًا. وَمِثْلُهُ: أَخَذْتُه بِدِرْهَمٍ فَزَائِدًا، ولا يَجُوزُ أَخَذْتُه بِدِرْهَمٍ فَصَاعِدٍ ولا وَصَاعِدٍ، لأَنَّكَ لا تُرِيدُ أَنْ تُخْبِرَ أَنَّ الدِّرْهَمَ

---

1 حاشية الخضري: 1/ 180، وينظر: النحو الوافي: 1/ 422، وضياء السالك إلى أوضح المسالك: 1/ 180.

2 شرح التصريح: 1/ 723، وينظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك 2/ 363.

3 الكليات: 397، وينظر: الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة: 47–48، وجامع الدروس العربية: 2/ 210، 218، والتطبيق النحوي: 421.

4 الموجز في قواعد اللغة العربية: 389.

مَعَ صَاعِدٍ ثَمَنٌ لِشَيْءٍ، وَلَكِنَّكَ أَخْبَرْتَ بِأَدْنَى الثَّمَنِ فَجَعَلْتَه أوَّلًا ثُمَّ قَصَدتَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ لأَثمانٍ شَتَّى)) [1].

وَمِن مَظَاهِرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ البَاءُ الزَائِدَةُ في صِيغَةِ التَّعَجُّبِ القِيَاسِيَّةِ (أَفْعِلْ بِهِ)، الَّتِي تُعَدُّ زِيَادَتُهَا زِيَادَةً وَاجِبَةً لا غَالِبَةً وَلا ضَرُورَةً، وَقَد جَاءَ في كَلَامِ السَمِينِ الحَلَبِيِّ عَلَى صِيغَةِ التَّعَجُّبِ الوَارِدَةِ في قَولِهِ تَعَالَى: (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) [2] مَا يُوضِّحُ ذَلِكَ، قَالَ: ((قَولُه: (أَبْصِرْ بِهِ): صِيغَةُ تَعَجُّبٍ بِمَعْنَى مَا أَبْصَرَه، عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، وَالْهَاءُ للهِ تَعَالى. وَفي مِثْلِ هَذَا ثَلَاثَةُ مَذَاهِبَ: الأَصَحُّ أَنَّهُ بِلَفْظِ الأَمْرِ وَمَعْنَاهُ الخَبَرُ، وَالبَاءُ مَزِيْدَةٌ في الفَاعِلِ ***إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ***. وَالثَّاني: أَنَّ الفَاعِلَ ضَمِيرُ الْمَصْدَرِ. وَالثَّالِثُ: أَنَّه ضَمِيرُ الْمُخَاطَبِ، أَيْ: أَوْقِعْ أَيُّهَا المخَاطَبُ. وَقِيلَ: هُوَ أَمْرٌ حَقِيقَةً لا تَعَجُّبٌ، وَأَنَّ الهَاءَ تَعُودُ عَلَى الهُدَى المفْهُومِ مِن الكَلَامِ)) [3]. وَيُفْهَمُ مِن كَلَامِهِ في مَوضِعٍ آخَرَ أَنَّ سَبَبَ زِيَادَتِهَا زِيَادَةً لازِمَةً، عِنْدَ النَّحْوِيِّين، هُوَ إِصْلَاحُ اللَّفْظِ بِالتَّمْيِيزِ بَيْنَ (أَفْعِل) عِنْدَمَا يَكُونُ فِعْلَ تَعَجُّبٍ وَالفَاعِلُ مَعَه هُوَ المجْرُورُ بِالبَاءِ الزَّائِدَةِ اللَّازِمَةِ، وَ(أَفْعِل) الَّذِي يَكُونُ فِعْلَ أَمْرٍ، وَفَاعِلُه -عِنْدَئِذٍ- ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ وُجُوبًا؛ قَالَ: ((قَولُه تَعَالَى: (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ) [4]: هَذَا لَفْظُهُ أَمْرٌ وَمَعْنَاهُ التَعَجُّبُ، وَأَصَحُّ الأَعَارِيبِ فِيهِ كَمَا تَقَرَّرَ في عِلْمِ النَّحْوِ: أَنَّ فَاعِلَهُ هُوَ المجْرُورُ بِالبَاءِ، وَالبَاءُ زَائِدَةٌ، وَزِيَادَتُها لازِمَةٌ ***إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ***، لأَنَّ أَفْعِلْ أَمْرًا لا يَكُونُ فَاعِلُه إِلَّا ضَمِيرًا مُسْتَتِرًا، وَلَا يَجُوزُ حَذْفُ هَذِهِ البَاءِ إِلَّا مَعَ أَنْ وأَنَّ، ...،

---

1 معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، لعبد الغني الدقر : 328.

2 سورة الكهف، الآية: 26.

3 الدر المصون: 7/ 47.

4 سورة مريم، الآية: 38.

فَالمَجْرُورُ مَرْفُوعُ المحلِّ، وَلَا ضَمِيرَ فِي أَفْعَلِ)) [1]. وَهَذَا مَا أَكَّدَه ابنُ هِشَامٍ أَيْضًا فِي تَحْلِيلِه صِيغَةَ التَّعَجُّبِ عَلَى رَأْيِ جُمْهُورِ النَّحْوِيِّينَ الَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ (أَفْعِل) فِي هَذِهِ الصِّيغَةِ فِعْلُ أَمْرٍ مَعْنَاه الخَبَرُ؛ إِذْ قَالَ: ((فِي نَحْو أَحْسِنْ بِزَيْدٍ فِي قَولِ الْجُمْهُورِ إِنَّ الأَصْلَ أَحْسَنَ زَيْدٌ بِمَعْنَى: صَارَ ذَا حُسْنٍ، ثُمَّ غُيِّرَتْ صِيغَةُ الْخَبَرِ إِلَى الطَّلَبِ وَزِيدَتِ الْبَاءُ إِصْلَاحًا لِلَّفظِ)) [2].

وَمِن مَظَاهِرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ (كَانَ) فِي قَولِ الشَّاعِرِ [3]:

فَكَيْفَ إِذَا مَرَرْتُ بِدَارِ قَوْمٍ .... وَجِيرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامِ

فَقَد بَيَّنَ ابنُ هِشَامٍ أَنَّ (كَانَ) فِي هَذَا البَيْتِ زَائِدَةٌ إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ، قَالَ: ((فَقِيلَ الأَصْلُ هُم لَنَا ثُمَّ وُصِلَ الضَّمِيرُ بـ(كان) الزَّائِدَةِ ***إِصْلَاحًا لِلَّفظِ*** لِئَلَّا يَقَعَ الضَّمِيرُ الْمَرْفُوعُ الْمُنْفَصِلُ إِلَى جَانِبِ الْفِعْلِ)) [4]. وَنَقَلَ الشَّيْخُ خَالِدُ الأَزْهَرِي هَذَا التَّحْلِيلَ مِن غَيْرِ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ، آخِذًا بِفِكْرَةِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ، قَالَ: ((فَقِيلَ الأَصْلُ هُم لَنَا ثُمَّ وُصِلَ الضَّمِيرُ بـ(كان) الزَّائِدَةِ ***إِصْلَاحًا لِلَّفظِ*** لِئَلَّا يَقَعَ الضَّمِيرُ الْمَرْفُوعُ الْمُنْفَصِلُ إِلَى جَانِبِ الْفِعْلِ، وَقِيلَ بَل الضَّمِيرُ تَوكِيدٌ لِلْمُسْتَتِرِ فِي لَنَا عَلَى أَنَّ لَنَا صِفَةٌ لِجِيرَان ثُمَّ وُصِلَ لما ذُكِر)) [5]. وَقَدَ شَرَحَ البَغْدَادِيُّ (ت 1093هـ) هَذَا التَّوْجِيهَ، قَالَ: ((لَنَا: قِيلَ: خَبَرٌ مُقَدَّمٌ ثُمَّ اخْتُلِفَ عَلَى قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّه خَبَرُ مُبْتَدأ وَالْأَصْلُ: لَنَا هُم ثمَّ زِيدَتْ كَانَ بَينهمَا فَصَارَ لَنَا كَانَ هُم ثمَّ وُصِلَ الضَّمِيرُ ***إِصْلَاحًا لِلَّفظِ*** لِأَنَّهُ لَا يَصحُّ وُقُوعُه مُنْفَصِلا إِلَى جَانِبِ فِعْلٍ غَيْرِ

1 الدر المصون: 7/ 602.

2 مغني اللبيب: 144، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 12/ 465، و13/ 68، وإعراب القرآن وبيانه: 5/ 564.

3 للفرزدق، في ديوانه: 2/ 290، ولسان العرب: 13/ 370 (كنن).

4 مغني اللبيب: 378.

5 شرح التصريح على التوضيح: 1/ 254.

مُشْتَغِلٍ بِمَعْمُولٍ. وَالثَّانِي: أنه خَبَرٌ لِكَانَ وَأَنَّهَا نَاقِصَة وَهُوَ قَولُ الْمُبَرِّدِ وَجَمَاعَةٍ وَعَلَيهِ فَالجُمْلَةُ صِفَةٌ لِجِيرَان وَتَقَدَّمت عَلَى الصِّفَةِ الْمُفْرَدَة وَالْأَكْثَرُ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمُ الْمُفْرَدَةِ)) [1]. وَقَالَ الصَّبَّانُ (ت1206ه) مُوَضِّحًا هَذَا الوَجْهَ: ((الأَصْلُ هُم لَنَا ثُمَّ قُدِّمَ الخَبَرُ وَوُصِلَ الضَّمِيرُ بِكَانَ الزَّائِدَةِ ***إِصْلَاحًا لِلَّفظِ*** لِئَلَّا يَقَعَ الضَّمِيرُ الْمَرْفُوعُ الْمُنْفَصِلُ بِجَانِبِ الفِعْلِ)) [2].

وَمِن إِصْلَاحِ اللَّفظِ وَتَزْيِينِهِ زِيَادَةُ (مَا) في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [3]، قَالَ السَّمِينُ الحَلَبِيُّ: ((وَاللَّامُ في (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) جَوَابُ قَسَمٍ مُضْمَرٍ، وَالجُمْلَةُ مِن القَسَمِ وَجَوَابِهِ صِلَةٌ لِلمَوصُولِ، وَالتَّقْدِيرُ: وَإِن كُلاً لَلذين واللَّه ليوفيَّنهم. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هُنَا نَكِرَةً مَوْصُوفَةً، وَالجُمْلَةُ القَسَمِيَّةُ وَجَوَابُهَا صِفَةٌ لـ(مَا) وَالتَّقْدِيرُ: وَإِن كُلاً لَخَلْقٌ أَوْ لَفَرِيقٌ وَاللَّهِ لَيُوفِّيَنَّهم، وَالْمَوصُولُ وَصِلَتُه أَوْ الْمَوصُوفُ وَصِفَتُه خَبَرٌ لـ (إنْ). وَقَالَ بَعْضُهُم: اللَّامُ الأُولَى هِيَ الْمُوَطِّئَةُ لَلقَسَمِ، وَلَمَّا اجْتَمَعَ اللَّامَان، وَاتَّفَقَا في اللَّفظِ فُصِلَ بَيْنَهُمَا بـ(مَا) كَمَا فُصِلَ بالأَلِفِ بَيْنَ النُّونَيْنِ في (يَضْرِبْنانِّ)، وبَيْنَ الهَمْزَتَيْنِ في نَحو: (أَأَنْتَ). فَظَاهِرُ هَذِه العِبَارَةِ أَنَّ (مَا) هُنَا زَائِدَةٌ جِيءَ بِهَا للفَصْلِ ***إِصْلَاحًا لِلَّفظِ*** ...)) [4]. وَمِنَ الْمُفِيدِ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ بَعْضَ النَّحْوِيِّينَ قَد وَجَّهُوا (مَا) في الآيَةِ الكَرِيمَةِ عَلَى أَنَّهَا زَائِدَةٌ جِيءَ بِهَا لِلفَصْلِ بَيْنَ اللَّامَين؛ قَالَ العُكْبَرِيُّ: ((وَ(مَا) خَفِيفَةٌ زَائِدَةٌ لِتَكُونَ فَاصِلَةً بَيْنَ لَامِ إِنَّ وَلَامِ الْقَسَمِ كَرَاهِيَةَ تَوَالِيهِمَا، كَمَا فَصَلُوا بِالْأَلِفِ بَيْنِ النُّونَاتِ فِي قَوْلِهِمْ: أَحسِنَانِّ عَنِّي)) [5]. وَوَاضِحٌ مِن كَلَامِ النَّحْوِيِّينَ هُنَا أَنَّ

---

1 خزانة الأدب: 9/ 220.

2 حاشية الصبان: 1/ 353.

3 سورة هود، الآية: 111.

4 الدر المصون: 6/ 400، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 10/ 578.

5 التبيان في إعراب القرآن: 2/ 716، وينظر: الكشاف: 2/ 432، ومفاتيح الغيب: 18/ 405، ومدارك التنزيل:2/ 87.

وَجْهُ **إِصْلَاحِ اللَّفْظِ** فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يَتَمَثَّلُ فِي التَّخَلُّصِ مِنَ الثِّقَلِ الصَّوْتِيِّ النَّاتِجِ مِن اجْتِمَاعِ اللَّامَيْنِ، وَهُوَ أَمْرٌ وَصَفُوهُ هُم بِالْمُسْتَكْرَهِ، وَمِن ثَمَّ فَقَدْ لَجَأَتِ اللُّغَةُ إِلَى الفَصْلِ بَيْنَهُمَا بِـ(مَا) الزَّائِدَةِ تَوَصُّلًا إِلَى النُّطْقِ بِهِمَا وَتَحْسِينًا لَهُ، مَعَ الحِفَاظِ عَلَى الدَّلَالَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ لِلنَّصِّ.

وَيُسْتَفَادُ مِن نَصِّ كَلَامِ السَّمِينِ الحَلَبِيِّ الإِشَارَةُ إِلَى مَظْهَرٍ لُغَوِيٍّ آخَرَ مِن مَظَاهِرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ، وَهُوَ إِقْحَامُ الأَلِفِ بَيْنَ نُونِ النِّسْوَةِ وَنُونِ التَّوْكِيدِ الثَّقِيلَةِ، فِي نَحْوِ: يَضْرِبْنَانِ، فَقَدْ جِيءَ بِهَذِهِ الأَلِفِ لِئَلَّا تَجْتَمِعَ ثَلَاثُ نُونَاتٍ، لِأَنَّهُ لا يَجُوزُ حَذْفُ إِحْدَى تِلْكَ النُّونَاتِ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى اللَّبْسِ، إِذْ تَشْتَبِهُ –عِنْدَ حَذْفِهَا– بِالفِعْلِ الْمُضَارِعِ غَيْرِ الْمُسْنَدِ إِلَى نُونِ النِّسْوَةِ.

وَمِن صُوَرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ العُدُولُ عَنِ الضَّمِيرِ إِلَى الظَّاهِرِ، وَقَدْ وَرَدَتْ الإِشَارَةُ إِلَى هَذِهِ الصُّورَةِ فِي شَرْحِ ابْنِ حجرِ العَسْقَلَانِيِّ الحَدِيثَ النَّبَوِيَّ الشَّرِيفَ: ((مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ)) [1]؛ إِذْ قَالَ فِي شَرْحِهِ: ((وَفِي قَوْلِهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ الْعُدُولُ عَنِ الضَّمِيرِ إِلَى الظَّاهِرِ تَفْخِيمًا وَتَعْظِيمًا وَدَفْعًا لِتَوَهُّمِ عَوْدِ الضَّمِيرِ عَلَى الْمَوْصُولِ لِئَلَّا يَتَّحِدَ فِي الصُّورَةِ الْمُبْتَدَأُ وَالْخَبَرُ فَفِيهِ **إِصْلَاحُ اللَّفْظِ** لِتَصْحِيحِ الْمَعْنَى وَأَيْضًا فَعَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ قَلِيل)) [2]. وَمَعْنَى هَذَا الكَلَامِ أَنَّ اسْتِعْمَالَ الضَّمِيرِ فِي الحَدِيثِ بِأَنْ يُقَالَ: (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّهُ اللهُ) يُؤَدِّي إِلَى احْتِمَالِ دَلَالَتَيْنِ، لِأَنَّ الضَّمِيرَ (الهَاء) يَحْتَمِلُ أَنْ يَرْجِعَ عَلَى (اللِّقَاءِ) كَمَا يَحْتَمِلُ الرُّجُوعَ عَلَى (العَبْدِ)، فِي حِينِ أَنَّ الحَدِيثَ اسْتَعْمَلَ الظَّاهِرَ فَقَالَ: (أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ)، إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ وَدَفْعًا لِلَّبْسِ.

---

1 صحيح البخاري: 8/ 106، (بَابٌ: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ. رقم الحديث: 6507)، وصحيح مسلم: 4/ 2065، (بَابُ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ. رقم الحديث: 2683).

2 فتح الباري: 11/ 358، وينظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: 5/ 290.

وِيُمْكِنُنَا وَصْف هَذَا النَّوعِ مِن إِصْلَاحِ اللَّفْظِ بِأَنَّهُ طَارِئٌ وَلَيْسَ دَائِمًا، كَمَا فِي الحَالاتِ السَّابِقَةِ، وَالغَرَضُ مِنْهُ دِقَّةُ التَّعْبِيرِ وَبَلاغَةُ دَلَالَتِهِ وَسَلَامَتُهُ مِن اللَّبْسِ.

وَمِن مَظَاهِرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ اسْتِعْمَالُ (إِيَّا) وُصْلَةً مَعَ الضَّمَائِرِ لِتَحْسِينِ اللَّفْظِ؛ أَيْ لِغَرَضِ تَحْسِينِ النُّطْقِ بِالضَّمِيرِ، قَالَ الرَّاغِبُ الأَصفَهَانِيُّ (ت400 هـ): ((قَالَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ: (إِيَّاكَ) كُلُّهُ اسْمٌ وَاحِدٌ. وَقَالَ بَعْضُهُم: (الكَافُ) هُوَ الاسْمُ. وَ(إِيَّا): وُصْلَةٌ لَهُ. وَهَذَانِ لا تَنَافِيَ بَيْنَهُمَا فِي الحَقِيقَةِ، لأَنَّ ذَلِكَ بِنَظَرَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، وَذَاكَ أَنَّ الضَّمِيرَ الْمُتَّصِلَ إِذَا قُدِّمَ أَوْ فُصِلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُتَّصِلِ بِهِ لا يَحْسُنُ النُّطْقُ بِهِ مُفْرَدًا، فَضَمَّ إِلَيْهِ: (إِيَّا) لِيَصِيرَ بِذَلِكَ كَلَامًا مُسْتَقِلًّا. فَمَن قَالَ: الضَّمِيرُ هُوَ الكَافُ، فَإِنَّمَا اعْتَبَرَ بِذَلِكَ بَعْدَ انْضِمَامِ (إِيَّا) إِلَى الضَّمِيرِ. وَالعَرَبُ كَمَا أَنَّهُم يَتَحَرَّوْنَ بِالحُرُوفِ الْمُرَكَّبَةِ إِفَادَةَ الْمَعْنَى، فَقَدْ يَأْتُونَ بِبَعْضِهَا ***تَهْذِيبًا لِلَّفْظِ وَتَحْسِينًا لَهُ***، بِدَلالَةِ إِدْخَالِهِم الحُرُوفَ بَيْنَ الْحَرْفَيْنِ الْمُتَنَافِرَيْنِ فِي التَّرْكِيبِ، لِئَلَّا يَقْبُحُ التَّفَوُّهُ بِهِمَا. وَذَلِكَ قَدْ أُشْبِعَ الكَلَامُ فِيهِ فِي غَيرِ هَذَا الكِتَابِ. فـ(إِيَّا): جُعِلَ وُصْلَةً ***لِتَحْسِينِ اللَّفْظِ*** بِالضَّمِيرِ إِذَا قُدِّمَ لما لَمْ يَحْسُنْ أَنْ يُقَالَ: كَ أَلْزَمْتَ. وَهُ ضَرَبْتُ))[1]. وَقَدْ شَبَّهَ الرَّاغِبُ الأَصفَهَانِيُّ هَذَا التَّحْلِيلَ اللُّغَوِيَّ لاسْتِعْمَالِ (إِيَّا) وَالغَايَةُ مِنْهَا بِاسْتِعْمَالِ (ذُو وَذَا وَذِي) عِنْدَ الوَصْفِ بِاسْمِ جِنْسٍ، مِثْل: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ ذِي مَالٍ، وَاسْتِعْمَالُ الأَسْمَاءِ الْمَوصُولَةِ تَوَصُّلًا إِلَى وَصْفِ الْمَعَارِفِ بِالجُمَلِ - وَقَد مَرَّ الكَلَامُ عَلَيْهَا- مِثْل: جَاءَ الرَّجُلُ الَّذِي أَنْشَدَ القَصِيدَةَ، وَاسْتِعْمَالُ لَفْظِ (مثل) مَعَ حَرْفِ التَّشْبِيهِ: (الكَاف) فِي نَحْو: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لأَنَّهُ لايَجُوزُ القَولُ: لَيْسَ كَهُ شَيْءٌ؛ قَالَ الرَّاغِبُ: ((كَمَا أَتَوْا بِـ (ذِي) لما أَرَادُوا الوَصْفَ بِاسْمِ الجِنْسِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِم: (مَرَرْتُ بِرَجُلٍ ذِي مَالٍ). وَأُتِيَ بِـ (الَّذِي) لما أُرِيدَ أَنْ تُوصَفَ بِالمعْرِفَةِ بِالجُمَلِ. وَعَلَى ذَلِكَ أَتَى (مِثْل) مَعَ (الكَاف) فِي نَحْو كَمِثْلِه شَيْءٌ لما لَمْ يَحْسُنْ إِدْخَالُ الكَافِ عَلَى الضَّمِيرِ، فَيُقَالُ: كَكَ، وكَهُ))[2].

---

1 تفسير الراغب الأصفهاني: 1/ 57- 58.

2 تفسير الراغب الأصفهاني: 1/ 58.

وَمِن صُوَرِ تَحسِينِ اللَّفظِ عِندَ النَّحوِيِّينَ استِعمَالُ اللَّامِ في نَحْو: (لَا أَبَا لَكَ، وَلَا أَخَا لَكَ)، فَقَد وَجَّهَ بَعضُ النَّحوِيِّينَ هَذِهِ اللَّامَ عَلَى أَنَّهَا زَائِدَةٌ جِيءَ بِهَا تَحسِينًا لِلَّفظِ حَتَّى لا تَدْخُلَ لا النَّافِيةُ للجِنسِ- الَّتِي مِن شُرُوطِ عَمَلِهَا كَونُ اسْمِهَا نَكِرَةً لِإفَادَةِ عُمُومِ النَّفْي- عَلَى مَعرِفَةٍ بِالإِضَافَةِ، قَالَ السُّيُوطِيُّ(ت 911 ه): ((وأما قَوْلهم لَا أَبَا لَك وَلَا أَخا لَك وَلَا يَدي لَك وَلَا غلامي لَك، ...، فَفِيهِ أَقْوَال أحدهَا وَعَلِيهِ الْجُمْهُور أَنَّهَا أَسمَاء مُضَافَة إِلَى الْمَجْرُور بِاللَّامِ وَاللَّام زَائِدَة لَا اعْتِدَاد بهَا وَلَا تعلق وَالْخَبَر مَحْذُوف وَالْإِضَافَة غير مَحْضَة كهي فِي: مثلك وَغَيْرك؛ لِأَنَّهُ لم يُقْصد فِي: أَب أَو أَخ مُعَيَّن، فَلَمْ تَعمَلْ (لَا) فِي مَعْرِفَة، وَزِيدَتِ اللَّامُ ***تَحْسِينًا لِلَّفظِ*** لِئَلَّا تَدْخُلَ لَا عَلَى مَا ظَاهِرُه التَّعْرِيف. الثَّانِي أَنَّهَا أَسمَاءٌ مُفْرَدَة غَيْرُ مُضَافَةٍ عُومِلَتْ مُعَاملَة الْمُضَافِ فِي الْإِعْرَابِ، وَالْمَجْرُورُ بِاللَّامِ فِي مَوضِعِ الصِّفَةِ لَهَا وَهِيَ مُتَعَلقَةٌ بِمَحْذُوف وَالْخَبَرُ أَيْضًا مَحْذُوفٌ، ...، . الثَّالِث أَنَّهَا مُفْردَةٌ جَاءَتْ عَلَى لُغَةِ الْقَصْرِ وَالْمَجْرُورُ بِاللَّامِ هُوَ الْخَبَر، ...، وَإِنَّمَا اخْتَرْتُهُ لِسَلَامَتِهِ مِن التَّأْوِيلِ وَالزِّيَادَةِ وَالحَذْفِ وَكلُّهَا خِلَافُ الأَصْلِ وَكَانَ الْقيَاسُ فِي هَذِه الْأَلْفَاظِ لَا أَب لَك وَلَا أَخ لَك وَلَا يدين لَك)) [1]. وَقَدْ نَقَلْنَا هَذِهِ الأَوْجُهَ الَّتِي ذَكَرَهَا السُّيُوطِيُّ وَاخْتَارَ مِنْهَا الوَجْهَ الأَخِيرَ لِأَنَّ فِيهِ إِشَارَةً إِلَى رَدِّ القَوْلِ بِالزِّيَادَةِ بِحُجَّةِ تَحْسِينِ اللَّفْظِ؛ لِأَنَّهَا بِخِلَافِ الأَصْلِ، مِمَّا يَعْنِي أَنَّ تَحسِينَ اللَّفظِ هُنَا إِنَّمَا ارْتَبَطَ بِوَجْهٍ نَحوِيٍّ أَرَادَ تَأْوِيلَ النَّصِّ بِمَا لَا يَتَعَارَضُ مَعَ قَوَاعِدِهِ وَيُعَلِّلُهَا تَعْلِيلًا لُغَوِيًّا لَفظِيًّا كَمَالِيًّا وَلَيْسَ مَعْنَوِيًّا.

وَمِن أَشكَالِ تَحسِينِ اللَّفظِ وَتَزْيِينِهِ تَنوِينُ العِوَضِ الَّذِي يَلْحَقُ (إذ)؛ قَالَ الأُستَاذُ مَحْمُودُ صَافِي (ت 1376هـ): ((التَّنوِينُ الَّذِي يَلْحَقُ (إذ) عِندَ مَا تَتَّصِلُ بِاليَومِ أَوْ الحِينِ وَمَا فِي زُمْرَتِهِمَا كَالوَقْتِ وَالسَّاعَةِ وَالقَرْنِ إِلَى آخِرِ مَا هُنَالِكَ مِن هَذِهِ الأُسْرَةِ، نَحو يَومَئِذٍ وَحِينَئِذٍ وَسَاعَتَئِذٍ، وَقَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ النُّحَاةُ تَنوِينَ العِوَضِ لأَنَّهُ حَلَّ مَحلَّ الجُمْلَةِ الَّتِي كَانَ

---

1 همع الهوامع: 1/ 524- 525.

حقُّهَا أنْ تُذْكَرَ بَعْدَ الظَّرْفِ وبالتَّالِي يُضَافُ الظَّرْفُ إلَيْهَا وَهُوَ ضَرْبٌ مِن الإيجَازِ الَّذِي استَأثَرتْ بِهِ لُغَةُ الضَّادِ وغَايَتُهُ ***تَحْسِينُ اللَّفظِ*** إلَى جَانِبِ الاخْتِصَارِ)) [1].

الخاتمة:

يَخلُصُ الْمُتَأمِّلُ في مَظَاهِرِ إصْلَاحِ اللَّفْظِ وتَزْيِينِهِ وتَحْسِينِهِ في اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ إلَى أنَّهُ مُصطَلَحٌ لُغَوِيٌّ وَاسِعٌ يُرِيدُ بِهِ النَّحْوِيُّونَ الْمَسَالِكَ اللُّغَوِيَّةَ الَّتِي تَسْلُكُهَا اللُّغَةُ أوْ مُتَكَلِّمُوهَا لِغَرَضِ تَحْسِينِ اللَّفْظِ وتَجْمِيلِهِ وتَزْيِينِهِ في بَعْضِ الجَوَانِبِ الصَّوتِيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ، طَلَبًا لِلخِفَّةِ أوْ الانسِجَامِ الصَّوْتِيِّ خَاصَّةً وَاللُّغَوِيِّ عَامَّةً، أوْ سَعْيًا إلَى إزَالَةِ اللَّبْسِ وَدِقَّةِ الْمَعْنَى. كَمَا لا تَفُوتُنِي الإشَارَةُ هُنَا إلَى أنَّ التَّأوِيلَ النَّحْوِيَّ القَائِمَ عَلَى التَّقْدِيرِ وَالتَّخَيُّلِ كَانَ سَبَبًا فَاعِلًا في إدْرَاجِ بَعْضِ تِلْكَ الْمَسَائِلِ في هَذَا البَابِ؛ وَذَلِكَ لأنَّ النَّحْوِيِّينَ لَمْ يَنْطَلِقُوا في نَظَرِهِم إلَى تِلْكَ الْمَسَائِلِ وَمُعَالَجَتِهَا مِن الوَاقِعِ اللُّغَوِيِّ وَإنَّمَا استَنَدُوا إلَى الافْتِرَاضِ النَّحْوِيِّ الْمُتَخَيَّلِ، وَمِن ذَلِكَ مَثَلًا، مَسْألَةُ: استِعْمَالُ الفَاءِ في نَحْوِ: أمَّا زَيْدٌ فَمُنْطَلِقٌ، لأنَّهُم افتَرَضُوا أصْلًا غَيْرَ مُستَعْمَلٍ في كَلَامِ العَرَبِ بَنَوْا عَلَيْهِ القَوْلَ بِإصْلَاحِ اللَّفْظِ، وَهُوَ: أمَّا فَزَيْدٌ مُنطَلِقٌ، وَهُوَ تَرْكِيبٌ غَيْرُ مُستَعْمَلٍ، دَفَعَهُم إلَى ذَلِكَ تَفْسِيرُهُم مِثْلَ هَذَا التَّرْكِيبِ بِـ: مَهْمَا يَكُنْ مِن شَيْءٍ فَزَيْدٌ مُنطَلِقٌ، وَهُوَ تَفْسِيرُ مَعْنًى وَلَيْسَ مَرحَلَةً لُغَوِيَّةً تَارِيخِيَّةً مُستَعْمَلَةً سَابِقًا. وَقَدْ يَكُونُ القَوْلُ بِإصْلَاحِ اللَّفْظِ نَاتِجًا مِن الرَّبْطِ بَيْنَ أدَائَيْنِ أوْ تَرْكِيبَيْنِ مُستَعْمَلَيْنِ في كَلَامِ العَرَبِ بِعَلَاقَةٍ مُفْتَرَضَةٍ مُتَخَيَّلَةٍ لا يُؤَيِّدُهَا دَلِيلٌ، كَمَا في كَلَامِهِم عَلَى (كَأنَّ) الَّذِي قَادَهُم إلَى القَوْلِ بِإصْلَاحِ اللَّفْظِ فِيهَا؛ وَذَلِكَ بِأنَّ أصْلَهَا هُوَ: كَافُ التَّشْبِيهِ وَإنَّ، عَلَى النَّحْوِ الآتِي: إنَّ زَيْدًا كَالأسَدِ. وَهَذَا شَيْءٌ لَا يَدْعَمُه دَلِيلٌ لُغَوِيٌّ وَعِلْمِيٌّ مِن تَارِيخِ اللُّغَةِ، في حِين تَبْدُو غَايَةُ تَحْسِينِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ وَاضِحَةً في بَعْضِ الْمَسَائِلِ اللُّغَوِيَّةِ الأُخْرَى، حَيْثُ كَانَ وَجْهُ الإصْلَاحِ يَتَمَثَّلُ بِإضْفَاءِ لَمْسَةٍ لُغَوِيَّةٍ جَمَالِيَّةٍ، عَن طَرِيقِ الارْتِكَازِ عَلَى صَوْتٍ لُغَوِيٍّ مَا جِيءَ بِهِ لِتَزْيِينِ اللَّفْظِ، كَمَا في مَسْألَةِ: زَيْدٌ فَأكْرِمْ، وَفَقَط، وَفَحَسب، وَغَير ذَلِكَ.

---

1 الجدول في إعراب القرآن 7/ 100.

مصادر البحث ومراجعه

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: سنة 1394هـ- 1974 م.
- أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، د فدوى محمد حسان، عالم الكتب الحديث- الأردن، ط1، 2011 م.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت538هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1419 هـ - 1998 م.
- أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت577هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1420هـ- 1999م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت316هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة- بيروت.
- إعراب القرآن المنسوب خطأ الى الزجاج، علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأصفهاني الباقولي (ت نحو 543هـ)، تحقيق ودراسة: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري - القاهرة ودار الكتب اللبنانية - بيروت - القاهرة، بيروت، ط4، 1420 هـ
- إعراب القرآن للنحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421 هـ.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت 1403هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، ط4، 1415 هـ
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت577هـ)، المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ- 2003م

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 1، 1418 هـ .

- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت745هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر– بيروت، ط:سنة 1420 هـ

- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط: 1، 1376 هـ – 1957 م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت1205هـ)، مجموعة من المحققين، دار الهداية.

- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت 616هـ)، تحقيق : علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

- التطبيق النحوي، الدكتور عبده الراجحي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ 1999م.

- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت502هـ)، جزء 1: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط: 1، 1420 هـ - 1999 م، جزء 2، 3: تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي، دار الوطن – الرياض، ط: 1، 1424 هـ – 2003 م، جزء 4، 5: تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، ط: 1، 1422 هـ - 2001 م.

- جامع البيان في تأويل القرآن «تفسير الطبري»، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420 هـ - 2000 م.

- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت370هـ)، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م.

- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت 749هـ)

- شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط1، 1428هـ - 2008م.

- جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلايينى (ت1364هـ)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط28، 1414 هـ - 1993 م.

- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت1376هـ)، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط4، 1418 هـ.

- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت321هـ)، تح: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط1، 1987م.

- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت749هـ)، تح: د. فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1413 هـ - 1992 م.

- حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، بهامش تفسير الكشاف، لابن المنير الإسكندري (ت 683) ، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1407 هـ.

- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، الخضري، تح: تركي فرحان المصطفى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 2، 2005م.

- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت1206هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417 هـ -1997م.

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت1093هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط4، 1418 هـ - 1997 م.

- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت392هـ)، تح: مجحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.

- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت471هـ)، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ - 1992م.

- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت1057هـ)، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط4، 1425 هـ - 2004 م.
- ديوان جران العود النميري، صنعة أبي جعفر محمد بن حبيب، رواية السكري، تح: د. نوري حمودي القيسي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - العراق، ط1، 1982م. (عن : المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. اميل بديع يعقوب: 10/ 284).
- ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - مصر، 1977م. (عن: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. اميل بديع يعقوب، 2/ 421).
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ)، تحقيق:عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1، 1422 هـ .
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت392هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1421هـ- 2000م.
- الشافية في علم التصريف (ومعها الوافية نظم الشافية للنيساري - المتوفى في القرن 12)، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت646هـ)، تح: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية – مكة، ط1، 1415هـ 1995م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (ت900هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1419هـ- 1998م.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت905هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1421هـ- 2000م.
- شرح المفصل لابن يعيش (ت646 هـ)، تح: ابراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين- دمشق، ط1، 2013.
- شرح شافية ابن الحاجب، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي، ركن الدين (ت715هـ)، تح: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1425 هـ- 2004م.

- شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي (ت 1093 ه)، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (ت686هـ)، تح: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية- بيروت، 1395 هـ - 1975 م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي (ت889هـ)، تح: نواف بن جزاء الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ط1، 1423هـ-2004م.
- شرح قطر الندى وبل الصدى، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت761هـ)، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ط11، 1383ه.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس الرازي (ت395هـ)، تح: محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت393هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987 م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو 395هـ)، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- بيروت، 1419 هـ.
- ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، ط1، 1422هـ - 2001م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت745هـ)، المكتبة العصرية - بيروت، ط1، 1423 هـ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العينى (ت855هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، العين.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة- بيروت، 1379ه.

- فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت429هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ - 2002م.
- الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت1252هـ)، د. حاتم صالح الضامن، دار الرائد العربي- بيروت، ط1، 1410هـ - 1990م.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت817هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط8، 1426 هـ - 2005 م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت180هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة،
- ط3، 1408 هـ - 1988 م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت538هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ط3، 1407 هـ.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، د. ت، د.ط.
- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت616هـ)، تح: د. عبد الإله النبهان
- دار الفكر – دمشق، ط1، 1416هـ 1995م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت775هـ)، تح:الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: 1، 1419 هـ -1998م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت711هـ)، دار صادر- بيروت، ط3،1414 هـ.
- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت392هـ)، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية – الكويت، د. ت، د.ط.

- مجالس ثعلب، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب (ت291هـ) [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]
- مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت395هـ)، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط2، 1406 هـ - 1986 م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت392هـ)، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1420هـ- 1999م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت542هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1422 هـ .
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1421 هـ - 2000 م.
- مختصر مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت1421هـ)، مكتبة الرشد، ط1، 1427هـ.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت458هـ)، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 1417هـ 1996م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل «تفسير النسفي»، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت710هـ)، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب- بيروت، ط1، 1419 هـ - 1998 م.
- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت1414هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط3، 1404 هـ، 1984 م.
- معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت215هـ)، تح: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط1، 1411 هـ - 1990 م.

- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت207هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط1.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت311هـ)، عالم الكتب – بيروت، ط: 1، 1408 هـ – 1988 م .
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1408 هـ – 1988 م.
- معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، الأستاذ: عبد الغني الدقر، دار القلم- دمشق، ط1، 1406 - 1986.
- المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. أميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417ه- 1996م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار)، دار الدعوة- القاهرة، د.ط، د.ت.
- المغرب في ترتيب المعرب، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (ت610هـ)، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت761هـ)، د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر- دمشق، ط6، 1985م.
- مفاتيح الغيب «تفسير الرازي أو التفسير الكبير»، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت606هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط3 ، 1420 هـ.
- المفتاح في الصرف، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت471هـ)، تح: د. علي توفيق الحَمَد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1407 هـ – 1987م.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت502هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط1 ، 1412 هـ.

- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت538هـ)، تح: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال- بيروت، ط1، 1993م.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت395هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت285هـ)، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب- بيروت.
- منحة الجليل بهامش شرح ابن عقيل، لمحيي الدين عبد الحميد.
- المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت392هـ)، دار إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ - 1954م.
- الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت1417هـ)، دار الفكر- بيروت، 1424هـ - 2003م.
- موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت905هـ)، تح: عبد الكريم مجاهد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1415هـ 1996م.
- النحو الوافي، عباس حسن (ت1398هـ)، دار المعارف- القاهرة، ط15.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر، د.ط، د.ت.

نَقْدُ اللِّسَانِيَّاتِ

عِنْدَ الدّكتُورِ رَشِيدٍ العُبَيدِيِّ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين...

يتناول هذا البحث النقد الذي وجهه الدكتور رشيد العبيدي، وهو احد أعلام الدرس اللغوي في العراق، إلى الدرس اللساني الحديث، وقد انقسم البحث على ستة محاور، عرفت في المحور الأول بالدكتور رشيد العبيدي تعريفا موجزا، وكشفت في المحور الثاني الموسوم بالنقد العام عن رؤية الدكتور العبيدي للسانيات الحديثة قبولا ورفضا، في حين درست في المحور الثالث موقف الدكتور العبيدي من المصطلح اللساني الحديث وحدوده، وعالجت في المحور الرابع ما وصفه الدكتور العبيدي بالتناقض بين المناهج اللسانية، وتناولت في المحور الخامس نقده للسانيات بالبحث عن أصول لسانية للمناهج اللغوية الحديثة في التراث العربي القديم، وبين المحور السادس الأخطاء الناتجة من تطبيق المناهج اللسانية على اللغة العربية في نظر الدكتور العبيدي، وختمت البحث بخاتمة أجملت فيها أهم النتائج.

يُعَدُّ الدكتور رشيد عبد الرحمن صالح العبيدي واحدًا من أهم أعلام الدرس اللغوي في العراق في النصف الثاني من القرن العشرين، وقد وُلد الدكتور رشيد العبيدي سنة 1940م في مدينة الأعظمية ببغداد، وحصل على درجة ماجستير في النحو والصرف، وعلى درجة الدكتوراه في علم اللغة من جامعة القاهرة، فعين مقررا لقسم اللغة العربية بكلية التربية في جامعة بغداد. وقد كان له حضور فاعل في ميدان العمل الأكاديمي والثقافي؛ إذ عمل أستاذا في عدد من الجامعات العراقية والعربية، كما ترك تراثًا علميًا قيمًا، عُنِي فيه بدراسة اللغة العربية وعلومها المختلفة، ومن كتبه: أبو عثمان

المازني ومذاهبه في الصرف والنحو، والأزهري والمعجمية العربية و أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية، و ومشكلات في التأليف اللغوي في القرن الثاني الهجري، والتطبيق العملي لمنهج البحث اللغوي، ومباحث في علم اللغة واللسانيات، والعربية وعلم اللغة المعاصر، ومعجم الأصوات اللغوية، ولم يقتصر جهد الدكتور رشيد العبيدي على هذه المؤلفات وإنما كانت له بحوث ودراسات نشرها في عدد من الدوريات العراقية والعربية،كما اختير عضواً في المجمع العلمي العراقي [1]. وقد توفي الدكتور رشيد العبيدي رحمه الله يوم السبت الموافق: 22/ المحرّم الحرام/ 1428هـ= 10/ شباط/ 2007م [2].

ويلحظ على جهوده العلمية، أنها تتنوع بين الدرس اللغوي القديم أو ما يمكننا أن نصفه بالتقليدي من جهة والدرس الألسني الحديث من جهة أخرى؛ الذي يتجلى في كتبه المتأخرة وفي دراساته التي عُني فيها بمتابعة المناهج الجديدة في مجال اللغة ودرسها، شارحاً أو ناقداً، ومن يطلع على نتاجه العلمي سيجد أنه لم يكن حبيس القديم من تراثنا العربي، بل كان منفتحا في توجهاته الفكرية وقراءاته على ما يصدر من جديد في ميدان اختصاصه، وهو ما أتت ثماره في بعض نتاجه الذي أشرنا إليه سابقا. وتأتي دراستنا هذه للوقوف على مساهمته في مجال نقد الدرس اللسانيّ خاصّة؛ وبيان موقفه منه، أ مِن أنصار الأخذ بما جاءت به المناهج اللسانية الحديثة كان أم أن له موقفًا آخرَ منها؟ إذ يهدف هذا البحث إلى تحديد أهم الملامح التي اتسم بها نقده للسانيات؟ وعلام بنى موقفه منها؟ كما ينطلق هذا البحث من سؤال- يراه أساسياً- وهو هل اطلع الدكتور العبيدي على الجهود اللسانية اطلاعا عميقا وتمثلها في مصادرها الأصيلة حتى تمكن من نقدها ؟ كما يسعى هذا البحث إلى تحديد ما دعا الدكتورُ العبيديُّ إلى رده وعدم الاعتداد به من الدراسات اللسانية أو مناهجها، مع بيان السبب.

---

1 ينظر: موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين: 1/ 73.

2 ينظر: معجم الصوتيات: 3، هامش الناشر: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، رقم: (1) .

تتضح عناية الدكتور رشيد العبيدي في البحث في اللسانيات والتعريف بها في كتابيه: العربية وعلم اللغة المعاصر، ومباحث في علم اللغة واللسانيات، يضاف إليهما بعض البحوث التي خصصها لذلك، مما سيرد ذكره في أثناء هذا البحث إن شاء الله. وقد كانت مرجعيات الدكتور رشيد العبيدي في دراسة اللسانيات تتمثل في مجموعة من المصادر الأساسية أو الأصيلة ككتاب محاضرات في علم اللغة العام لفردينان دي سوسير، باللغة العربية وليس بلغته الأصلية، ومثله البنيوية لجان بياجيه، وعلم الدلالة لجون لاينز، والغالب عليها باللغة العربية مثل علم اللغة مقدمة للقارئ العربي للدكتور محمود السعران، واللغة بين المعيارية والوصفية للدكتور تمام حسان، ومشكلة البنية للدكتور زكريا إبراهيم، والألسنية علم اللغة الحديث للدكتور ميشال زكريا، والألسنية التوليدية التحويلية له أيضا، والبنيوية في اللسانيات للحناش محمد، والمنهج الصوتي في البنية العربية للدكتور عبد الصبور شاهين، ودروس في أصوات العربية لكانتينو، والتصريف العربي للطيب البكوش، ودراسات في علم أصوات العربية للدكتور داود عبده. هذه كانت أهم المصادر والمراجع التي عاد إليها الدكتور، وقد اختلفت زاوية توظيفها والعودة إليها في منهج بحثه في هذا الباب فاعتمد بعضها في عرض مناهج البحث اللساني كالمنهج الوصفي والتوليدي والتحويلي وفي عرْض المستويات التي تُقَسَّم عليها اللغة عند الدراسة كعلم الأصوات النطقي والسمعي وعلم الصرف وعلم النحو والدلالة وغيرها، ويبدو من العودة إلى إحالات الدكتور العبيدي، في كتبه التي عُني فيها باللسانيات، أنه اعتمد غالبًا المراجع العربية وكان من أكثرها البنيوية في اللسانيات، ومشكلة البنية في الكشف عن ملامح التناقض بين النظريات اللسانية، كما اعتمد بعض الكتب العربية مثل: المنهج الصوتي في البنية العربية، والتصريف العربي، ودراسات في علم أصوات العربية للدكتور داود عبده؛ في تبيان أخطاء بعض المحدثين في تطبيق النظريات والمناهج اللسانية الغربية على اللغة العربية.

واللسانيات (Linguistics)، كما يعرفها بعض الدارسين، هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع اللغوية بعيدا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية [1]، وتمتاز اللسانيات بمجموعة من الخصائص؛ منها أنها تتصف بالاستقلال، وتهتم باللغة المنطوقة قبل المكتوبة، وتُعْنى باللهجات ولا تفضل الفصحى عليها، كما ان اللسانيات تسعى إلى بناء نظرية لسانية تتسم بالعموم تمكن الباحثين من دراسة جميع اللغات الإنسانية، وهي لا تفرق بين اللغات، كما أنها تدرس اللغة في كليتها على صعيد واحد متدرجة من الأصوات إلى الدلالة [2]. ويرى الدكتور العبيدي أنَّ منطلق هذه الخصائص هو ألسنية سوسير، وان هذه الخصائص كانت الخطوات نفسها التي على أساسها درس اللغويُّ العربيُّ لغته [3]، غيرَ أنَّ تلاميذ سوسير قد طوروا تلك الأسس والخصائص وتوسعوا فيها وربما خرجوا عنها بما أوتوا من نظرات فردية ذاتية أدت إلى اتساع البحث اللساني بحيث أنتجت مذاهب ومناهج متنوعة ومتفاوتة بعيدة عن المنهج البحثي الالسني الموضوعي [4]. وهذه الرؤية، كما نرى، كانت تمثل إحدى المرتكزات الفكرية التي آمن بها الدكتور العبيدي، ومن ثمَّ، أدت به إلى نقد الدراسات اللسانية الحديثة عامة، وما جاءت به تلك الدراسات اللسانية في ميدان دراسة اللغة العربية خاصة، ولذا قد يشعر من يقرأ جهوده في هذا الباب أنَّ بين اللغة العربية واللسانيات قطيعة أو علاقة استبدال، في حين ان العلاقة بينهما هي علاقة تكامل وإفادة [5]. ويمكننا أنْ نبيِّنَ أهمَّ تجليات نقد اللسانيات عند الدكتور رشيد العبيدي على النحو الآتي:

1 ينظر: مبادئ اللسانيات: 15.

2 ينظر: نفسه:16، واللغة العربية واللسانيات المعاصرة: 13.

3 ينظر: مباحث في علم اللغة واللسانيات: 255.

4 ينظر: نفسه: 44.

5 ينظر: اللغة العربية واللسانيات المعاصرة: 32.

النقد العام:

يمكننا أن نتبين موقف الدكتور العبيدي من اللسانيات الحديثة من خلال نظرته العامة لها أولا، أو ما يمكن أن نسميه بالنقد العام، وهو نقد موجّه إلى اللسانيات عامة من غير تحديد محور معين وتسليط الضوء عليه ونقده، وفيه نجده ينظر إلى اللسانيات على أنها علم جديد ووافد ولا يقدم للعربية وأهلها أو دارسيها شيئا ذا بال. وهذا النوع من النقد لا يتناول فكرة محددة بعينها وإنما ينطلق من الرؤية الكلية التي يتبناها ويؤمن بها من ذلك قوله في مقدمة كتابه (مباحث في علم اللغة واللسانيات): ((إن ما جاء به البحث اللغوي المعاصر،لم يكن إلا تقليدا أعمى للبحث الأوربي الغربي ومحاكاة لما عرفته الدراسة الأوربية من مصطلحات تتفق ومذاهبهم من تحليل اللغة الأوربية... بعيدة كل البعد عن خصائص العربية ودلالات ألفاظها ،وصيغ مفرداتها وأساليب التعبير فيها واستقرار قواعدها وإحكامها ، وتميز نظامها الصوتي من أنظمة اللغة الأوربية التي لم تعرف استقرارا ولا ثباتا في عمرها الطويل..)) [1]. يلحظ على هذا الحكم أنّه ينطلق من العاطفة المتمثلة بالانحياز الواضح للغة العربية وأساليب درْسها بغض النظر عما أصاب تلك الأساليب من تطور وما أصاب مناهج دراستها من تحديث وتجديد نتيجة لتطور العلوم والفكر الإنساني عامة. ويقول في موضع آخر : ((وليست العبرة في المصطلح والشكل الذي ابتدعته الألسنية الحديثة وهي مصطلحات يسودها الغموض والخلط والتبدل من ألسني إلى آخر، ولكن العبرة تكمن في الاهتداء إلى الحقيقة العلمية والموضوعية التي نشأت عند الالسني العربي ونَمَتْ وتَرَعْرَعَتْ بيْنَ أحضانه، وعلى يديه ثم أعطاها ثمرة ناضجة للأوربيين لكي يبنوا عليها، ويدَّعوا الطرافة والجدّة، ولم تكن كما ادعوا)) [2]. وعلى الرغم من أنَّ هذا النص الذي اقتبسناه كان بعد حديثه عن مجموعة من الظواهر اللغوية التي وجد لها الدارسون- والدكتور العبيدي واحد منهم

1 نفسه: 6 .

2 نفسه: 219.

- أصولا في تراثنا اللغوي القديم فإنَّ فيه طابع العموم والإطلاق اللذين لا يركن إليهما منهج البحث الحديث. وقد ذهب الدكتور العبيدي إلى أن هذا النوع من البحوث لا يخدم العربية وانه بعيد عن روحها ، بل انه ذهب إلى أنَّ الهدف من اللسانيات الحديثة هو صرف العرب عن العناية ببحثهم اللغوي الأصيل إلى تلك المناهج الجديدة، قال: ((ولعلني لا أبالغ إذا قلت: إن ثمة غلوا محموما ينهد به نفر من المغرمين بالبحث الالسني الأوربي في هذا القرن، يهدف إلى الانصراف عن البحث العربي الأصيل إلى الألسنية الحديثة، ولاسيما المعنيين بالعربية، ممن تعلموا شيئا عند الغربيين... وهو بحث مقحم على العربية بعيد عن أنفاسها وخصائصها، وإدخال أهلها في ميدان غير مناسب لها ولا متلائم مع طبيعتها في الوقت الذي كانت الدراسات العربية الأصيلة قد آتت أكلها)) [1].

ومن تمثلات النقد العام غير المحدد أو الموجه إلى أمثولة علمية واحدة أو منهج معين ما نجده في وصفه لأثر المناهج اللغوية الغربية في الدرس العربي بأنه اثرٌ أدى إلى التداخل والتعقيد بدل التيسير، قال عن مناهج الدراسات اللغوية في الغرب: ((ولقد اثر هذا المنهج- أو المناهج - في اتجاهات البحث العربي المعاصر، فأدّى إلى التعقيد، والتداخل، واختلاف الآراء والمذاهب لا إلى ان ييسر فهم اللغة في أبنيتها وصيغها وتراكيبها ومباحث دلالة كلمات اللغة وتطورها كما انتقلت إلينا من علمائنا المتقدمين وصور تعليلاتهم، وتفسير الظواهر، بحسب فهمهم لها، فأدخلت هذه المناهج على الدرس العربي الكثير من التأويلات والمصطلحات التي لا علاقة لها بالبحث العربي الصميم)) [2]. نكتفي بهذا القدر من النصوص التي توضح رؤيته العامة للسانيات ولمناهج البحث اللغوي الجديدة وسيعرض البحث لنصوص أُخَر في أثنائه إن شاء الله . وفيما يأتي من البحث نعالج النقود التفصيلية التي وجهها الدكتور العبيدي الى اللسانيات الحديثة.

---

1 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 209.

2 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 203.

المصطلح اللساني وحدوده:

ولعل من أهم المجالات التي يظهر نقده للسانيات واضحاً فيها ما نجده في كلامه عن حدود ميدان علم اللغة الحديث وضبابية ما يمثله هذا المصطلح اللساني الذي يبدو -عنده- غير واضح المعالم ؛ لذلك نجد انه لم يكن مَعْنياً بتتبع المصطلح ونقده وبيان رأيه فيه؛ حتى إن القارئ ليلمس أنّه لم يكن مُهْتَماً بقضية المصطلح اللساني عامة، لأنَّ ملامحه عنده غير واضحة كما ذكرنا. ولذلك يقول: ((برزت في القرن العشرين طلائع البحث اللغوي الأوربي فغزت السوق الثقافية والمعرفية في الوطن العربي....وطفح على السطح ما عرف باللسانيات نسبة إلى اللسان أو الألسنية نسبة إلى الألسن أو اللسنية نسبة إلى اللسن وكلها تعني شيئا واحدا وهو البحث في اللغة من اجلها ولذاتها)) [1]. ومن صور عدم الاهتمام بوضوح المصطلح وحدوده في اللسانيات الحديثة ما نجده في قوله :((إن الفارق الوحيد بين علم اللغة في الدراسات العربية، وعلم اللغة في عصرنا الحاضر هو تخصصيَّة الدراسة اللغوية عند العرب، واعني بها اهتمام الباحث بالعربية من بين سائر اللغات، وعمومية الدراسة اللغوية في الدراسات الحديثة،وأعني بها تناول علم اللغة البحث في اللغة.... من غير تحديد للسان معين أو صنف من الناس)) [2]. ولعلنا نلمس في كلامه على مصطلح اللسانيات وعلم اللغة الحديث وعلاقتهما بفقه اللغة رفضه التمييز بين علم اللغة وفقه اللغة؛ وقد تمثل هذا التمييز بوضع حدود بينهما وتحديد موضوعات كل منهما عند الدارسين المحدثين، قال:((يطلق مصطلح الألسنية على علم اللغة الحديث، وهو مصطلح يرى الباحثون المحدثون في اللغة ان لا علاقة بينه وبين مصطلح فقه اللغة الذي كان معروفا منذ عهد قديم،...، ولئن كان الباحثون العرب يطلقون على كل من يعمل في ميدان اللغة مصطلح لغوي أو عالم لغة، كما يطلقون على الأبحاث التي تتناول قضايا اللغة من بنية مفردات، واشتقاقها، وصيغها،

1 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 197.

2 نفسه: 13.

وخصائص اللغة،...، فقه اللغة إن الأوربيين حتى عهد متأخر أطلقوا على العاملين في هذه الحقول ...فقهاء لغة وسموا العمل فيها: فقه اللغة))[1] . وقد نبَّه الدكتور مجيد الماشطة إلى شيء من هذا التوجّه، عند الدكتور رشيد العبيدي، في أثناء وقوفه على عنوان كتابه (مباحث في علم اللغة واللسانيات)، إذ لمس في اختياره هذا العنوان أنه يميّز بين: اللسانيات وعلم اللغة أو أنه يجعل منهما مصطلحين مختلفين، في حين أنهما مصطلحان لشيء واحد، قال الدكتور مجيد الماشطة:((أول ما يجلب النظر عنوان الكتاب" مباحث في علم اللغة واللسانيات" فهل يعني هذا ان الكتاب يميز بين علم اللغة واللسانيات؟ ان ما اعرفه أنهما لفظتان تشيران إلى حقل واحد يقابل لفظة linguistics يسميه المصريون علم اللغة والتونسيون اللسانيات واللبنانيون الألسنية))[2] .

ومن أمثلة ذلك تفضيله الحدود العربية التي وضعها علماء العربية على ما جاء به اللسانيون، ومن ذلك مثلا ما ورد في حديثه عن مصطلح اللغة؛ فيقول بعد عرض أقوالهم في تعريفها :((ولو أنصف الباحثون المعاصرون في نظرهم إلى اللغة، وما عرفه العلماء العرب عنها لكانوا أهملوا كل ما يرد من أقوال فيها مكتفين بمذهب أبي الفتح بن جني (ت392هـ) حين قال :(اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)[3] . فجاء بالشمول والمناعة ....إن جل التعريفات المعاصرة ناقصة، أو مقتصرة على جانب دون آخر، كالاقتصار على طبيعتها وإهمال الوظيفة أو بالعكس))[4] . يبدو الدكتور العبيدي- في النص السابق- في غاية الحماسة وهو يدافع عن حد ابن جني للغة، بل انه يذهب إلى أن حدودها عند الغربيين ناقصة أو قاصرة على حين أن الحدَّ العربيَّ لها يفوقها من حيث بيان طبيعة اللغة ووظيفتها وأغراض استعمالها. ويبدو من كلامه أنه

---

1 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 219.

2 اللغة العربية واللسانيات المعاصرة: 265.

3 الخصائص: 2/ 34.

4 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 212-213.

يرى أن اللسانيات الحديثة ألبست الموروث القديم ثوبا شكليا متمثلا بالمصطلح فقط، وأنها لم تقدم جديدا، قال:((إنَّ هذه المسائل التي سردتها هنا ... تعبر عن وجود التقابلات والاتفاقات بين الدرس اللغوي العربي والبحث الالسني الحديث، بل إن السبق للعربي، لأنه الأسبق في الزمن، وليست العبرة في المصطلح والشكل الذي ابتدعته الألسنية الحديثة وهي مصطلحات يسودها الغموض والخلط والتبدل من ألسني إلى آخر، ولكن العبرة تكمن في الاهتداء إلى الحقيقة العلمية والموضوعية التي نشأت عند الألسني العربي ونمت وترعرعت في أحضانه))[1]. فهو يعتمد الزمن أو السبق الزمني أساسا في تفضيل الحدود العربية على ما جاءت به الدراسات اللسانية الحديثة من حدود وتعريفات، وهو معيار لا يمكن الركون إليه دائما فقد يكون موضوعي في بعض الأحيان كما في كثير من الجزئيات والقضايا التي عالجها البحث اللغوي الحديث فذهب في فهمها وتفسيرها أو توجيهها مذاهب تختلف عما قرره الدرس القديم. وكان يؤكد أنَّ النحويين العرب إنَّما وضعوا قواعد النحو العربي معتمدين على المنهج الوصفي[2]، من غير تحديد لمفهوم الوصف وإنما بالاعتماد على ما ورد من طريقة النحويين العرب في تقعيد النحو العربي عن طريق متابعة كلام الأعراب وفصحاء العرب. ومما يتعلق بالحدود التي وضعها المحدثون للمصطلحات اللسانية التي تكون جزءا من المنظومة الفكرية المجترحة للعاملين في اللسانيات والمشتغلين بها، إذ توقف عند بعضها الدكتور العبيدي وناقشها؛ ومن ذلك ما نجده في كلامه على مصطلح (المقطع) حيث عرض له في مبحث خصصه له وعرض لميدان تطبيقه، وكما هو بيّن في القراءات القرآنية؛ قال: ((يعتقد الصوتيون المعاصرون ان المصير إلى التقطيع الصوتي، إنما هو منهج لحل المشكلات التي تقع في بنية الكلمات ،...، أو التخلص من بعض الظواهر الصوتية التي تكتنف الكلمة أو

1 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 257.

2 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 254.

الجملة،...، أو غير ذلك من القضايا التي تحصل في الصوت اللغوي)) [1]، ثم يعرض لأهم تعريفات المحدثين للمقطع ويبين مدى اختلافهم في تحديده وينتهي إلى القول بأن ((هذه التعريفات مختلفة في أطروحاتها، متباعدة في ما قصدت إليه من تحديد المفهوم، وعلى افتراض وصولنا إلى تحديد دقيق للمقطع الصوتي فان الجدوى المرجوة منه ليست بذات قيمة علمية كبيرة، بحيث تدعونا إلى مثل هذا الاختلاف في التعريف)) [2]. ان هذه الأحكام التي يطلقها الدكتور رشيد العبيدي ترجع إلى رؤية فكرية تحكم تفكيره وتؤطر اتجاهات هذا التفكير، وهي تتمثل في أنَّ ما جاء به البحث اللغوي واللساني المعاصر لا يختلف عما أنتجته العقلية العربية إلا اختلافاً جزئياً وشكلياً في بعض المصطلحات والعناوين، قال:((ومن الحق القول-أيضا-أن أدوات البحث المعاصر ووسائله ومصطلحاته تختلف عن البحث اللغوي المتقدم، ومن هنا كان الاختلاف الجزئي في بعض النتائج، والاختلاف الشكلي في الأسماء، والمصطلحات والعناوين)) [3]. فهنا نلمس ان الدكتور العبيدي يعترف بالتطور المعرفي للإنسانية وما قدمته الآلة له في هذا المجال، مشيرا إلى ما تركته من اثر في البحث اللغوي، ولكنه لا يسلم بذلك فيرى ان الاختلاف جزئي وشكلي في بعض الأسماء والمصطلحات.

التناقض بين المناهج اللسانية:

خصص الدكتور رشيد العبيدي لهذه الزاوية النقدية بحثا مهما تحت عنوان التناقض بين المذاهب الألسنية الحديثة، تناول فيه ما يراه من تناقض وتعارض بين المناهج اللسانية، كما انه أشار إلى ملامح للتناقض بين المذاهب اللسانية في مواضع مختلفة من كتبه. وقد بدأ في عرضه لصور وأمثلة من التناقض من دي سوسير؛ فقد أشار إلى موقف (هلمسليف) من معنى الدال والمدلول عند سوسير؛ إذ عده غامضا، وأن مذهبه

---

1 نفسه: 87.

2 نفسه: 92.

3 الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين: 15.

في تفسير العلامة اللغوية تفسير ذهني. كما ذكر انتقاد مارتيني لسوسير بأنه بالغ في إعطاء اللغة كل هذه الصبغة الذهنية التي كانت نتيجة تأثره بالنزعة الاجتماعية آنذاك. ثم انتقل إلى موقف بارت الذي خالف سوسير الذي يرى أن علم الرموز (السيمولوجيا) هو العلم العام وان اللسانيات فرع منه، فقد ذهب بارت إلى أن العكس هو الصحيح. وقد حاول الدكتور رشيد العبيدي أن يربط بين هذه الدراسات اللسانية وطبيعة المجتمعات الغربية التي نشأت فيها تلك المناهج، قال :((ولقد وجدت مثل هذه التيارات المتضاربة تربة صالحة في فرنسا فبعد أن ترعرعت فيها الاتجاهات البنيوية رأيناها تؤول إلى تناقضات فكرية وتصطدم بآراء واتجاهات أخرى قوية ويعلل كثير من الباحثين ظهورها في فرنسا بان المثقف الفرنسي.... انجذب بتاريخ الفكر الذي يتخلى عن التاريخ...)) [1]. كما توقف عندَ ما سمّاه بالتناقضات بين السوسيرية والتشومسكية وعرض فيه لمجموعة من الأفكار أو المسلمات التي جاء بها سوسير ليبين رأي تشومسكي فيها فيقول ((فاللغة عند سوسير لا تتولد أو تنتج، وإنما هي رموز محفوظة في الذاكرة تسترد حين الاستخدام، وتتحدد بالمماثلة للموقف السابق، وهذا التفسير السوسيري تفسير آلي لعملية إنتاج اللغة، وهو تفسير مضاد لما يراه تشومسكي في عملية الإبداع والخلق اللغوي في الذات البشرية فالشخص المتكلم قادر على إنتاج عدد لا متناه من الجمل التي تسمع، ولم تقرأ من قبل، ويعني ذلك أن المنتج ليس لديه أشكال مصوغة يرتد إليها عند الصياغة بل لدينا أنموذج داخلي كلي مشترك)) [2]. ويقول في موضع آخر مسجلا التناقض بين تشومسكي وبنيوية سوسير، قال: ((ولعل أبرز الدارسين الغربيين الذين خرجوا على البنيوية هو تشومسكي الأمريكي في كتابه (البنى التركيبية).... فقد تجاوز فيه مفهومي الوصف والتصنيف اللذين وضعهما سوسير في بنيويته وتبنتها بنيوية أوربا وخرج تشومسكي في نحوه التوليدي بمفهوم ثالث هو الإبداع في اللغة الذي يتميز به البشر عن

1 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 238.

2 نفسه: 244.

سائر اللغات)) [1]. وهكذا نراه يذكر الخلافات والمذاهب التي تولدت من البنيوية أو ظهرت ردا عليها، مُنْطَلِقا، في ذلك، من أن هذه الخلافات والمناهج الجديدة إنما تدل على عدم صلاحها للتطبيق على اللغة العربية؛ لذلك يقول :((وبعدُ، فإذا كان الألسنيون البنيويون قد تنصل معظمهم عن البنيوية، وأصبحت الآن في عداد المناهج القديمة بالنسبة للأوربيين، وهم يفتشون عن منهج جديد يشغلون به أنفسهم والعالم من جديد، فما أرانا نحن اليوم بحاجة إلى تقليب صفحات كتاب أصبح باليا غير ذي فائدة عند مؤلفه الذي راح يبحث عن تأليف آخر يكون أكثر جدوى)) [2]. وقد اعتمد على هذه التناقضات لتأكيد رأيه بأنَّ هذه المدارس اللغوية الغربية غير صالحة لأن تطبق على اللغة العربية بدليل أن أصحابها غير متفقين عليها، من جهة وبدليل أنهم تركوها وانتقلوا إلى البحث عن نظريات جديدة، لذا قال عن البنيوية بعد سوسير:((لقد تحولت هذه البنيوية بعدَه إلى مذاهب متناحرة، وتحولت إلى أنماط من التفكير الفلسفي عند روادها، ولم تعد تصلح منهجاً للبحث اللغوي الصرف،...، بل لقد تجاوزت هذا المقدار من حقيقتها، فنادت، بالتالي، إلى فناء الإنسان، لأنه أصبح آلةً يتحرك وفق الأنظمة القسرية، دون أن يكون صاحب اختيار، وهذا هو الذي دفع تشومسكي إلى البحث عن قدرات الإنسان وطاقاته الإبداعية في ميدان اللغة)) [3]. ويعلل الدكتور رشيد العبيدي إخفاق البنيوية في الاستمرار بأن المنهج البنيوي يعتمد ((على الشكل والصوت في دراسة اللغة وتحليل تراكيبها دون النظر إلى المعنى وغرض المنجز، وهو الشيء الذي عُنيت به الدراسات السلوكية اللغوية، والذي سبق إليه عبد القاهر في نظرية النظم والمعنى النحوي والسياقي)) [4]. ولم يقتصر نقده على ما أثير حول جهود سوسير، وإنما توقف عند

1 نفسه: 259.

2 نفسه: 254.

3 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 252.

4 نفسه: 252 -253.

الملاحظات التي وجهت إلى نظرية تشومسكي ومن ذلك إشارته إلى أن تشومسكي إنما أقام نظريته على أصلين: هما المنهج البنيوي والمنهج التقليدي، وانه حاول جهده لكي يجد لنفسه طريقاً وسطاً بينهما، وفي هذا إشارة إلى عدم أصالة النظرية المذكورة أو أنها ملفّقة من المناهج السابقة عليها [1]. كما نقل رأي جان بياجيه في النظرية، إذ رأى أنها تحولت إلى نظريةٍ معياريةٍ؛ لأنها لم تضع في اعتبارها النظام المتزامن الذي سبق أن جعلته البنيوية الأوربية أساساً لمنهجها [2]. وينتهي إلى القول: ((إنَّ هذه الملاحظات وغيرَها مما يدور حول النحو التوليدي التحويلي تعطي تصوراً عن صعوبة صيرورة نظرية النحو العام التي يسعى إليها نوام تشومسكي وتطبيقها على سائر اللغات الطبيعية لما يواجهها من مشكلات في الدلالة والأصوات، والتراكيب والمفردات وهي مشكلات أساسها أنَّ لكل لغة في العالَم خصوصيات تميّزها عن اللغات الأخرى)) [3].

البحث عن أصول لسانية في التراث العربي القديم:

من ملامح نقد اللسانيات الأخرى التي تظهر واضحة، عند الدكتور رشيد العبيدي، اهتمامه بتأصيل بعض النظريات اللسانية الغربية في التراث العربي القديم، ويمكننا أن نعرضها على النحو الآتي:

أصول بنيوية: ومن أهم الملامح البنيوية التي بحث الدكتور العبيدي عن أصول لها في التراث العربي ما جاءت به البنيوية من النظر إلى اللغة على أنها نظام أو بنية أو نسق [4]، فقال عنها:((نرجع الآن إلى تلمس هذه النظرات في اللغة ونظامها، في ما سبق إليه الجرجاني في كتابيه(الدلائل والأسرار) فنجد كون اللغة نظاما أو بناء أو حتى نسقا قد طرح بشكل واضح على لسان الجرجاني في كل أجزاء كتابه(الدلائل)؛ لأنَّ الجرجاني

1 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 269.

2 نفسه: 273.

3 نفسه: 276- 277.

4 ينظر: البنيوية في اللسانيات: 100-102، و150.

وضع لهذه النظرة في اللغة منهجا يريد من خلاله تحقيق فكرة أنَّ اللغة نظم ذو قواعد وأحكام ومعان اسماها بمعاني النحو ووجوهه وأنها بناء كلما احكم – على وفق متطلبات الأحكام والصنعة، كان أكثر بيانا ووضوحا)) [1]. كما ربط بين مفهوم اللغة بوصفها نظاما عند البنيويين ونظرية النظم عند الجرجاني، قال:((ولما كان النظام عند البنيويين يرتكز على قانون ينظم العلاقات في الكلام، كان ذلك –أيضا- هو غرض نظرية النظم عند عبد القاهر، بل هو جوهر النظرية، فالنظم لابد له من أنْ يرتكز على قواعد وقوانين تنظمه، لذلك لم تخلُ فكرة يطرحها في هذا المجال من ربط بقوانين اللغة وأصولها)) [2]، واستشهد على ذلك بقول الجرجاني:((ليس النظم إلا أنْ تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها)) [3]. ومن ذلك ما جاء في حديثه عن مفهوم الدال والمدلول عند سوسير والمستوى التعبيري ومستوى المحتوى عند هلمسليف، فإذا وجد الدال ولم يتَّحد مع المدلول أصبحت صورة سمعية ذهنية نفسية خالية من المدلول، ويرى الدكتور رشيد العبيدي أن هذا الأمر مما عرفه علماء العربية، قال:((وهذا هو الذي عرفه الباحثون العرب بالمستعمل والمهمل فـ(زيد) لفظ مستعمل وله دلالته، ولكن(ديز) وهي متوالية من الأصوات هي: (د-ي-ز)، خالية من المدلول)) [4]. ومن ذلك مثلا ربطه بين ما توصل إليه سوسير في علم الدلالة؛ حين جعل الدال مادة صوتية والمدلول متصوَّرا نفسيا يمثل حصول الصورة في الذهن [5]، وتصور الجاحظ (ت255هـ) للدلالة، فيقول:((وحين نقرن بين ما يراه سوسير، وبين الدلالة عند الجاحظ نجد أن البيان عند الجاحظ هو

1 الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين: 7.

2 نفسه: 7.

3 دلائل الإعجاز: 64.

4 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 225.

5 ينظر: محاضرات في علم اللسان العام: 104-105، وعلم اللغة، مقدمة للقارئ العربي: 303، والألسنية: علم اللغة الحديث: 57.

(اسم جامع لكل شيء كشف لك القناع عن المعنى .... وجميع أصناف الدلالات على المعاني، من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال ...) [1] إن الفرق بين ما بينه الجاحظ وما يراه سوسير، إن الجاحظ أوضح غاية الإيضاح طرق الدلالات على المعاني، بلفظ وبغير لفظ فاستقصى أصنافها ووسائل إيصالها، في حين قصر سوسير الإبانة والتعبير على الشكل)) [2].
نلاحظ، هنا، أنَّ الدكتور العبيدي قد بحث عن أصول للفكرة التي طرحها سوسير، هنا، فرأى في كلام الجاحظ المذكور مذهباً فكرياً عربياً شبيهاً بها، غير أنه لم يكتفِ بذلك، بل راح يُجْرِي موازنة بينهما، ذاهباً إلى أنَّ الجاحظ استقصى إيضاح طرق الدلالات في حين أن سوسير لم يفعل ذلك. وبحث الدكتور العبيدي- في تراث الجرجاني- عن جذور لنظرة البنيوية [3] إلى العلاقة بين اللفظ والمعنى ولاسيما عند دي سوسير فجاء بنصوص من كتابيه؛ وانتهى إلى أنَّ كلام الشيخ عبد القاهر يحتوي أهمَّ ما جاءت به البنيوية في هذا الباب من حيث فهمها أنَّ الأصوات اللغوية شيء ودلالاتها شيء آخر، وانَّه لا علاقة عقلية بين المفردة اللغوية ومعناها، وأنها علاقة عرفية اصطلاحية [4]. وفي هذا المضمار يقف الدكتور العبيدي على موضوع تفسير الدال والمدلول والمرجع أو الشيء عند أصحاب المنهج البنيوي؛ بدءاً من سوسير الذي طرح مصطلحات (الدال=الصوت) و(المدلول=المفهوم أو المعنى) [5]، ثم ما قدمه هلمسليف من مصطلحات جديدة لدراسة اللغة مثل التفرقة بين المحتوى(وهو جانب من المدلول) والتعبير(وهو جانب من الدال) وتقسيم المصطلحين السابقين إلى شكل وجوهر(أي: شكل المحتوى وجوهر المحتوى،

1 ينظر النص في: البيان والتبيين: 1/ 82.
2 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 183-184.
3 ينظر: البنيوية في اللسانيات: 108-109.
4 ينظر: نفسه: 150.
5 محاضرات في علم اللسان العام: 104-105.

وشكل التعبير وجوهر التعبير) [1]، ثم يوازن بينها وبين قول الجرجاني عن الألفاظ ((كيف يُتَصَوَّر أن تَسْبقَ المعاني وأنْ تَتَقَدّمَها في تصوُّرِ النَّفْس؟ إنْ جازَ ذلك، جازَ أنْ تكونَ أسامي الأشياء قد وُضِعت قبل أنْ عُرِفَت الأشياء وقبلَ أنْ كانت)) [2]. فيرى أنَّ الشيخ عبد القاهر هنا وضَّح "مفاهيم لسانية دقيقة" وهي أنّه لا يمكن أنْ تكون ألفاظ في الواقع ما لم يكن هناك معنى يسبقها، وانه لا بد ان يكون الشيء مشاهداً ومحسوساً، ثم يتفق على تسميته بالألفاظ(الدوال) كما استنبط من كلام الجرجاني ثلاثة مفاهيم لنظرية الدلالة، هي الألفاظ والمعاني والأشياء [3]. ثم يعلق على ما سبق بالقول:((وبالتالي فان اللغة-عنده-من إبداع الإنسان ووضعه وهذا كله يؤكد لنا أسبقية النظرة اللسانية الدقيقة في نظرية النظم عند عبد القاهر، ووضعه لأسس البنائية الحديثة في دراسات اللغة)) [4].

ومن صور التأصيل الأخرى، في هذا الباب، ما ورد في كلامه على جهود الألسني مارتيني الذي ميز بين الصوت والفونيم، ((فالصوت هو المادة الصوتية في الجهاز النطقي البشري، في حين يراد بالفونيم الصوت ذو القيمة الخلافية ويعني ذلك أن اللام هو صوت مادي له مخرج معروف ... ولكن هذا الصوت يفخم مرة ويرقق مرة أخرى، بحسب الوظيفة في السلسة الكلامية، وبذلك يقال إن أصوات العربية هي ثمانية وعشرون صوتا، أو تسعة وعشرون ، ولكنها: اثنتان وأربعون فونيما)) [5]. ويعلق الدكتور العبيدي على ذلك بالقول :((الملاحظ أن هذا الاستنتاج الذي خرج به مارتيني ليس جديداً في ميدان البحث اللغوي العربي، فعلماء التجويد القرآني قد رصدوا هذه الظاهرة وأشبعوها بحثاً، بل إنّ سيبويه قد عُني في كتابه بها، وهو الذي أشار إلى أنها أصبحت (42) صوتا وقصد بهذا العدد الأصوات الأصلية مضافاً إليها الفونيمات

---

1 ينظر: البنيوية في اللسانيات: 213.

2 دلائل الإعجاز: 417.

3 ينظر: الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين: 10-11.

4 نفسه: 10.

5 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 239.

المتولدة من الحالات الكلامية... فهذا الذي يقرره سيبويه هو ما قصدت إليه الألسنية الحديثة بمصطلحاتها الصوتية المختلفة قد عرفته الدراسات اللغوية العربية، وسبقت إليه قبل غيرها بفضل دراسة لغة القران، وأدائه تجويدا، وتنغيما)) [1]. وقد كان تراث عبد القاهر الجرجاني مرجعاً أساسيا لتأصيل النظرية البنيوية، حتى انه ذهب إلى ان عبد القاهر الجرجاني أول السني خطط للنظرية البنيوية التي ظهرت في القرن العشرين، قال:((والذي يقف على نظرية النظم عند عبد القاهر، يقف على أول ألسني في العالم خطَّط للنظرية البنيوية التي ظهرت في مطلع القرن العشرين في أوربا، ولئن وقف النحاة الأوائل على مبادئ عبد القاهر ولم يحاولوا تطويرها أو وضعها بفكر جديد، ... إن ألسنيي أوربا تحركوا باتجاه تطوير بنيوية سوسير وترسيخ مفاهيمها)) [2]. كما بحث عن نقاط التقاء أخرى بين المناهج اللسانية البنيوية وما جاء في دلائل الجرجاني وأسراره، ثم انتهى إلى تصريح علمي لا يخلو من مبالغة، قال:((إنَّ مثل هذه اللقاءات بين المدارس البنيوية من جهة ونظرة الجرجاني في النظم من جهة أخرى لتؤكد لنا حقيقة لا يمكن تجاوزها، وهي ان البنيوية في اللسانيات المعاصرة لا تعدو ان تكون اجترارا لنظرية النظم الجرجانية، وان غيرت الأولى- أعني البنيوية- مصطلحاتها؛ لأنها تكلمت بلغة العصر، ولغةِ قومٍ لم يكونوا عرباً، وأقامت دراساتها بأدوات غير الأدوات التي استخدمها الأقدمون)) [3].

أصول سلوكية وسياقية:كما يحاول التأصيل لمنهج نظرية بلومفيلد في تفسير اللغة بوصفها ظاهرةً سلوكيةً منظورةً قابلةً للقياس والملاحظة عن طريق ملاحظة المواقف الكلامية وتحليلها على أساس الحافز والاستجابة [4]، وربطها ببعض الملامح المشابهة في

1 نفسه: 240-241.

2 نفسه: 253.

3 الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين: 13.

4 ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: 186.

التراث الغربي القديم وظواهره كالنبر والتنغيم، قال:((أما المواقف الكلامية، وأثرها في تغير الدلالة، وكذلك تأثير الحالة النفسية للمتكلم، وهو ما تؤمن به المدرسة السلوكية، فقد وردت نصوص في التنغيم والنبر، وعلامات الترخيم في الكلام تدل على معرفتهم بتأثير ذلك في الدلالة)) [1]. ثم انتقل إلى نظرية السياق التي من أهم أعلامها فيرث الذين يرون أنّ الكلمات تكتسب معنى مؤقتاً بتأثير السياق الذي يفرض عليه امتداده وآثاره [2]، فيربط بينها وبين أعمال علمائنا القدماء في اهتمامهم بالقرينة المصاحبة وأثرها في تحديد الدلالة وإيضاحها، قال:((وأما نظرية السياق، فالمعجميون العرب تنبهوا على الاستعمال، والسياق والقرينة المصاحبة، وأعطوا لذلك أمثلة كثيرة في معجمات اللغة)) [3]. ويمثّل لذلك بتغير معنى لفظ (أدب) من استعمالها اللغوي بمعنى: المأدبة إلى دلالات أُخَر بحسب الاستعمالات التي يرد فيها والسياق والقرائن [4].

أصول توليدية تحويلية: ومن ذلك ما نجده في محاولته الربط بين نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية وجهود عبد القاهر الجرجاني، ذاهبا إلى ان ما جاءت به التوليدية التحويلية من منهج يقترب على نحو كبير الشبه مما يطرحه منهج النحو العربي التقليدي في دراسته للغة وتحليلها؛ فيقول إنّ النحو التحويلي:((يهمه توليد الجمل ناظراً إلى البنى التحتية لها، وناطقاً بما يوجبه البناء التحتي من صحة التركيب وقبوله في الصوت والمعنى...وهذه النظرة ليست جديدة في عالم البحث اللغوي، ولا سيما الدراسات العربية فعبد القاهر الجرجاني يرى أنَّ متكلم اللغة يفكّر في تجميع المعنى في نفسه قبل أن ينطق بشيء، ثم هو بعد ذلك يحاول ترتيب الكلام في نفسه....إن المنهج التحويلي التوليدي منهج أشبه بأنْ يكون منهج النحو التقليدي العربي، لما اتصف به من الشكلية

1 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 203.

2 ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: 253.

3 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 203.

4 ينظر هامش الصفحة المذكورة في المرجع السابق.

والمعايير التي عرفها الدرس اللغوي العربي)) [1]. وهكـذا نـرى أنّـه يعـد مـا جـاءت بـه التحويلية التوليدية ليس جديداً وأنّ لـه شـبيهاً في تـراث عبـد القـاهر الجرجـاني، وقـد افترض أنّ تشومسكي تأثر بالنحو العبري والعربي بعد اطلاعه على ما ترجم منهما عن طريق نحاة الأندلس، قال:((وبرزت معالم التحويل والتوليد عند العرب في دراسة اللغـة في الأساليب البلاغية، وأصول الكلام وعلم المنطق، وعلـم الكـلام، ولعـل الأصـوليين والبلاغيين يمثلون –بحق– اسبق المحاولات في دراسة اللغة، من تحويليـة تشومسـكي، بـل يمكننا أنّ نقول: إنّ اطلاع تشومسكي على النحو العبري والنحو العربي، مما تـرجم منـه عن طريق نحـاة الأنـدلس، يجعـل مـن الممكـن أنْ نفـترض تـأثر تشومسـكي، والمدرسـة التحويلية بالدراسات اللغوية العربية القديمة)) [2]. وهو يتـابع هنـا كـلام الـدكتور علـي زوين الذي ذهب أيضا إلى أنّ تشومسكي تأثر بالنحو العربي [3]. وقد عاد إلى دراسة هذه الفكرة في موضع آخر متحدثاً عن البنية العميقة والسطحية عنـده وبعـد أنْ عـرّف بهمـا قال :((والذي يتأمل هذه الصورة من مذهب تشومسكي ويقارنها بما يقوله عبد القـاهر الجرجاني حول تحويل الجملـة مـن نفْـس المتكلم قبـل نطقهـا إلى جملـة مألوفـة يجـد أن تشومسكي لم يفعل شيئاً سوى تكرار ما قاله الألسني عبد القـاهر)) [4]. وقـد ذهـب إلى الموازنة بين ما جاء به تشومسكي في مفهوم البنية العميقـة؛ حيـث ان اللغـة عنـده إبـداع وفطرة تتحول من قواعد ضمنية مفهومة إلى جمل منطوقة فطريا، في حين أنّ عبـد القـاهر يذهب إلى أنّ المتكلم يقصد إلى ترتيب الأفكار في نفسه ثـم يخرجهـا منطوقـة، فيقـول:((وبين المذهبين فرق واضح، والواقع ان مذهب عبد القاهر ليس غريبا، بل قد ذهـب إليـه سوسير الألسني الذي يرى أنّ الجمل قوالب جاهزة يجترها المتكلم، ومع ذلـك فمـذهب

---

1 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 216.

2 نفسه: 218.

3 ينظر: بين التراث وعلم اللغة الحديث: 44 ، والعربية والبحث اللغوي المعاصر: 218: (الهامش).

4 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 249.

تشومسكي لم يكن بهذا الجمود الذي قصد إليه سوسير في تكوين الجمل، فهو صاحب مذهب متميز)) [1]. كما قال في موضع آخر:((وكان للمنطق في منهج تشومسكي أثر واضح في التحليل وتفسير الظواهر اللغوية، وهو من هذا الجانب يقترب من الدراسة اللغوية العربية في التعليل والقياس والمنطق والجدل)) [2]. إنَّ في موقف الدكتور العبيدي هذا شيئاً من التناقض، ففي حين يدعو إلى عدم الأخذ بما أنتجه سوسير من بنيوية وبيان عدم صلاحها للعربية والدعوة إلى طرح ما جاءت به-في ضوء ما خلفته من تناقضات وانشقاقات فكرية- والدعوة إلى اعتماد ما تركه لنا اللغويون العرب، نجده، من جهة أخرى، يذهب إلى أن ما جاءت به بنيوية سوسير له أصوله وملامحه العامة في التراث العربي؛ مُتَمَثِّلا بنظرية النظم عند الجرجاني. يضاف إلى ذلك أن كلامه يعني، من جهة ما، أن نظرية النظم للجرجاني تحتوي على معالم المنهجَيْنِ اللسانيَّيْنِ السوسيري والتشومسكي، من غير بيان ذلك أو إيضاحه دفعا لما يمكن أن ينتج عن مثل هذا الطرح من تناقض وإن كان ظاهريا أو شكليا على أقل تقدير. وقد حاول الدكتور العبيدي الربط بين قضية تفاوت صحة التركيب، مما يسمى بالصحة النحوية (أو بدرجة الصواب النحوي)، والصحة النحوية للتركيب grammaticality مصطلح يشير إلى توافق جملة ما أو جزء من جملة ما مع قوانين نظام نحوي خاص بلغة معينة، والحكم بتوافق جملة ما أو عدم توافقها مع النظام النحوي للغة لا يكون سهلًا دائمًا فقد يختلف المتكلمون الأصليون في أحكامهم، ولا تتعلق هذه الأحكام بمعنى الجملة أو بقبولها أو عدم قبولها في المجتمع فقد تكون الجملة صحيحة من الناحية النحوية أو متوافقة مع النظام النحوي للغة أو صحيحة الصياغة لكنها غير ذات معنى، وقد تكون الجملة صحيحة من الناحية

1 نفسه: 247.

2 نفسه: 215.

النحوية لكنها لا تلقى القبول لسبب أو لآخر [1]. ويرى الدكتور العبيدي ان هـذا المعيـار الالسـني الجديـد ممـا سبق إليـه الجرجـاني أيضـا قـال:((وهـذه الفكـرة الـتي يطرحهـا الألسنيون، ويناقشون قضيتها على هذا المستوى من التعليل والتفسير هي نص كلام عبد القاهر الجرجاني في إشارته إلى التفاضل بـين نظـم ونظـم، فهـو يقـول:(ان ههنـا نظمـا أحسن من نظم وذلك بحسب تطبيق معـاني النحـو...إذ ان تفاضـل النـاس يـتم بـالعلم به) [2]. مما يتقدم يتبين لنا ان (أصولية الجملة) و (جودتها) أو (انحرافها) عـن الأصـولية، لم تتعد ما فهمه نحاة العرب عن بناء الجملة، وصلتها بقواعـد اللغـة، وقـوة هـذه الصـلة وضعفها، وتأثير ذلك كله في جودتها ورداءتها أو خروجهـا)) [3]. كمـا توقـف الـدكتور رشيد العبيدي على ما طرحه تشومسكي من مفهوم السليقة اللغوية عند ابن اللغة، إذ ((ذهب إلى ان الطفل يكتسب لغة الأم عن وعي وإدراك حتى في سنه المبكـرة جـدا، وانـه حالما يستوعب القواعد المختلفة التي تعتمد عليها اللغة، تتكون عنده القدرة على الخلـق، أي على تركيب الجمل المختلفة التي يريدها)) [4]. وقد ربط الدكتور رشـيد العبيـدي بـين

1 ينظر: اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، ترجمة: مصطفى زكي التوني، دار النهضة العربية، الطبعة: الأولى، ص: 147، (هامش:1).

2 النص في دلائل الإعجاز 2/ 546، باختلاف: ((أنه ما مِن أحدٍ لهُ أدنى معرفةٍ إلاّ وهو يَعلمُ أن ههنا نظْماً أحْسَنَ من نظْمٍ، ثم تراهُمْ إذا أنتَ أردْتَ ان تُبصِّرَهم ذلك تَسْدَرُ أعينُهُ، وتضلُّ عنهم أفهامُهم. وسببُ ذلك أنهم أولُ شيء عَدِموا العِلْمَ به نفسَه، من حيث حَسِبوه شيئاً غيرَ تَوخِّي معاني النحو، وجعلوه يَكونُ في الألفاظِ دونَ المعاني. فأنتَ تَلْقى الجَهْد حتى تُميلَهم عن رأيهم، لأنكَ تُعالِجُ مرَضاً مُزْمناً، وداءً متمكِّناً. ثم إذا أنتَ قُدْتَهم بالخَزائم إلى الاعترافِ بأنْ لا معنى له غيرُ توخّي معاني النحو، عَرَض لهم من بَعْد خاطِرَ يَدهَشُهُمْ، حتى يكادوا يَعودون إلى رأسِ امرهم. وذلك أنّهم يَرَوْننا ندَّعي المزيةَ والحُسْن لِنَظْم كلامٍ من غير أن يكونَ فيه من معاني النحو شيءٌ يُتَصوَّرُ أنْ يتفاضَلَ الناسُ في العلمِ به)).

3 الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين: 17.

4 مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية: 267.

هذا المفهوم وبعض اللمحات القديمة عند ابن جني وعبد القاهر الجرجاني، مما استنتج منه ان ثمة التقاء بين ما طرحه تشومسكي وما قدمه علماء العربة الأقدمون [1].

أصول في النظرية الدلالية: ومن ذلك أيضا ما نجده عند حديثه عن نظرية الحقول الدلالية، في أثناء تعريفه بالنظريات الدلالية الغربية، إذ يقول عنها :((وهي نظرية سبق إليها علماء اللغة في معجماتهم التي وضعوها على المعاني والموضوعات ، وهي كتب تناولت تقسيم اللغة على علاقات دلالية في الحيوان والنبات والإنسان والجماد، والطبيعة، السماوات والأرض. ولكن هذه الموضوعة التي تناولها العرب في معجماتهم ، كانت تتسم بالعمومية، وتحتاج إلى تنظيم أدق وأكثر في المنهج)) [2]. فهو يرى أن لنظرية الحقول الدلالية أصولا عربية في تراثنا العربي تتمثل بمعجمات المعاني والرسائل التي خصصها القدماء لموضوع معين كالماء واللبأ والنخل وغيرها ، ولكنه يقر بأن ما ألفه القدماء في هذا الميدان يتسم بالعمومية وأن به حاجة إلى التنظيم. ولكنه يعود بعد اسطر قليلة من كلامه السابق إلى وصف ما قدمته ابرز النظريات التي شاعت في الدراسات الغربية بأنها((إعادة وتكرار لمنهج العربي في تفسير مواد اللغة دلاليا)) [3]. كما يصف اهتمام الباحث اللغوي العربي بموضوع الحقول الدلالية بأنه ((سبق يحسب لعلماء العربية، قبل ظهور نظرية الحقول الدلالية في البحث اللغوي الأوربي)) [4] . واستمراراً منه في محاولته الكشف عن ملامح التشابه بين الدرس الدلالي العربي والدراسات الدلالية الحديثة أشار إلى أهم تلك النظريات رابطاً بينها وبين الدرس الدلالي العربي القديم، فربط بين المحددات التي وضعها دي سوسير للعلاقة بين اللفظ والمعنى [5] من

1 الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين: 19.

2 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 202.

3 نفسه: 202.

4 نفسه: 203.

5 محاضرات في علم اللسان العام: 104.

جهة وعمل المعجميين العرب في معجماتهم والمفسرين في تناولهم الكلمة العربية وبيان معناها من جهة أخرى، قال:((والذي يتتبع المعجم العربي، ومناهج المفسرين في تناول الكلمة العربية وإعطاء معناها، يجدهم ينظرون إلى اللفظ ومعناه على أنهما وجهان لعملة واحدة كما يرى سوسير وهما الدال والمدلول عنده)) [1].

الكشف عن أخطاء ناتجة من تطبيق المناهج اللسانية على العربية :

درس الدكتور العبيدي، في أثناء تعريفه بالمناهج اللسانية، محاولة بعض الباحثين العرب تطبيق بعض تلك المناهج على مجموعة من جوانب العربية وظواهرها اللغوية؛ فذهب إلى أن هذه المناهج صالحة لدراسة اللغات الأوربية فقط؛ وأننا ((لو حاولنا تطبيقها على ظواهر العربية لرأينا أن ثمة تكلفا واضحا بين ما ألفه الباحث العربي، وما يراه الباحث الأوربي)) [2]. ثم أخذ يذكر طائفة من صور التأويل والتخريج لقضايا صرفية موازناً بين الدرس اللغوي التقليدي والدرس الصوتي الحديث؛ ذاهبا إلى ان هذا الدرس ترك أثره في زعزعة الفكر الألسني العربي ومن ثم الانحراف عن المسيرة المتوارثة عند أجيال الأمة العربية والإسلامية [3]. ومن ذلك موازنته بين القاعدة الصرفية القديمة التي قررها علماء الصرف السابقون ؛ تلك القاعدة التي تنص على أن الواو أو الياء تقلبان ألفا إذا تحرك أي منهما، وانفتح ما قبلهما، نحو(قال)من (قول)و(باع) من (بيع) وهذه القاعدة مطردة في العربية في أي حركة تقع على الواو أو الياء، سواء أكانت فتحة أم ضمة أم كسرة، نحو طال من طول وخاف من خوف، على وفق الشروط العشرة التي

1 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 202.

2 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 217.

3 ينظر: نفسه: 217.

قررها علماء الصرف العرب [1]. ويرى الدكتور رشيد العبيدي أن هذه القاعدة مما تعلمته الأجيال ودرجت عليه فأصبحت جزءا من كيانها اللغوي [2]. ومن ثم فهو يرى، في مقابل ذلك، أن الدرس الحديث عندما طبَّق منهجه الخاص- بعد تأثره بالبحث الصوتي الغربي – لم يَقْنَع بما انتهى إليه القدماء فحاول التجديد وإيجاد البديل؛ فذهب أصحاب الدرس الحديث ((إلى أن الذي حصل لمثل :(قول) و(بيع) هو سقوط الواو أو الياء، فانزلقت الفتحة التي عليهما إلى الفتحة التي هي مصاحبة للقاف والباء، فامتدت الفتحة وأصبحت ألفا طويلة: صائتا طويلا)) [3]. ومن تلك التوجيهات توجيه الدكتور عبد الصبور شاهين، الذي قال:((فإذا تأملنا الأمثلة التي بين أيدينا وجدنا أنها من قبيل الحركة المزدوجة أو الثلاثية التي تتحول إلى حركة واحدة طويلة. فكلمة مثل: قوم (qa+u+ama) اجتمعت فيها حركة ثلاثية، نشأ عن اتصال أجزائها واو. فإذا سقطت الضمة، انتفى الانزلاق، واتصلت الفتحتان القصيرتان قبلها وبعدها لتصبح الكلمة: قام(qamaa)، فكل ما حدث هو سقوط عنصر الضمة في واقع الأمر، هروبا من ثلاثية الحركة، إلى الحركة الطويلة)) [4]. ويرى الدكتور رشيد العبيدي أن هذا التعليل المقتَرَح لهذه الظاهرة اللغوية غير مقبول لأنه يثير تساؤلات أكثر مما يقترح حلولا فهو يدخل الدارس في إشكالات جديدة لا نجدها في التعليل الصوتي العربي القديم وهي كما حددها الدكتور العبيدي: أن الألف إذا كانت ناتجة من التقاء فتحة بفتحة أخرى، فمن

---

1 ينظر : جامع الدروس العربية: 2/ 107، وشذا العرف في فن الصرف: 132، ومباحث في علم اللغة واللسانيات: 217.

2 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 217.

3 دروس في علم أصوات اللغة، لكانتينو:148، ومباحث في علم اللغة واللسانيات: 218.

4 المنهج الصوتي للبنية العربية: 194-195. وينظر: محاولة السنية في الإعلال: 170- 171.

أين نتجت الألف في بعض الكلمات التي تلتقي فيها ضمة بفتحة أو كسرة بفتحة، فكيف تحولتا إلى ألف وليس بينهما تجانس؟، ثم يعلق على هذا كله بالقول:((أليس في هذا ما يثير الغرابة؟ ففضلاً عن أننا غيّرنا في مفاهيم وقواعد محددة وصلت إلينا وأفهمتنا سبب الإعلال الذي حصل، دخلنا في متاهات جديدة أوجدها لنا البحث الصوتي المعاصر الذي اجتهد فيه هنري فليش، وكانتينو، ومالمبرج، وبرجستراسر ممن لا صلة لهم بالعربية ولا بقوانينها ولا بتراثها العريق الممتد في أصول هذه الأمة وحضارتها)) [1]. وبهذا يكون الدكتور العبيدي قد رفض التعليل الصوتي الجديد لأنه لا يمتاز بالشمول الذي يمتاز به التعليل الصوتي العربي القديم، إذ يتضح، من مناقشته للمسألة، أنّ التعليل الجديد ينطبق على الإعلال الذي تلتقي فيه فتحة بفتحة فتنتج عنهما ألف، وهذا لا يمكن تطبيقه على الحالات الأخرى التي يحدث فيها الإعلال نفسه مما تلتقي فيه ضمة بفتحة أو كسرة بفتحة، وهو ما دعاه إلى الحكم على هذا الجديد بأنه غير صالح للعربية ويدخلها في متاهات لا حاجة لنا بها ناتجة عن أن الدرس الذي أوجدها لا صلة له بتراث العربية.

ومن المسائل التي عالجها الدرس الصوتي الحديث متأثرا بالدراسات الأوربية الحديثة ،وقد وقف عليها الدكتور رشيد العبيدي وردّها، مسألة صياغة اسم الفاعل من المعتل العين فالقاعدة الصرفية تنص على: أنَّ الواو أو الياء إذا وقعتا بعد ألف زائدة، قلبتا همزة، سواء أكانت في حشو الكلمة أم متطرفة، وذلك نحو:(قائل) من (قاول) و(بائع) من (بايع) و (عجائز) من (عجاوز) و (قبائل) من (قبايل) و (صحائف) و(قلائد)، مع النظر إلى الواو والياء؛ فإذا لم تكونا صوتي مد، لم تبدلا، نحو(معيشة) و(معايش)

1 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 218.

و(مغارة) و(مغاور) [1] . فيرى الدكتور العبيدي أن الدرس الصوتي الحديث عندما تناول هذه المسألة ((دخل في مزالق ما أنزل الله بها من سلطان فالدرس الحديث يذهب إلى أن(قائل وبائع) جاءتا من(قاول وبايع) ولكن الذي حصل هو سقوط الواو والياء ، وهما قاعدتان، فبقيت قمتاهما الكسرة...فتحولت هذه الكسرة إلى همزة مكسورة)) [2]. ويعلق الدكتور على هذا التعليل الصوتي بالقول:((فلست أدري لمَ تسقط (الواو)و(الياء)، ثم لست أدري كيف يتحول الصوت-وهو الكسرة- إلى همزة مكسورة أي (قاعدة + قمة)، ومن أين تكونت هذه القاعدة، ولماذا كانت الهمزة؟!)) [3]. وممن توقف عند هذه المسألة الأستاذ الطيب البكوش، الذي يرى أن مثل هذه الكلمات لم يقع فيها قلب وإنما سقط حرف الواو أو الياء فبقيت الكسرة وحدها فجلبت الهمزة، قال:((والواقع انه لم يقع قلب وإنما وقع حذف الواو والياء. وبقيت الكسرة، لكن العربية لم تتعود رسم الحركات وحدها وان نطقت بها كما هو الشأن في ألف الاتكاء التي نجدها في أول الأفعال المزيدة مثل انفعل، فهي كسرة تعتمد حتى لا يبدأ بحرفين متتالين؛ أي بحرف ساكن.ونظرا إلى ان العربية لا تتصور رسم الحركات مستقلة عن الحروف، ولا يوجد فيها مقطع مبدوء بحركة؛ وهو أمر لا يتنافى والمعطيات العلمية الحديثة، فقد كان من الضروري ان تعتمد الحركة على همزة في مثل قائل ولذلك نقول للتبسيط- مع النحاة القدامى- ان الواو والياء قلبا همزة)) [4]. وتعليل البكوش، هنا، لا يظهر مصدر

---

1 ينظر: شذا العرف في فن الصرف: 124، وجامع الدروس العربية 2/ 121، ومباحث في علم اللغة واللسانيات: 218-219.

2مباحث في علم اللغة واللسانيات: 219.

3 نفسه: 219.

4 التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث: 148-149.

الهمزة في مثل هذه الصيغة على نحو مقنع ومقبول، ولـذلك علـق عليـه الـدكتور رشـيد العبيدي بالقول:((ولسنا ندري مصدر الهمزة عنده)) [1]. ومن التعليلات الـتي جـاء بهـا المحدثون ما جاء عند الأستاذ احمد الحمو، إذ قال: ((وبناء عليه فان مـا يوجـد في مكـان العين من اسم الفاعل (قائل) و (بائع) هو الكسرة فقط ولاشـيء سـواها. ونسـتطيع ان نكتب أسماء الفاعل هذه على الشكل التالي: (قا-ل) بدلا من (قائـل)، و(بـا-ع) بـدلا من (بائع) لكن هذا لا يعني انه لا يوجـد هنـا همـزة، إلا ان وجودهـا لـيس ناشـئا عـن انقلاب الواو في (قاول) أو انقلاب اليـاء في (بـايع)، بـل يـرتبط بمـا ذكرنـاه سـابقا عـن خصائص الهمزة فالهمزة تقوم هنا بوظيفة الفصل بين مصوتين متتابعين: الألـف الطويلـة والكسرة القصيرة. والسبب الثاني لوجود الهمزة هنـا هـو ان المـرء لا يسـتطيع لأسـباب فيزيولوجية ان ينطق بالمصوت لوحده عاريـا عـن أي صـامت قبلـه دون ان يبـدأ بنطـق الهمزة. فلا نستطيع نطق ألف قصيرة(فتحة) ولا طويلة لوحدها دون ان نبدأ بنطق همزة في أولها، والشيء نفسه ينطبق على الواو والياء سواء أكانتا حرف مد أو حركـة قصـيرة. هذا يفسر ما قلناه آنفا عن الحديث عن أصل الواو الصامتة في (قَوْل) واليـاء الصـامتة في (بَيْع)، إذ ان هذين الصوتين ليسا سوى ضمة بعد تسهيل الهمزة الإلزاميـة الـتي في أولهـا بالنسبة للواو، وكسرة بعد تسهيل الهمـزة الإلزاميـة الـتي في أولهـا بالنسـبة لليـاء. لـذلك نستنتج ان الهمزة التي توهمها الصرفيون في عـين اسـم الفاعـل ليسـت في حقيقـة الأمـر سوى المصوت القصير غير المسبوق بحرف صامت، ووجـود الهمـزة تـابع لوجـود ذلـك المصوت وليس نتيجة انقلاب عن واو أو ياء لا وجود لهما أصلا)) [2]. ولم يقبل الدكتور

1 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 219.

2 محاولة ألسنية في الإعلال: 182.

رشيد العبيدي بهذا التعليل لهذه الظاهرة، فقال:((نقول له : ثم ماذا بعد ذلك، ولِمَ أصبح النطق بهما على زنة (فاعل): قائل، وبائع؟ وما المسوغ لذلك كله؟))[1]. وقد وصف مثل هذه الاجتهادات في توجيه بعض الظواهر اللغوية وتعليلها أو تفسيرها بأنها تجنٍ على علماء العربية، قال:((ومثل ذلك كثير، يقف عنده الباحث المعاصر، فيجد التجني واضحا على علماء العربية وباحثي اللغة في تاريخ البحث اللغوي العربي))[2]. ومن هنا نجد أن الدكتور العبيدي يرى أن مثل هذه التعليلات الصوتية غير مقبولة لأنها تعليلات غير مُتَّسِقة؛ فهي تُقْتَرِح قواعدَ جديدة للإعلال من غير تفسير يوضح تلك القواعد المقتَرَحَة على نحو مقبول لغوياً أو حتى منطقياً على الأقل.

تأكيد عدم حاجة اللغة العربية للمناهج اللسانية أو عدم مناسبتها لها :

على الرغم من أن الدكتور العبيدي حاول-كما أشرنا إلى ذلك من قبل- أن يجد لبعض القضايا أصولا في تراثنا اللغوي ومنها المنهج الوصفي مثلا، فإننا نجده في مواضع أخرى يؤكد أن تلك المناهج لا تناسب اللغة العربية أو لا يمكن تطبيقها عليها في اقل تقدير، ومن ذلك كلامه على أهمية دراسة اللهجات محددا الغاية من تلك الدراسة في بعض الجوانب، مثل معرفة صلة اللهجة باللغة الأم واختلافها عنها في أحكام الصوت والدلالة، أما غير ذلك فيراه غير صحيح ،قال:((أما دراستها لأجل وضع نحو خاص بها –وخاصة لهجات العربية- فهذا ما لا يقره البحث العلمي ولا ترضاه ظروفنا السياسية والاجتماعية))[3]. فهو يرى أنه لو أتيح للعربية المعاصرة أن تدرس الآن على وفق المنهج الوصفي من خلال نصوصها الأدبية مثل نتاجات طه حسين والسياب وإيليا

1 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 220.

2 نفسه:220.

3 نفسه: 262.

أبي ماضي وغيرهم لما كانت القواعد التي ستنتهي إليها مختلفة كثيراً عما انتهى إليه النحاة القدماء [1]. ثم يقرر بعد ذلك :((لذلك كله نرى ان استعمال المنهج الوصفي لدراسة النص اللغوي العصري المتمثل في مثل هذه النماذج لم يجرنا إلى نتائج بعيدة عن ما قررته الدراسة اللغوية العربية في عصور تقعيد اللغة وبرمجة قوانينها)) [2]. ويؤكد توجّهه هذا في موضع آخر؛ إذ يقول- بعد أن عرض مفهوم الكلام عند سوسير- :((والذي يبدو لنا من خلال هذا التحديد للغة الكلام عند سوسير وجعلها هي الميدان الطبيعي للدراسة انه لا ينسجم مع طبيعة لغتنا، التي احتفظت بكيانها الثابت المستقر بما توارثته من لغة الكتاب المنزل والحديث النبوي الشريف وأصول الفصاحة والبيان فهناك مستويان في العربية، الأول هو المستوى المثالي وهو الذي يعبر عنه باللغة الفصيحة المشتركة التي كتب بها النص العربي السليم، والأخرى هي الخاصة أو المحلية المعروفة باللهجة العامية)) [3]. ويبدو لنا أن الرؤية التي دفعت بالدكتور رشيد العبيدي إلى ما ذهب إليه من عدم حاجة اللغة العربية إلى المناهج اللغوية الغربية، ولاسيما المنهج الوصفي منها، تتمثل في إيمانه بان اللغة العربية تختلف عن اللغات الأخرى، ومرد هذا الاختلاف يعود إلى ان اللغة العربية لغة لم يصبها تغيير كبير لأنها حافظت على قوانينها وقواعدها؛ فهي ما تزال تحتفظ بخصائص اللغة العربية الجزرية الأم؛ ومن ثمَّ، فلا توجد حاجة إلى إعادة دراستها من جديد من خلال المنهج الوصفي لان هذه الدراسة ستخرج بالنتائج نفسها التي خرج بها علماؤنا القدماء لان اللغة محافظة على قواعدها وطريقة بنائها وتركيبها وخصائصها اللغوية الأخرى، قال:((ومعلوم أنَّ كثيرا من اللغات- ولا سيما الأوربية- واقعة تحت تأثير التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وظروف التحولات السياسية والثقافية، ولذلك نجد فرقا كبيرا بين لهجات اللاتينية قبل مئات السنين

1 نفسه: 263.

2 نفسه: 263.

3 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 224.

واللغات اللاتينية المعاصرة في رومانيا وايطاليا واسبانيا والبرتغال وفرنسا ولاتينية أمريكا الجنوبية، في حين لا ينطبق هذا على العربية منذ ان كانت في حضن أمها الجزيرة العربية، وبعد مجيء الإسلام، ونزول القرآن حتى هذه اللحظة، والى ان تقوم الساعة، إنها لغة استمرت على قوانينها وقواعدها ونظامها، وما تزال تحتفظ بخصائص اللغة العربية الجزرية الأم، كما هي، وان ما كان ينظم به امرؤ القيس من شعر، والمهلهل وعبيد ولبيد، وما تكلم به الاكديون والكنعانيون والآراميون وما يتكلم به أبناء العرب والمسلمون بعد خروج العرب من الجزيرة ما يزال يحكي النظام الذي هو خصيصة ثابتة غير متغيرة على المستويات الدلالية والصوتية والتركيبية والمفردات والأساليب، وذلك ان هذه اللغة قدر لها ان تخلد بكتاب الله تعالى وبما أمدت به أبناءها من نصوص متوارثة، وتراث أدبي وعلمي وفكري مروي منقول ومدوَّن إلى يومنا هذا)) [1]. وتفسير هذه الرؤية -التي يرتكز عليها، هنا، في حكمه هذا-: أن العربية لم تتغير وأنها حافظت على خصائصها، يتضح لنا على نحو أكثر وضوحاً إذا علمنا انه يرى انه لا وجود لعلاقة بين التغيرات الاجتماعية والبناء اللغوي في تلك المجتمعات التي تحصل فيها تلك التغيرات الاجتماعية، قال:((مما تقدم نستخلص ان لا علاقة بين التغيرات التي تطرأ على المجتمعات والبناء اللغوي لتلك المجتمعات، إذ ان اللغة ليست بناء ظاهرا يتحكم فيه التغيرات الاجتماعية والفكرية والثقافية، بل ان اللغة الحية تكون قادرة في ذاتها على الاتساع والنحت والاشتقاق والتوليد في مفرداتها، وإذا كان ثمة من التغيرات التي تطرأ عليها، بتغير ظروف المجتمع، واتجاهاته الفكرية والثقافية والسياسية، فموقعه في استحداث مفردات، أو الاتساع في الدلالة، أو الخروج إلى المجاز والاصطلاح، وذلك كله ميدانه اللفظ، لا التركيب والنظام)) [2]. وفي حكم الدكتور رشيد العبيدي هنا شيء من التناقض، فهو يقرر انه لا علاقة بين اللغة والتغيرات الاجتماعية ، لينتهي إلى القول بان اللغة العربية

1 نفسه: 205.

2 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 298.

محافظة على نظامها وبنية ألفاظها، فلمَ لَم ينطبق هذا الحكم على اللغات الأخرى، وذلك بأن تبقى تلك اللغات محافظة، هي الأخرى، على خصائصها اللغوية، انطلاقا من القول بان العلاقة بين اللغات والتغيرات الاجتماعية معدومة وغير موجودة. ووقف الدكتور رشيد العبيدي على منهج النحو الوظيفي، كما قدمه الدكتور احمد المتوكل، فوجد فيه منهجا غريبا بعيدا عن روح اللغة العربية وانه منهج يدخل الإرباك على اللغة ودارسيها لتعدد مصطلحاته وعدم دقتها ولان كثيرا منها منقول عن دراسات غير عربية للغات الأوربية وليس للغة العربية، ومن ثم، فهو منهج غير مناسب للغتنا [1]. وقد وصف الدكتور العبيدي أنَّ هذه الدراسات -وأمثالها من الدراسات الناتجة من تطبيق بعض المناهج التي تجد من يتبناها ويدعو إليها- ذات خطورة على اللغة العربية، قال:((والواقع ان معظم هذه الدراسات ذات خطورة بالغة على كيان العربية ، لا نقول هذا من باب التعصب الجاهل، بل نقوله بعد ان عرفنا النوايا الخبيثة التي تختفي وراء هذه الصيحات والتقليعات الغريبة المكدرة لصفاء نهر اللغة ونقائه. خصوصا ان من يحمل مثل هذا المنهاج والمذهب – غالبا ما- يكون جاهلا بواقع لغته، وأصولها، لان العارف لا يعوزه منهج جديد لفهم لغته ومبادئها)) [2]. ولم يكتفِ الدكتور رشيد العبيدي في رفضه هذا المنهج باتهام أصحابه بالجهل أو النوايا غير الصادقة، بل راح يعرض مجموعة من المفاهيم التي يعتمد عليها هذا المنهج ومناقشتها علميا من زاويتين: الأولى مدى جدة هذا المنهج وأصالته موازنة العربي القديم منها والغربي المنقول، والزاوية الثانية هي الفائدة الفعلية والعملية التي يثمر عنها تطبيق هذا المنهج وترك القواعد العربية التي وضعها القدماء، وقد انتهى إلى ان الباحث احمد المتوكل أقحم هذا المنهج على العربية إقحاما، قال: ((وعندما يطبق الباحث نحوه الوظيفي على بعض عبارات ترد في الاستعمال الغربي تختلط عنده أكثر من وظيفة،...، ومن الأمثلة التي تدل على أنّ

---

1 ينظر: نفسه: 252-253.

2 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 250.

الباحث كان يحاول زج المفهوم الالسني الحديث زجا غير موفق في ثنايا البحث اللغوي العربي أو محاولة التدليس في بعض قواعد اللغة العربية، موهما القارئ بشيء لا حقيقة له في البحث اللغوي العربي)) [1]. وهكذا يرفض الدكتور رشيد العبيدي هذا المنهج لأنه منهج منقول غير أصيل، ولان صاحبه الدكتور المتوكل مترجم له اعتمد على بعض تطبيقاته على اللغات الأخرى بغض النظر عن مدى ملاءمته للعربية أو عدم ملاءمته.

الخاتمة ونتائج البحث:

كان الهدف الأساس من هذا البحث هو تكوين صورة متكاملة عن نقد اللسانيات عند الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، والكشف عن أهم تجليات هذا النقد، وسعياً لتحقيق هذا الهدف انقسم البحث على محاور درس كل محور منها مظهراً من مظاهر نقد اللسانيات عنده. ولعل من أهم النتائج التي توصل إليها البحث هو أنَّ جهد الدكتور العبيدي في مضمار اللسانيات الحديثة كان يميل إلى الخلط بين اللسانيات التمهيدية التي غايتها التعريف بالنظريات والمناهج والدراسات اللسانية من جهة واللسانيات التراثية التي تعيد قراءة التراث العربي لتلمس ما فيه من أصول ملامح لسانية حديثة من جهة أخرى [2]؛ إذ ينصب جهده على التعريف بهذه الدراسات مع البحث عن أصول لها في تراثنا العربي القديم، منطلقاً من إيمان عميق بان ما قدمه علماؤنا القدماء في دراسة اللغة كان دقيقا وشاملا جامعا لا يحتاج إلى المناهج المستوردة التي لا تقدم جديدا أصيلا حقيقيا، ولكن مما يؤخذ على جهده هذا انه غالبا ما كان يعتمد على مراجع وسيطة مترجمة غالبا في دراساته، وليست مصادر غربية باللغات الأصلية التي كتبت بها تلك النظريات والدراسات الغربية، وعلى الرغم من ذلك لا يمكننا القول ان الدكتور العبيدي لم يطلع اطلاعا جيدا على تلك النظريات لأنه كان متابعا لها ودائم السعي للإلمام بها، كما ان موقفه من تلك النظريات لم يكن رافضا لها رفضا مسبقا، وإنما كان يبني موقفه منها على أساسٍ من دراسةِ هذه النظريات والوقوف

1 نفسه: 252-253.

2 ينظر: خصائص الخطاب اللساني: أعمال ميشال زكريا نموذجا: 50.

على ما فيها من ايجابياتٍ يمكن ان تفيد منها العربية، وسلبياتٍ ينبغي لنا ولها تجاوزها. ويمكننا القول إن أهم مظاهر نقده للسانيات تمثل في دراساته عن التناقض بين المناهج اللغوية الغربية ونقد بعضها بعضا، من جهة، وفي تأكيده ان اللغة العربية لا تحتاج إلى المناهج اللسانية لغرض دراستها، مُستَدِلاً على ذلك بأنَّ تطبيق تلك المناهج البديلة يؤدي إلى أخطاء؛ منها الأخطاء التي وقع فيها الدعاة إلى تلك المناهج كما يؤدي إلى تعقيد فهم اللغة العربية ودراستها وتدريسها.

مصادر البحث ومراجعه

الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، لسنة 1989م.

الألسنية: علم اللغة الحديث: قراءات تمهيدية، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت، ط2، 1405ه- 1985م.

البنيوية في اللسانيات، د. محمد الحناش، دار الرشاد الحديث- الدار البيضاء، ط1، 1980.

البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، الشهير بالجاحظ (ت 255هـ)، دار ومكتبة الهلال-بيروت،1423هـ.

التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، تونس 1973.

جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلايينى (ت 1364هـ)، المكتبة العصرية- بيروت، ط 28، 1993م

الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.

خصائص الخطاب اللساني؛ أعمال ميشال زكريا نموذجا، هبة خياري، الوسام العربي- الجزائر، منشورات زين- بيروت،ط1، 1432ه- 2011م.

دروس في علم أصوات اللغة، كانتينو، تعريب: صالح القرمادي، تونس، ط1، 1966م.

دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت 471هـ)، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ – 1992م.

شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي (ت 1351هـ)، تح: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض، د.ط، د.ت.

العربية والبحث اللغوي المعاصر، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، منشورات المجمع العلمي- العراق، ط1، 2004.

- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار الفكر العربي، ط 2 - القاهرة 1997.
- اللغة العربية واللسانيات المعاصرة، د. مجيد الماشطة، البصرة- مطبعة النخيل، سنة:2010م.
- اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، ترجمة: د. مصطفى زكي التوني، دار النهضة العربية، ط1.
- مباحث في علم اللغة واللسانيات، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ط1، 2002.
- مبادئ اللسانيات، د. احمد محمد قدور، دار الفكر-دمشق، ط3، 2008م.
- محاضرات في علم اللسان العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق- المغرب، ط1، 2008.
- محاولة السنية في الإعلال، أحمد الحمو، مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام- الكويت، المجلد (20)، العدد(3) لسنة 1989م.
- مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية، د. صبري إبراهيم السيد، مكتبة الآداب- مصر، ط1، 2011.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط3، 1417هـ - 1997م.
- معجم الصوتيات، د. رشيد العبيدي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية- بغداد، ط1، 2008م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط سنة:1980.
- موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، حميد المطبعي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد،1995م، ط1، ج1.

المحتويات

9789957951849

دار الأيام للنشر والتوزيع
عمان-ش الملك حسين - وسط البلد أول طلعة
جبل الحسين بجانب سرفيس جبل الحسين خط 9
ص.ب 925636 العبدلي 11190 الاردن
هاتف: 4633362 6 00962 تلفاكس: 4633352 6 00962
جوال: 707630 795 00962 -509925 797 00962
E-mail salah_tallawi@yahoo.com

دار الرياحين للنشر والتوزيع
جمهورية العراق- بابل- الحلة
ت : 07801342885
E-mail:rayaheenlib@yahoo.com